معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الرابع

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معانی القرآن و اعرابہ

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سُورَةُ المؤْمِنُونَ
مَكِّيَّة

بسم اللّٰه الرحمن الرَّحِيمِ

ومن السورة التي يذكر فيها المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أي قد نَالُـوا البَقاء الـدائم في الخير، ومن قـرأ قد أُفْلِحَ المؤمنـونَ. كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفلاح، ويـروى عن كعب الحَبْر[1]. ان اللّٰه عز وجل لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء، خـلق آدمَ ﷺ بِيَدِه وخلق جنـة عَدْنٍ بيـده، وكتب التوراة بيده، فقال لجنة عـدن تكلمي فقالت «قد أفلح المؤمنون» لما رأت فيها من الكرامة لأهلها،

---

(١) هو كعب الأحبار، تسمية بذلك أشهر من تسميته بكعب الحبر، وهـو كعب بن ماتـع الحميري يكنى أبـا إسحاق، من آل ذي الكـلاع الحميري، أدرك النبي ﷺ رجـلاً ولكنه لم يسلم إلا في خلافة عمر وقيل في خـلافة أبي بكـر ـ وهو من القصـاصين المشهورين وبسببـه هو وابن وهب دخل الاسلام شيء كثير ـ دخل عليه عوف بن مـالك وهـو يقص على الناس في المسجـد فقال سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: لا يقص على النـاس إلا أمير أو مـأمور أو محتـال ـ (في رواية أو متكلف) فأمسك عن القصص ـ حتى أمره به معـاوية ـ وكـان معاويـة يقول عنـه انه من أصـدق المحـدثين عن أهل الكتـاب وأنه مع ذلك لنبلو عليه الكـذبَ ـ وفسره بعضهم بـانـه يعني عـدم الـوقوع لما يخبر عنـه أنه سيقـع ولكن رويت عنه أحـاديث بها شيء من التغييـر ـ روى عنه من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عبـاس وابن الزبيـر ومعاويـة وكثيرون ـ من كبار التابعين ـ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشـام ـ قدم من اليمن إلى المـدينة ثم خـرج إلى الشـام فمات بحمص سنة اثنتين وثلاثين. وانظره في الاصابة ت رقم ٧٤٩٦.

والمؤمنون المصدِّقُونَ بما أتى من عند اللّه، وبأنه واحد لا شريك له، وأن محمداً ﷺ نبيه.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

أصل الخشوع في اللغة الخضوع والتَواضع، ودليل ذلك قوله: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ للرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾[1]. وقال الحسن وقتَادَةُ: خاشعون خائفون، وروي عن النبي ﷺ أنه كان إذا وقف في صلاته رفع بصره نحو السماء، فلما نزلت ﴿ الذين هم في صَلَاتِهِم خَاشِعُونَ﴾ جَعَلَ نظره موضع سُجُودِه.

﴿والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

اللغو كل لَعِبٍ وهَزْلٍ، وكُلُّ مَعْصِيَةٍ فمُطَّرحة مُلْغَاةٌ[2]، وهم الذين قد شغلهم الجد فيما أمرهم اللّه به عن اللَّغْوِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ للزَّكاةِ فَاعِلُونَ﴾.

معنى ﴿ فَاعِلُونَ﴾ مُؤْتُونَ.

﴿والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾.

أي يحفظون فروجهم عن المعاصي.

﴿ إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾.

مَوْضِعُ «ما» خفَضٌ ودخلت «على» ههنا لأن المعنى أنهم يلامون في إطْلاقِ ما حُظِرَ عَلَيْهم، إلاَّ على أَزْوَاجِهِمْ فإنَّهُم لَا يُلَامون على ما أُحِلَّ لَهُمْ مِنْ تَزَوَّج أَرْبعٍ، ومِنْ ملك اليَمِين، والمعنى أنهم يلامون على ما سِوى أَزْوَاجِهِمْ وملك أيمانِهِمْ.

(١) سورة طه / ١٠٨.
(٢) مفروض أنها ليست من شأنهم فلا حديث لهم عنها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

أي فمن طلب مَا بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾.

ومعنى ﴿العادون﴾ الجائرون الظَّالمونَ الذين قَدْ تعدَّوا فِي الظُّلْمِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾.

ويقرأ لأمانتهم واحداً وَجَمْعاً.

﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يقومُون على حفظ أَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهم، يَرْعَوْنَ ذلك، وأصل الرَّعْيِ في اللُّغَةِ القيامُ على إصلاح ما يتولّاه الراعي من كل شيءٍ، تقول: الإمام يَرْعَى رَعِيَّتَهُ، والقيِّمُ بالغنم يَرْعَى غَنَمه، وفلان يَرْعَى مَا بَيْنَه وبَيْنَ فُلانٍ، أي يقوم على إصْلاح ما بينه وبينه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ﴾. وَصَلَواتِهِم يقرأان جميعاً.

﴿يُحَافِظُونَ﴾.

معناه يُصَلُّونَها لوقتها، والمحافظة على الصَّلَواتِ أَن تُصَلَّى في أَوْقَاتِها. فأما الترك فَداخِلٌ في بَابِ الخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ. والذين وُصِفُوا بالمحافظة هم الذين يرْعَوْنَ أَوْقَاتَها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ﴾.

أيَ من وصف بما جرى من الإِيمَانِ والعَمَلِ بما يلزم المؤمِنَ أُولئِكَ هُم الوارِثُونَ.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾.

روي ان اللّه ـ جل ثناؤه ـ جعل لكل امْـرِئ بَيْتاً في الجَنَّةِ وَبَيْتاً في النَّارِ فمن عَمِلَ عَمَلَ أهلَ النَّارِ وَرِث بيته مِنَ الجَنَّةِ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ أهـلِ الجَنَّةِ، ومن عَمِلَ عَمَلَ أهْلِ الجنة ورث بيته من النار من عَمِلَ عَمَل أهل النَّارِ، والفِـرْدَوْسُ أصله رُومِيٌّ أعـرب وهـو البُسْتَـانُ، كـذلـك جاء في التفسيـر. وقـد قيـل إنَّ الفِرْدَوْس يعرفه العَرَب، ويُسمَّى الموضِعُ الذي فيـه كـرم فـردوسـاً.

قال أبو إسحـاق: روينا عَنْ أَحْمَـدَ بنِ حَنْبل رحمـه اللّه في كتابه «كتاب التفسير»، وهـو مـا أجـازه لي عبـد اللّه ابنه عنـه أن اللّه عـز وجـل، بنى جَنَّـةَ الفِرْدَوْسِ لَبِنةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّةٍ، وجَعَلَ جِبَالهـا المِسْكَ الأذْفَـر. ورَوَيْنَا عن غيره أن اللّه ـ جَلَّ ثناؤه ـ كنس جَنّةَ الفردَوْسِ بيدِه، وبنـاها لبنـةً من ذهب مُصَفًّى ولبنةً مِنْ مِسْكٍ مُذَرًّى[1]، وغرس فيها مِنْ جَيِّدِ الفَاكِهَةِ وَجَيِّد الرَّيْحَانِ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾.

سُلَالَة فُعالة. فخلق اللّه آدم ـ عليه السلام ـ مِنْ طِينٍ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾.

على هذا القول يَعْنِي وَلَـدَ آدم. وقيل مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ طينٍ، من مَنِيّ آدم ﷺ وسُلَالَة: القليلُ فيما يَنْسَلُّ. وكل مَبْنًى عَلَى فُعـالة، يـراد به القليـل. فمن ذلك الفُضَالَة والنُّخَالة والقُلَامَة. فَعَلَى هذا قياسُه.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَـا العَلَقَة مُضْغَـةً فخلقنا المُضْغَـةَ عِظَامـاً فَكَسَوْنَـا العِظَام لَحْماً﴾ وتقرأ على أَرْبَعةِ أَوْجُهٍ أحدها ما ذكرنا. وتقرأ: ﴿فَخَلَقنا المضغة عَظْماً فكسونا العظم لحماً﴾ ويقرأ: ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونـا العظم لحمـاً﴾ ويقرأ: ﴿فخلقنا المضغة عَظْماً فكسونا العظام لحماً﴾. والتوحيد والجمعُ ههنا جائزان، لأنه يُعْلم أن الانسانَ ذُو عظام، فإذَا ذُكِّرَ على التوحيد فلأنه يَدُلّ على

(١) مصفى، لا تراب فيه.

الجمع، ولأَنَّهُ مَعه اللحْمَ، ولفظه لفظ الواحِدِ، فقد عُلِمَ أَنّ العَظْمَ يُرادُ به العِظَامُ. وقد يجوز من التوحيد إذا كان في الكلام دليلٌ على الجمع مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا قال الشاعر:

في حلقكم عظم وقد شجينا[1]

يريد في حلوقكم عِظامٌ.

وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾.

فيه ثلاثة أقوال: قِيل جُعِلَ ذكراً أَوْ أنثى، وقيل نفخ فيه الروح، وقيلَ أُنْبِتَ عليه الشَّعْرُ.

ويروى أَن عُمَر كان عند رسول اللّه ﷺ حين نزلت هذه الآية، فقال عَمرُ: فَتَبَارَكَ اللَّه أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، فقال ﷺ لعمر ان اللّه قد ختم بها الآية.

وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾.

ويجوز لمائِتون، ويجوز لَميْتُون. وأَجْوَدُها لَمَيِّتُونَ، وعليها القراءة. وجاءت مائتون لأنها لما يستقبل.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ ﴾.

يُعنَى به سبعُ سموات، فكل واحدة طريقة.

﴿وما كنَّا عن الخلق غَافِلِينَ﴾، أي لم نكن لنغفُلَ عن حفظهنَّ، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[2]. وجائز أن يكون ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ أي إنا لِحِفْظِنَا إِيَّاهُمْ خلقنا هذا الخلق[3].

---

(١) تقدم جـ ١/٨٣.

(٢) سورة الأنبياء / ٣٢.

(٣) على أن المراد بالخلق في الآية بنو آدم، وهذه الأشياء خلقت لأجلهم كقوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾.

ويروى أن أربعة أنهار من الجنة، دجلةُ والفراتُ وَسِيحانُ وجِيحانُ، ومعنى فاسكناه في الأرض جعلناه ثابتاً فيها لا يزول.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾.

﴿شجرة﴾ منصوب، عطف على قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ به جَنَّاتٍ﴾ [أي] وأنشأنا لكم به شجرةً. ويقرأ ﴿من طور سَيْنَاءَ﴾ بفتحَ السين، وبكسر السّين، والطور الجبل، وقيل إن سيناء حجارةٌ، وهو - واللَّه أعلم - اسمٌ لِمكَانٍ. فمن قال سَيْناء، فهو على وصف صحراء، لا ينصرف، ومن قال سِينَاء - بكسر السين - فليس في الكلام على وزن فِعْلَاء على أن الألف للتأنيث، لأنه ليس في الكلام ما فيه ألف التأنيث على وزن فِعْلَاءَ، وفي الكلام نحو عِلْباءٍ مُنْصَرِفٌ، إلا أن سِيناء ههنا اسم للبقعة فلا ينصرف.

قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾.

يقال نبت الشجر وأَنْبَتَ في مَعْنًى واحدٍ، قال زُهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البَقْلُ[1]

ومعنى ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أي تنبت وفيها دُهْنٌ وَمَعَها دُهْنٌ كما تقول: جاءني زيد بالسيف، تريد جاءني ومعه السيف.

وقوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾.

---

(١) من لاميته المعروفة انظر اللسان (نبت شهب) وقبله.

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ونال كرام المال في الحجرة الأكل

والسنة الشهباء المجدبة التي لا مطر فيها، وقيل البيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات وكرام المال - الابل الكريمة - ينالها الأكل أي تنحر لعدم اللبن بها - والحجرة: السنة الشديدة. شاهد الانصاف ٩٨ - والقصيدة في الديوان. وانظر اللسان (سبت).

يعنى بها الزَّيْتُون.

قوله: ﴿ إنْ هُوَ الاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾.

جنَّة في معنى جُنُون، والجنَّةُ اسم للجِنّ.

وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً ﴾.

تقـرأ مُنْزَلاً وَمَنْـزِلاً جميعاً، فـالمَنْزِل اسم لكـل ما نـزلتَ فيـه، والمُنْـزَلَ المصدر بمعنى الانزال، يَقُول: أَنْزَلْتُه إنْزَالاً وَمُنْزَلاً ويجوز مَنْزَلاً، ولم يقرأ بهـا ـ فلا تقرأن بهاـ على معنى نزلت نزولاً وَمَنْزَلاً.

وقوله عز وجل: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مُتُّمْ ـ ومِتّم ـ وكُنْتُم تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾.

وهذا جوابُ الملأ مِنْ قَوْمِ ثمـودَ. فأمَّا «أَنَّكُمْ» الأولى، فموضعها نصب على معنى أيَعـدُكم بأَنَّكُمْ إذا متم، ومـوضع «أَنَّ» الثـانية عنـد قـوم كمـوضـع الأولى، وإنمـا ذُكِـرَتْ تَـوْكِيـداً. فـالمعنى على هـذا القــول: أَيَعِـدُكم أَنكُمْ تُخرَجُونَ إِذَا مِتمْ، فلما بَعُدَ مَا بَيْنَ أن الأولى والثانية بقوله: ﴿إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظَاماً﴾ أُعِيدَ ذِكر «أَنَّ» كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّه مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَـأَن لَهُ نَارَ جَهَنَّم﴾[1] المعنى فله نار جهنم. هـذا عَلَى مذهب سيبـويه، وفيهـا قولان آخران أجودهما أن تكون أن الثانية وما عملت فيه في موضع رفع ويكون المعنى أَيَعـدُكُمْ أنكم إخراجُكم إذا مُتم[2]. فيكـون انكم مخرجـون في معنى إخـراجكم، كأنه قيل: أيعدكم أنكم إخـراجكم وقت مـوتكم وبعـد مَـوْتكم، ويكون العامِلُ في «إذَا» إخراجكم، على أن «إذا» ظرف، والمعنى أنكم يكونُ إخراجكم إذا مِتم. الثالث أن يكون إذا العامِلُ فيها «مَتُّمْ»، فيكون المعنى إنكمْ

(١) سورة التوبة الآية ٦٣.

(٢) لا بدّ من تقدير خبر ـ مثل اخراجكم حادث أو واقع أو محقق.

متى مُتُّمْ يقع إخْراجُكم، فيكون خبر إنّ مُضْمَراً، والقولاَن الأوّلاَنَ جَيّدانِ.

ويجوزُ: أَيَعِدُكم أَنَّكُمْ إذا مِتّم أنكم مُخْـرَجُونَ، ولم يُقْـرأ بِهَا فـلا تقرأن بها. ويكونَ[١] المعنى في يعدكم يقول لكم[٢] ولكنها لا تجوز في القراءة لِأَنَّ القِرَاءَة سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون ﴾.

يقرأ بفتح التاء وبكسر التـاء، ويجوز هيهـاتٍ هيهاتٍ - بـالتنوين - ويجوز هيهاتاً هيهاتاً، فأما الفتح والكسر بغيـر تنوينٍ فكثيـرتان في القـراءة، وذكرهمـا القراء والنحويون، وقد قرئت بالكسر والتنوين، فأما التنوين والفتح فـلا أَعْلَمُ أَحَدَاً قَرَأَ بِهِمَا[٣]، فلا تقرأَنَّ بِهَا.

فأما الفتح فالوقف فيه بالهاء. تقول هَيْهاهْ هَيْهاهْ - إذا فتحت ووقفت بَعْد الفتح، فإذا فتحتَ وَقَفْت على التاء سواءٌ عليك كنتَ تنوّنُ في الأصـل أو كنت مِمَّنْ لا يُنَوِّنُ.

فمن فتحها - وموضعها الرَّفْعُ وتأويلها البعد لما توعدونَ - فلأنها بمنزلــة الأصواتِ، وليْست مشتقَّةً من فِعْـلٍ فَبُنَيَتْ هيهاه كمـا بُنِيَتْ ذَيَّه وَذِيَّـه[٤]. فإذَا كَسَرْتَ جَعْلَتها جَمْعاً وبَنيتها على الكسر. قال سيبويه: هي بمنـزلة عَلقـاه[٥]. يعني في تأنيثها.

ومن جَعَلَهـا جَمْعاً فهي بمنـزلة قـول العـرب: استـأصـل اللّه عَرْقَاتِهِمْ[٦]

---

(١) في الاصل ويقول.

(٢) أي لأنها بمعنى «قال» كسرت إن بَعْدَها.

(٣) أي بالتنوين والفتح. وقوله فلا تقرأن بها أي بهذه القراءة.

(٤) يقولون ما بها ذِيَّة أي ما بها قرٌّ.

(٥) مفرد علقى، وهي اشجار تدوم خضرتها في القيظ، ذات أفنان طوال.

(٦) العَرْقاةُ والعُراقَةُ - بضم العين وبالراء المهملة - النطفة من الماء والمطرة الغزيرة.

وَعَرْقاتَهُمْ. فالذي يقول: عرقاتِهم ـ بالكسر[١]، جعلها جمعاً، وواحدها كأنه عَرْقَةٌ وَعَرْقٌ، وواحد هيهات على هذا اللفظ وان لم يكن حاله واحِداً: [٢]هَيْهَةٌ. فان هذا تقديره ـ وان لم ننطق به. وأما عَرْقَاتُ فقد تكلم بِوَاحِدِهَا. يقال عرق وعرقاة وَعَرْقَةٌ وَعَرْقَانٌ. وإنّما كُسِرَ في الجَمْعِ لأنَّ تاء الفتح في الجمع كسر تقول: مررت بالهنداتِ، وكذلك رأيتُ الهنداتِ.

ويقال أَيْهَات في معنى هيهات. ويقال هيهات ما قلتَ وهيهات لما قُلْتَ، فمن قال هيهات ما قلت فمعناه البعد ما قلت، ومن قال: هيهات لما قلت فمعناهُ البعد لقولك، وأنشدوا:

فأيهات أيهات العقيق ومن به ... وأيهات خل بالعقيق نواصله[٣]

فأمَّا مَنْ نَوَّنَ هيهات فجعلها نكرة، ويكون المعنى: بُعدٌ لِمَا تُوعَدون.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾.

معناهُ عَنْ قليل، و «مَا» زائدةٌ بمعنى التوكيد، كأن مَعْنَاه: عَنْ قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ حَقًّا.

وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾.

الغثاء الهالكُ والْبَالِي من وَرَق الشّجرِ الذي إذا جرى السيلُ رأيته مُخَالِطاً زَبَدَهُ.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾.

ويقرأ تَتْرًى، ويجوز تَتْرِي غير مُنَوَّنة بالكسر[٤]، ولم يُقْرَأْ بِهِ فلا تَقْرأَنَّ

---

(١) بالكسر مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل واحدٌ.

(٣) لجرير ـ يروى بالهمزة وبالهاء. والبيت في معاني الفراء ٢/٢٣٤. شواهد شذور الذهب ١٢٣.

(٤) بالامالة.

بِهِ. من قرأ بالتنوين فمعناه وَتْراً فأَبْدَل التَّاءَ من الواو كما قالوا تَوْلج وهو من وَلِجَ، وأصله وَوْلج، وكما قالَ الشَّاعِرُ.

فإن يكن أَمْسَى البِلَى تَيْقُوري[1]

أي وَيْقُورِي، وهو فيعول من الوقار. وكما قالوا: تُجَاه وإنما هو وُجَاه من المُواجِهة، ومن قال تترى بغير تَنْوينِ فإنما جعلها على فَعْلَى بألف التَّأْنيثِ فلم ينَوّن، ومعنى تَتْرَى من المواتَرةِ، وقال الأصمعي معنى واتَرْتُ الخبرَ اتبعت بعضَه بَعْضاً وبين الخبرين هُنيَّة. وقال غيره: المُوَاتَرَةُ المتابعة، وأصل كل هذا من الوِتْر، وهو الفَرْدُ، وهو أَنْ جَعَلْتَ كل وَاحِدٍ بعد صاحبه فَرْداً فَرْداً.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّه آيَةً﴾.

ولم يقل آيتين، لأن المعنى فيهما آيَة واحدة، ولو قيل آيَتَيْن لجاز لأنهما قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذَكَرٍ وَلاَ أنثى، مِنْ أن مَرْيَمَ وَلَدَتْ من غير فَحْل، ولأن عيسى روح من اللَّه ألقاه إلى مَرْيَمَ ولم يكن هذا في ولد قط.

وقوله: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إلى رُبْوَةٍ ﴾.

في ربوة ثلاث لغات رَبْوَة، ورِبْوَة، ورُبوة، وفيها وجهان آخران، رَبَاوَة، وَرِبَاوة. وهو عند أهل اللغة المكانُ المرتَفِع وجاء في التفسير أنه يعني بربوة هَنَا بيتُ المَقْدِس، وأَنه كَبِدُ الأَرْضِ وأنه أقرب الأرض إلى السماء. وقيل يعني به دِمَشْقُ، وقيل فلسطِينُ والرَّحْلَةُ، وكل ذلك قد جاء في التَّفسير.

وقوله عز وجل: ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

---

(١) التيقور فيعول من الوقار ـ يقال: وقر يقر وقاراً ـ كوعد وقيل التيقور هو التوقير ـ وبتقوري في البيت مضاف لياء المتكلم انظر اللسان (وقر).

أي ذات مُسْتَقَرٍّ، و «مَعينٌ» ماء جَارٍ من العُيُونِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ يجوز أن يكون «فَعِيلا»[1] من المَعْنِ، مشتقاً من المَاعُونِ. وهذا بَعِيدٌ لأن المَعْن في اللغة الشيء القليل، والماعونُ هُوَ الزكاةُ، وهو فاعول من المَعْنِ، وإنما سُمِيَتِ الزَّكَاةُ بالشيء القليل، لأنه يُؤْخَذُ مِنَ المالِ رُبْعَ عُشْرِهِ، فهو قليل من كثير، قال الراعي:

قوم على الاسلام لمَّا يَمْنَعوا مَاعُونَهم ويُبَدِّلُوا التَّنْزِيلاَ[2]

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحاً﴾.

أي كلوا من الحلال، وكل مأكول حَلَالٍ مُسْتَطَابٍ فهو داخل في هذا. وإنَّمَا خُوطب بهذا رسول اللَّه ﷺ فقيل: يَاأَيُّها الرُّسُلُ، وتَضَمَّنَ هَذَا الخطابُ أن الرُّسُلُ جَمِيعاً كذا أُمِرُوا. وَرُوِيَ أن عيسى عليه السلام كان يأكل مِنْ غَزْل أُمِّه، وأَطْيبُ الطَّيِّباتِ الغنائمُ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

أي فاتْقُون لِهذَا. وقد فسرنا في سورةِ الأنْبياء كل ما يجوز في نظير هذه الآية.

وجملة تأويلها أن دينَكُمْ دِينٌ واحد، وهو الاسلام.

وأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أَنَّ قَوماً جعلوا دينهم أَدْيَاناً فقال:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بينهم زُبُراً﴾.

---

(١) في الأصل فعيل.

(٢) من لاميته بآخر ديوان جرير ط مصر. وهي لاميته المطولة التي قدمها لعبد الملك ـ وفيها تبرأ من أشياء كثيرة مثل اتباعه ابن الزبير أو الانحراف عن الاسلام في شيء، وتقدمت أبيات منها.

ويقرأ زُبَراً، فمن قرأ زُبُراً فتأويله جعلوا دينهم كُتُباً مُخْتَلِفة جمع زَبُورٍ وَزُبُرٍ، ومن قرأ زُبَراً أراد قِطَعاً.

وقوله عز وجل: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾.

ويجوز في غَمَراتِهِمْ، ومعناه في عَمايَتِهِمْ وَحَيْرتِهِم.

ومعنى: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾.

أي إلى حين يأتيهم ما وُعِدُوا به من العَذَابِ.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ [لهم في الخيرات]﴾ ـ بالنون ـ ويُسَارِع ـ بالياء ـ ويُسَارَعُ على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وتأويله أيحسبون أن إمْدَادَ اللَّهِ لَهُمْ بالمال والبنين مجازاة لَهُمْ؟ وإنما هو استدراج من الله لهم، و «ما» في معنى الذي، المعنى أيحسبون أن الَّذِي نمدهم به من مال وبنين. والخبر معه محذوف[1] المعنى نسارع لهم به في الخيرات، أي أيحسبون إمْدَادَ ما نُسارِعُ لهم به. فأما من قرأ يسارع فعلى وَجْهَين، أَحَدُهُمَا لا يحتاج إلى اضمار، المعنى: أيحسبون أن إمدادنا لهم يسارع لهم في الخيرات، ويجوز أن يكون على معنى يسارع اللّه لهم به في الخيرات، فيكون مثل نُسَارِعُ، ومن قرأ يسارَع لهم في الخيرات يكون على معنى يُسارَع الامْدَادُ لهم في الخيرات وعلى معنى نسارَع لهم في الخيرات، فيكون تقوم مقام مَا لَمْ يُسَمَّ لهم، ويكون مضمراً معه به. كما قلنا؛

وقوله: ﴿والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا، [وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهَمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ]﴾.

ويقرأ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا ـ بالقَصْرِ[2] ـ وكلاهما جَيِّدٌ بَالِغٌ، فمن قرأ «يُؤْتُونَ

(١) العائد على الخبر مقدر.

(٢) في الأصل قصر.

مَا آتَوْا﴾فإن معناه يعطون ما أَعْطَوْا وهم يخافون ألا يَتقبل منهم. قلوبُهم خائفة لأنهم إلى رَبّهم رَاجِعُونَ، أي لأنهم يوقنون بأنهم راجعون إلى اللّه ـ عز وجل ـ.

ومن قرأ «يأتون ما أَتَوْا» أي يعملون من الخيرات [مَا يَعْمَلُونَ] وقلوبُهم خَائِفةٌ. يخافون أن يكونوا مع اجتهادهم مقصرين.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ﴾.

وجائز يُسْرِعُونَ في الخيرات، ومعناه معنى يسارعون. يقال اسْرَعت، وسَارَعْتُ في معنى واحدٍ، إلاَّ أن سارعت أبلغ من أَسْرَعْتُ.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

فيهِ وجهانِ أحدهما معناه إليها سابقون، كما قال: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لها، أي أَوْحَى إليها، ويجوز: ﴿وَهُمْ لها سابِقُونَ﴾أي من أجل اكتسابها، كما تقول: أَنَا أُكْرِمُ فُلاَناً لك، أي مِنْ أَجْلِكَ.

وقوله: ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا﴾.

ويجوز: ولا يُكلِّفُ نفساً إلاَّ وُسْعَها، ولم يقرأ بها ولو قرئ بها لكانت النون أجود ـ لقوله عز وجل:﴿وَلَدَيْنا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرةٍ مِنْ هَذَا﴾.

يجوز أن يكون «هَذَا» إشارةً إلى ما وصف من أعمالِ البِرِّ في قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ـ إلى قوله ﴿يُسَارِعُونَ في الخيرات﴾[1].

أي قُلُوبُ هؤلاء في عَمَايَةٍ من هذا، ويجوز أن يكون «هذا» إشارةً إلى

---

(١) بعده:﴿وَالَّذِينَ هُمْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤمِنُونَ، والَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾.

الكتاب، المعنى بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطِقْ بالحقِّ، وأعمالهم مُحْصَاةٌ فيه.

قوله: ﴿ وَلَهُم أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾.

أخبر اللَّه - عز وجل - بما سيكون فيهمُ، فأعلم أنهم سيعملون أعْمالاً تباعد من اللَّه غير الأعمال التي ذكروا بها.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [أي] يضجُّون، والعذاب الذي أُخِذُوا بِهِ السَّيْف، يقال جَأَر يجأر جُؤاراً، إذا ضَجَّ.

وقوله: ﴿تَنْكِصُونَ﴾ [أي] تَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ به﴾.

منصوب على الحال، وقوله «به» أي بالبيْتِ الحرام، يقولون: البَيْتُ لَنَا.

وقوله: ﴿سَامِراً﴾.

بمعنى «سُمَّارا» ويجوز سُمَّاراً، والسَّامِرُ الجَمَاعَةِ الذين يَتَحَدَّثُونَ لَيْلاً، وإنما سُمُّوا سُمَّاراً مِنَ السَّمَرِ، وهو ظل القمر، وكذلِكَ[1] السُّمْرَةُ مشتقة من هذا.

وقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

أي تَهْجرونَ القُرآن، ويجوز تَهْجِرُونَ: تَهذُونَ. وَقُرِئَتْ: تُهْجِرُونَ أي تقولون الهُجْرَ، وقيل كانوا يسبُّون النبي ﷺ. ويجوز أن تكون الهاء للكتاب، وَيَكُونُ المعْنَى فكنتُمْ على أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُون مستكبرين بالكتاب. أي يحدث

(١) في الأصل وكذَلِكَ من السُّمرة مُشتقة من هذا.

لكم بتلاوته عَلَيكُمْ اسْتِكْبَارٌ، ويجوز تنكَصُونَ، وَلاَ أعْلَمُ [أَحداً] قرأ بها.

وقوله: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

جَاءَ في التفسير أن الحق [هو] اللَّه - عز وجل - ويجوز أن يكـون الحق الأول في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ﴾ [التنزيـل] أي بالتنـزيل الـذي هُوَ الحَقُّ، ويكون تأويل: ولو اتَّبع الحق أَهْوَاءَهُمْ. أي لو كان التنزيل بِمَا يُحِبُّونَ لَفَسدتِ السمواتُ والأرْضُ.

وقوله: ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾.

أي بمـا فيه فخـرهم وشَرَفَهُمْ، ويجـوز أن يكون بـذكرهم، أي بـالذكـر الذي فيه حظ لهم لو اتَّبَعُوهُ.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فخراج رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾.

أي أم تسألهم على ما أتيتهم به أجراً. ويقرأ: ﴿خِرَاجاً فَخَرَاجُ رَبِّك خَيْرٌ﴾.

ويجوز خَراجاً فَخَرْج رَبِّكَ خَيْرٌ.

وقوله: ﴿لَنَاكِبُونَ﴾.

معناه لَعَادِلُونَ عن القَصْدِ.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتضَرَّعُونَ ﴾.

أي ما تواضعوا. والذي أُخذوا به الجُوعُ.

﴿حَتَّى إذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾.

قيل السّيف والقتل.

﴿إِذَا هُمْ فيه مُبْلِسُونَ ﴾.

المبلس الساكن المتحيّر.

﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ان كنتم تعلمـون، سَيَقُـولُـونَ لِلَّهِ﴾.

هذه للّه لا اختلاف بَيْنَ القُرَّاء فيها، ولو قرئت اللَّهُ لَكَانَ جَيْداً. فأما اللّتَانِ بعـدها فـالقراءة فيهمـا سيقولـون اللَّهَ ولِلَّهِ. فمن قرأ سيقـولـون اللَّهُ فهـو على جواب السؤال، إذا قال: ﴿من رب السمـوات السّبع﴾، فـالجواب اللَّهُ، وهي قراءة أهل البَصْـرَة، ومن قرأ للَّه فجيّـدٌ أَيْضاً، لـو قيل مَنْ صَـاحِبُ هذه الـدار فـأجيب زيـدٌ لكـانَ هـذا جـواباً على لفظ السؤال. وَلَـوْ قلت في جـواب من صاحب هذه الدار: لِزَيْدٍ، جاز. لأن معنى «من صاحب هذه الـدار» - لمن هذه الدار.

وقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْه ﴾.

أي هُوَ يُجير من عَذَابِه ولا يجير عليه أَحَدٌ من عَذابه. وكذلـك هو يجيـر من خلقه ولا يجير عليه أَحَدٌ.

وقوله: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونُ﴾.

معنى تُسْحَرُونَ، وتُؤْفَكُونَ: تصرفون عن القَصْدِ والحَقِّ.

وقوله تعالى: ﴿ إِذَنْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾.

أي طلب بعضُهم مغالبَة بعْضٍ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

معنـاه تنزيـه اللَّه وتبرئتـه من السُّوءِ، ومن أن يكـون إلٰهٍ غَيـرُهُ تعالَى عَنْ ذَلِك عُلُوًّا كَبيراً.

وقوله: ﴿ قُـلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنّي مَا يُـوعَدُونَ، رَبِّ فَـلاَ تَجْعَلْني فِي القَـوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

الـفاء جَوَابُ الشَّرْطِ شـرط الجـزاء، وهـو[١] اعتـراض بين الشـرط والجـزاء، المعنـى إمَّا تُـرِيَنّي مَـا يُـوعَـدُونَ فـلا تَجعلني يـا ربِّ في القـوم الظالمين، أي إنْ نَزَلَتْ بِهِمُ النّقمةَ يا ربّ فاجعلني خارجاً عنهم، ويجوز «فَـلاَ تَجْعَلَنّي»، ولم يقرأ بها.

وقوله: ﴿وقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

واحـد الهمزات هَمْـزَة، وهو مَسُّ الشَّيْـطانِ، ويجوز أن يكـون نَـزَغَـاتِ الشيطان، ونَزْغُ الشيطان وَسْوَسَتُه حتى يَشْغَل عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تعالَى.

وقوله: ﴿ وأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.

ويجوز «وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَن تَحْضُرُونِ» ولم يقرأ بها فلا تقرأن بها. ويجوز وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ يَحْضُـرُونِ، ويجوز رَبِّيْ. فهـذه أربعة أَوْجُـهٍ. ولا ينبغي أن يقرأ الا بواحد، وهو الذي عليه الناس.. رَبِّ بكسر الباء وحَذْفِ اليـاء، والياء حُذِفَتْ للنِّدَاءِ، والمعنى وأعوذ بك يا رَبِّ. من قال ربُّ بالضَّمِّ فعلى[٢] معنى يا أيها الربُّ ومن قال رَبِّي فعلى الأصل. كما قال يا عبادِي فاتَّقُونِ.

وقوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ ﴾.

يعني به الذين ذُكِرُوا قَبْلَ هذا المَوْضِـع. ودَفَعُوا[٣] البَعْثَ فـأعلم أنه إذا حضر أَحَدَهُم الموتُ ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فيما تَرَكْتُ﴾.

وقوله: ﴿ارْجِعُونِ﴾ وهو يريد اللَّه ـ عز وجل ـ وَحْدَه، فجاء الخطابُ في المسألة على لفظ الاخْبـار[٤] لأن اللَّه عز وجـل قال: ﴿إنا نحن نحيي ونميتُ﴾.

---

(١) أي لفظ الجلالة «رب» نداء معترض بين الشرط وجزائه.

(٢) في الأصل على.

(٣) أنكروه.

(٤) بلفظ الجماعة ـ والجملة ليست خبراً اذ هي دعاء.

وهـو وحْدَهُ يُحْيِي ويُمِيتُ. وهـذا لفظ تعرفه العَرَبُ للجليـل الشأن يخبـر عن نفسه بما يخبر به الجماعةُ، فَكذلك جاء الخطاب في ارْجِعُونِ.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: ردع وتنبيه.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

«يوم» مضافٌ إلى «يُبْعَثُونَ» لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال والبـرزخ في اللغة الحاجز، وهو هَهُنا ما بَيْنَ موت الميت وبَعْثِه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

قيـل: هـذا في النفخة الأولى ويجـوز أن يكـون بعـد النفخـة الثـانيـة والصور، جاء في التفسير أنه قَرْنٌ ينفخ فيه فيبعث الناس في النفخة الثانية، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْـرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(١). وقـال أهل اللغـة كثير منهم: الصور جَمْعُ صُورة، والذي جاء في اللُّغَةِ جمع صورة صُـوَرٌ، وكذلـك جاء في القرآن: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكم﴾(٢)، ولم يقرأ أحدٌ فأحسن صُورَكم، ولو كان أيضاً جمع صُورة لقال أيضاً: ثم نُفِخَ فِيهَا أُخْرَى، لأنـك تقول: هـذه صُور، ولا تقول هَذَا صُوَرٌ إلا على ضَعْفٍ فهو عَلَى مَاجَاء في التفسير.

فأَما قوله: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَسْؤولُونَ﴾(٣) وقال في مـوضع آخـر ﴿وأقبل بعضهم عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾(٤) فيقول القائل: كيف جاء «ولا يتساءلون»، وجاء «وأقبل بعضهم على بعض يَتَسَاءَلُوَنَ». فـإن يوم القيـامةِ مقـداره خمسون

(١) سورة الزمر الآية ٦٨.

(٢) هذا رأي أبي عبيدة وحدُه.

(٣) سورة والصافات الآية ٢٤.

(٤) سورة والصافات الآية ٢٧.

ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال. وإنما قيل يـومَئِذٍ كما تقول: نحن اليـوم بفعل كذا وكذا، وليس تريد به في يومك إنما تريد نحن في هذا الزمان، «فيومَ» تقع للقطعة من الزمان. وأمَّا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1]. فلا يسأل عن ذنْبِهِ ليستفهم، قد علم اللَّه عز وجل ما سَلَفَ مِنْهُمْ. وَأَمَّاقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ فيسألون سؤال توبيخ لا سؤال اسْتِفْهَامٍ كما قال: ﴿وإذا الموؤودة سُئِلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ﴾[2]، وإنما تسأل لتوبيخ مَنْ قَتَلَهَا، وكذلك قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3]. فما يُسأل عنه يومَ القيامة تَقْرِيرٌ وتوبيخٌ، واللَّه ـ عز وجل ـ قَدْ عَلِمَ ما كان، وأَحْصَى كبير ذلك وصَغِيرَهُ.

وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

يلفح وينفح في مَعْنًى واحِدٍ، إلا أن اللفح أَعْظَمُ تأثيراً، ﴿وَهُمْ فِيها كَالِحُونَ﴾.

والكَالِحُ الذي قَد تَشَمَّرتْ شَفَتُه عَنْ أَسْنانِه، نحو ما ترى من رُؤوسِ الغَنَم[4] إذا مسَّتْهَا النَّار فبرزت الاسنان وتشمرت الشِّفَاهُ

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

وَتُقْرَأُ شَقَاوَتُنَا، والمعنى وَاحِدٌ.

﴿وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾.

أَقَرُّوا بذلك.

---

(١) سورة الرحمن ٣٩.

(٢) سورة التكوير الآية ٨ و٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٤) الرؤوس المذبوحة التي تطبخ.

وقوله: ﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

معنى اخْسَأُوا تباعَدُوا تَبَاعَدَ سُخْطٍ. يقال خَسَأْتُ الكلْبُ أَخْسَؤُهُ إذا زَجَرْتُه ليتباعَدَ.

وقوله: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾.

الأجود إدْغام الدال في التاء لِقُرْب المَخْرَجَيْن[١]، وإن شئت أظهرت، لأن الدال من كلمة والتاءَ مِنْ كلمة، والدال بينها وبين التاء في المخرج شيءٌ مِنَ التَّبَاعِدُ، وليست الذَّال من التاء بمنزلة الدال من التاء. والتاءُ والطَّاءُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وهي من أُصُولِ الثنايَا العُلَا وطرف اللِّسَانِ. والذال من أطراف الثنايا العُلَا وَدُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسَانِ.

وقوله: ﴿سُخْرِيًّا﴾. يقرأ بِالضَّم والكَسْرِ، وكلاهما جَيِّدُ، إِلَّا أَنَّهُمْ قالوا إن بعض أهل اللغة قال: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وَمَا كان من جهة التسخير فهو بالضم، وكلاهما عند سيبويه والخليل وَاحِدٌ، والكسرُ لإتباع الكسر أحسن[٢].

وقوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُم الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾.

الكسر أجود لأن الكسر على معنى إنّي جَزَيْتُهُمْ بِمَا صَبروا، ثم أَخْبَر فقال: إنهم هُمُ الفَائِزُونَ: والفتح جَيّدٌ بالغ، على معنى: ﴿ إني جَزَيْتُهم ﴾ لأنهم هم الفائزون، وفيه وجه آخر: يكون المعنى جزيتهم الفوز، لأن معنى ﴿أَنَّهُم هم الفَائِزُونَ﴾. فوزُهُمْ، فيكون المعنى جزيتهم فَوزَهُمْ.

وقوله: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

---

(١) لا تقرأ «فاتختموهم». لأن الذال لا تدغم ـ كما تدغم الدال ـ في التاء.

(٢) كسر السين في سخريا لإتباع الراء.

«كم» في موضع نَصْبٍ بقوله: ﴿لَبِثْتُم﴾، و ﴿عَـدَدَ سِنِينَ﴾ منصوب بِكَمْ، ويجوز كم لَبِثّم في الأرض مُشَدَّدَ التَّاءِ[1]، وكذلك يجوز في الجَوابِ.

﴿قالوا لَبِثْنَا [يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] ﴾ وَلُبِثْنَا.

وقوله: ﴿ فَاسْأَلِ العَادِّينَ ﴾.

أي فاسأل الملائكة الذين يحفظون عَدَدَ مَا لَبِثْنا ﴾.

﴿قَالَ إن لَبِثْتُم إلَّا قَلِيلاً لو أَنَّكُمْ كنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

معناه ما لَبِثْتُمْ إلَّا قليلاً.

وقوله: ﴿ وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وَتَرْجِعُونَ.

وقوله:﴿فَإِنَّمَا حِسَابُه عِنْدَ رَبِّه إِنَّه لَا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾.

التأويل حسابه عند رَبِّه فإنه لا يفلح الكافرون والمعنى الذي له عند رَبِّهِ أنه لا يفلح[2]، وجائز أَنَّه لا يفلح الكافرونَ بفتح أَنَّ، ويجوز أن يكون فأنما حِسَابه عند ربّه فيجازيه عليه كما قال: ﴿ثُمَّ إن عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[3].

---

(١) جعلت الثاء تاء وأدغمت التاء في التاء.

(٢) لا يستقيم هذا مع كسر أن إذ هي في موقع الخبر.

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٦.

سُورَةُ النور
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾.

القراءة الرفـعُ، وقرأ عيسى بنُ عُمَـر سُورةً بـالنَّصْب. فأمـا الرفـع فَعلى إضمار هذه سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا، ورفعها بالابتـداء قبيحٌ لأنهـا نَكِرَةٌ، وأَنْـزَلْناهَـا صفةٌ لها. والنَّصْبُ على وَجْهَيْن، على معنى أنزلنا سُورَةً، كما تقول زيـداً ضربتـه، وعلى معنى اتْلُ سُورَةً انزلناها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.

بتخفيف الـراء، ويقرأ بـالتشديـد في الراء، فمن قـرأ بالتخفيف فَمَعْنَـاهُ ألزمناكم العَمَل بما فُرِضَ فيها، ومن قرأ بالتَّشْدِيد فَعَلَى وجهين، أحدهما على معنى التكثير، على معنى انا فَرَضْنَا فيها فُرُوضـاً كثيرةً وعلى معنى بيَّنَّـا وفصّلنَا ما فيها من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِي فاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَائةَ جَلْدَةً﴾.

القراءة الرفع، وقرأ عيسى بنُ عُمرَ بالنصب، الزانيةَ والزَّانِيَ بفتح الهاء. وزعم الخليـل وسيبويـه أن النصب المختارُ وزعم سيبـويه أن القـراءة الـرفـع. وزعم غيرهم من البصريين والكوفيين أن الاختيار الرفعُ، وكذا هُو عِندي، لأن الرفع كالإجماع في القراءة، وهُوَ أَقْوَى فِي العربيَّةِ، لأن معناهـا معنى من زَنَى

فاجلدُوه، فتأويله الابتداء، وقال سيبويه والخليلُ أنَّ الرفع على معنى: «وَفِيما فَرَضْنَا عَلَيكُمُ الزانيةُ والزاني» ـ بالرفع ـ أو الزانيةُ والزاني فيما فُرِضَ عَلَيْكم، والدليل على ان الاختيار الرفع قوله عز وجل: ﴿واللَّذَانِ يَأْتِيانها مِنْكُمْ فَآذُوهُما﴾[1]، وإنَّما اختارَ الخليل وسيبويه النَّصْبَ لأنه أَمْرٌ، وَأَنَّ الأمْرَ بالفعلِ أولى. والنصب جائز على مَعْنى اجلدوا الزانيةَ والزانيَ.

والاجماع أن الجَلْدَ على غير المحصنين، يجلد غير المحصن وغير المُحْصَنَةِ مائة جلدة، وينفى مَعَ الجَلْدِ في قول كثير من الفقهاء[2]، يجلد مَائةً ويُغرَّبُ عَاماً. فأما أهل العراق فيجلدونه مِائةً.

وقوله: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾.

وتقرأ رَآفَةٌ في دين اللَّه على وزن رَعَافَة، وتقرأ يأخذكم بالياء، ورآفة مثلُ السَّآمَةِ مثل قولك سئمت سآمَةً، ومثله كآبة ففعاله من اسْمَاءِ المَصَادِر، وسآمةعلى قياس كلاَلَة.

وَفَعَالَةٌ في الخِصَالِ مثل القَبَاحَةِ ـ والمَلاَحَة والفخامة. وهذا يكثر جدًّا، ومعنى ﴿لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، لَا تَرْحَمُوهُمَا فَتُسْقِطُوا عنهما مَا أَمَر اللَّهُ بِهِ من الحَدِّ، وقيل يبالغ في جلدِهِمَا.

وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

القراءةُ إسْكانُ اللام، ويجوز كسرها.

واختلف الناس في الطائفة، فقال بعضهم الواحد فما فوقه طائفةٌ، وقال آخرون لا تكون الطائفة أقل من اثنين، وقال بعضهم ثلاثة، وقال بعضهم أَرْبَعةٌ، وقال بعضهم عَشَرةٌ، فأما من قال واحِدٌ فهو على غير ما عندَ أَهْلِ

(١) سورة النساء الآية ١٦.

(٢) أي يغرب، ويبعد عن بلده.

اللغة، لأن الطائفة في معنى الجماعَةِ وأقل الجماعة اثنان، وأقل ما يجب في الطائفة عِنْدِي اثنان. والذي ينبغي أن يُتَحَرَّى في شَهَادَة عَذَاب الزَّانِي أَن يكونُوا جَمَاعةً لأن الأغلب على الطائفة الجَمَاعَةُ.

وقوله: ﴿ لزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾.

ويجوز الزاني لا يُنْكَحُ إلاَّ زانية، والزَّانِيَةُ لا يُنْكَحُهَا إلاَّ زَانٍ ولم يقرأ بها. وتأويل «الزَّانِي لَا يُنْكَحُ إلاَّ زَانيةً» على معنى لا يتزوَّجُ، وكذلك الزانية لا يَتَزَوَّجها إلاَّ زانٍ، وقَالَ قومٌ: إنَّ مَعْنَى النكاح ههنا الوَطْء، فالمعنى عندهم الزاني لَا يَطَأُ إلاَّ زانيةً والزانية لا يطؤها إلاَّ زَانٍ. وهذا القول يَبْعُد، لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب اللّه إلاَّ على معنى التَّزويج، قال اللَّهُ سُبْحَانَه: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ﴾[1]، فهذا تزويجٌ لَا شكَّ فيهِ، وقال اللَّه، عز وجل: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا إِذَا نَكَحْتُم المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[2]. فأعلم عز وجل أن عقد التزويج يُسمَّى النكاحَ.

وَأَكْثَرُ التفسير أَنَّ هذه الآيةَ نزلت في قومٍ مِنَ الْمسلمين فقراء كانوا بِالمَدينة، فهمُّوا بأن يتزوجوا بِبَغايَا كنَّ بالمدينة - يزنين، ويأخُذْنَ[3] الأُجْرَةَ، فَأَرَادُوا التَّزْوِيج بِهِنَّ لِيَعُلْنَهُمْ[4]، فأنزل اللَّه عز وجل تَحرِيمَ ذَلِكَ، وقيل إنهم أرادوا أن يُسَامِحُوُهُنَّ، فأعلموا أن ذَلك حَرَامٌ.

---

(١) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٢) الآية ٤٩ من سورة الأحزاب.

(٣) في الأصل ويأخذون الأجرة وهو خطأ.

(٤) كتبت في الاصل لِيُعلنهن، وأشير في الهامش إلى «ليعلنهم» والظاهر أن البغايا كنّ على ثراء وأراد هؤلاء أن يستفيدوا من ثرواتهن.

ويروى ان الحَسَنَ قال إن الزاني إذا أُقِيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ لا يزوج الا بامرأة أُقيمَ عليها الحَدُّ مِثْلُه، وكذلك المرأة إذا أقيم عليها الحدُّ عِنْدَهُ لا تزوج إلاَّ برجل مثلها، وقال بَعْضُهم: الآية منسوخةٌ نسخها قوله: ﴿وأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُم. . .﴾[1]، واكثر القول أن المعنى هَهُنَا على التزويج﴾.

ويجوز «وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ» بمعنى وحرَّمَ اللَّه ذلك على المُؤْمِنين، ولم يقرأ بها.

وهذا لفظُهُ لفظ خَبَرٍ، ومعناه معنى الأمْرِ، ولو كان على ماقال مَنْ قَالَ إنه الوَطْءُ لما كان في الكلام فَائِدَةٌ، لأن القائل إذا قال الزانية لا تَزْني إلاَّ بِزَانٍ، والزاني لا يزني الا بزانيةٍ، فليس فيه فائدة إلاَّ عَلَى جهة التغليظ في الأمر، كما تقول للرجل الذي قَدْ عَرفْتَهُ بالكذبِ: هذا كذاب، تريدُ تغليظ أَمْرِهِ. فعلى ما فيه الفائدة وَمَا توجبُه اللُّغَةُ أن المعنى مَعنى التَّزْوِيج.

وقوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً﴾.

معنى ﴿يَرْمُونَ المحصنَاتِ﴾ [أي] بالزِّنا، لكنه لم يَقُلْ بالزِّنَا، لأن فيما تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الزَّانِيةِ والزاني دليلاً على أن المعنى ذَلِك، ومَوْضِعُ ﴿الذين﴾ رفع بالابتداء. وعلى قراءة عيسى بن عُمَر، يجب أن يكون مَوضَعُ الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ نَصْباً على معْنَى اجلدوا الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء. وعلى ذلك اختيار سيبويه والخليل. والمحصنات ههنا: اللواتي أَحْصَنَّ فُرُوجَهُنَّ بالعِفَّةِ.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً، وَأولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ، إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْد ذَلِك وَأَصْلَحُوا﴾.

---

(١) سورة النور آية ٣٢.

اختلف الناس في قبول شهادة القاذف، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا تَابَ مِنْ قَذْفِهِ قُبِلَتْ شهادَتُه. ويروى أَنَّ عُمَر بنَ الخَطَّابِ قَبلَ شهادة قاذفيْن، وقال لأبي بكرة انْ تُبْتَ قَبِلتُ شَهَادَتَك. وتوبته أن يَرْجِع عن القذف. وهذا مذهب أكثر الفقهاء، وأما أَهْلُ العِرَاقِ فيقولون شهادَتُه غير مقبولة لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ولا تقبلوا لَهُمْ شَهَادَةً أبداً﴾، قالوا، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غفورٌ رَحِيمٌ﴾.

قالوا: هذا الاستثناء من قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾، فاسْتُثْنِيَ التَّائبُونَ مِنَ الفَاسِقين. وقال من زعم أن شهادته مَقْبُولَةٌ أن الاستثناء من قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبداً. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قالوا وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾، صِفَةٌ لَهُمْ، وَأَجْمَعُوا أن من قذف وهو كافرٌ ثم أسلم وتَابَ، وكان بَعْدَ إسْلَامِه عَدْلاً قبلت شَهادَتُه وإن كان قاذفاً، والقياس قبول شهادة القاذف إن أتاب، واللَّه ـ عز وجل ـ يقول في الشهادات: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[1] فليس القاذف بِأَشدَّ جُرْماً مِنَ الكافِر، فحقه أنه إذا تاب وأصلح قُبِلَتْ شهادَته، كما أن الكافِرَ إذا أسلم وأصلح قبلت شَهادَتُه.

فإن قال قائل: فما الفائدة في قوله ﴿أبداً﴾[2]. قيل الفَائِدَةُ أن الأبدَ لكل إنسانٍ مقدار مُدَّتِهِ في حياته، ومقدار مدَّته فيما يتصل بقصَّتِهِ. فتقول: الكافر لا يُقْبَلُ منه شَيْءٌ أَبَداً فمعناه، ما دام كافراً فلا يقْبَلُ منه شيءٌ، وكذلك إذَا قُلْتَ: القَاذِفُ لا تُقْبَلُ منه شَهادَةُ أبداً، فمعناه ما دَامَ قَاذِفاً، فإذا زال عنه الكفر فقد زال أَبَدُه وكذلك القاذفُ إذا زال عنه القذفُ فقد زال عنه أَبَدُه، ولا فرقَ بين هَذا وذَلكَ.

وتقرأ ﴿ثم لم يأتوا بِأَرْبَعَةٍ شهدَاءَ﴾ ـ بالتنوين ـ ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾، فأرْبَعة

---

(١) سورة البقرة.

(٢) أي إن كلمة أبداً تقتضي التأبيد، أي نفي قبول الشهادة إلى الأبد وقد فسر الآبد بما ذكر.

مخفوضَةٌ مُنَوَّنةٌ، وَ﴿شَهداء﴾ صفة للأربعة، في موضع جَرٍّ، ويَجُوْزُ أَنْ يَكونَ في موضع نَصْبٍ مِنْ جهتين، احداهما على معنى ثم لم يُحْضِرُوا أَرْبَعَةً شهداءَ، وعلى نصب الحال مع النَّكِرةِ ثم لم يأتوا حال الشهادة[١].

فأما ﴿إلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فيجوز أَنْ يَكُونَ في مَوْضِعِ جَرٍّ على البَدَلِ من الهاء والميم[٢]، على معنى ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً إلا الذين تابوا، ويجوز أن يكون في موضع نَصْبٍ على الاستثناء على قوله:

﴿وأولئك هم الفَاسِقُونَ ـ إلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، وإذا استُثْنُوا من الفَاسِقِينَ أيضاً، فقد وجب قبول شَهَادَتِهم لأنهم قد زال عنهم اسم الفِسْقِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾.

معناه والذين يرمون أزواجهم بالزِّنَا.

وقوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

ويقرأ أربعَ شهاداتٍ باللّه بِالنَّصْبِ، فمن قرأ أَرْبَعُ بالرفع فَعَلَى خبر الابتداء، المعنى فشهادة أحدهم التي تدرأ حَدَّ القَاذف أَربعٌ، والدليل على ذلك قوله عز وجل:

﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

ومن نصب أَرْبعاً فالمعنى فَعَلَيْهم أن يَشْهَدَ أَحَدُهُم أَرْبَعَ شهاداتٍ.

---

(١) على كلا التقديرين الباء حَرْفُ جَرٍّ زائدٍ وأربعة مضاف لتمييز محذوف أي بأربعة أشخاص ـ فيجوز مجيء الحال منها ـ ولا مساغ لكون الحال من واو الجماعة ـ إلا أن يكون بمعنى مستشهدين، وشهيد غير مستشهد.

(٢) من ولا تقبلوا لهم ـ والاستثناء من غير الموجب يجوز فيه الإتباع والنصب.

وعلى معنى فالذي يَدْرَأُ عنها العَـذَابَ أَنْ يَشْهَدَ أَحَـدُهم أَرْبَعَ شهـاداتٍ باللَّه.

﴿ والخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه عَلَيْهِ ﴾.

ويجوز والخامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه عليـه، وكذلـك والخَامِسَـةُ أَنَّ غضبَ اللَّهِ عليها، والخامِسَةَ جميعاً، فمن قال: والخامِسَةَ فعلى مَعْنَى وَيَشْهَدُ الخامِسَةَ.

فـإذا قَذَف القـاذِفُ امرأتَـه، فشهـادَتُـه أن يَقُـولَ: أَشْهَـدُ بـاللَّه إني لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا قَذَفْتُها بِهِ، أو يقول: أحلف باللَّه إني لمن الصَّادِقينَ فِيما قَذَفْتُها بـه، أَرْبَعَ مَـرَّاتٍ، ويقول في الخـامِسَةِ لعنـة اللَّه عليه إن كـان من الكَـاذبين. وكـذلك تقـولُ المرأَةُ: أَشْهَـدُ بِاللَّه إنَّـهُ لِمنَ الكاذبين فيمـا قـذفني بـه، أربـع مرات، وتقول في الخـامِسَةِ: وعَلَيَّ غَضَبُ اللَّه إن كـان من الصادقين. وهـذا هو اللِّعَانُ، فإذا تلاعنا فُرِّقَ بينهما، واعتدت عِدةَ المطلَّقَةِ من وقتها ذلك. فإذا فعـلا ذلك لم يَتَـزَوَّجْهَا أبـداً في قـول أكثـر الفقهـاء من أهـل الحجـاز وبعضُ الكوفيين يُتابِعُهُمْ، وهو أبو يوسُفَ، والقياسُ ما عليه أهل الحجاز، لأن القاذفَ قَذَفَها بالزِّنَا، فهو لا ينبغي له أن يتزوّج بزانيةٍ، وليس يظهر لهذا تَوْبَةٌ، واللِّعَانُ لا يكون إلا بحاكم من حكام المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.

ههنا جواب لولا متروك، والمعنى - واللَّه أعلم - ولولا فضلُ اللَّه عليكم لنال الكاذب لمـا ذكرنـا عَذابٌ عـظيمٌ، ويدل عليـه :﴿وَلَوْلَا فَضْـلُ اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه في الدنيا والآخرة لَمسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾.

معنى الإفك ههنا الكذبُ. وقد سُمِّيَ بعضُهُمْ في الآثار، وَلَمْ يُسمَّوْا في

القرآن فمِمَّنْ سُمِّيَ حسَّانُ بنُ ثَابتٍ[١]. ومِسْطَح بنُ أُثَاثَةَ[٢]، وعبدُ اللَّه بنُ أُبَيّ[٣]. ومن النساء حِمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ[٤].

﴿لَا تَحسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وقيل لكم والتي قُصِدَتْ عائشة رحمها اللَّه، فقيل لكم يعنى به هِيَ ومن بسببها[٥] من النبي ﷺ وأبي بكر رحمه اللَّه.

وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم﴾.

ويُقْرأ كُبْرَهُ مِنْهُم.

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري من بني النجار. شاعر الانصار وشاعر رسول اللَّه ﷺ وشاعر اليمن كلها. دافع عن رسول اللَّه ﷺ بشعره، وكان شعره أشد على القرشيين من وقع السهام، وقال له رسول اللَّه ﷺ: اهجهم وروح القدس معك. وكان من سوء حظه أن وقع في عرض عائشة في حديث الإفك وأقيم عليه الحد وجلد وقد تبرأ من ذلك في شعر منه هذا البيت الآتي. كان حسان جباناً لم يشهد أية موقعة، وكان معمراً عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة ٥٤ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب ٣٣٥ جـ ١ والاصابة ١٧٠٤ ص ٣٢٦.

(٢) مسطح بن أثاثة. يقال ان «مسطحاً» لقبه واسمه هو عوف ـ وذكره ابن حجر في حرف العين باسم عوف. قرشي مطلبي وأمه قرشية تيمية هي بنت خالة أبي بكر الصديق وهي سلمى بنت صخر ـ وكان أبو بكر ينفق عليه ـ وقد خاض في عرض عائشة أم المؤمنين (ض) وجلد أيضاً ـ أنظر الاصابة ٦٠٩٠ والاستيعاب ٤٩٤ جـ ٣. توفي مسطح سنة ٣٤ هـ.

(٣) رأس النفاق من أشراف قومه ـ اجتمعت عليه الأوس والخزرج ولم يجتمعوا على أحد منهم قبله ولا بعده ـ كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه، فلما ظهر الاسلام انصرفوا عنه فكان يرى أن رسول اللَّه ﷺ استلبه ملكه ويضطغن عليه ـ ثم تظاهر بالاسلام ـ وقد هم ابنه عبد اللَّه بقتله فمنعه رسول اللَّه ﷺ وحديثه طويل انظر سيرة ابن هشام ٤٢٣ جـ ٢ (ت محيي الدين).

(٤) هي حمنة بنت جحش الاسدية القرشية أخت عبد اللَّه بن جحش وأم المؤمنين زينب بنت جحش وأمهم أميمة بنت عبد المطلب شهدت أحداً وكانت تسقي الجرحى. كانت زوجاً لمصعب بن عمير فقتل يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد اللَّه وهي والدة محمد بن طلحة وخاضت في حديث الإفك مع من جلد في رواية من صحح الجلد. وانظر الاصابة ت ٣٠٣، والاستيعاب ٢٧٠ جـ ٤.

(٥) من على صلة بها.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فمن قرأ كِبْرَه فمعناه من تَولَّى الإِثْمَ في ذلك، ومن قرأ كُبْرَه أراد مُعْظَمَهُ.

ويروى أن حسان بن ثابت دَخَل علَى عائشة، فقيل لها أَتُدْخِلين هذا الذي قال اللَّه عز وجلَّ فيه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذَابٌ عظيمٌ﴾ فقالت أَوَ لَيْسَ قَدْ ذهب بَصَرُه. ويُروى أنه أنشدها قوله في بيته:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة   وتصبح غرثى مِنْ لُحُوم الغوافل[1]

فقالت له: لكنك لست كذلك.

وقوله تعالى: ﴿والْخَامِسَةُ أَن غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

بتخفيف أَن ورَفع غَضَبُ على معنَى أَنَّه غَضَبُ اللَّه عليها، ويجوز أَنْ غَضِبَ اللَّهِ عليها، وههنا «هاءٌ» مُضْمرةٌ، وأن مخففَةٌ من الثَّقِيلَةِ. المعنى أَنَّهُ غَضِبَ اللَّه عليها، وأنه غَضَبُ اللَّهِ عليها، قال الشاعر:[2]

في فتية كسيوف الهند قد علموا   أن هالك كلُّ من يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وجاء في التفسير في قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوه شرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أنه يعنى به عَائِشَةُ وصَفْوانُ بنُ المعَطِّل[3]، ويجوز «لكم» في معنى

---

(١) البيت في اللسان (حصن). والاستيعاب ٣٤١ جـ ١، وهو مع جزء من القصيدة في سيرة ابن هشام ٧٧٣ ت محيي الدين.

غرثي أي جائعة بمعنى أنها لا تفتأ بهن ـ والحصان هي التي أعفت نفسها بالاسلام أو الزواج أو الحرية. وتزن أي تتهم. وقولها لكنك لست كذلك ـ تشير به إلى أنه أغتابها ونهش عرضها.

(٢) للأعشى من قصيدته ودع هريرة. وهي في ديوانه ص ٤٣.

(٣) هو صفوان بن المعطل بن ربيعة، أسلم قبل غزوة المريسيع وشهدها وقيل قبل الخندق وشهد الغزوات بعدها. . وكان يكون على ساقة رسول اللَّه ﷺ وكان شجاعاً جواداً ـ وهو الذي اوذي =

«لكما»(١)، والذي فسَّرْنَاهُ أولاً يَتَضَمَّنُ أمـر عائشــة وَصَفْوانُ والنبي ﷺ وكـل من بينه وبين عـائشةَ سَبَبٌ، ويجوز أن يكون لكُلِّ مَنْ رُمِيَ بِسَبَبٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُموه ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾.

معناه هَلَّا إِذْ سِمعتُموه، لِأَنَّ المعنى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، في موضـع الكنايَةِ عَنْهُمْ وعن بَعْضِهِمْ، وكذلك يقال للقوم الذين يَقْتُل بَعْضُهُمْ بعضـاً أَنَّهُمْ يَقْتُلونَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وقالوا: هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾، أي كذِبٌ بَيِّنٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعةِ﴾.

وَقُـرِئَتْ: وَلَا يَتَأَلَّ أُولُـو الفَضْـلِ [مِنْكُمْ والسَّعَـةِ]. وَمَعْنَى تَـأْتَلِي تَحْلِفُ وكذلك يَتَأَلَّى يحلف.

ومعنى ﴿أن يُؤتـوا﴾: أَنْ لَا يُؤْتُـوا ﴿أُولي القُـرْبى﴾، المعنى ولا يحلف أولو الفضل منكم والسَّعَةِ أَنْ لَا يُعْطوا ﴿أولِيَّ الْقُرْبَى والمَسَاكِينَ﴾.

ونـزلت هذه الآيـة في أبي بكر الصِّـدِّيقِ، وكـان حلف أَنْ لَا يُفْضِـل(٢) على مِسْطَح بن أُثَاثَة، وكان ابنَ خَالَتِهِ بِسَبَبِ سَبِّهِ عَائِشَةَ فَلَمَّا نَزَلَتْ:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قـال أبُو بكـر: بَلَى، وَأَعَادَ الإِفْضَـالَ عَلَى مِسْطَح وعلى مَنْ حَلَفَ أن لَا يُفْضِلَ عَلَيْه(٣) وَكَفَّر عن يمينه.

= في حـديث الإفك حتى بـرأه اللّه تعالى ـ وقـد تعرض لحسـان بن ثابت فضـربه بـالسيف ـ لما خاض فيه من حديث الافك. ويقـال إنه غزا الروم في خـلافة معـاوية فـاندقت سـاقه ولم يـزل يطاعن حتى مات وذلك سنة ٥٨ هـ.

(١) أي أن الجمع لا يراد به مفرد، بل هو لاثنين.

(٢) يَتَفَضَّل، ويعطي من فَضْلِه.

(٣) في تصحيح بالهامش: أن لا يفضل عليه أن يفضل ويُكَفِّر.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ﴾.

قيل إنه يعنى به أزواج النبي ﷺ، وقيل إن الأَصْلَ فيه أَمْرُ عائشة، ثم صار لكل مَنْ رَمَى المؤمِنَاتِ. ولم يَقل هَهُنَا والمؤمنين استغناء بأنه إذا رَمَى المؤمِنَةَ فلا بد أَنْ يَرْمِيَ معها مُؤْمِناً، فاستغنى عن ذكر المؤمنين لأنه قد جرى ذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ والمؤمِنَاتِ، وَدَلَّ ذكره المؤْمِنَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِين، كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾[1] ولم يَقُلْ وَتَقِيكُمُ البَرْدَ، لأنّ ما كان وقى الحرَّ وقى البَرْدَ، فاستَغْنَى عَنْ ذِكْرِ أَحدهما بالآخر.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾.

ويقرأ الحقُّ، فمن قرأ الحقُّ فالحقُّ من صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فالمعنى يوْمَئِذٍ يوفيهم اللَّهُ الحقُّ دِينَهُمْ، ومن قرأ دينهم الحقَّ، فالحق من صِفَةِ الدِّينِ والدين ههنا الجزاء، المعنى يَوْمَئِذٍ يَوَفِّيهمُ اللَّه جزاءهم الحقَّ، أي جزاءهم الواجب.

وقوله جل وعز: ﴿الخبيثاتُ للخبيثين، والخبيثون للخبيثاتِ، والطيبات للطَّيِّبِينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبَاتِ ﴾.

فيها وَجْهَانِ، المعنى الكلمات الخَبِيثَاتُ للخبيثين من الرجال، والرجال الخَبِيثونَ للكلمات الخبيثَاتِ، أي لا يَتَكلَّم بالخبيثات إلا الخبيثُ من الرِّجَال والنساء، ولا يتكلَّمْ بالطَّيبَاتِ إلاَّ الطَّيبُ من الرجال والنساء، ويجوز أن يكون معنى هذِهِ الكَلِمَاتِ الخبيثات إنما تلصق بالخَبِيثين من الرِّجال والخبيثات مِن النِّسَاءِ، فَأَمَّا الطَّاهِرَاتُ الطيبات فلا يلصق بِهِنَّ شيءٌ، وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرِّجَالِ وكذلك الطيبات من النساء، للطَّيبين من الرجال.

(١) سورة النحل الآية ٨١.

وقوله: ﴿ أولئك مبرأون مِمَّا يَقُولُونَ ﴾.

أَي عـائِشة وَصَفْـوانُ بنُ المُعَطَّل، وكـذلك كـل من قُـذِفَ من المُؤْمِنينَ والمُؤْمِنَاتِ مُبَرَّأُونَ ممَّا يَقُول أهل الخُبْث القَاذِفُونَ.

﴿لهم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

أي للذين قُذِفوا ورُمُـوا مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كـريمٌ، وللقاذفين اللَّعْنَـةُ في الدُّنيَـا والآخرة وَعَذَابٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَه بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.

معناه إذ يلقيه بعضكم إلى بَعْضٍ، وقرأت عائشة رحمها اللَّه: إِذْ تُلْيِقُونَهُ بألسنَتِكُمْ، ومعناه إِذْ تُسْـرِعُونَ بـالكَذِبِ، يقـال وَلَق يلِقُ إِذَا أَسْرَع فِي الكَـذِبِ وغيره، قال الشاعر:(١)

جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّامِ تِلقْ

أي تسرع.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غيرَ بُيُوتِكُمْ﴾

يُقْرَأُ بِالضَّمِّ والكَسْرِ، ولكن الضَّـمَّ أَكْثَرُ، فمن ضمَّ فَعَلَى أصـل الجمع، يجمع بَيْتُ وبيوتُ مثل قَلْب وقُلوب وفَلْسٌ وفلوس، وَمَنْ قرأ بِالكَسْرِ فإنَّما كَسَر للياء التي بعد البـاء، وذلك عنـد البَصْرِيِّينَ رَدِيءٌ جـدًّا، لأنـه ليس في كـلام العرب فِعُول ـ بكسر الفاء ـ.

وقوله: ﴿حَتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾.

---

(١) الـوَلْق ـ كضَرْبٍ ـ الإسـراع في المشي إثْر الشيء، وهـذا الشطر من رجـز قالـه الشماخ يهجو به جليداً الكلابي: اللسان «ولق» ومعاني الفراء ٢/٢٤٨. والعنس الناقة الغليظة.

معنى تستأنسوا في اللغة تَسْتَأْذِنُوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان الاستعلام، تقول آذَنتُه بكذا أي أَعْلَمْتُه، وكذلك آنست مِنْهُ كذا وكذا، عَلِمْتُ منه، وكذلك، ﴿فَإِنْ آنَسْتُم منهم رُشْداً﴾[1] أي علمتم، فمعنى حتى تَسْتَأْنِسُوا حتى تستعلِمُوا أيريد أهلها أن يُدخلوا أَمْ لاَ، والدليل على أَنَّه الإِذْنُ قوله: ﴿فإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فيها مَتَاعٌ لَكُمْ﴾.

أي ليس عليكم جناح أنْ تَدْخلوا هَذِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ.

وجاء في التفسير أنه يعنى بها الخانات، ويقال للخَانِ فُنْدق وفُنْتُق. ـ بالدال والتاء ـ. وإنما قيل: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تدخُلُوا هَذِهِ البُيُوتَ لأَنَّه حَظَرَ أن تُدْخَلَ البُيُوتُ الَّتي ليست لهم إلاَّ بإِذْنٍ، فأُعْلِمُوا أَن دُخولَ هذه المواضعَ المُبَاحَةَ ـ نحو الخانات وحوانيت التجارة التي تباع فيها الأَشْيَاءُ وَيُبِيحُ أهلُها دُخُولَها ـ جائزٌ. وقيل إنه يُعْنَى بِهَا الخَرِبَاتُ التي يَدْخُلُها الرَّجُلُ لِبَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ.

ويكون معنى: ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾: بمعنى إِمْتاعٍ، أي مُتفرَّجُون فيها مِمَّا بِكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾.

أي لا يبدين زينَتَهُنَّ الباطِنَةَ، نحو المِخْنَقَةِ[2] والْخلْخال والدُّمْلُجُ والسِّوار. والتي تُظْهَرُ هي الثيابُ والوَجْهُ.

---

(١) سورة النساء الآية ٦.

(٢) رباط العنق، والدملج يلبس في اليد كالسوار.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾.

كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الْخلخال، وربما كان فيها الخَلاَخِلُ فإذا ضَرَبتْ بِرِجْلِها عُلِمَ أنها ذاتُ خَلْخَالٍ وزينةٍ، وهذا يحرك من الشَّهْوَةِ فنُهِيَ عنه، كما أُمِرْنَ ألاَّ يُبْدِينَ[1]، لأن استماعَ صَوْتِه بمنزلة إبْدَائِه.

وقوله: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾.

قُرِئَتْ من عَبِيدِكُمْ، وكلاهما جائز، وهذا لازِمٌ في الأَيَامَى، والمَعْنَى وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ وإمَائِكُم إنْ أَرَدْن تَحَصُّناً.

ومعنى ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾.

أي لا تكرهوهن على البغاء الْبَتَّةَ، وليس المعنى: لا تكرهوهن إنْ أَرَدْن تَحَصُّناً. وان لم يرِدْن فَلَيْس لنا أَنْ نُكْرِهَهُنَّ.

وقوله: ﴿ إنْ يكونُوا فقراء يُغْنِهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾.

فحث اللَّه - عز وجل - على النكاح وأعلم أنه سَبَبٌ لِنَفْيِ الفَقْر، ويروى عن عمر رحمه اللَّه أنه قال: عَجَبٌ لِامْرِئٍ كيف لا يَرْغَبُ في البَاءَةِ واللَّه يَقُولُ إنْ يَكُونُوا فقراءَ يُغْنِهُمُ اللَّه من فَضْلِهِ.

وقوله: ﴿والَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إن عَلِمْتُمْ فيهم خَيراً﴾.

معنى ﴿إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خيراً﴾، قيل إن علمتم أَدَاءَ ما يفارق عليه[2]، أي عَلِمْتُمْ أنهم يَكْتِبُونَ ما يُؤدّونَهُ. ومعنى المكاتبة أن يكاتب الرجل عبده أو أَمَتَهُ

---

(١) نهين عن اسماع وسوسة حليهن كما نهين عن اظهاره.

(٢) إن علمتم قدرتهم على أداء نجوم الكتابة أي الأجر الذي يحررون عليه.

عَلَى أن يُفَارِقَهُ، أنه إذا أَدَّى إليه كذا وكذا من المال في كذا وكذا من النجوم فالعبدُ حُرٌّ إذا أَدّى جميع ما عليه، وَوَلاؤه لمولاه الذي كاتبه، لأن مولاه جاد عليه بالكسْب الذي هو في الأصل لمولاه[١].

وقوله: ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾.

هذا ـ عند أكثر الفقهاء ـ على النَّدْبِ، للمولى أن يُعْطِيَهُ شَيْئاً مما يُفَارِقُه عليه، أو من ماله ما يستعين به على قضاء نجومِهِ، ولـه ألاَّ يفْعَلَ، وكذلك لـه أَنْ يكاتِبَهُ إذا طلب المكاتبة وَلَه أَلاَّ يكاتِبَهُ. ومخرج هذا الأمر مخرجُ الإِبَاحَةِ، كما قال: ﴿وإِذَا حَلَلْتُم فاصطادوا﴾[٢] لأنـه حرَّم عليهم الصَّيدَ ما دَامُوا حُرُماً، وكذلك قوله: ﴿فإذا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فانتشروا في الأَرْضِ وابتغوا من فضل اللَّه﴾[٣] هذا بَعْدَ أن حَظَر عليهم البيعَ في وقت النداء إلَى الصَّلاَة، فهذا أباحَهُ فيهِ لأن العَبْدَ المملوك لا مال لـه، ولا يقدر على شيءٍ، فأباح اللَّه لَهُم أن يُقْدِرُوهُ[٤].

ويروى عن عُمَرَ أنه كَاتَبَ عَبْداً له يُكْنَى أَبَا أُمَيَّةَ، وهو أول عَبْدٍ كوتب في الاسلام، فأتاه بأول نجم فدفَعَهُ إِلَيْهِ عُمر، وقال لـه: اسْتَعِنْ بـه عَلَى مُكَاتَبَتِكَ، فقال: لَوْ أَخرته إلى آخرِ نَجْم، فقال أَخَافُ أَلاَّ أدرك ذلك.

وقوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾.

وذلك أنه لا يَحِلُّ أن ترى المشركاتُ ما يحِلُّ أن تراه المؤمِنَاتُ من

---

(١) الاصل أن العبد وما يكسبه ملك لمولاه.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

(٣) سورة الجمعة الآية ١٠.

(٤) يعينوه ويهيئوا له القدرة.

المُؤْمِنَاتِ، يُعْنَى بِنِسائِهِنَّ نساء المؤمنـات، ﴿والمُؤْمِنُـونَ، والمؤمِنَاتُ بَعضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ﴾[1]

وقوله تَعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ﴾.

«غير» صفة للتابعين دَليلٌ على قوله: ﴿أو مَا مَلكت أَيْمَانُهُنَّ﴾، معْنَاهُ أيْضاً غير أولي الإربَةِ من الرِّجَال. والمعنى لا يبدين زينتهن لمماليكهنَّ ولا لِتُبَّاعِهِنَّ إلَّا أن يكونُوا غير أُولِي إربَة. والإِرْبَـةُ الحاجَـةُ، ومعناه هَهُنَـا غير ذَوي الحـاجات إلى النِّسَاءِ، فَأَمَّـا خَفْضُ «غير» فصفـة للتابعين، وإن كـانت «غير» تـوصف بها النَّكِرَةُ، فَإِنَّ التَّابِعِينَ هَهُنَا ليس بمَقْصُـودٍ إلى قوم ٍ بـأَعْيانِهِمْ، إنمـا معناهُ لكـل تَـابِـعٍ غيـر أولي إرْبَـةٍ. ويجـوز «غير» بنصب «غيـرَ» على ضـربين، أَحَـدهمـا الاستثنـاء، المعنى لا يبـدين زينتهن إلا للتـابعين إلَّا أُولي الإربـة فـلا يبـدين زينَتَهن لَهُمْ، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، فيكون المعنى، والتـابعين لا مُرِيدِينَ النِّسَاءَ، أي في هذه الحال.

وقوله عز وجل: ﴿أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾.

ويقرأ «عَوَرات» ـ بالفتح الواو ـ لأن فَعْلَة يجمع على فَعلات ـ بفتح العين ـ نحو قَولِكَ جَفنة وَجَفَنَات، وصَحْفَة وصَحَفَات، فإذا كان نحو قولِكَ لَوْزَة وجَوْزَة وعَوْرَة، فالأكثر أَنْ تُسكَن، وكذلك قوله بَيْضَات، لثقل الحركة مع الواو والياء، ومن العرب من يَلْزَمُ الأصلَ والقياسَ في هذا فيقول جَوَازات وبَيَضَات. وعلى هذا قـرئ عَوَراتٍ. ومعنى لَمْ يَظْهرُوا على عورات النساء، لم يبلغوا أن يُطيقُوا النساء، كما تقول: قد ظهر فلان على فـلانٍ إذا قوي عليـه. ويجوز أَنْ يَكُونَ «لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَـاءِ» لم يَدْرُوا مـا قباحَـةُ عورات النسـاء من غيرها.

---

(١) سورة التوبة الآية ٧١.

وقوله: ﴿ولقد أَنْزَلْنَا إليكُمْ آياتٍ مُبينات﴾.

يقـرأ بالفتـح والكسر ـ فمن قـرأ مبيَّناتٍ بـالفتح فـالمعنى أنـه لَيْسَ فيهـا لَبْسٌ، وَمَنْ قرأ بالكَسْرِ فالمعنى أنها تُبيّنُ لكم الحلال من الحرام. ثم أعلم عزّ وجل أَنّه قَدْ بيَّنَ جميع أَمْـر السماء، وأمْـر الأرض بَيَانـاً نيّراً لا غـاية بَعْـدَ نُورِهِ فقال:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾.

أي مُدَبِّر أَمْرِهِمَا بِحِكْمَةٍ بَالِغةٍ وحجَّةٍ نيِّـرَةٍ. ثم مثَّلَ مَثَـلَ نُورِه ذلـك في القلوبِ بأبينِ النُّورِ الذي لم يدرك بالأَبْصَارِ فقال:

﴿مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ﴾.

فَنُورُهُ يجوز أن يكون ما ذكرنا من تـدبيره، وجـائز أَنْ يكـونَ كتابُـه الذي بَيَّنَ بِهِ فقال: ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ﴾[1] وجائز أن يكون النبي ﷺ هو النور الذي قال مثل نُورِهِ، لأن النبي ﷺ هـو المرشِـدُ والمبيِّنُ والناقـل عن اللَّه ما هو نيّرٌ، بَيِّنٌ.

وقال: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وهي الكوَّةُ، وقيل إنهـا بلغة الحَبَشِ، والمشكـاة من كلام العرب، ومثلها ـ وإن كانت لغيرِ الكُوَّةِ ـ الشَّكْـوَةُ وَهِي مَعْرُوفَـةٌ[2]، وهي الدقيق الصغير أو مَا يُعْمَل مِثْلُه[3].

﴿فِيها مِصْبَاحٌ، [المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ]﴾.

والمصباح السِّراج. وقال: ﴿المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ ـ لأن النور في الزُّجاج،

(١) سورة المائدة الآية ١٥.

(٢) الشكوة وعاء مَنْ أَدَمٍ للمَاءِ واللَّبَن اهـ قاموس.

(٣) الشيء الدقيق.

وضـوء النَّارِ أَبْيَنُ منـه في كل شيءٍ، وضـوؤه يـزيـدُ في الـزُّجَـاجِ . ثم وصف الزجاجة فقال:

﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ .

ودُرِّيٌّ، منسوب إلى أنّه كالـدُّرِ، في صَفَائِه وحُسْنِه، وَقُرِئَتْ دِرِّيٌّ وَدَرِّيٌّ - بالكسر والفتح - وقد رُوِيَتْ بالهَمْزِ. والنحـويون أجمعـون لا يعرفـون الوجـه فيه، لأنه ليس في كلام العَرَبِ شيء عَلَى فِعِّيلٍ، ولكن الكسر جَيِّـدٌ بِالهَمْـز -يكون على وَزْنِ فِعِّيل، ويكون من النجوم الدَّرَارِي التي تَدَرُ - .

أي يَنْحـط ويَسِيرُ مُتَدافِعـاً، ويجوز أن يكـونَ دِرِّيٌّ بغير همـزٍ مُخَفَّفاً مِنْ هذا.

قال أبو إسحاق: ولا يجوز أن يضم الدال وَيُهْمَـزُ، لأنه ليس في الكـلام فُعِّيلٌ، ومثال «دُرِّيّ» فُعْلِيّ مَنْسُوبٌ إلي الدُّرِّ، وَمَنْ كَسَرَ الدَّالَ قَـالَ دِرِّيٌّ فكان لـه، أَنْ يهْمِـزَ ولا يَهْمِـزَ، فمن هَمَـزَ أَخَـذه من درأ يـدرأ الكَـوْكَبُ إِذَا تَـدافـع مُنْقَضًّا، فتضاعف ضَوْءُه، يقال: تدارأ الرَّجُلَانِ إذَا تَدَافَعَـا، ويكون وزنـه على فِعِّيـل. ومن كسـرهـا فـإنمـا أَصْلُه الهَمْـزُ فَخُفِّفَ، وبقيتْ كسـرة الـدال عَلَى أَصْلِهَا. ووزنه أيضاً فِعِّيلٌ كما كان وهو مهموز.

وقوله: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ ﴾ .

ويقرأ [تُوقَدُ] بالتاء، فمن قرأ بالياء عنى به المصباح، وهـو مذكّـر. ومن قرأ بالتاء عَنَى بِهِ الـزُّجَاجَـةَ. ويجوز «في زَجَـاجَةٍ» بفتـح الـزاي وفيهـا وجهان آخران قُـرِئَ بِهِمَا - تَوَقَّـدَ - بفتح الدَّالِ وضمِّها وتشديد القـافِ فيهما جميعـاً، فمن قرأ تَوَقَّدُ، فالمعنى تَتَوَقَّدُ الزجاجةُ، ومن قرأ تَوَقَّدَ فتحـه لأنه فِعْـلٌ مَاضٍ ، ويكون المعنى:المصباحِ في زُجَاجَةٍ تَوَقَّدَ المِصْبَاحُ.

وقوله:﴿مِنْ شَجَرةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ .

وليس شيء في الشَّجَرِ يورِقُ غُصْنُه من أوّله إلى آخره مثلُ الزَّيْتُونِ والرُّمَّانِ قَال الشَّاعِرُ[١]:

بـورِكَ الميتُ الغريبُ كما بُورِكَ نَظْمُ الرُّمان والزَّيْتُونِ

قوله عز وجل:﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾.

اكثر التفسير أنها ليست مما تطلعُ عليه الشمسُ في وقت شروقها فقط أو عِنْدَ الغُرُوبِ، أي ليس يسترها في وقت من النَّهَارِ شيءٌ، أي فهي شرقية غربيّة، أي تصيبها الشمس بالغداة، والعَشِيِّ، فهو أنضر لها وأجود لزيتها وزَيْتُونِها.

وقال الحسن: إن تأويلَ قوله: ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَربيَّةٍ﴾ أنها ليست من شجر الدُّنْيَا أي هي من شجر الجنَّةِ.

وقوله عز وجل:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾.

جاء في التفسير أَن تُبْنَى، وقال الحسنُ: تأويل «أَنْ تُرْفَعَ» أن تُعظَّمَ. و «في» من صِلَةِ قوله «كَمِشْكَاةٍ». المعنى كَمِشْكاةٍ في بُيُوتٍ، أي فِي مَسَاجِدَ، وقال الحسن يُعْنَى بِهِ بيتُ المقدِسِ. ويجوز أن تكون «في» متصلة «بِيُسَبِّحُ» ويكون فيها تكريراً على التوكيد، فيكون المعنى يسبح للَّه رِجَالٌ في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ لأنْ تُرْفَع. وتقرأ «يُسَبَّحُ» له فيها، فيكون رفع رجال هَهُنَا على تفسير ما لم

---

(١) هو أبو طالب عم النبي ﷺ - من قصيدة له رثى بها مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وقد أوردها صاحب الخزانة جـ ٤/٣٨٦. أبياتاً منها أولها:

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت يقولها المحزون

وانظر البحر المحيط ٦/٤٥٧ ومختار الأغاني ٦/٣٨٢ - وكان مسافر سيداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وكان يهوى هنداً بنت عتبة، وخطبها بعد الفاكه فرده لفقره، فذهب إلى النعمان يستعينه - فتزوجت هنداً أبا سفيان في غيبته - وكان أبو سفيان أول من قابل مسافراً بالحيرة وأخبره فشق ذلك عليه، واستسقى بطنه فعاد الى مكة فمات بمكان يقال له هباله ودفن به.

يسم فَاعِلُه، فيكون المعنى على أنه لما قال: «يُسَبَّحُ لَـهُ فِيهَا» كـأنه قيـل: من يسبح اللَّه فقيل يُسبّحُ رِجَالٌ كما قال الشاعر:[1]

لِيُبْـكَ يـزيـد ضَـارِعٌ لِخُصُـومَـةٍ ومختبط مما تـطيح الـطوائح

﴿والآصال﴾: واحدها أُصُل، وهي العَشَايَا.

ومعنى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾.

أي لا يشغلهم أمرٌ عن ذَلِكَ.

ويروى أن ابن مَسْعُودٍ رأى قـوماً من أَهْـل السُّوقِ، وقـد نُودِيَ بـالصَّلَاةِ فتركوا بِيَاعاتِهِمْ[2] ونَهضُوا إِلَى الصَّلاةِ، فقـال: هؤلاء من الذين قـال اللَّه ـ عزّ وجل ـ [فيهم] ﴿رجَال لَا تُلْهِيهِمْ تِجارة وَلَا بيعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾:

الكـلام أقمت الصلاة إقَـامَةً، وأصلها أَقَمْتُ[3] إقْواماً، ولكن قُلِبَت الـوَاوَ أَيضاً فاجتمعت الفان، فحذفت احداهما لالْتِقَاءِ السَّاكنين، فبقي أَقَمْتُ الصلاة إقـامَةً[4] وأدخِلَتِ الهـاء عِـوَضـاً من المَحْـذُوفِ، وقـامت الاضـافـة ههنـا في التعويض مقام الهاء المحذوفة. وهذا إجماع من النحويين.

وقوله :﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبِ والأَبْصَارُ﴾.

ويجـوز تَقَلَّبُ فيـه القلوب والأَبْصَـارُ، في غير القـرآنِ، ولا يجـوز في القران «تَقَلَّبُ» لأن القراءة سُنَّةٌ لا تخالَفُ وإن جاز في العربية ذَلِكَ.

---

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد. وفي كتاب سيبويه للحرث بن نهيك وانظر الخزانة ١/١٤٧، الشاهد ٤٥، ففيها أنه لنهشل بن حرّى (بتشديد الراء) وهو شـاعر مخضـرم حسن الشعر وابنـه حـرى أيضاً شـاعر مجيـد، وحارب نهشـل مع علي ويـوم صفين قتل أخـوه مالـك ورثاه نهشـل بمرات كثيرة. وهم من بيت شريف، وانظر العيني ٢/٤٥٤، وابن يعيش ١/٩٠.

(٢) بياعات جمع بياعة ـ بكسر الباء فيهما. وهي السلعة.

(٣) أصلها أقومت إقواماً.

(٤) أصلها إقواماً ـ فلما حذفت الألف استعيض عنها بالتاء التي حذفت هنا.

ومعنى تَتَقَلَّبُ أي تَـرْجُفُ وَتَجفُ من الجَـزَعِ والخَـوْفِ، ومعنـاه أَن مَنْ كَانَ قلبُه مُوقِنـاً بالبعـث والقيامَةِ ازداد بَصِيرَةً، ورأى ما يحبُّه مما وُعِدَ بِهِ، ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يُوقِنُ مَعَهُ بِأَمْرِ القِيامة والبعْثِ، فَعَلِمَ ذلك بقلبه وشاهده بِبَصَرِهِ، فذلك تَقَلُّبُ القلوب والأَبْصَارِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

والقيعـة جمع قـاعٍ ، مثـل جَـارٍ وَجِيـرَةٍ، والقيعـة والقـاع مـا انبسط من الأَرْض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسير فيه يَرَى كأَنَّ فيه ماءً يَجْرِي. وذَلِكَ هُـوَ السَّرابُ، والآل مثلُ السَّـرابِ إلَّا أنه يـرتفع وقت الضُّحَى كـالماء بين السمـاء والأَرْضِ.

﴿يَحْسَبُه الظَّمـآنُ مَاءً﴾.

يجوز يَحْسِبُه وَيَحْسَبُه، ويجوز الظَّمآن والظَّمانُ، على تخفيف الهَمْـزَةِ، وهُوَ الشديـدُ العَطَشِ يقـال ظمئَ الرجـل يظمـأ ظمأً فَهُـو ظمآنُ، مثـل عَطِشَ يَعْطَشُ عطشاً فَهُوَ عطشانُ.

وقوله: ﴿حَتَّى إذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً﴾.

أي حتى إذا جـاء إلى السراب وإلى مـوضعـه رأى أرضـاً لا مـاء فيهـا، فأعلم اللَّه -عز وجل- أن الكافر يظن عَمَلَه قد نفعه عند اللَّه، ظَنُّه كـظَنِّ الذي يـظن أن السَّرابَ مـاء، وأن عمله قـدْ حَبِط وذَهبَ. وضـرب اللَّه هـذا المثـلَ لِلكَافِرِ فقال: إن أعمال الكفار كهذا السَّرابِ.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِيٍّ﴾ -الآيـة[1].

---

(١) تمـام الآية: ﴿ يَغْشَـاهُ مَـوْجٌ مِنْ فَوْقِـهِ مَوْجٌ مِنْ فَـوْقِهِ سَحَـابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهـا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

لأنه عز وَجل وصف نوره الـذي هو للمؤمنين، وأعلم أن قلوب المؤمنين وأعمـالهم بمنزلـة النُّورِ الَّـذي وصَفَهُ، وأنهم يجـدونه عنـد اللَّه يجازيهم عليـه بالجنة، وأن أعمال الكافـرين وإن مثلت بما يـوجَدُ فمثله كمثـل السَّرابِ، وإنْ مثلت بِمَا يُرَى فهي كهـذه الظلمات التي وَصَفَ في قولـه: ﴿أَوْ كَظُلُمَـاتٍ في بَحْرٍ لُجِيّ﴾ الآية.

وقوله: ﴿إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾.

معناه لم يرها ولم يكد، وَقَالَ بَعضُهُم يراها من بُعْدٍ[١] إن كـانَ لا يَراهَـا من شِـدَّةِ الـظلمـة، والقـولُ الأولُ أَشْبَـهُ بهـذَا المعنى، لِأَنَّ في دُونِ[٢] هـذه الظُّلُمَاتِ لا يُرَى الكفُّ.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً [فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ]﴾.

أي من لم يهـده اللَّهُ إلى الاسـلام لم يَهْتَـدِ.

وقولـه: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّه يُسَبِّـحُ لَـهُ مَنْ فِي السَّمَـواتِ وَالأَرْضِ وَالـطَّيْـرُ صَافَّاتٍ﴾.

ويجوز «والطيرَ» على معنى: «يسبح له الخلق مَعَ الطَّيْرِ» ولـم يُقْرأْ بها.

وقوله: ﴿كـلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾.

معناه كلٌّ قد علم اللَّهُ صَلاتَه وتسبيحَه، والصلاة للناس، والتسبيـح لغير النـاس، ويجوز أن يكـون ﴿كل قَـدْ عَلِمَ صَلاَتَـه وَتَسْبِيحَهُ﴾كـل شيء قـد علم

---

(١) غير واضح المعنى، ولعله يعني الفعل المنفي أي لا يراها من بعد، ويمكن أن يراها من قرب، أو يخيل اليه وهي قريبة أنها بعيدة.

(٢) أي ان رؤية الكف من القرب لا تدل على ظلمة شديدة، ففي الظلمة التي هي أقـل مما وصف لا يَرى الانسان يده.

صلاة نفسه وتسبيحَهَا، ويجوز ان يكـون كل انسـان قَدْ عَلِمَ صـلاة اللَّه، وكل شيء قد علم تسبيح اللَّه. والأجود أن يكون كل قد علم اللَّه صلاته وتسبيحه، ودليل ذلك قوله ـ ﴿واللَّهُ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله :﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللَّه يُزْجِي سَحَاباً﴾.

معنى :﴿يُزْجِي﴾ يَسُوقُ، ﴿ثُمَّ يؤَلِّفُ بينَهُ﴾ أي يجعل القطع المُتَفَرِّقَةَ مِنَ السَّحَابِ قطعةً وَاحِدَةً ﴿ ثم يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾، أي يجعـل بَعْضَ السحاب يـركب بعضاً.

﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِه ﴾.

الوَدْقُ المطرُ، ويقرأ من خَلَلِه، وخِلاَلِـه أَعَمُّ وأجوَدُ في القـراءة، وخِلاَل جمـع خَلَلٍ وخِلاَل، مثـل جَبَل وجِبَـالٍ، ويجـوز أن يكـون السحـاب جمـع سحابة ويكون «بينَه» أي بينَ جميعه، ويجوز أن يكون السحاب وَاحِـداً إلا أنه قال بينه لكثرته، ولا يجوز أن تقول جلست بين زَيْدٍ حتى تقول وعَمْرٍو، وتقول ما زلت أدور بين الكوفة، لأن الكوفة اسم يتضمَّن أَمْكِنَةً كثيـرة، فكأنـك تقول ما زلت أدور بين طرق الكوفة.

وقوله تعالى :﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ﴾.

ويجوز ويُنْزِل بالتخفيف، ومعنى مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فيها من بَرَدٍ، مِن جِبَالِ بَرَدٍ فيها[1] كما تقول هذا خاتم في يدي مِنْ حَـدِيدٍ، المعنى هـذا خاتَمُ حَـديدٍ في يَـدِي. ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكـون معنى «مِن جِبَالٍ» مِنْ مِقْدارِ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ كما تقول عِنْدَ فُلاَنٍ جِبَالُ مَالٍ تريد مقدار جبال مِنْ كَثْرَتِه.

قوله :﴿يَكَادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبْصَارِ ﴾.

---

(١) التقدير اذن من جبال من برد تنزل من السماء.

وقرأ أبو جعفر المدني: يُـذْهِبُ بالأَبْصَـارَ، ولم يقرأ بهـا غيرُه، ووجههـا في العربيَّةِ ضعيفٌ، لأن كلام العَرَبِ: ذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُه. وتلك جائزة أيضـاً - أعني الضم في الياءِ في يُذْهِبُ. ومعنى ﴿سَنَا بَرْقِه﴾ ضَوْءُ بَـرْقِه، وقـرئت سنا بُرْقِه يذهب بالأبصـار، على جَمْعِ بُـرْقَةٍ وبُـرْقٍ، والفرق بين بُـرْقِهِ - بـالضَّمِّ - وبَرْقِهِ بالفتح أن البرق المقدارُ من البرق، والبرقَةُ أن يبرق الشيء مَرَّةً واحِدَةً، كما تقول: غَرفْتُ غَرفَـةً وَاحِدَةً تـريد مَـرَّةً وَاحِدَةً. والغَـرْفَةُ مقـدار ما يُغْـرَفُ، وكذَلِكَ اللقمة واللُّقْمَة.

وقوله تعالى: ﴿ واللَّه خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾.

ويقرأ، ﴿واللَّه خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماء﴾، فَدَابَّةٌ اسم لِكل حيوان مُمَيِّزٍ وغيره: فلما كان لما يعقل ولما لاَ يعقِلُ قال ﴿فمنهم﴾، ولوكان لما لاَ يَعْقِـل لقيلَ فمنهـا أو مِنْهُنَّ. ثم قال: ﴿مَنْ يَمْشي عَلَى بَطْنِه﴾.

فقال «مَنْ» - وأصل مَنْ لِمَـا يَعْقِل -، لأنّه لَمَّا خَلَطَ الجمـاعةَ فقيـل فمنهم جعلت العِبَارَةُ بِمَنْ، وقيل يمشي على بطنه، لأن كـل سائـر كان لـه رجلان أو أربع أوْ لَمْ تكن له قَوائِم، يقال له ماشٍ وقَدْ مَشَى، ويقال لكل مُسْتَمِرٍّ مَاشٍ، وإن لم يكن من الحيوان حَتّى يقال قد مشى. هذا الأمْرِ.

﴿مِنْ مَاءٍ﴾، وإنَّما قيل من ماءٍ كما قال اللَّه سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾[1].

وقوله جل وعلا: ﴿ [وإنْ يَكُنْ لهم الحقُّ] يَأْتُوا إلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

جـاء في التفسير «مُسْـرِعين»، والإذْعَانُ في اللغةِ الاسْراعُ مَـعَ الطَّاعَـةِ، تقـول: قَدْ أَذْعَنَ لي بِحَقِّي، معنـاه قَدْ طَـاوَعَنِي لِمَا كُنْتُ أَلْتَمِسُـه مِنه، وصـارَ يُسْرِعُ إلَيْه.

---

(١) سورة الانبياء الآية ٣٠.

وقوله: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾.

تأويلُهُ طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ أمثلُ مِنْ قَسَمِكُمْ لِمَا لَا تَصْدُقُونَ فِيهِ[1]. والخبر مُضْمَرٌ، وهَوَ «أَمْثَلُ» - وَحُذِفَ لأن في الكلام دَلِيلاً عليه، لأنه قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾. واللَّه عز وجل وراء مَا فِي قلوبِهِم فقال: ﴿قل لا تُقْسِمُوا، طاعة مَعْروفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بما تَعْمَلُونَ﴾. ويجوز طاعةً معروفةً على مَعْنى أَطِيعُوا طَاعَةً مَعروفَةً، لأنهم أقسَمُوا إن أُمِروا أَنْ يُطيعُوا فقيل أطيعوا طاعة معروفةً، وَلَا أَعْلَمُ أَحداً قَرأ بها[2]، فإنْ لَم تُرْوَ فلا تُقْرَأْ بها، وهذا يُعْنَى به المنافقونَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفنَّهُم في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وإنما جاءت اللام لأن «وَعَدْتُه بِكَذَا أَو كَذَا» و «وَعَدْتُه لأكْرِمَنَّهُ» بمنزلة قُلْتُ لأن الوَعْدَ لا ينعقِدُ إلاَّ بقولٍ، ومعنى ليستخلفهم في الأرْضِ، أي ليجعلنَّهم يخلفون مَنْ بَعْدَهم من المؤمنين فَاستخلَفَ الذّين من قبلِهِمْ، وقرئت كما اسْتُخْلِفَ الذين مِنْ قَبلِهِم.

﴿وليُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾.

يعني به الاسلام.

﴿وليُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾: وقرئت وَلَيُبْدِلَنَّهُمْ.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيئاً﴾.

يجوز أن يكن مستأنفاً، ويجوز أن يكون في موضع الحال، على معنى وعد اللَّهُ المؤمنين في حالِ عبادتهم وإخلاصهم لِلَّهِ - عز جلَّ - ليفعَلَنَّ بهم، ويَجُوزُ أَنْ يكونَ اسْتِئنَافاً على طريق الثناء عليهم وَتَثْبِيتاً كأنه قال: يَعْبدُنِي المؤْمِنُونَ لَا يُشركون بي شيئاً.

---

(١) لعدم صدقكم فيه.

(٢) أي بقراءة النصب.

وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

القراءة بالتاء على معنى: لا تَحْسَبَنَّ يا مُحَمَّد الكَافِرِينَ مُعْجِزِينَ، أي قدرةُ اللَّهِ محيطةٌ بِهِمْ وقرئت: لَا يُحْسَبَنَّ عَلَى حَذْفِ المفعول الأوّل مِنْ يحسَبَنَّ على معنى لا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا إياهم معجزين في الأرض، كما تَقُولُ زَيْدٌ حَسِبهُ، فانما تريد حَسِبَ نَفْسَه قَائِماً، وكأنه لا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا أَنْفُسَهم مُعْجِزين، وهذا في بَابِ ظَنَنْتُ، تطرح فيه النفس يُقَالُ ظننتُنِي أَفْعَلُ، ولا يقال ظننت نفسي أفعلُ، وَلَا يَجُوزُ ضَرَبْتُنِي، استُغْني عنها بِضَرَبتُ نَفْسِي[1].

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ والَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثلاث مَرَّاتٍ﴾.

فأمر اللَّه عز وجل بالاستئذان في الاوقات التي يُتَخَلَّى فيها[2] ويتكشفون، وَبيَّنَها فقال: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ﴾.

يعنى به العَتَمة عشاء الآخرة، فأعلم أنها عورات فقال ﴿ثَلَاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ﴾، على معنى هي ثلاث عورات لكم، وقرئت «ثَلَاثَ عَوَرَاتٍ لَكُمْ» والإسكان أكثر لثقل الحركة والواو. تقول طلحة وطَلَحات، وجمْرة وجمَرات، ويجوز في لوزة لَوَزَات بحركة الواو، والأَجْوَدُ لَوْزَات، ويجوز ثَلاثَ عَوراتٍ بالنَّصْبِ، على معنى ليستأذنوكم ثلاث عَوْرَاتٍ، أي في أَوْقَاتِ ثلاث عَوْراتٍ.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾.

أي ليس عليكم جناح ولا عليهم في أنْ لَا يَسْتَأْذِنُوا بعد أن يمضي كل وَقْتٍ من هذه.

---

(١) لا يجيء الفاعل هو المفعول إلّا في هذا الباب، وفي غيره تذكر كلمة النفس، تقول أطعمت نفسي وسقيت نفسي ولا تقول سقيتني.

(٢) يَتخلَّى الناس فيها عن ملابسهم الخارجية.

وقوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾.

على مَعنى هُم طَوَّافُونَ عَلَيْكُم.

وقوله: ﴿بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ﴾: على معنى يَطُوف بَعْضُكُم على بعْضٍ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ منكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾.

فالبالغ يستأذن في كـل الأوقات، والـطفلُ والمملوكُ يستـأذن في الثلاث العورات.

وقوله: ﴿والقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نكاحاً﴾.

القواعد جمع قاعـدة، وهي التي قعدت عن الـزواج، اللاَّتِي لاَ يَـرْجُونَ نكاحاً، أي لاَ يُرِدْنَهُ، ولا يَرْجُونَـه، وقيل أيضـاً اللاتي قَـدْ قعدْنَ عَنِ الحيض، ﴿فَلَيْس عليهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غيرَ مُتَبرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾.

قال ابن مسعود: أن يضعن المِلْحَفَةَ والرِّدَاء.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾.

أي أنْ لَا يضَعْن الرداء والملحفة خير لهن من أن يَضَعْنَه[١].

وقـولـه: ﴿لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَـرَجٌ وَلاَ عَلَى الأعْـرَج حَـرَجٌ وَلاَ عَلَى المَرِيض حَرَجٌ﴾.

الحرج في اللغة الضيق، ومَعْنـاهُ فِي الدِّين الإِثمُ، وجـاء في التفسير أن أهل المدينة قبل أن يُبعثَ النبي ﷺ كانُوا لا يُؤَاكِلونَ هؤلاءِ، فقيـل إنهم كانـوا يفعلون ذلك خوفاً من تمكن الأصحاب في الطعام، وقِلَّةِ تمكُّنِ هؤلاء[٢]، فقيل

(١) يضعنه بمعنى يلقينه عن جسـدهن. أي هذا خيـر لهن من وضع الـرداء، وتدخـل فيه الملحفـة والأصل أن يقول يضعنهما.

(٢) عدم قدرتهم عليه وأخذهم منه نصيباً يكفي.

لهم ليس في مُؤاكَلِتِهْم حَرَجٌ، وقيل إنهم كانوا يفعلون ذلك تقززاً، وقيل أيضاً إنَهُمْ كانوا إذا خرجوا مع رسول اللَّه ﷺ خَلَّفُوا هؤلاء فكانوا يتحوبون[1] أن يأكُلُوا مما يحفظونه فأُعْلِمُو أنَّه ليس عَليهم جُنَاحٌ، وقيل أيضاً انه كان قوم يَدْعُونَهم إلى طعامِهِم فربما صاروا إلى منازلهم فلم يجدوا فيها طعاماً، فيمضون بهم إلي آبائهم.

وجميع ما ذكروا جيّدٌ[2] بالغ إلا ما ذكروا من ترك المؤاكلة تَقَزُّزاً، فإني لا أدري كيف هو.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَن تَأكُلوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً﴾.

معنى أشتاتاً متفرقين مُتَوَحِّدِين. ونصب «جميعاً» على الحال، ويروى أَن حَيًّاً من العرب كان الرجل منهم لاَ يَأْكُل وحدَهُ، وهم حَيٌّ من كنانة، يمكث الرجل يَوْمَهُ فإن لم يجد مَنْ يؤاكله لم يأكل شيئاً، وربما كانت مَعَهُ الابلُ الحُفَّلُ، وهي التي مِلْءُ أخلافها اللَّبَنُ فلا يَشْرَبُ من ألبانها حتى يَجِدَ من يُشَارِبُه، فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ الرَّجُلَ منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

معناه فلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فالسلام قد أمر اللَّه به، وقيل أيضاً: إذَا دَخَلْتُم بيوتاً وكانت خَالِيةً فَلْيَقُلِ الدَّاخِل: السَّلامُ علينا وعلى عباد اللَّهِ الصَّالِحِينَ. ـ

وقوله عز وجل: ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

---

(١) يتأثمون من الحُوب وهو الاثم.
(٢) في الأصل فجيد.

مَعْنَاهُ[1] النَّصْبُ على المصدَرِ، لأن قوله فَسَلِّمُوا، معناه تَحَيَّوْا، ويحيي بَعْضُكُمْ بعْضاً، تَحِيَّةً من عند اللَّه. فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن السلام مُبَارَكٌ طَيِّبٌ.

وقوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

قال بعضهم كان ذلك في الجمعة، فهو ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه عز وَجَلَّ أمر المؤمنين إذَا كانوا مع نبيّه فيما يُحتاج فيه إلى الجماعة، نحو الحرب لِلْعَدُوّ، أَوْ مَا يَحضرونه مما يُحْتَاجُ إلى الجمع فِيه، لم يذهبُوا حَتَّى يستأذِنُوه، وكذلك ينبغي أن يكونوا مَعَ أَئِمَّتِهِمْ لا يخالفونهم ولا يرجعون عنهم في جمع من جموعهم إلاَّ بِإِذْنِهِمْ، وللإمام أن يأذن، وله أن لا يأذَنَ، على قدر ما يرى من الحَظِّ فِي ذَلِكَ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْض شَأْنِهِم فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾.

فجعل المشيئة إليْه فِي الاذْنِ.

﴿واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾.

أي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ بِخُروجِهِمْ عن الجماعة إذا رأيت أنَّ لهم عُذْراً.

وقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾.

أي لا تقولوا: يا محمد كما يَقُولُ أَحَدُكم لِصَاحِبِه، ولكن قولوا يا رسول اللَّه ويا نبي اللَّهِ بتبجيلٍ وَتَوْقِيرٍ وَخَفْض صَوْتٍ.

أعلمهم اللَّه عز وجل فضل النَّبي عليه السلام على سائر البريَّة في المخاطبة.

---

(١) أي تقديره، وقد مر كثيراً أنه يقول المعنى كذا وكذا وهو يريد التقدير.

وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً﴾.

أُظْهِـرَتِ الوَاوُ في «لِـوَاذاً» على معنى لَاوَذْتُ لِـوَاذاً، ومعنى لِـوَاذاً ههنـا الخلاف [أي] يُخَالِفُونَ خلافاً، ودليل ذلك قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّـذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾.

فأما مَصْدَرُ لُذْتُ فقولك: لُذْتُ بِهِ لِيَاذاً.

سُورَةُ الفُرْقَانِ
[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمن الرَّحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾.

﴿تبارك﴾معناه تفاعل من البَرَكَةِ، كذلك يقول أهلُ اللغة، وكذلك رُوِيَ عن ابن عباس، ومعنى البركة الكثرة في كل ذي خيرٍ. والفرقانُ القرآن، يُسمى فرقاناً لأنه فُرِّقَ به بين الحق والبَاطِل.

وقوله: ﴿ليكون للعَالَمين نَذِيراً﴾.

«النذير» المخوف من عذاب اللَّه، وكل من خوَّفَ فقد أَنْذَرَ، قال اللَّه ـ عزّ وَجَلّ ـ ﴿فأنذرتكم ناراً تَلَظَّى﴾[1].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾.

خلق اللَّه الحيوان وقدر له ما يُصْلحه ويقيمُه، وقَدَّرَ جميع ذلك لخلقه بحكمة وتقديرٍ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾.

«الإفك» الكَذِبُ.

﴿وَأَعَانَه عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.

يعنونَ اليَهُودَ.

---

(١) سورة والليل إذا يغشى، الآية ١٤.

﴿فقد جَاءوا ظُلماً وَزُوراً﴾.

والـزُّورُ الكَذبُ، ونصبُ ﴿ظُلماًوَزُوراً﴾ على: فقد جـاءوا بظلم وَزُورٍ، فَلَمَّا سقطت الباء أفْضَى الفِعْلُ فَنَصَبَ.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِير الأوَّلِينَ﴾.

خبر ابتداء محـذوف، المعنى وقالـوا: الذي كتـابه أسـاطير الأولين[1]، معنـاه مِمَّا سَـطَّرَهُ الأوَّلُونَ، وواحـدُ الأسـاطيـر أُسْـطُورَةٌ، كمـا تقـول أحْـدُوثـة وأَحَادِيث.

وقوله عز وجل: ﴿ فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

الأصيل العَشِيُّ.

وقوله: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾.

«مـا» منفصِلةٌ من اللام، المعنى أي شيء لهـذَا الرَّسُـول في حـال أكله الطَّعَامَ وَمَشْيِهِ في الاسواق. التمسوا أن يكون الرسول على غير بِنْيَةِ الآدَمِيينَ، والواجب أن يكون الرسولُ الى الآدَمِيِّينَ آدَمِيًّا ليكون أقرب إلى الفهم عنه.

وقوله: ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾.

طلبـوا أن يكون في النُّبـوةِ شَركـةٌ، وأن يكون الشـريك مَلَكـاً، واللَّه عز وجـل يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ مَلَكـاً لَجَعْلَنَـاهُ رَجُلاً﴾[2] أي لم يكن لِيُفْهِمهم حَتَّى يكون رَجُلاً، وَمَعْنَى لَوْلاَ: هَلاَّ وتـأويل هـلاّ الاستفهامُ، وانتصبَ فيكـونَ على الجواب بالفاء للاستفهام.

---

(١) قالوا الكتاب الذي جاء به أساطير ـ اي الذي هو كتابه انما هو أساطير.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْه كَنْزٌ أَوْ تَكونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾.

وإن شئت أو «يَكُـونُ» لـه جَنَّـةٌ، ولا يجـوز النَّصْبُ في يكـون لـه، لأن يكون عطف على الاستفهـام، المعنى: لولا أنزل إليه مَلكٌ أو يُلْقَى إليه كَنْزٌ، أو تكون له جَنَّةٌ، والجنة البستان فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنه لو شاء ذلك وخيراً منه[1] لَفعَلَه، فقال:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَـاءَ جَعَل لَـكَ خَيْراً مِنْ ذَلِـكَ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾.

أي لو شاء لفعل أكثر مِمَّا قَالُوا، وقد عرض اللَّه ـ عز وجـل ـ على النبي أمر الدنيا فَزَهِدَ وآثَرَ أَمْرَ الآخِرَةِ. فَأَمَّا «يَجْعَلْ» فبالجزم، المعنى إن يشأ يَجْعَـلْ لَكَ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلْ لك قُصُـوراً ومن رفع فعلى الاستئنـاف، المعنى وسَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً، أي سيعطيك اللَّه في الآخرةِ اكْثَرَ مِمَّا قالوا.

وقوله: ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنها﴾ ويأْكُلُ منها.

وقوله: ﴿سمعوا لها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾.

أي سمعوا لها غليان تَغُّيظٍ.

وقوله: ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾.

في معنى «هلاكاً» ونصبه على المصدر كأنهم قالوا ثُبِرْنا ثبوراً.

﴿لَا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كثيراً﴾.

أي هلاككم أكثر من أن تـدعوا مَـرَّةً واحِدَةً. و[قيـل] ثبوراً كثيـراً، لأن ثبوراً مصدرٌ فهو للقليل والكثير على لفظ الوَاحِـدِ، كما تَقُـولُ: ضربتـه ضَرْبـاً

(١) لو شاء أن يعطي النبي ذلك وأكثر منه من خير الدنيا فعل.

كثيراً، وَضَرَبْتُه واحِداً، تريد ضربته ضرباً وَاحِداً.

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾.

إنْ قَالَ قَائِلٌ: كيف يقال: الجنة خير من النار، وليسَ في النَّارِ خيرٌ البتَّةَ، وإنما يقع التفضيل فيما دخل في صنفٍ وَاحدٍ؟، فالجنة والنار قَدْ دُخَلاَ في بَابِ المنازِلِ في صنف واحِدٍ، فلذلك قيل أذلك خير أم جنة الخُلّدِ، كما قال اللَّه عز وجل:

﴿خَيرٌ مستقرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤولاً﴾.

مَسْؤُولُ ذَلك[2] قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتي وَعَدْتَهم وَمَنْ صَلَح مِنْ آبائهم﴾[3].

وقوله: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونك مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾.

لما سُئِلَتْ المَلائكةُ فَقِيلَ: ﴿ أَأَنْتُم أَضْلَلْتُم عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾.

وجائز أن يكونَ الخِطَابُ لِعِيسَى والعُزَيْرِ، وقرأ أبو جَعْفَر المدني وَحْدَهُ: قالوا سبحانَكَ ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونِك مِن أَولياء، بِضَمِّ النُّونِ على ما لم يسَمَّ فاعلُه وهذه القراءة عند اكثر النحويين خَطأً، وإنما كانت خطأ لأن «مِنْ» إنما يدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مَفْعُولَة أولاً، ولا تَدْخُل على مفعول الحال، تقول ما اتخذت من أَحَدٍ وَلِيًّا، ولا يجوز ما اتخذت أَحَداً مِنْ وَلِيٍّ، لأن «من» إنَّما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى

(١) الآية ٢٤ من هذه السورة.

(٢) الذي سئل بذلك أي ما سألت الملائكة اللَّه تعالى أن يمن به.

(٣) سورة غافر الآية ٨.

جميع، تقول: مَا مِنْ أَحَدٍ قَائماً، وما من رَجُلٍ مُحِبًّا لما يَضَرَّه، ولا يجوز «ما رجل من مُحِبٍّ مَا يَضُرُّه». ولا وجه لهـذه القِرَاءَةِ، إلَّا أَنَّ الفـرَّاء أجازهـا على ضَعْفٍ، وزعم أنه يجعل مِنْ أَوْلِياءَ هو الاسم، ويجعل الخبر ما في تتخَّذَ كَأَنه يُجْعَلُ على القلب، ولا وجه عندنا لهـذا البَتَّةَ، لـو جَازَ هـذا لجَازَ في ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزين﴾ ما أَحَدٌ عَنْه مِنْ حَاجِزينَ. وهذا خطأ لا وَجْهَ له فاعْرِفه، فإن مَعْرِفَةَ الخطأ فيه أَمْثل من القراءة، والقُرّاءُ كلهم يُخَالفون هذا منه، ومن الغلط في قراءة الحسن: وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾.

قيل في التفسير «هَلْكَى»، والبائِر في اللغة الفَاسِـدُ، والذي لا خيـر فيه، وكذلك أرض بائرة متروكة من أن يزرع فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾.

وتقرأ بما يقولون ـ بالياء والتاء ـ فمن قرأ بمـا تَقُولُـونَ ـ بالتَـاءِ ـ فالمعنى فقد كَذَّبُوكُم بقولهم إنهم آلهة، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كـذَّبُوكُـمْ بـقولهـم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾(٢).

وقوله عز وجل: ﴿ فما تستطيعون صرفاً ولا نَصْراً ﴾.

أي ما تستطيعون أَنْ تَصْرِفُـوا عن أَنْفُسِهم ما يحـل بهم من العذاب. ولا ان ينصـروا أَنْفُسَهُمْ.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٠ وصحتها الشياطين لأنه جمع تكثير.

(٢) عبارة الأصل هكذا: فمن قرأ بما تقولون ـ بالتاء ـ فإن المعنى فقد كذبوكم بقولكمُ: إنهم آلهـة، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾. والمعنى المراد أنهم بما قالـوه كذبـوكم في هذه العبـارة (سبحانـك... الخ) ومعنى كذبوكم بقولهم إنهم آلهة. أنهم بشـركهم كذبـوكم في كلمة التوحيد وعبـارته غيـر مستقيمة لأن المسلمين لم يقولوا إنهم آلهة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

هذا احتجاج عليهم في قولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام وَيَمْشِي في الأَسْوَاقِ.

فقيل لهم: كذلك كان مَنْ خلَا من الرسل يأكل الطعام ويمشي في الاسواق، فكيف يكون محمدٌ ﷺ بدعاً من الرُّسُل. فأما دخول «أَنَّهُمْ» بعد «إلَّا» فهو على تَأْوِيلِ ما أَرْسَلْنَا رُسُلاً إلَّا هُمْ يأكلون الطعام، وإلَّا أنهم لَيَأكلون الطعام، وحُذِفَتْ رُسُلاً لأن «من» في وقوله تعالى ﴿من المرسلين﴾ دليل على ما حذف منه، فأما مثل اللَّامِ بعد «إلَّا» فَقَوْلُ الشَّاعِر[1]:

ما أَنْطياني ولَا سَأَلْتُهمَا ... إلَّا وإنِّي لَحَاجِزٌ كرمي

يريد أعطياني، وزعم بعض النحويين أن «مَنْ» بعد إلَّا مَحْذُوفَةٌ، كأن المعنى عِنْدَهُ إلَّا «مَنْ» ليأكلون الطعام. وهذا خطأ بيِّنٌ، لأنَّ «من» صِلَتُها «أَنَّهُم ليأكلون»، فلا يجوز حذف الموصول وتبقيةُ الصِّلَةِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

فيه قولان: قيل كان الرجل الشريف ربَّمَا أراد الاسلام فعلم أن مَنْ دُونَه فِي الشَّرَفِ قد أَسْلم قبلَهُ فيمتنع من الاسلام لئلا يقال أسلم قبله من هو دُونَهُ، وقيل كان الفقير يقول: لِمَ لَمْ أُجْعَلْ بِمَنْزِلَةِ الغَنِيِّ، ويقول ذو البلاء: لِمَ لَمْ أُجعل بمنزلة المُعَافى، نحو الأعمى والزَّمِن ومن أشبه هَؤُلاءِ.

وقوله تعالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾.

---

(١) لكثيربن عبد الرحمن ـ وقد أورد سيبويه هذا الشاهد وذكر الآية أيضاً انظر كتاب سيبويه ١٤٥ جـ ٣ ت هرون ـ وهو في العيني ٢/٣٠٨ والأغاني ٢٨/٨ وروايته بالعين ما أعطياني ـ والنون رواية أخرى.

أي أتصبرون على البلاء فقد عُرِّفْتُمْ مَا وُعِدَ الصابرون.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾.

معنى «لولا» هَلَّا.

﴿أَو نَرَى رَبَّنَا [لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِم وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء اللَّه طلبوا من الآيات ما لم يأت أمَّةً من الأُمَمِ. فأعلم اللَّه عز وجل أنهم قد استكبروا في أنفسِهم وَعَتَوْا عُتُوًّا كبيراً، ويجوز عتواً كثيراً بالثاء، والعتو في اللغة المجاوزة في القدر في الظُّلْمِ. وأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الوقت الذي يَرَوْنَ فيه الملائكة هو يوم القيامَةِ، وأن اللَّه قد حرمهم البُشْرى في ذلك الوقت فقال:

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرى يَوْمَئِذٍ للمُجْرِمِينَ.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ مَنْصُوبٌ على وَجْهَيْن، أحدهما على معنى لا بُشْرى تكون للمجرمين يوم يَرَوْنِ الملائكة، وَ «يَومَئِذٍ» هو مؤكد «لِيَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةِ»، ولا يجوز أن يكون مَنْصُوباً بقوله «لَا بُشْرى» لأن ما اتصل بلا لا يَعْمَلُ فيما قَبْلَهَا، ولكن لَمَّا قيل لَا بُشْرى للمُجْرِمين بُيِّنَ في أي يوم ذَلِكَ، فكأنه قيلَ يجمعون البشرى يوم يرون الملائكَةَ، وهو يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾.

وقرئت «حُجراً» بضم الحاء، والمعنى وتقول الملائكة حِجْراً مَحْجُوراً، أي حراماً مُحَرَّماً عَلَيْهِم البُشْرى، وأصل الحجر في اللغة ما حَجَرْتَ عليه أي ما مَنَعْتَ من أن يوصل إليه، وكل ما منعت منه فقد حَجَرت عليه، وكذلك حَجَر القُضَاةُ على الأيْتَام إنما هو مَنْعُهم إيَّاهُمْ عن التصرف في أَمْوَالِهِمْ، وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس هو ما حَوَّطوا عليه، ويجوز أنْ يَكُونَ «يومَ»

مَنْصُوباً على معنى اذْكُرْ يَومَ يـرونَ الملائكـة، ثم أخبر فقال: ﴿لاَ بُشْرى يَـوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾. والمجرمون[1] الذين اجْتَـرَمُوا الـذُّنُوبَ، وهم في هـذا الموضـع الذين اجترموا الكفر باللّه عز وجل.

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾.

معنى قدمنا عمدنا وقصدنا كما تقول: قام فلان يشتم فلاناً، تـريد قصـد إلى شتم فُلانٍ، ولا تريد قام من القيام على الرِّجْلين.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

«الهباء» ما يخرج من الكَوَّةِ مع ضوء الشَّمْسِ شبيهاً[2] بالغبار. وتأويله ان اللَّه عز وجَلَّ أحبط أعمالهم حتى صارت بمنـزلة الهبـاء المنثور. ثم أعلم اللَّه عز وجل فضل أهل الجنة على أهل النار فقال:

﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾.

والمقيـل المقامُ وَقْتَ القـائِلة، وقيل هُـوَ النَومُ نصفَ النَّهـارِ، وجـاء في التفسير أنِ أهل الجنَّةِ يصيرون إلى أهليهم في الجنَّةِ وقت نصف النهار.

وقوله عز وجل: ﴿ويومَ تشقَّقُ السماءُ بالغمام﴾: ويقرأ تَشَّقَّقُ بتشديد الشّينِ والمعنى تَتَشقَّقُ.

﴿ونُزِّلَ الملاَئِكَةُ تَنْزِيلاً﴾.

جاء في التفسير أنه تتشقّق سَماءً سَماءً وتنزل المـلائكة إلى الأرض وهـو قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3].

---

(١) في الاصل والمجرمين.

(٢) في الاصل شبيهةً.

(٣) سورة والفجر.

وقوله عز وجل: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ ﴾.

الحق صفة للمُلْكِ، ومعناه أن الملك الذي هو الملك حقًّا هو ملك الرحمن يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ﴾[1] لأن الملك الزَّائِلَ كأنه ليس بملك. ويجوز الملك يَوْمَئِذٍ الحَقَّ للرحمن ولم يقرأ بها فلا تقرأن بها، ويكون النصب عَلَى وجْهَيْن: أحدهما على معنى الملك يومئذ للرحمن أَحُقُّ ذَلِكَ الْحَقِّ، وعلى أَعْني الحقَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾.

يروى أن عقبة بن أبي مُعَيْط هو الظالم ههنا، وأنه يأكل يَدَهُ ندما ثُمَّ يَعُودُ وأنه كان عزم على الاسلام فبلغ [ذلك] أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ فقال له أُمَيَّة: وَجْهي من وجهك حرام إنْ أَسْلَمْتَ، إنْ كَلَّمتُك أبداً[2]، فامتنع أمية من الاسلام لقول أُمَيَّةَ فإذا كان يوم القيامَةِ أكل يَدَهُ نَدَماً وتمنَّى أن آمن واتخذ مع النبي عليه السلام طريقاً إلى الجَنَّةِ. وهو قوله: ﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عن الذِّكْرِ بَعْدَ إذْ جَاءَنِي﴾.

وقد قيل أيضاً في ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخذ فُلَاناً خَلِيلاً﴾، أي لم أتخذ الشيطان خَلِيلاً، وتصديق هَذَا القول ﴿وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾.

ولا يمتنع أنْ يكون قبوله مِنْ أُمَيَّةَ من عمل الشيطانِ وأعوانه. ويجوز «اتَّخَذْتُ» بتبيين الذال، وبإدغامها في التاء، والإِدْغَام أكثر وأَجْوَدُ.

وقوله عز وجل: ﴿وقال الرسول: يَارَبِّ إنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا القُرآنَ مَهْجُوراً﴾.

---

(١) سورة غافر.

(٢) أي لَا أكلمك أبداً.

جَعَلوه بِمَنزِلة الهُجْرِ. والهُجْرُ ما لا ينتفعُ به من القولِ، وكانوا يقولون إنَّ النبي ﷺ يَهْجُر، ويجوز أن يكون مَهْجُوراً متروكاً، أي جعلوه مَهْجوراً لا يَسْتَمِعُونَه ولا يتفهَّمُونَهُ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ المُجْرِمِينَ﴾.

عَدُوًّا لفظه لفظ وَاحِدٍ، ويجوز أن يكون في معنى الجماعة والوَاحِد كما قال ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾[1] فيجوزُ أن يكون في معنى أَعْدَاءٍ، وقد جاء في التفسير أن عدوَّ النبي ﷺ أبو جَهْل بن هشام.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾.

وهادياً ونَصِيراً منصوبان على وجهين أحدهما الحال، المعنى وكفى ربك في حال الهداية والنَصْرِ، والوجْهُ الثّاني أن يكون منصوباً على التمييز على معنى كفى ربُّك من الهُدَاةِ والنُّصَّارِ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

معناه: هَلَّا نُزِّلَ علَيْه القُرآنُ في وَقْتٍ واحِدٍ، وكان بَيْنَ أَوَّلِ نُزُولِ القرآن وآخره عِشْرُونَ سَنَةً، فقالوا: لِمَ لَمْ ينزل جَمْلَةً وَاحِدَةً كما أُنْزِلَتِ التوراةُ: فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ إنْزَاله مُتَفَرِّقاً ليثْبتَ في قَلْبِ النبي ﷺ فقال: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾ أي أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ مُتفَرّقاً، لأن معنى قولهم: لَوْلا نُزِّل عليه القرآنُ جملة واحدةً يدل على معنى لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآنُ مُتَفَرِّقاً فأعلموا لم ذلك، أي للتثْبيت.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

أي نَزَّلْناه على التَّرْتِيل، وهو ضِدُّ العَجَلَةِ، وهو التَّمَكُّث.

وقوله: ﴿إلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾.

---

(١) سورة الشعراء ٧٧.

معنـاه ولا يأتـونك بمثـلٍ إلاَّ جئناك بـالذي هـو الحقّ وأحسن تفسيراً من مَثَلِهِمْ، إلاَّ أَنَّ «مِنْ» حُذِفَتْ لأن في الكلام دَلِيـلاً عليها، لـو قُلْتَ: رَأَيت زَيداً وعَمْراً فكان عمـرٌو أَحْسَنَ وَجْهاً، كـان الكلام فيـه دليل على أنـك تريـد: مِنْ زَيدٍ.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿الَّـذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَـى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ أُولَئِـكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

«الـذين» رَفْـعٌ بـالابْتِـدَاءِ، و «أُولَئِـكَ» رَفْـعُ ابتـداءٌ ثَـانٍ، و «شَـرٌّ» خبـر «أُولئـكَ»، و «أولئك» مـع «شرٌّ» خبـر «الَّـذِينَ». وجـاء في التفسيـر أَنَّ النَّـاسَ يُحْشَـرُون يَوْمَ القِيَـامَةِ على ثـلاثَة أصنـافٍ، صنفِ على الـدَّوَابِّ وَصِنْفٍ على أَرْجُلِهم وصنفٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ.قيل يا رسول اللّه: كيف يمشون عَلَى وُجُوهِهِمْ، فقال النبي ﷺ الذي مشاهم على أقدامهم قادرٌ أن يُمشِّيَهُم عَلَى وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾.

الوزير في اللُّغَةِ الذي يُرْجَعُ إليه ويُتَحَصَّنُ برأيِـهِ، والوَزَرُ مـا يلتجأ إليـه ويُعْتَصَمُ بِهِ، ومنه قوله: ﴿كَلا لا وَزَرَ﴾(١) أي لَا مَلْجأَ يومَ القيامَةِ ولا مَنْجا إلاَّ لمن رحم اللّه عز وجل.

وقوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾.

يعني به فِرعونُ وقومُه، والذين مُسِخوا قردةً وخنازير.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أُغْرَقْنَاهُمْ﴾.

يـدلُّ هذا اللفظ أن قـوم نوح قـد كذَّبـوا غير نـوح أَيْضاً لقـوله «الرُّسُل»، ويجـوز أن يكون الـروح يعنى به نـوح وحدَهُ، لأن من كَـذَّب بِنَبيّ فقد كـذَّبَ

(١) سورة القيامة الآية ١١.

بجميع الأنْبياء، لأنه مخالف للأنبياء، لأن الأنبياء يؤمنون بـالله وبجميع رُسُلِه، ويجوز أن يكون يُعْنَى بِهِ الواحدُ. ويُذَكَّرُ لَفظُ الجِنْسِ كما يقول الرجل للرَّجُلِ ينفق الدِّرْهَمَ الواحد أنت مِمَّن يُنْفِقُ الدِّرَاهِمَ، أي ممن نَفَقَتُه مِنْ هَذَا الجِنْس، وفلان يركبُ الدَّوابَّ وان لم يركب إلَّا واحِدةً.

وقوله: ﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُـرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾.

قـومَ نوحٍ «مَنْصُـوبون»[1] على معنى وأغـرقنا قـومَ نُوحٍ، وعَـاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الـرَّسِّ نصب عـطف على الهاء والميم[2]، التي في قـوله جعلنـاهم للنَّـاسِ آيَةً. ويجـوز أن يكون معـطوفاً على معنى ﴿وَأَعْتَـدْنَا للظَّالِمِينَ عَـذَابـاً أَلِيمـاً﴾ ويكونُ التـأويل: وَعَـدْنَـا الـظالمين بـالعَـذَابِ، ووعـدنـا عـاداً وثمـوداً وَأَصحابَ الـرَّسِّ.

قال أبو إسحاق: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَعتَدْنَا للظَّالِمِينَ عَذَاباً أليماً﴾.

والرَّسُّ بِئْرٌ، يروى أَنَّهُمْ قَومٌ كذبوا بِنبيِّهِمْ وَرَسُّوهُ في بِئرٍ، أي دَسُّوه فيها، ويروى أن الرَّسَّ قرية باليمامة يقال لها مَلْح، ويروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود.

وقوله: ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾.

يروى أن القرن مُدَتُه سبعون سَنَةً.

وقوله: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ ﴾.

«كُـلًّا» منصوب بفعـل مضمر الـذي ظهر تفسيـره، المعنى وأنذرنـا كُلًّا ضربنا له الأمثالَ.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً﴾.

التتبير التدمير والهلاك، وَكُـلُّ شيء كسَّرتَـهُ وَفَتَّتَهُ فقـد تَبَّرْتَـهُ، ومن هذا

(١) الأولى أن يقول منصوب، أي هذا اللفظ منصوب لأن قوم نوح البشر لا ينصبون.

(٢) على الضمير.

قيل لمكَسَّر الـزجـاج التِّبْرُ، وكذلك تبر الذَّهَبِ.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَر السَّوْءِ ﴾.

﴿أَتَوْا﴾ أي مشركو مَكّة، يعنى بِـهِ[1] قريـة قوم لـوط التي أمـر اللَّه عليهـا الحجارة، فأعلم اللَّه عز وجل أن الذي جرأهم على التكذيب، وأنهم لم يبالوا بما شاهدوا من التعذيب في الدُّنْيا أنهم كانوا لا يصـدِّقون بالبعث فقال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾.

قيل لَا يَخافون مَا وُعِـدُوا بِهِ منَ العَـذَاب بَعْدَ البَعْثِ. والـذي عند أهـل اللغة أن الرَّجَاء ليس على معنى الخوف، هذا مذهب من يرفع الاضـداد، وهو عندي الحق ، المعنى بل كانوا لا يرجون ثوابَ مَنْ عَمِل خيراً بعد البَعْثِ فـركبوا المَعَاصِي.

وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهذا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾.

المعنى يقولون: أهذا الذي بعث اللّه إلينا رَسُولاً.

وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَه هَوَاهُ﴾.

يروى أنّ الواحِـدَ مِنْ أَهْل الجَـاهِلِيَّة كـان يعبد الحجـر، فإذا مـر بحَجرٍ أَحْسَن مِنْهُ ترك الأول وَعَبَدَ الثاني، وقيل أيضاً مَنِ اتَّخَـذ إِلٰهَه هَـواهُ، أي أطاع هَواهُ وركبه فلم يُبَالِ عَاقِبَةَ ذلك.

وقوله : ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾: أي حفيظاً.

وقوله عز وجل : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾.

معناه ما هم إلَّا كالأنعام في قلة التمييز فيما جُعِـلَ دَلِيلاً لهم من الآيَـاتِ والبرهان.

---

(١) يعنى بهذا القول.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾.

لأن: الأنعام تسبح بحمد اللَّه وتسجُدُ له وهم كما قال اللَّه عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحجارة أو أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾.

الظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَه سَاكِناً﴾، أَي ثابتاً دائِماً لَا يَزُول.

﴿ثم جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾.

فالشمس دَلِيلُ عَلَى الظِّلِّ، وهي تنسخ الظِّلَّ.

﴿ثم قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً ﴾.

قيل خَفِيًّا، وقيل سَهْلاً، ومعنى أَلَمْ تر، ألم تَعْلَم، وهذا من رؤية القلب. ويجوز أن يكون ههنا من رؤية العَيْن، ويكون المعنى: ألم تر كيف مَدَّ الظِّلَّ رَبُّكَ ! والأَجْودُ أَنْ يَكُونَ بمعنى ألم تَعْلَمْ.

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾.

فيها ستة أَوْجُهٍ، نَشْراً بفتح النون، ونُشْراً بِضَمِّهَا، وَنُشُراً بضم النُّونِ والشِّينِ، ويجوز بُشْرَى مؤنث بالباء على وزن فُعْلَى، وبُشْراً بالتنوين والباء، وبُشُراً بين يدي رَحْمَتِه، فهذه سِتَّةُ أَوْجُهٍ منها أربعة يقرأ بها. فأما نَشْراً فمعناه إِحْيَاءً ينشر السحاب الذي به المطر، الذي فيه حياة كل شيءٍ، ومن قرأ نشُراً فهو جمع نُشُور ونُشُر مثل رسول وَرُسُل، ومن قرأ بالإسكان أَسْكَنَ الشِّينَ اسْتِخفَافاً، فهذه ثلاثة أوجه فِي النُّونِ. فأما الباء فمن نَوَّنَ بالبَاءِ وَضَمِّها وَتَسْكِين الشِّين، فإنما هو بِتَسْكين العَيْنِ من قولك بُشْراً، وإذا لم يُنَوِّنْها فألِفَها

(١) سورة البقرة / ٧٤.

لِلتَّأْنِيثِ. ومن قرأ بُشْراً بالتنوين فهو جمع: يقال: ريح بَشُورٌ، كما قال: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ﴾ أي تبشر بالغَيْثِ. ومن قرأ بُشُراً ـ بِالضَّمِّ فهو على أَصْلِ الجمع. ومن قرأ بُشْرَى بغير تنوين فهو بمعنى بشارة.

وقوله: ﴿[وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ] مَاءً طَهُوراً﴾.

كل ما نزل من السماء أو خرج من بحر أو أُذِيبَ مِنْ ثَلْج أو بَرِدٍ فهو طهور، قال عليه السلام في البحر: هُو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيتَتُهُ.

وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾.

ولو كان ميتة لجاز وقيل: «مَيْتاً» ولفظ البلدة مؤنث، لأنَ معنى البلد والبلدة وَاحِدٌ.

وقوله: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾.

أَنَاسِيُّ جمع إنْسِيّ مِثْلُ كُرْسِيَ وكَرَاسِيّ ويجوز أن يَكُونَ جَمعَ إنْسَان وتكون الياء بَدَلاً من النُّون، الأصل أَنَاسِين بِالنُّون مثل سَرَاحِين.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّروا ﴾.

أَيْ صَرَّفْنَا المَطَر بَيْنَهُمْ لَيَذَّكَروا، أَيْ لِيَتَفكَّروا في نِعَمِ اللَّه عَلَيْهِمْ فيه، ويحْمَدُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً ﴾.

وهم الذين يقولون: مُطِرْنَا بِنوءِ كَذَا، أي بسقوط كوكب كذا، كما يَقُول المُنَجِّمونَ فجعلَهُم اللَّه بِذَلِكَ كَافِرينَ.

وقوله: ﴿فَلاَ تُطِعِ الكَافِرين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾.

ويجوز كَثِيراً، والقراءة بالباء، ومعنى به أي بِالحَقِّ، أي بالقرآن الذي أنزل إليك وهُوَ الحقُّ.

وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ ﴾.

معنى مَرَجَ خَلَّى بَيْنَهُمَا، تقول: مَرَجْتُ الدَّابَّةَ وَأَمْرَجْتُها إذا خليتها تَرْعَى والمَرْجُ من هذا سُمِّيَ، ويقال مَرِجَتْ عُهُودُهُم وَأَمَانَاتُهُمْ إِذَا اخْتَلَطَتْ. يروى ذلك عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾.

فراتٌ صفةٌ لِعَذْبٍ، والفرات أَشَدُّ المياه عُذُوبةً، والمعنى هَذَا عَذْبٌ أَشَدُّ الماء عُذُوبَةً.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

والأُجَاجُ صفة لِلْمِلْح، المعنى وهذا ملح أَشَدُّ المُلُوحَةِ.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً ﴾.

البـرْزَخُ الحاجز فهما في مَرْأى العين مُخْتلِطَان، وفي قدرة اللَّه ـ عز وجل ـ مُنْفَصِلاَنَ لا يختلط أَحَدُهُمَا بالآخرِ.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُو الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾.

فالأصهار من النسب من يجوز لهم التَّزْوِيجُ، والنَّسَبُ الذي ليس يُصْهِر، من قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى ﴿وأَن تجمعوا بين الأُخْتَيْن﴾[1].

وقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء.

معنى الظَّهِيرِ المُعينُ، لأنه يتابع الشَّيْطَانَ ويعاونه على مَعْصِية اللَّه، لأنَّ عِبَادَتَهم للأَصْنَامِ معاونة لِلشَّيْطَانِ.

وقوله عز وجل: ﴿الرَّحمنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبيراً﴾.

ويجوز «الرَّحْمَنِ فاسأل»، فمن قال: الرَّحْمَنُ فهو رَفْعٌ من جِهَتَيْن، إِحْدَاهما عَلَى البَدَلِ مِمَّا في قوله: ﴿ثم استوى﴾، ثم بَيَّنَ بقوله الرَّحْمَنُ. ويجوز أن يكون ابتداءً و «فاسأل به» الخبر، والمعنى فاسأل عنه خبيراً. ومن قالَ الرَّحْمَنِ، فهو على معنى وتوكل على الحَيِّ الذي لَا يَمُوتُ الرَّحْمَن. صفة للحَيِّ.

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

وتقرأ يأمرنا، والرحمن اسم من اسماء اللَّه مذكور في الكُتُبِ الأُوَلِ ولم يكونوا يعرفُونَهُ من اسماء اللَّه فقيل لهم إنَه من أسماء اللَّه، ﴿قل ادعوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[1].

ومعناه عند أهل اللغة ذو الرَّحْمَة التي لا غاية بعدها في الرَّحْمَةِ، لأنَّ فَعْلَانَ بِنَاءٌ مِنْ أَبْنِيَةِ المُبَالَغَةِ، تقول: رَجُلٌ عَطشان وَرَيَّان إذا كان في النهايَةِ في الرِّيِّ والعَطَشِ، وكذلك فَرْحَان وَجَذْلَان وخزيان، إذا كان في غَاية الفرح أو في نهاية الخِزْي.

وقوله: ﴿تبَارَكَ الَّذِي جَعَل فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾.

البروج قيل هي الكواكب العظام، والبَرَجُ تباعَد بين الحَاجِبَيْن، وكل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، وإنما قيل لها بُرُوج لظهورها وتباينها وارتفاعها.

(۱) سورة الاسراء الآية ۱۱۰.

﴿وَجَعَلَ فِيها سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾.

ويقرأ سُرُجاً، ويجوز سُرْجاً بتسكين الـرَّاءِ، مثل رُسُـل ورُسْل، فمن قَـرَأَ سِراجاً عَنَى الشَّمْسَ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾[1]، ومن قرأ سُرُجـاً أراد الشمس والكَوَاكِبَ العِظَامَ مَعَها.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

ويقرأ لمن أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ. قال الحسن: من فاته عَمَلُه من التَذكُّرِ والشُّكْرِ كان له في الليل مُسْتَعْتبٌ، ومن فَاتَهُ بالليـل كان لـه في النهار مُسْتَعْتَبٌ، وقـال أهلُ اللغة خِلفة يجيء هذا في أثر هذا، وأنشدوا قول زُهَيْرٍ[2]:

بهـا العين والآرام يـمشـين خِـلفـة   وأطـلاؤهـا يَنْهَضْنَ من كـل مَجْثَمِ

وجـاء أيضاً في التفسيرِ خلفة مختلفـانِ كما قـال اللَّه عز وجل: ﴿إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّـذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً﴾الآية[3].

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾.

أي يمشون بِسَكِينَةٍ وَوَقارٍ وَحِلْمٍ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا: سَلَاماً﴾.

أي نتسلم منكم سلاماً لا نُجَاهِلُكم، كأنهم قالوا تَسَلُّماً مِنْكُمْ، و «عبادُ»

---

(١) سورة نوح الآية ١٦.

(٢) البيت الثـالث من معلقته، والعين جمـع أعين وعيناء. وهي ذوات العيـون الواسعـة والاسم منه عين ـ كفرح ـ وأراد بها البقر الوحشية، والآرام جمع ريم. وهو الظبي الخالص البياض والاطلاء جمع طلى، وهو ولد البقرة والظبية.

أراد بها الظباء الخالصة البياض ـو المجثم موضع الجثوم، كالمرقد، يـريد يخلف بعضهـا بعضاً أي يأتي قطيع بعد آخر.

(٣) سورة ال عمران الآية ١٩٠، ١٩١.

مَرْفوعٌ بالابتداء، والأحسن أن يكون خبر الابتداء ههنا ما في اخر السورة من قوله:﴿أولئك يُجْزَونَ الغرفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، كأنه قال: وعباد الرحمن الذين هذه صِفَتُهُمْ كلها - إلى قوله - ﴿وَاجْعَلْنَا للمتَّقِينَ إمَاماً﴾. ويجوز أن يكون قوله ﴿وَعِبَادُ الرحمن﴾ رفعاً بالابتداء، وخبره ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ عَذَابَها كَانَ غَرَاماً﴾.

الغَرَامُ في اللُّغَةِ أَشَدُّ العَذَابِ، قال الشاعر:

ويومَ النِّسَارِ ويوم الجِفار ... كانا عذاباً وكانا غَرَاماً[1]

وقوله عز وجل:﴿إنَّها سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾.

مستقرًّا ومُقاماً منصوبان على التمييز، المعنى أنها ساءت في المستقر والمقام.

وَقَوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾.

كل من أدْركه الليل فقد باتَ يَبِيتُ، نَامَ أَوْ لَمْ يَنَمْ، بَاتَ فلانٌ البَارِحَةَ قَلِقاً، إنما المبيتُ إدْراكُ اللَّيْل.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.

[يُقْتِرُوا] بضم الياء وكسر التاء، وبفتح الياء وضم التاء، ولم يُقَتِّرُوا ولا أعلم أحداً قرأ بها، أعني بتشديد التاء. والذي جاء في التفسير أن الاسراف النَّفَقَةُ في مَعْصِية اللَّه، وأنه لَا إسْرَافَ في الإنْفَاقِ فيما قَرَّبَ إلى اللَّه عزوجل، وكل ما أنفق في مَعْصِيَةِ اللَّه فإسْرافٌ، لأن الإسراف مجاوزة الحدّ

(١) هو الطرماح بن حكيم الخارجي. وروايته في اللسان (حجر) كانوا عذاباً وكانوا غراماً، وهو أيضاً في (غرم) وفي الطبري ١٩/ ٢١ - وانظر ترجمة الطرماح في الأغاني ١٢ ص ٣٥ وما بعدها.

والقَصْدِ. وجاء في التفسير أَيْضاً أن الاسراف ما يقول الناسُ فيه فلانٌ مُسْرِفٌ. والحق في هـذا ما ادَّب اللَّه عـز وجل بـه نبيَّهُ ﷺ فقال: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَـدَكَ إلى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[١].

وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾.

«يلق» جزم على الجزاء، وتأويل الأثام تأويـلُ المُجَازَاةِ على الشَّيْءِ. قـال أبو عمرو الشيباني: يقال قد لَقِيَ إثامَ ذلـك أي جـزاء ذلك، وسيبويـه والخليل يذهبان إلى أن معناه يلقى جزاء الإثام، قال سيبـويه جُـزِمَتْ. ﴿يُضَـاعَـفُ لـه العذابُ﴾، لأن مضاعفة العذاب لُقِيّ الإثام[٢] كما قال الشاعر[٣]:

متى تـأتنـا تلمم بنا فـي ديـارنَـا تجـد حـطبـاً جـزلاً ونـاراً تـوقـدا

لأن الإتيـان هو الإلمـام، فجـزم تلْمم لأنـه بمعنى تـأتي، وقـرأ الحَسَنُ وَحْدَهُ «يُضَعَّفْ» له لعذاب، وهو جيّـدٌ بالـغٌ، تقول ضـاعفت الشيء وَضَعَّفْتُه، وقرأ عَاصِمٌ: يضاعفُ له العذاب بالـرفع. على تـأويل تفسيـر يلق أَثَامـاً، كأن قائلاً قال مَا لُقِيُّ الإثَام، فقيل يضاعف للإثم العَذَبُ.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

ليس أن السَّيِّئَـةَ بعينها تصيـر حَسَنـةً، ولكن التـأويـل أن السَّيِّئَـة تمحى بـالتَّوْبَـةِ وتكتب الحسنة مـع التوبـة، والكافِـرُ يُحْبِطُ اللَّه عَمَلَه ويثبت اللَّه عليه السَّيِّئَات.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

---

(١) سورة الاسراء/٢٨.

(٢) يريد أن يضاعف له العذاب بدل من يلق أثاما.

(٣) الشاهد فية وقوع تلمم بدلاً من تأتنا، والشطر الأول ورد في أشعار أخرى كثيرة ولم أقف على قائل البيت.

قيل الزُّور الشِّركُ باللَّه، وجاء أَيْضاً أَنَّهُمْ لاَ يَشْهَدُونَ أَعْيَادَ النَّصارَى. والذي جاء في الزور أَنَّه الشِّركُ باللَّه، فأما النهي عن شهادة الزُّور في كِتَاب اللَّه فقوله: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كُلُّ أولئك كان عنه مَسْئُولاً﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾.

تأويله أعرضوا عنه، كَما قال اللَّه عز وجل: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عنه، وتأويل «مروا باللَّغْوِ» مَرُّوا بجميع ما ينبغي أَن يُلْغَى، ومعنى «يُلْغَى» يطرح.

وجاء في التفسير أَنَّهُمْ إذا أرادوا ذكر النِّكَاح كَنَوْا عَنْهُ، وقال بعضُهُم: [هو] ذكر الرفث، والمعنى واحد. وجاء أيضاً أنهم لا يجالسون أَهْلَ اللَّغْوِ وهم أَهْلُ المعاصي، ولا يمالئونَهُمْ عَلَيْها، أَيْ يُعَاوِنُونَهُمْ عليها، وجاء أيضاً في ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ مَجَالِسَ الغِنَاءِ.

وقوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً﴾.

تأويله: إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا، سَامِعِينَ مُبْصِرِينَ لما أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ. ودليل ذَلك قوله: ﴿وَمِمَّن هَدينا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَاتُ الرَّحْمَنِ خروا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾(٢)، ومثل هذا من الشعر قوله(٣):

بِأَيْدي رِجَال لم يشيموا سُيُوفَهُمْ ... ولم يكثروا القتلى بها حين سُلَّتِ

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٢) سورة مريم الآية ٥٨.

(٣) أنظر الكامل ١٨١/١ (تجارية) وابن يعيش، وشواهد المغني ٢٩٣ واللسان (خرر).
لم يشيموا لم يغمدوا، والواو في ولم يكثروا للحال، أي لا يغمدون سيوفهم والحال أن القتلى لم تكثر، أي لا يغمدونها إلا وقد كثرت القتلى أو لا يغمدونها دون أن تكثر، والبيت للفرزدق.

تأويله: بأيدي رِجَال شَامُوا سُيُوفَهُمْ وقد كثرت القَتْلَى، ومعنى يشيموا سُيُوفَهُمْ يَغْمِدوا سُيُوفَهُمْ، فالتأويل: والَّذِينَ إذَا ذُكِّرُوا بآيات رَبِّهِمْ خرُّوا سَاجِدِينَ مُطِيعِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾.

ويقرأ ﴿وذُرِّيَاتِنَا﴾ سألوا أن يُلْحقَ اللَّهُ بهم ذُرِّيَتَهُمْ في الجنَّةِ، وأن يَجعَلَ أَهلَهُمْ تقرُّ بِهِمْ أَعْيُنَهُمْ.

﴿واجْعَلْنَا لِلْمتَّقِينَ إمَاماً ﴾.

أي واجْعلنا ممن يَهتَدِي به المتَّقُون، ويَهْتَدِي بِالمتَّقِينَ.

وقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكم ﴾.

أي لولا توحيدكم إياهُ. وجاء في التَّفسير ما يعبأ بكم مَا يَفْعَل بِكُمْ وتأويل ما يعبأ بكم أي: أَيُّ وَزْنٍ يكون لكم عنده، كما تقول: ما عبأتُ بفلانٍ أي ما كان له عندي وزْنٌ ولا قَدْرٌ. وأصل العِبْء في اللّغَةِ الثِّقْلُ، ومن ذلك عَبأتُ المتاعَ جَعَلتُ بعضَه على بعض.

وقوله: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُم فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾.

جاء في التفسير عن الجماعة أَنَّه يُعْنَى به يومُ بَدْرٍ، وجاء أنه لُوزِمَ بين القَتْلَى لزاماً، وقُرِئَتْ لَزَاماً، وتأويله ـ واللَّه أعلم ـ فسوف يكون تَكْذِيبكُمْ لزاماً، يلزمكم فلا تعطون التَّوْبَةُ وتلزمكم العُقُوبَةُ، فيدخل في هذا يوم بدْرٍ، وغيرُه مما يَلْزَمُهم من العذاب.

وقال أبو عبيدة: لزاماً فَيْصَلاً، وهو قريب مِمَّا قُلْنَا، إلَّا أن القول أشرَحُ. وأنشد أبو عبيدة لصَخْرٍ أخي الهُذَلِي[١].

---

(١) البيت لصخر الغي من قصيدة يرثي بها ابناً له يسمى تليداً. والضمير في «ينجوا» لحمارين =

فـإمـا يَـنْجُـوَا مـن حَـتْـفِ أَرْضٍ فقـد لَقِيَـا حتـوفـهـمـا لـزامـاً

وتأويل هذا أن الحتفَ إذا كان مَقَدَّراً فهو لازم، وإن نجا من حَتْفِ مكان لحِقَـهُ في مَكَانٍ آخر لاَزِماً لـه لزامـاً، ومَنْ قرأ لَـزاماً [بفتـح اللام] فهـو على مَصْدَر لَزِمَ لَزاماً.

= وحشيين، يقول انهما لن ينجوا من الموت وإن سلما من شر مهلكة مرة فإن هذا لا يـردّ الموت عنهمـا بعد ذلـك ـ والذي في ديـوان الهـزليين ٦٥ جـ ٢ من خـوف أرض، ويـروى من حـوف بالحاء المهملة والحوف الجور، والمعنى واحد. والبيت أيضاً في الطبري ٣٣/١٩، والقـرطبي ٨٦/١٣ واللسان (لزم)

سُورة الشُّعَرَاءِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿طسم﴾ .

قُـرِئَتْ بإدغـام النـون في الميم ووصل بعض الحـروف ببعض، وقُـرِئَتْ طَسِينْ مِيمِ بتبيين النُّونِ، والوقف على النُّونِ، ويجوز ـ ولا أعلم أَحَداً، قرأه ـ طَسِيماً ـ على أن يُجْعَلَ طسم اسما للسُّورَةِ بمنـزلة قـوله: خَمْسَـةَ عَشَرَ، ولا تجوز القراءة به .

وقوله عز وجل: ﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ .

فيه وجهان أَحَـدُهُمَا على معنى أَنهم وُعِـدُوا بالقـرآن على لِسَانِ مُـوسَى فكـان المعنى هذه آيـات الكتاب الـذي وُعِدْتُم بـه على لسان مُـوسَى، وعلى معنى هـذه آيات الكتـاب المبين. وقد فَسَّـرنا ذلـك فِي أَوَّل سُـورةِ البَقَـرةِ في قوله :﴿الم ذلك الكتاب﴾ .

وقوله : ﴿ لَعَلَّك باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال أَبُو عبيـدةَ: معناه مُهْلِكٌ نفسـك، وقيل قـاتِلٌ نَفْسَـك، وهذا كقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ باخع نَفسَكَ على آثَارِهِمْ﴾ الآية[1] .

---

(١) ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أسفا﴾ . سورة الكهف الآية ٦ .

وموضع أن النصبُ مفعول لـه، المعنى فلعلك قاتل نفسَكَ لتَركِهِم الايمانُ، فأعلمه اللّه سبحانه أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على ذلك الا أنه ـ عز وجل ـ تعبَّدهم بما يستوجبون به الثَّوابَ مع الإيمان، وأنزل لهم مِنَ الآياتِ ما يتبيَّنُ به لمن قَصْدُه إلى الحقّ[1] فأما لو انْـزَل على كل من عَنَدَ عَنِ الحقِّ عذاب في وَقْتِ عُنُودِهِ لَخَضَعَ مضْطَرّاً، وآمن إيمان من لا يَجِدُ مَذهبا عن الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لها خَاضِعِينَ ﴾.

معناه فتظَلُّ أَعْنَاقُهُمْ، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستَقْبَلِ تقول: إنْ تَأتِني أَكْرَمتُكَ، معناه أكْرِمْك، وأن أتيتني وأحْسَنْتَ معناه وتُحسنُ وَتُجْمِلُ.

وَقال ﴿خَاضِعِينَ﴾ وذكر الأعناق لأن معنى خُضوع الأعْنَاقِ هُوَ خضوعُ أصحاب الاعناق. لَمَّا لم يكن الخُضُوعُ إلاَّ لِخُضُوعِ الأعْنَاقِ جاز أن يُعَبِّر عن المضافِ إليه كما قال الشاعر:[2]

رأت مَرَّ السنينَ أَخَذْنَ مِنّي ... كما أَخَذَ السِّرارُ من الهِلَالِ

لَمَّا كانت السِّنُونَ لا تكون الا بِمَرّ[3] أخبر عن السّنينَ وإن كان أضاف اليها المُرُورُ، وَمِثْلُ ذلك أَيْضاً قول الشاعر:[4]

---

(١) أي أن الاجبار على الايمان لا يستتبع ثواباً، وإنما يثاب من يؤمن بالتأمل ويهتدي بالاقتناع والارادة.

(٢) هو جرير، والبيت من شواهد النحو وهو في ديوانه ٤٢٦ والطبري ٢٣/٤ بُولاق ومن الابيات الشائعة في كتب النحو، والسرار اختفاء الهلال آخر الشهر وأخذ السرار منه، يعني نحوله كلما دنا لآخر الشهر. والشاهد أنه أعاد الضمير على «السنين» المضاف إليه.

(٣) انما تحدث السنون بمرور الأيام.

(٤) تقدم جـ ٣٦٢/١.

مشين كما اهتزت رياح تَسَفَّهتْ　　أعاليها مَرُّ الرياح النَّواسِمِ

كأنه قال تسفهتها الرياح، لما كانت الرياح لا تكون إلا بالمرور، وجاء في التفسير «أَعْنَاقُهم» يُعنى به كبراؤهم ورؤساؤهم، وجاء في اللُّغَةِ أَعْنَاقُهُمْ جَمَاعَاتهم، يقال: جاء لي عُنقٌ من الناس أَيْ جَمَاعَةٌ وذكر بَعْضُهُمْ وجهاً آخَر، قالوا: فظلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ هُمْ، وأضمَرُهم، وَأَنْشَدَ[1]

ترى أربَاقَهُمُ مُتَقلِدِيهَا　　إذَا صَدِئَ الحديدُ عَلَى الحُماةِ

وهذا لا يجوز في القرآن، وهو على بَدلِ الغَلَطِ يجوز في الشِّعْرِ، كأنه قال: يرى أرباقهم يرى متقلِّديها، كأنه قال: يرى قوماً متقلدين أَرِبَاقَهُم فلو كان على حذف هم لكان مما يجوز في الشعر أيضاً[2].

وقوله عز وجل: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

انباء أخبار المعنى فَسَيعلمون نبأ ذلك في القِيامَةِ، وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يَومَ بَدْرٍ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

معنى زوج نوع، ومعنى كريم محمود فيما يحتاج إليه، كمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انباته وإنشائه إلاَّ ربُّ العَالَمِين. ثم قال:

﴿إنَّ في في ذلك لآية﴾.

---

(١) للفرزدق. وهو في ديوانه ١٣١ ومجاز أبي عبيدة ٢/٨٤ ـ وذكر أبو عبيدة أن يونس حكى هذا الرأي عن أبي عَمْرٍو. وعزا الفراء في معانيه ٢٧٧ جـ ٢ مثل هذا للكسائي. والأرباق جمع ربق ـ وهو حبل به عرى تشد به صغار الشاء كيلا ترضع أمها. ويرى الكماه بدل الحماة، والكماة جمع كمي وهو شاكي السلاح ـ والحماة الذين يحمون الحديد. وتقدير الكلام متقلديها هم.

(٢) ظاهر البيت أنه ـ ترى أرباقهم حاله كونهم متقلديها ـ فرّق الفراء بين التعبيرين وقال لو كانت الآية: فظلت أعناقهم خاضيعها لصلح هذا أن يكون شاهداً.

دليلًا على أن اللّه ـ عز وجل ـ واحد وان المخلوقات آياتٌ تـدُلُ عَلَى أن الخالق واحدٌ ليس كمثله شيء.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

معناه وما كان أكثرهم يؤمن، أي علم اللّه أَنَّ أَكثرهم لا يؤمِنُونَ أَبداً كما قال: ﴿ولاَ أَنْتُمْ عَابِـدُونَ مَا أَعْبُـدُ﴾[1] أي لستم تعبدون مـا أُعبُدُ الآن ﴿ ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ﴾[1] فِيمَا يُسْتَقْبل، وكقوله في قصة نُوح عليه السلام: ﴿أَنَّه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[2]، فأعلمه أن اكثرهم لَا يُؤمِنُونَ.

وقوله: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أن ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

موضع إِذْ نصبٌ، على معنى . . وَاتْلُ هذه القصَّـةَ فيما تَتْلُو، ودليـل ذلك قوله عطفاً على هذه القصة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نبأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقوله: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾.

بـالنَّصْبِ والـرَّفْـع[3]، فمن رفـع فعـطفٌ على أَخَـاف، على معنى إني أخـاف. ويضيقُ صدري، وَمَن نَصَـبَ فعـطفٌ على أن يكـذِّبُـونِ، وأن يضيق صدري وأن لا ينطلق لساني. والرفع أكثر في القراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هـٰرونَ﴾.

أي ليعينني ويُؤازِرَني على أمـري، وَحُـذِفَ لأنَّ فـي الكـلام دليـلًا عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فأخاف ان يَقْتُلُونِ ﴾.

---

(١) سورة الكافرون آية ٣، ٥.

(٢) سورة هود ٣٦.

(٣) في يضيق.

يعني بـالذنب الـرَّجُل الـذي وَكَزَهُ فقضى عليـه، إني أخـاف أن يقتلوني بقتلي إياهُ.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾.

كلَّا ردع وزجر عن الاقامة على هَذَا الظَّنِّ، كـأنه قـال: ارْتَدِعْ عن هـذا الظَّنِّ وَثِقْ بالله.

وقوله عز وجل: ﴿فقولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معنـاه إنا رِسَـالَـةُ رَبِّ العـالمين، أي ذوو رسـالـة رب العـالمين، قـال الشاعِرُ[1]:

لقد كذب الـواشون مـا فهت عِندهم بسـوء ولا أُرْسَـلْتهـم بِـرَسُـولِ

وقوله سُبْحَانَه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

موضع «أَن» نَصْبٌ، المعنى أَرْسِلْنا لترسل - أي - لأنْ تُرْسِلَ معنا بني إسرائيل.

﴿قال أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾.

أي مولوداً حين وُلِدْتَ.

﴿ولَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

ويجوز من عُمْرِكَ بإسكان الميم، ويجوز من عَمرِكَ بفتح العَيْنَ، يقال:

---

(١) هو كثير عزة، وجاء البيت في شواهد المغني: ما بحت عندهم بليلى، وقد كنى كثير عن عزة بـاسم ليلى في مطلع القصيـدة: ألَا حيا ليلى أَجَدَّ رحيلي ويروى آآن رحيلي - وهي من جيـاد قصائد كثير وفيها كثير من الابيات السائرة مثل:

أريد لأنسى ذكرها فكـأنمـا تـمثل لـي ليلى بكل سبيل

ويقال انه سرقه من جميل، والبيت في الديوان ٢/٢٤٣، القرطبي ١٣/٢٩٣ والطبري (بـولاق) ١٩/٢٣٧ واللسان (رسل) ومجاز أبي عبيدة ٢/١٩٨. ومعناه ما أرسلت إليهم رسالة.

هو العُمْر والعُمُرُ والعَمْر في عُمْر الإنْسانِ، فأما في القَسَمِ فلا يجوز إلا «لَعَمْـرُ اللَّهِ» لا غيـر ـ بفتح العين. ذكـر سيبويـه والخليل وجميـع البصريين ان القسَمَ مفتوح لا غَيْرُ.

فاعْتَدَّ[١] فرعون على موسى بأنه ربَّاه وَليداً منذ وُلِدَ إلى أَنْ كَبِرَ.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ﴾.

وقرأ الشعبي فِعْلَتَكَ ـ بكسر الفاء ـ والفتح أجود وأكثره لأنه يـريد قتلت النفس قَتْلَتَـكَ على مـذهب المـرّةِ الـواحـدة، وقـرأ الشعبي على معنى وقتلت القِتْلَةَ التي عرفتها، لأنه قتله بوكـزة، يقال: جَلَسْتُ جَلْسَـةً تُرِيـدُ مَرّةً واحـدةً، وجَلَسْتُ جِلْسَةً ـ بالكسر تريد هيئة الجلوس.

﴿وأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فيه وجهان أحدهما من الكافرين لنعمتِـي، والآخر وأنت من الكافرين بقتلك الذي قتلت، فنفى موسى ﷺ الكفر واعترف بأن فعله ذلك جهلٌ فقال:

﴿فَعَلْتُها إذَنْ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

أي من الجاهِلِينَ، وقد قرئت وأنا من الجاهلين.

وقوله عز وجل: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾.

يعني التوراة التي فيها حكم اللّه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمنُّها عَلَيَّ أن عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائِيلَ﴾.

أخرجه المفسرون على جهة الانكار أنْ تكون تلك نِعْمةٌ، كأنَّه قال فـأية نعمة لك عليَّ في أَنْ عَبَّدْتَ بني إسرائيـل، واللفظ لفظ خبر، والمعنى يخـرج

(١) عدّ من نعمه عليه أنه رباه صغيراً.

(٢) الحكم بمعنى الحكمة.

على ما قالوا على أن لفظه لفظ الخبر وفيه تبكيتٌ للمخاطب كأنه قال له: هذه نعمة أَن اتخذت بني إسرائيل عبيداً على جهة التبكيت لِفِرْعَوْنَ[1]، واللفظ يوجب ان موسى ﷺ قال: هذه نِعْمَةٌ لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً ولم تتخذني عَبْداً. ويقال: عَبَّدْتُ الرَّجُلَ، وَأَعْبَدْتُه، اتخذته عَبْداً. وموضع أن رفع على البَدَلِ من نعمةٍ، كأنه قال: وتلك نِعمةٌ تَعَبُّدُكَ بني إسرائيل وتركك إياي غير عَبْدٍ. ويَجُوزُ أن يكون «أَنْ» في موضع نَصْبٍ، المعنى إنما صارت نِعْمَةً عليَّ لأن عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائيل. أي لو لم تفعل ما فعَلْتَ لكفلني أهلي ولم يَلْقُونِي في اليم، فإنما صارت نِعْمَةً بما فَعَلْتَ من البلاء.

وقال الشاعر في أَعْبَدْتُ اتخذتُ عَبْداً:[2]

عَلَامَ يُعْبِدُ ني قَوْمي وقد كثرت ... فيهم أَبَاعِرُ ما شاءوا وَعِبْدانُ

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِين﴾.

فأجابه موسى ﷺ بما هو دليل على اللّه ـ جل وعزّ ـ بما خلق مما يعجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله فقال:

﴿رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.

فتحيَّر فرعونُ ولم يَرْدُدْ جَوَاباً يَنْقُضُ به هذا القول، فقال لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾.

فزاده موسى في البيان فقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُم الأَوَّلِين﴾.

---

(١) خرجه ابن هشام في المغني على حذف همزة الاستفهام، أراد أَوَ تلك نعمة؟.

(٢) البيت للفرزدق. انظر معاني الفراء ٢/ ٢٧٩، ومشاهد الانصاف ١٣١ واللسان (عبد) جاء البيت مرتين نسبه في الثانية للفرزدق ـ ورواه في الأولى حتام يعبدني قومي. وجاء في الطبري ١٩/ ٦٩ ـ (ط الحلبي) بدون نسبة.

فلم يجبه أيضاً، فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

فقال موسى زيادة في الابانة:

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فلم يجبه في هذه الأشياء بنقض لحجته.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

فزاده في البيان واحتجّ بما شاهده هو والملأ من حوله:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾.

والثعبان الكبير من الحيات، فإنْ قال قائل: فكيف جاء، فإذا هِي ثعبان مبينٌ، وفي موضعٍ آخرَ ﴿تَهْتَزُّ كأنها جانٌّ﴾، والجانُّ الصغيرُ من الحيّاتِ، فالجواب في هذا مما يَدُلُّ على عِظم الآية، وذلك أن خَلْقَها خلقُ الثعبان واهتزازُها وحركتها وخفتُها كاهتزاز الجَانِّ وخِفَّتِه[1].

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

نَزَعَ يده من جيبه فأخرجها بيضاءَ بَيَاضاً نُوريًا، مِنْ غَيْرِ سوء، أي من غير بَرَصٍ، فلم يكن عنده دفع لما شَاهَدَهُ إلاّ أن قال: إن هذا سحر فَقَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

فجعل الآية المعجِزَة سحراً، ثم استكانَ وخضع للذين هم من أتباعه فقال:

---

(١) وصفُ العصا بأنها جَانٌّ كان عند ما كلم الله موسى بجانب الطور، فهي هناك ثعبان صغير، وأمام فرعون وقومه حية تسعى.

﴿يُـرِيدُ أَنْ يُخْـرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمـاذَا تَأْمُـرونَ. قَـالُـوا أَرْجِـهْ وَأَخَاهُ﴾.

بكسر الهاء وضمِّها، وبالياء والواو[١] أرْجِهي وأَرْجِهُو وأَخَاه.

﴿وابْعَثْ فِي المَدائِن حَاشِرِينَ﴾.

فمعنى «أَرْجِــهُ» أَخِّــرْهُ، وجـاء في التفسيـر احْبِسْـهُ وأخـاه، والمعنـى واحِدٌ وتأويله أَخِّره عن وقتك هـذا وأَخِّرْ اسْتِتْمـامَ مُنَاظَـرتِه إلى أن يجتمـع لك السَّحَرةُ.

وقوله: ﴿فجُمِعَ السَّحرةُ لِميقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

فغنيّ عن أن يقول فبعث فجمع السَّحرة[٢].

وقوله: ﴿قالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إذَنْ لَمِنَ المقرَّبِينَ﴾.

أي لكم مـع أجْـرَتِكم وجـزائكم على غلبتِكُمْ مـوسى إن غلبتمــوه مـع الفـائدة، القـربى والزُّلْفَى عنـدي، ويقرأ أئن لنـا لأجراً على جهـة الاستفهام، ويجوز إن لنا لأجراً ـ على غير الاستفهام. وعلى جهة الثِّقَةِ مِنْهُمْ به، قَـالُوا إنَّ لَنَا لأَجْرَاً.

أي إنَّك مِمَّن يَحْبُونا وَيُجَازِينَا.

﴿فَأَلْقَوْا حِبَـالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وقالـوا بِعِزَّةِ فِـرْعَوْنَ إنَّـا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ. فَـأَلْقى مُوسَى عَصَاهُ فَإذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

أي ممـا جَمَعُوا من كيـدهم وعِصِيِّهِمْ. ورُوِيَ عَنْهُمْ أَنهم[٣] كـانـوا اثني

(١) قراءة حفص أرجهْ بسكون الهاء.
(٢) استغنى الكلام عن ذلك.
(٣) في الأصل أنه.

عشر ألف ساحر، فنُصِرَ موسى عليه السلام أكثرَ ما كانَ السِّحرُ وأَغْلَبُه على أَهْل ذلك الدَّهر، وكانت آيتُهُ آيةً باهرةً من جهتين، إحداهما أنه أتى بما يعجِزُ عنه المخلوقون، والثانية أن السحرة، وعَدَدُهم هذا العَدَدُ أُلْقُوا سَاجِدينَ.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾.

فَسَلَّمُوا الأمْر للَّهِ وتبيَّنَ لهم ما لا يُدْفَعُ. وكذلك بعث النبي ﷺ أشعرَ ما كانت العرب وأخطب ما كانت وأبلغِ ما كانت[1] فدعاهم الى الايمان باللَّه مع الآيات التي أتى بها النبي ﷺ وبالقران الذي دعاهم إلى أن يأتوا بسورَة مِثله فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله.

ويروى أيضاً انّ السَّحَرَةَ كانوا تسعَة عَشَرَ ألْفاً.

وقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

اللام دخلت على سوف بمعنى التوكيد، ولم يُجِزِ الكوفيون: إنَّ زيد لَسَوفَ يَقوم، وقد جاء دخول اللام على سوف، وذلك أن اللام مُؤَكِدَةً.

وقوله عز وجل: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾.

وروي في التفسير أن أول من قطَّع وصَلَّب فرعونُ.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) اي والعرب أبلغ وأخطب ما كانوا ـ لم يكونوا في وقت من الأوقات أبرع في القول مما كانوا في هذا الوقت.

بفتح «أن» أي لأَنْ كنا أوّل المؤمنين، وزعم الفراء أنهم كانوا أوّل مُؤمِني أهل دَهْرِهِمْ، وَلاَ أحسبه عرف الرواية فِي التفسير لأَنه جاء في التفسير أن الذين كَانُوا مَعَ موسَى عليه السلام ستمائة ألف؛ وقيل ستمائة ألف وسبعون ألفاً، وإنما معنى ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ المؤْمِنين﴾. أي أول من آمن في هذه الحال عند ظهور آية موسى حين ألقوا حبالهم وعصيَّهم واجتهدوا في سِحْرِهم، ويقال: لا ضير ولا ضَوْرَ، في معنى لا ضرَّ ولا ضَرَرَ.

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾، يقال: أسرى يُسْري إذا سار لَيْلاً، وَسَرَى يَسْرى، قيل هو في معنى أَسْرَى يُسْري أيضاً.

وقوله:﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ في المَدائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

أي أرسل من جمع له الجيش، معناه فجمع جمعَه، فقال:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

والشرذمة في كلام العرب القليل، يُروى أن هؤلاء الذين سَمَّاهُمْ شرذمةً كانوا ستَّمائةِ أَلْفٍ وسَبْعينَ ألفا، وكانت مقدمَةُ فرعون سبعمائة ألف كلُّ رَجُلٍ منهم على حِصَانٍ، وعلى رأسه بيضة، فاستقل من مع موسى عليه السلام[1] عند كثرة جمعه، وقال «قليلون» فَجمعَ «قَلِيلًا» كما يقال: هؤلاء واحدون فيجمع الواحد، كما قال الكميتُ:

فقد رَجَعُوا كحيٍّ واحِدِينا[2]

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾.

---

(١) اعتبر فرعونُ قوم موسى عدداً قليلاً.

(٢) صدر البيت: فضم قواصي الأحياء منهم.
اللسان (وحد).

يقال قد غاظني فلانٌ، ومن قال أغاظني فقد لَحَن.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ ﴾.

ويقرأ حَاذِرُون، وجاء في التفسير أن معنى حَاذِرُون، مُؤْدُونَ أي ذَوُو أداة، أي ذَوُو سِلَاحٍ والسلاح اداة الحرب، فالحاذر المستعدُّ، والحذِرُ المتيقِّظُ.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾.

أي في وقت شروق الشَمس، يقال أشرقنا اي دَخَلْنَا في وقْتِ طلوع الشمس، ويقال شرقت الشَّمْسُ إذا طلعت، وأشرَقَتْ إذا أضاءت وصَفَتْ، وأشرقنا نحن دخلنا في الشروق.

وقوله: ﴿ فلما تراءى الجمعانِ ﴾ أي لمَّا واقف جمعُ موسى جمعَ فرعونَ وكان أصحاب موسى قد خَرجُوا ليلاً، فقال أصحابُ مُوسى: ﴿ إنّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي سيُدْرِكُنَا جمعُ فرعَوْنَ هذا الكثيرُ، وَلَا طاقة لَنا بِهِمْ.

﴿قَالَ كَلَّا إنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

أي قال موسى كلا أي ارتدعوا وازدجروا فليس يدركوننا.

وقوله عز وجل: ﴿ فأَوْحَيْنَا إلَى مُوسَى أن اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلُّ فِرْقٍ ﴾.

أي كُلُّ جزءٍ تَفَرّقَ مِنْهُ.

﴿كالطَّوْدِ العَظِيم﴾.

أي كالجبل العظَيم.

وقوله: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾.

أي قَرَّبْنَا ثَمَّ الآخرين مِنَ الغَرقِ، وهم أصحاب فرعون ـ وقال أبو عبيدة: أَزْلَفْنَا جمعنا ثَمَّ الآخرين، قال ومن ذلك سميت مُزْدَلفة جمعاً، وكلا القولين حسنٌ جميل، لأن جمعهم تقريب بَعْضِهِم من بَعْضٍ وأصل الزُّلْفَى في كلام العرب القُرْبَى.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناهُ خَبَرَ إبْراهيم.

وقوله: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾.

معناه مقيمين على عِبَادَتِها.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾.

إن شئت بَيَّنْتَ الذال، وإنْ شِئْتَ أَدْغَمْتَها في التاء فجعلتها تَاء فقلت «إتَّدْعُونَ»، وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء، ويجوز إذَّدُعونَ، ولم يُقرأ بها كما قال مُدَّكِر، وأصله مُذْتَكِرْ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال النحويون: إنَّهُ اسْتِثناء ليس من الأول، أي لكن ربُّ العالمين، ويجوز أن يكونوا عبدوا مع اللَّه الأصنام وغيرها، فقال لهم: إن جميع من عَبَدْتُمْ عَدُوٌّ لي إلاَّ ربَّ العَالَمِين لأنهم سوَّوْا آلهتهم باللَّه فأَعْلَمَهُمْ أنه قد تبرأ مما يَعْبُدونَ إلاَّ اللَّهَ فإنه لم يَتَبرَّأ من عبادته.

وقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

جاء في التفسير أن خطيئته قوله: إن سَارَّةَ أُخْتي، وقوله بل فعله كبيرهم هذا فَاسْأَلُوهُمْ.

وقوله: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾.

وقد بيَّنَّا معنى قوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾.

ومعنى خطيئتي أن الانبياء بَشَرٌ، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة الا أنهم صلوات اللَّه عليهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم مَعْصُومون مُخْتَارُون على العالمين كل نبي هو أفضل من عالم أهل دَهْرِه كُلِّهِمْ.

قوله: ﴿واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾.

معناه اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر.

وقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

معناه قُرِّبَتْ، وتأويله أنه قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها.

قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾.

أي أُظْهرت لِلضَّالِّينَ، والغَاوِي الضَّال.

وقوله: ﴿فكُبْكِبُوا فِيهَا﴾.

أي في الجحيم، ومعنى كُبْكِبُوا طُرِحَ بعضُهم على بعْضٍ، وقال أهل اللُّغَةِ معناه هُوِّرُوا[١]، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا أُلْقِيَ يَنْكَبُّ مَرَّةً بعد مرَّةٍ حتى يسْتَقِرَّ فيها يَسْتَجِيرُ باللَّهِ منها.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ إنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه واللَّه ما كنَّا إلاَّ في ضلالٍ مبين حيث سويناكم باللَّه - عز وجل - فأعظمناكم وعبدناكم كما يُعْبَدُ اللَّهُ[٢].

---

(١) هوَّرَ الرجل - كعلّم - صرعه، وهور البناء هدمه.

(٢) لا وجه للقصر في هذا التعبير، وإن هي المخففة أي إنه الحال والشأن لقد كنا في ضلال.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

دَخَلَتْ التاء وقوم نوح مُذَكَّرونَ، لأن المعنى كذبت جماعَةُ قَوْمُ نوح، وقال المرسلين، ويجوز أَنْ يَكُونُوا كذَّبُوا نوحاً وحْدَهُ، ومن كذب رَسُولاً واحِداً من رسل اللّه فقد كذَّب الجماعة وخالفها، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وجائز أن يكونَ كذبَتْ جميع الرُّسُلِ.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقيل أَخوهم لأنه منهم، وكلِ رسول يأتي بلسان قَوْمِه ليوضح لهم الحجَّةَ ويكون أَبْينَ لهم.

وقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

ويقرأ وأتْباعُكَ الأرْذلون، وهي في العربية جَيِّدةٌ قَويَّةٌ لأنّ واو الحال تصحبُ الاسماءَ أكثَر في العربية، لأنك تقول: جئتُكَ وَأَصْحَابُكَ الزيدُونَ، ويجوز: وَصَحِبَكَ الزَّيْدُونَ، والأكثر جئتك وَقَدْ صَحِبَكَ الزيدون، وقيل في قوله: الأَرْذَلُون: نسبوهم الى الحياكةِ والحجامَةِ، والصناعات لا تَضُرُّ في باب الدِّيَانَاتِ[١].

وقوله: ﴿مِنَ الْمُرْجُومِينَ﴾: أي بالحجارة.

وقوله: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

واحدها فَلَك وجمعها فُلْك، وزعم سيبويه أنه بمنزلة - أَسَدٍ وَأُسْدٍ، وقياس فُعْلٍ قياس فَعَل، أَلا ترى أنك تقول قُفْل وأقفال وجمل وأجمال، وكذلك أَسَدٌ وأُسْدٍ وآسَادٍ، وفَلَك وفُلْك وأَفْلاَك في الجمع - والمشحون المملوء، يقال شحنته أي ملأتُه.

---

(١) الرذل كضخم، والرذال - كغراب - والرّذيل - الدون الخسيس أو الرديء من كل شيء.

وقوله عز وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾.

يقرأ رِيع ورَيْع ـ بكسر الراء وفتحها ـ وهو في اللغة الموضعُ المرتفع من الأرض ومن ذلك كَمْ رَيْعُ أَرْضِكَ، أي كم ارتفاع أَرْضِكَ، جاء في التفسير: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ كل فَجّ والفَجّ الطريق المُنْفَرِجُ في الجبل، وجاء أيضاً بِكل طريق، وقوله ﴿آية﴾: عَلاَمَةً.

وقوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

واحد المصانع مَصْنَعةٌ وَمَصْنَعٌ، وهي التي تتخذ للماء، وَقِيلَ مَبَانٍ ومعنى لعلكم تخلدونَ أي لِأَنْ تَخْلدوا، أَيْ وتتخذون مباني للخلودِ لا تتفكرون في الموتِ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

جاء في التفسير أَنَّ بطْشَهم كانَ بالسَّوطِ والسَّيْفِ، وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم، فأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيم﴾.

الهضيم: الداخل بعضه في بعض، وهو فيما قيل أنّ رُطبَهُ بغير نوًى، وقيل الهضيم الذي يَتَهشَّمُ تَهَشُّماً، والهضيم في اللغة الضامِرُ الداخل بعضه في بعضٍ ولا شيء في الطلع أبلغ من هذا.

وقوله: ﴿فَرِهِين﴾.

جاء في التَفسير أَشِرين وجاء في التفسير مَرِحِين، وقرئت ﴿فَارِهين﴾ ومعنى فَارِهين حاذقين. و «فرهين» منصوب على الحال.

وقوله: ﴿مِنَ المُسحَّرِينَ﴾.

أي مِمَّن لـه سَحْر، والسَّحْـرُ الـرئـةُ، أي إنمـا أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنـا، وجائز أن يكون من المسحرين من المفَعَّلِينَ من السِّحْر أي ممن قد سُحِرَ مرَّةً بعد مَرَّةً.

وقوله: ﴿ إنْ هَذَا إلاَّ خَلْقُ الأَوَّلِينَ ﴾.

ويقرأ ﴿خُلُق الأوَّلِينَ﴾، فمن قـرأ خُلُق الأوَّلِين بِضَمِّ الخَـاءِ فمعنـاه عادَةُ الأولين، ومن قرأ خَلْقُ بفتح الخاء، فمعنـاه اخْتِلاقُهُمْ وَكَـذِبُهُـمْ. وفي ﴿خَلْقُ الأولين﴾ وجه آخر، أي خُلِقْنَـا كما خُلِقَ من كـان قَبلَنَا، نحيـا كما حَيُوا، ونموتُ كما ماتوا وَلاَ نُبْعَثُ، لأَنَّهُمْ أنكروا البعث.

وقوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾.

معناه احكم بيني وبينهم حكماً، والقاضي يسمى الفَتَّاحُ مِن هذا.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ المُرْسَلِينَ﴾.

الأيكـةُ الشجر الملتَفُّ، ويقـال أيكةٌ وَأَيْـكٌ، مثـل أجَمَـةٌ، وأَجَمٌ والفصـل بين واحـده وجمعـه الهـاء. ويقـال في التفسيـر إن أصحـاب الأيكة هؤلاء كانوا أصحاب شجر مُلْتَفٍّ، ويقال إن شجرهم هو الدَّومُ، والـدَّوْمُ هو شجـر المُقْلِ، وأكثـر القـراء على إثبـات الألف والـلام في الأيكة، وكذلك يَقرأ أبو عمرو وأكثر القرّاءِ، وقرأ أهل المدينة أصحابُ لَيْكة مفتوحة الـلام[1]، فإذا وَقَفَ على أَصْحَـاب، قَالَ ليكَة المـرْسَلِين، وكذلك هي في هذه السُّورَةِ بغير ألف في المصحف، وكذلك أيضاً في سورة (ص) بغير ألف وفي سَائِر القـرآن بألف. ويجـوز وهو حسن جـدًّا: «كذَّبَ أصحاب آلأيكة المُرْسَلِينَ» بِغَيْـر ألف في الخطِّ على الكسر، على

(١) واعتبرت أيضاً ممنوعة من الصرف ففتح آخرها لأن «ال» تنوسِيَتْ.

أن الأصل الأيكة فَأُلْقِيَتِ الهَمْزَةُ فقيل لَيْكَةِ، والعرب تقول الاحمر جاءني، وتقول إذا أَلْقَتْ الهمزة لَحْمَرُ جاءَ في بفتح اللّام وإثبات ألف الوصل، ويقولون أيضاً: لاحْمر جاءني يُرِيدُون الأحمر، واثبات الألف واللام فيهما في سائر القرآن يدل على أنَّ حَذْفَ الهمزة منها التي هي ألف الوصل بمنزلة قولهم لَاحمر.

قال أَبُو إسْحَاق: أعني إنّ القَراءَةَ بِجرِّ لَيْكَةِ، وأنت تريد الأيكَةِ واللام، أجود من أَنْ تَجْعَلَها لَيْكة، وأنت لا تقدِّرُ الألفَ واللامَ وَتَفتَحُها لأنها لا تَنْصِرُفُ، لأنَّ لَيْكة لا تعرفُ وَإنما هي أيكةُ للواحِد وأيك للجمع، فأجود القراءة فيها الكسر، وإسقاط الهمزة لموافقة المصحف، وأهل المدينة يفتحون على ما جاء في التفسير أن اسم المدينة التي كانت للذين أرسل إليهم شُعَيبٌ عليه السلام «لَيْكَةُ». وكان أبو عُبَيْدْ القاسم بن سلام يختار قِراءةَ أَهْلِ المدينة والفَتْحَ، لأن لَيْكَة لا تنصرف، وذَكر أنه اختار ذلك لِمُوَافَقَتِها الكتاب مع مَا جَاءَ في التفسير، كأنها تسمى المدينة الايكة، وتسمَّى الغيضَةُ التي تَضَمُّ هذا الشَّجَرَ الأيكة. والكسر جَيِّدٌ[1] على ما وصفنا، ولا أعلَمُه إلَّا قد قرئَ بِهِ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾.

الظُّلَّةُ سحاب أَظَلَّتْهُم، فاجتمعوا تحتَها مستجيرين بها مما نالهم من حَرِّ ذلك اليوم ثُمَّ أَطْبقَتْ عَلَيْهِمْ فَكان من أعظم يوم في الدنيا عَذَاباً.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

---

(١) أي جر الأيكة لمراعاة تعريفها بالألف واللام.

ولو كان في غير القرآن لجاز عَظيماً، والجرُّ أَجْوَدُ كَمَا جَاءَ به القرآنُ .

وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾.

وقرأ ابن مَسْعُودٍ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ من أزواجكم، يعنى به الْفُرُوجُ، وعلى ذلك التفسير. وذلك أَنَّ قومَ لُوطٍ كانوا يَعْدِلُونَ في النساء عن الفروج إلى الأَدْبَارِ، فأعلم اللَّهُ عز وجَلَّ أَنَّهُمْ بفعلِهم هذا عَادُونَ .

وعادون ظالمونَ غاية الظُّلْمِ .

ويروى أنّ ابنَ عُمَرَ سئل عن التّحمِيضِ ، فقال: أَوَ يفْعَل ذلكَ المُسْلِمُون والتحميض فعل قوم لوط بالنّساء والرجال. ومن أجاز هذا في النساء فمخطئ خطأ عَظِيماً.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالين﴾ .

والقالي التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة .

وقوله: ﴿إلاَّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ﴾.

جاء في التفسير في الباقين في العذاب، والغابر في اللغة الباقي وأنشدوا للعجاج[1] .

فما ونى محمدٌ مُذْ أَنْ غَفَرْ　　لَهُ الإِلَهُ ما مَضَى وَمَا غَبَرْ

---

(١) الرجز للعجاج وهو في ديوانه ص ١٥ ـ والقرطبي ٢٤٦/٧ والطبري ١٩٨/١١، ١١٢/١٦ (بولاق) ـ وهو يمدح به عمر بن عبد اللّه بن معمر ـ ومحمد يعني به رسول اللّه ﷺ وهو يعني أنه ﷺ غفر اللّه له ما تقدم وما تأخر، ولم يقصر في عبادته.

وأنشدوا للعجَاجِ[1]:

لا تَكَسَعِ الشولَ بأغبارها إنَّك لا تَدْرِي مَن النَّاتِجُ

أغبارها ما بقي من اللبن في أخلاف الناقَةِ.

وقوله عز وجل:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

ويقرأ نَزَّل به الروحَ الأمِينَ، المعنى نزل اللَّه به الروحَ الأمينَ، والروح الأمين جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾.

مَعْنَاهُ نَزَل عَلَيك فوعاه قَلْبُكَ وَثَبَتَ فلا تنساهُ أَبداً ولا شيئاً منه، كما قال عز وجل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[2].

وقوله: ﴿ وإنَّهُ لَفِي زُبُر الأوَّلِينَ ﴾.

تأويله واللَّه أعلم أنَّ ذِكرَ مُحمَّدٍ عليه السلام وذكر القرآن في زُبُر الأولين، والزُّبُر الكُتُب، زَبُورٌ وَزُبُرٌ مثل قولك رَسُولٌ وَرُسُلٌ كما قال اللَّه عزَّوجل: ﴿يَجِدُونَه مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ﴾[3].

وقوله عزَّ وجل: ﴿والجِبِلَّةَ الأوَّلِين﴾.

---

(١) الشعر للحرث بن حلزة ـ والمضارع مجزوم بلا الناهية ـ وكسع الناقة أن يترك في ضرعها بقية من لبن ـ والعرب تقول: كسع الناقة بغيرها والغبر هو هذه البقية. والشَّوْل جمع شائلة وهي التي بلغت سبعاً، يقول لا تترك شيأً من لبن الناقة بل احلبها للضيف، فقد يستولي عليها عدوك فيبوء دونك بنفعها ـ فهو اذن ناتجها. وانظر اللسان (غبر ـ كسع ـ نتح). ومعاني الفراء ٢/٢٨٢، والقرطبي ١٣٣/٣، ونسبته للعجاج غير جيِّدة.

(٢) سورة الأعلى آية ٦.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٧.

عطف على الكاف والميم[١]. المعنَى اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم وخلق الجِبِلَّة الأوّلِينَ، ويقرأ والجُبُلَّةَ بضم الجيم والباء، ويجوز: والجِبْلَة الأولين والجُبلة الأوّلين. فأما الأوْلَيَانِ فالقراءة بهِمَا، وهاتان جائزتان.

قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ـ وكِسْفاً ـ يُقْرأ بهما جميعاً.

فمن قرأ كِسْفاً ـ بإسْكانِ السِّينِ ـ فمعناه جانباً، وَمَنْ قَرأ كِسَفاً فتأويله قِطَعاً من السماء جمع كِسْفَة وكِسَف، مثل كِسْرة وكِسَر.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيةً أَنْ يَعْلَمَهُ [عُلَمَاءُ بَنِي إسْرَائِيلَ]﴾.

إذا قلت يَكُنْ فالاختيار نصب ﴿آيةٍ﴾، ويكونُ ﴿أَنْ يَعْلَمَه﴾ اسم كان ويكون آيةً خبر كان، المعنى أو لم يكن عِلْمُ علماء بني إسرائيل أن النبي عليه السلام حق وأنَّ نبوَّتَه حقٌّ آيةً؟ أي علامة موضِّحةً، لأن العُلَمَاءَ الذين آمنوا من بني اسرائيل وجدوا ذكر النبي عليه السلام ﴿مكتوباً عِنْدَهُمْ في التوراة والإنجيل﴾ كما قال اللّه عز وجل[٢]. ومن قرأ أو لم تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ ـ بالتاء ـ جعل «آية» هي الاسم، و «أن يَعْلَمَه» خبر يكن، ويجوز أيضاً أو لم تَكُنْ لهم آيَةً بالتاء ونصب آية كما قال عز وجل: ﴿ثم لم تكن فِتْنَتهم إلا أَنْ قَالوا﴾[٣]، ومثله قول لبيد[٤]:

فمضى وقدمها وكانت عادةً منه إذا هي عَرَّدَت أقدامُهَا

---

(١) الآية: ﴿واتقوا الَّذِي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ﴾ فالجبلة عطف على الضمير المنصوب في خلقكم.

(٢) في الآية السابقة من سورة الأعراف ١٥٧.

(٣) سورة الأنعام /٢٣.

(٤) من معلقته يصف عَيْراً وأُتُناً تعدو نحو الماء، والفاعل في مضى العير والضمير في قدمها=

فنصب «عـادة» وقد أنّث «كَـانَتْ» وهي للأقـدام، لأن الاسم والخبر في كان لشيء وَاحِد وقد جَاوَرَ الفعلَ لفظ التأنيث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾.

﴿الأعجمين﴾ جمع أعجم، والأنثى عجمـاء، والأعجـم الـذي لا يفصـح، وكذلـك الأعجميُّ، فأمـا العَجَميُّ فـالـذي من جنس العَجَم، أَفْصَحَ أو لم يفصح.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾.

أي سلكنـا تَكـذِيبَهُم بـه في قُلُوبهم، جعـل اللّه ـ عـز وَجَـلَّ ـ مُجازَاتَهُمْ أَنْ طَبَعَ على قلوبهم وَسَلك فِيها الشّرك.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أخبر عز وجل أنه لما سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمان به.

وقوله عز وجل: ﴿فَيأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: معنى بغتة فجاءةً.

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ لها مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى﴾.

[ذكرى] يكون نَصْباً ويكون رَفْعاً إلاَّ أن الإعراب لا يظهر فيها لأن آخرها ألف مَقْصُـورَة، فمن نَصَبَ فعلى المصدَرِ ودَلَّ عَلَيْـه الإنذارُ لأن قوله: ﴿إلاَّ لها مُنْذِرُونَ﴾ معناه إلاَّ لها مُذَكِّرونَ ذكرى، ويجوز ان تكـون

= للأتان، أي مَضَى العَيْر نحو الماء وقدم أتّناه، وكانت عـادتُه أن يقـدّم الأتان إذَا تـراخت. وهو معنى عرّدت. والتأخير الجبن والتأخر، والاقدام مصدَر أَقْدَم بِمَعْنَى قَدَّم، وأنث الفعل لمـا ذكر المصنف أو لأن الاقدام بمعنى التقدمةِ ـ كما قال الآخر: غفـرنا وكـانت من سَجِيَّتِنا الغَفْـرُ، أي المغفرة. وإقدامها اسم كان وعادة هي الخبر ـ انظر شرح الزوزني. ص ١٠٤ ط صبيح.

في موضع رفع على معنى إنْذَارُنَا ذِكْرَى، على خَبَرِ الابْتِداء، ويجوز ذِكراًوما كنا ظالمين، مُنَوَّنٌ ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأنَّ بها إلَّا أنْ تثْبتَ بها رِوايةٌ صَحِيحَةٌ، يقال: ذَكَّرْتُه ذِكرَى بألف التأنيث وذكرته ذِكْراً وَتَذْكيراً وَتَذْكِرَةً وذَكْراً، وهو مِنِّي عَلَى ذُكْرٍ لَا غَيْرُ.

وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.

وقرأ الحسن الشَّيَاطُونَ، وهو غَلَطٌ عِنْدَ النحويين، ومخَالَفَةٌ عند القراء للمصحف. فليس يجوز في قراءة ولا عند النحويين، ولو كان يجوز في النَّحْو، والمصحفُ على خلافه لم تَجُزْ عندي القراءةُ به.

وقوله: ﴿إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾.

لمَّا رُمُوا بالنجوم مُنِعُوا من السَّمْعِ.

وقوله عز جل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ﴾.

يُرْوَى في التفسير أنَّه لما نزلت هذه الآية نادى النبي ﷺ: يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف يا عباسُ عَمَّ النبي يا صَفيَّةُ عَمَّةَرسول اللَّه، إني لا أملك لكم من اللَّه شيئاً، سَلُونِي من مَالِي ما شِئْتُم. ويروى أَيْضاً أنه لما نزلت هذه الآية صَعَدَ الصَّفَا، وَنَادَى الأقربَ فالأقْرِبَ فخذاً فَخذاً.

وقوله عز وجل: ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبعكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

تأويله: أَلِنْ جَنَاحَكَ، أُمِرَ النبي ﷺ بالإنَةِ الجانب مَعَ مَا وَصَفَهُ اللَّه به من لين الخلق وتعظيم خُلُقِه فِي اللِّينِ وجميل الأخلاقِ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ﷺ.

(١) سورة «ن» الآية ٤.

وقـولـه: ﴿الَّـذِي يَـرَاكَ حِينَ تَقُـومُ وَتَقَلُّبَـكَ في السَّـاجِـدِينَ﴾.

أي المصلين.

وقوله: ﴿هل أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾.

ثم أنبأ فقال: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

لأنـه عز وجـل قال: ﴿وإنـه لَتَنْزِيـلُ رَبِّ العَـالَمِينَ﴾ ثم قـال ﴿نَـزَلَ بـه الرُّوحُ الأمِينُ..﴾ و﴿ما تنزلت به الشَّيَاطِينُ﴾ كالمتَّصِـلِ بهذا، ثم أعلم أن الشياطين تَنَزَّلُ على كل أَفَّاكٍ أثيم، أي على كل كَذَّابٍ، لأنها كانت تأتي مُسَيْلِمَـةَ الكذَّابَ وَغيـرَهُ من الكَهَنَةِ فيلقـونَ إلَيْهِم وَيَزِيـدُونَ أولئكَ كَذِباً[1].

وقوله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾.

ويجـوز يَتْبَعُهُم ـ بالتشـديد والتخفيف ـ.والغـاوونَ الشَّيَـاطِين في التفسيـر، وقيل أيضـاً الغاوون من النـاس، فـإذا هجـا الشـاعِـرُ بمـا لا يجوز، هَوِيَ ذلك قَوْمٌ وأَحَبُّوه، وَهُمْ الغاوونَ، وكذلك إن مَدَح مَمْدوحاً بما ليس فيه أَحَبَّ ذَلِك قَومٌ وتابَعُوه فهم الغاوون.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

ليس يعنَى بِـهِ أَوْدِيَة الأرْض، إنمـا هو مثـل لقولهم وشعرهم، كما تقول في الكلام: أنا لك في وادٍ وَأَنْتَ لي في وادٍ، وليس يُريدُ أنك في وادٍ من الأرْضِ، إنما يريد أنا لَكَ في وادٍ مِنَ النفع كبيـرٍ وأنت لي في صِنْفٍ. والمعنى أنهم يَغْلُونَ في الـذَّمِّ والمَـدْحِ، وَيُكَـذِّبُـونَ. ويمـدَحُ [الشَّاعِرُ] الرجلَ بِمَا لَيْسَ فيه، وكذلك الذَّمُّ فَيسبُّونَ، فذلك قوله:

---

(١) تزيد الشياطين هؤلاء القوم كذباً.

﴿في كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

وهذا دليل على تكذيبهم في قَوْلِهِمْ. ثم استثنى - عز وجل - الشعراء الذين مَدَحُوا رسول اللّه ﷺ وَرَدُّوا هجاءَ مَنْ هجاه وهجا المسلمين فقال:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثيراً﴾.

أي لَمْ يَشْغَلْهم الشِّعْرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ولم يجعلوه هِمَّتَهُمْ، إنَّمَا نَاضَلُوا عن النبي ﷺ بِأَيْديهم وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَهَجَوْا من يستحق الهجاءَ وأحقُّ الخلقِ بالهجاء من كذَّب رسول اللّه ﷺ وهجاه، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كثيراً وانتصَرُوا مِنْ بَعْد مَا ظُلِمُوا﴾.

وجاء في التفسير أن الذين عُنُوا بـ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عبدُ اللّه بنُ رواحة الأنْصَارِي وكعبُ بن مَالِك وحسَّانُ بن ثابت الأنْصَارِي.

وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

يعني أنهم ينقلبون إلى نار جهنم يُخلَّدون فيها. و «أي» منصوبة بقوله يَنْقَلِبُونَ، لا بقوله وسَيَعْلَم، لأنّ «أيًّا» وَسَائِرَ الاستفهام لا يعمل فيها ما قَبْلَها[1].

---

(١) أي إن «أيَّ» مفعول مطلق - أي ينقلبون أي انقلاب.

سُورَةُ النَّمْلِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿طسٓ﴾.

قـال ابن عبـاس ﴿طسٓ﴾ اسم من أسمـاء اللّه [تعـالى] أقسم بـه، وقال قتادة إنه اسم من أَسْمَاءِ القُرآن.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

معنى ﴿تلك﴾ أنهم كانوا وعـدوا بالقـرآن في كُتُبِهِمْ، فقيل لهم هَـذِهِ «تلك الآيات» التي وُعِدْتُمْ بِها، وقد فسـرنا مـا في هذا في أوَّلِ سـورة البقرة و «كتاب» مخفوض على معنى تلك آيات القرآن أَيَاتُ كِتَابٍ مُبِينٍ، ويجـوز وكتَابٌ مُبِينٌ، ولا أعلم أَحَـداً قـرأ بهـا، ويكـون المعنى: تلك آيات القرآن وذلك كِتابٌ مُبينٌ.

وقوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون «هُـدًى» في موضـع نَصْبٍ على الحال، المعنى: تلكَ آيات الكِتابِ هَادِيَةً وَمُبشِّرَةً. ويجوز أن يكـون في موضـع رفع من جهتين، إحداهما على إضمار هُو هدًى وبشرى، وإن شئت على البـدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وبشرى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُـدًى وَبُشْرًى. وفي الـرفـع وجـه ثـالِثٌ حَسَنٌ، على أن

يكون خَبـراً بَعْـدَ خَبَرٍ، وهمـا جميعاً خَبـرٌ لِتِلْكَ على معنى قولهم: هـو حُلْو حـامضٌ أي قد جمـع الطعمين، فيكـون خيـر تلك آيات وخبـرهـا هدى وبشرى، فتجمـع أنها آيات وأَنَّها هَادِيةٌ مُبَشِّرَةٌ.

وقوله عز جل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بالآخِرة زَيَّنَّا لهم أَعْمَالَهُمْ﴾.

أي جعلنا جزاءهم على كفرهم أَنْ زَيَّنَّا لهم مَا هُمْ فيه.

﴿فهم يَعْمَهُونَ﴾.

أي يتحيَّرون، قال العجـاج(١):

أعمى الهدى بالجَاهِلِيـنَ العُمَّـة

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

أي يلقى إليك القرآنُ وَحْياً مِنْ عِنْد اللَّه أَنْزَلَه بعلمه وَحِكْمَتِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِذْ قال موسى لأهله إنّي آنَسْتُ ناراً﴾.

مَـوْضِعُ إِذْ نَصْبٌ، المعنى اذْكُـر إِذْ قَـالَ مُـوسَى لأَهْلِه، أي اذكـر قِصَّةَ مُوسَى، وَمَعْنى آنَسْت ناراً رأيت ناراً.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

يقـرأ بالتَّنْـوين وبـالإِضـافَـةِ، فمن نَـوَّنَ جعـل «قَبَسٍ» من صِفَـةِ شِهَابٍ، وكلُّ أَبْيضَ ذي نُورٍ فَهُو شِهَاب.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

جـاء في التفسيـر أنهم كـانـوا في شِتـاءٍ، فلذلـك احتـاجـوا إلى الاصطلاء وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾.

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٩١.

أي فلمَّا جاء موسَى النارَ ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَن حَوْلها﴾.

فموضع «أَنْ» إن شئت كان نصباً وإن شئت كان رَفْعاً، فمن حكم عليها بالنصب فالمعنى نوديَ مُوسَى بأَنَّه بورك من في النَّار، واسم ما لم يسَمَّ فاعله مُضْمَر في نُودِيَ، ومن حكم عَلَيْها بالرَّفْعِ، كَانَتْ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، أي نُودِيَ أَنْ بُورِكَ. وجاء في التفسير أَنَّ ﴿مَنْ في النار﴾ ههنا نورُ اللَّه - عز وجل - ﴿ومن حولها﴾ قيل الملائِكَةُ وقيل نور اللَّه.

وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

معناه تنزيه اللَّه تبارك وتعالى عن السُّوء، كذلك جاء عن النبي ﷺ وكذا فسَّره أَهْلُ اللُّغَة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ﴾.

أي تتحرك كما يتحرك الجَانُّ حركةً خفيفة، وكانت في صورة الثُّعْبَانِ، وهو العظيم من الحيات.

﴿وَلىَّ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

جاء في التفسير «لم يُعَقِّبْ» لم يلتفت، وجَاءَ ايضاً لم يَرْجِعْ، وأَهل اللغة يقولون لم يرجع، يقال: قَدْ عَقَّبَ فُلانٌ إذا رجع يُقَاتِلُ بَعْدَ أَنْ وَلىَّ، قال لبيد[1]:

حتى تهجَّرَ في الرَّوَاح وهاجه   طَلَبُ المَعقِّبِ حَقَّه المَظْلُومُ

---

(١) اللسان (عقب) والخزانة ٢٠٨ جـ ٢ (سلفية) الشاهد ١٢٢. وتهجّر سار في وقت الهجير. منتصف النهار. والرواح الوقت من بعد الزوال الى الغروب، والبيت ضمن أبيات يصف بها لبيد حماراً وأتانه. وانظر شواهد الكشاف: الآية ﴿واللَّه يحكم لا معقب لحكمه﴾ ومشاهد الانصاف ١١٧. والتقدير طلب المعقب المظلوم حقه. والمعقب مضاف إليه في محل رفع فاعل طلب، فنعت بمرفوع.

وقوله عز وجل: ﴿إنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ﴾.

معناه لا يخاف عندي المُرْسَلُونَ.

وقوله: ﴿إلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

إلا استثناء ليس من الأوَّلِ، والمعنى، واللَّه أعلم، لكنَّ مَنْ ظَلَمَ ثم تابَ من المرسلين وغيرهم، وذَلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله عز وجل:﴿وأدخل يدك فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ﴾.

المعنى أَدخل يدك في جيبك وأخرجها تخرج بَيْضَاءَ مِنْ غيرسُوءٍ. جاء في التفسير ﴿من غير سوء﴾ من غير برص، وجاء أيضاً، أنه كانت عليه مَدْرَعةٌ صُوف بغير كُمَّيْنْ.

وقوله عز وجل: ﴿في تِسْع آيَاتٍ إلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه﴾.

«في» من صلة قوله: وَأَلْقِ عَصَاكَ، وأدخل يَدَكَ. فالتأويل: وأظهر هَاتَيْن الآيتن في تِسْع آياتٍ وَتَأْويله مِنْ بَيْن آيَاتٍ. وجاء في التفسير أَنَّ التِّسْعَ كونُ يدِه بيضاءَ من غيرسوء، وكونُ العَصَا حَيَّة وما أَصَابَ آل فِرْعَوْنَ من الجدْبِ فِي بَوَادِيهِمْ، وَنَقْصُ الثِّمَارِ مِنْ مَزَارِعِهمْ، وإرْسالُ الجَرادِ عَلَيْهم، والقُمَّل، والضَّفَادِعُ، والدَّمُ والطُّوفَانُ. فهذه تِسْعُ آياتٍ.

ومثل قوله: ﴿في تِسْع آيَاتٍ﴾، وَمَعْنَاهُ، مِنْ تِسْعٍ قَوْلُهم: خُذْ لي عَشْراً مِنَ الإبل فيها فَحْلَانِ، المعنى منها فَحْلانِ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً﴾.

أي واضحة، ويجوز مُبْصَرةً، ومعناها مُبَيِّنَة تُبْصَرُ وتُرى.

وقوله عز وجل: ﴿واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾.

المعنى: وجحدوا بها ظَلْماً وعُلُوًّا، [أي] تَرَفُّعاً عَنِ أَنْ يُؤْمِنُوا بما جاء به مُوسَى عليه السلام. فَجَحَدوا بها وَهم يَعْلَمُونَ أَنها مِنْ عِنْد اللَّهِ.

وقوله عز جل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾.

جاء في التفسير أنه وَرَثَه نُبوَّتَهُ وَمُلْكَهُ، وَرُوِيَ أنه كان لداود تسعةَ عشَرَ وَلَداً فورثه سُلَيْمَانُ من بينهم النبُوَّةَ والمُلْك[١].

وقوله: ﴿وقال يَاأَيُّها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾.

وجاء في التفسير أنه البُلْهُ مِنها[٢]. وأحسبه ـ واللَّه أعلم ـ مَا أَلْهَمَ اللَّهُ الطَّيرَ مما يُسَبِّحُهُ به، كما قال: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ﴾[٣].

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

المعنى أوتينا من كل شيء يجوز أَنْ يُؤْتَاهُ الأَنْبِياءُ والنَّاسُ وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ من كل شيء﴾[٤] أي من كل شيء يؤتاه مِثْلُهَا وعلى هَـذا جرى كلام النَّاسِ، يقول القائل: قد قَصَدَ فُلاَناً كـل أَحَدٍ في حَـاجَتِهِ، المعنى قصده كثير من الناس.

---

(١) أي إن سليمان من بين الاخوة وَرِثَ أَبَاهُ في النُّبوَّةِ والمُلْكِ.
(٢) كذا بالأصل وليست واضحة المعنى.
(٣) سورة الأنبياء آية ٧٩.
(٤) الآية ٢٣ من هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

في اللغة يُوزَعُونَ يُكَفُّونَ، وجاء في التَّفْسِير يُكَفُّ أَوَّلُهُمْ ويحبَسُ أَوَّلُهُم عَلَى آخِرِهم.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ﴾.

يروى أن وادي النمل هذا كان بِالشَّامِ، وأن نَمْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْه السَّلَامُ كان مثال الذُّبَاب.

﴿قالت نملةٌ ياأَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.

جاء لفظ ادْخُلوا كلفظ ما يَعْقِل، يقال للناس: ادخلوا وكذلك للملائِكَةِ والجنِّ، وكذلك دَخَلُوا، فإذا ذكرت النمل قلت: قَدْ دَخَلْنَ وَدَخَلَتْ، وكذلك سائر ما لا يعقل، إلاَّ أَنَّ النمل ههنا أُجْرِيَ مَجْرَى الآدَمِيِّينَ حين نطق كما ينطق الآدَمِيُّونَ.

﴿[لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ]﴾.

ويقرأ﴿لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾، ولا تُحَطِّمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ، ولا يُحَطِّمَنكُمْ جائزةٌ.

وقوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾.

لأنّ أكثرَ ضحِكَ الانبياءِ عليهم السلام التبسم، وَضَاحِكاً منصوب، حال مُؤَكَّدَةٌ، لأن تبسَّمَ بمعنى ضَحِكَ.

﴿وقال: رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

معنى ﴿أَوْزِعْني﴾ أَلْهِمْني، وتأويله في اللغة كُفَّنِي عن الأشياء إلاَّ

عَنْ شُكْـرِ نِعْمَتِـكَ ، أَي كُفَّني عمَّـا يباعِـدُ مِنْكَ، ﴿وَأَنْ أَعْمَـلَ صَـالِحـاً تَرْضَاهُ﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ ما لِيَ لَا أَرَى الهُدْهُـدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ﴾ .

بفتح الياء وإِسْكانِها فِي مَالِيَ ، والفتحُ أَجْوَد، وقد فسـرنا ذلـك . وقـوله أَمْ كـانَ مِنَ الغائبين، معنـاه بَلْ كـان مِنَ الغائبين[١]، وجـاء في التفسيـر أن سليمان ﷺ تفقـد الهُدْهُـدَ لأنه كـان مهندسَ المـاء، وكان سُلَيْمَـانُ عليه السـلام، إذا نَزَلَ بفـلاةٍ مِنَ الأَرْضِ عرف مقـدار مسافـةِ المـاء من الهُـدْهُـدِ . وقيـل إنّ الهُـدْهُـدَ يـرى المـاء في الأرْضِ كمـا يُرى الماءُ في الزُّجَاجَةِ .

وقوله عز وجل : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أو لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ .

رُوِيَ أنَ عذاب سُلَيْمَانَ ـ كان للطير ـ أن ينتفَ ريش جناح الطائر ويُلْقَى في الشَّمْسِ .

﴿أولَيأْتِيَنّي بِسُلْطَانٍ مُبينٍ﴾ .

أي ليأتِينيّ بحجَّةٍ في غَيْبَتِه .

وقوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ .

ويقرأ فَمَكُثَ بضم الكاف وفَتْحِها، أي غَيْرَ وَقْتٍ بَعِيد[٢] .

وقوله : ﴿فقالَ أَحَطْتُ بما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ .

---

(١) المعروف في «أم» أو «بل» أنها لا يفارقها معنى الاستفهام، وعليـه يكون التقـدير «بـل أكان من الغائبين» ـ وعلى تقديره يكون سليمان قد جزم بأنه كان غائباً.

(٢) أي لم يمض غير وقت قليل حتى جاء الهُدْهُد.

المعنى فجاء الهُدْهُدُ فَسأله سُلَيمَانُ عن غَيبته، فقال أَحَطتُ بما لم تُحِطْ بِه، وحذف هذا لأن في الكلام دليلًا عليه، ومعنى أَحَطْتُ علمتُ شيئاً من جميع جهاته، تقول: أحطتُ بهذا علماً، أي علمتُه كُلَّه لم يَبْقَ عليَّ منه شيء.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبإٍ يَقِينٍ﴾.

يقرأ بالصرف والتنوين، ويقرأ من سَبَأَ ـ بفتح سَبأ وحَذْفِ التنوين، فأما من لم يَصْرِف فيجعله اسم مَدِينةٍ، وأما من صَرَف، فذكر قوم من النحويين أنه اسمُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وذكر آخرُونَ أن الاسم إذَا لم يُدْرَ ما هُوَ لم يُصْرَف، وأحد هذين القولين خطأ لأن الأسماء حقها الصَّرْفُ، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أو للمؤنَّثِ فحقُّه الصَّرْفُ حَتَّى يُعْلَمَ أنه لا ينصرف، لأن أصل الاسماء الصَّرف، وكل ما لا ينصرف فهو يُصْرَفُ في الشعر. وأما الذين قالوا إنَّ سبأ اسم رجل فغلط أيضاً لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب مِنَ اليَمَنِ بينها وبين صَنْعَاءَ ثلاثَةُ أَيَّامٍ، قال الشاعر:

من سبأ الحاضرين مَأْرِبَ إذ   يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[1]

فمن لم يصرف لأنه اسم مدينة، ومن صرفه ـ والصرف فيه أكثر في القراءة ـ فلأنه يكون اسماً لِلْبَلَدِ فيكون مُذَكَّراً سُمِّيَ بِهِ مُذَكَّرٌ فإن صحت فيه رواية، فإنما هو أن المدينة سميت باسم رَجُلٍ.

---

(١) البيت لأُميةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وهو في ديوانه ٥١، وفي الجمهرة ٢١٥/٣ والقرطبي ٢٨٣/١٤، واللسان (عرم) وكتاب سيبويه ٢٨/٢، وينسب البيت للنابغة الجعدي وهو في ديوانه ١٣٤، وينسب للأعشى. وحَاضِرُو مَأْرِب، المقيمون على الماء بها، والعرم جمع عرمة وهي السَّد العالي. أي المقيمون على هذا الماء يبنون السُّدُود من دونه حتى لا يتبدَّد.

وقوله: ﴿وأوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ولها عرشٌ﴾.

معناه وأوتيت من كل شيء تعطاه المُلُوكُ وَيُؤْتاهُ النـاسُ، والعَرْشُ سَرِيرٌ عَظِيمٌ.

وقولـه: ﴿أَلَّا يَسْجُـدُوا لِلَّهِ الَّـذِي يُخْـرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَـواتِ والأَرْضَ﴾.

ويقـرأ أَلَا يسجـدوا، فمن قـرأ بـالتشـديـد، فـالمعنى وزَيَّن لهم الشيطان أَعْمَالَهُمْ فصدهم أَلَّا يسجدوا، أي فَصَدَّهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا للَّه، ومَوْضِع أَنْ نَصْبٌ بقـوله فَصَـدَّهُمْ، ويجوز أن يكـون مَوْضِعُهَـا جرًّا وَإِنْ حُذِفَتِ اللَّامُ. ومن قرأ بالتخفيف فَألَا لِابْتِدَاءِ الكلام والتنبيه، والوقوف عليـه أَلَايَا ـ ثم يستـأنف فيقول: اسْجُـدوا للَّه، وَمَنْ قرأ بـالتخفيف فهو مـوضع سَجْـدَةٍ من القـرآن ومن قـرأ آلَّا يَسجُـدُوا ـ بـالتشـديـد ـ فليس بموضع سَجْدة، ومثل قوله أَلَا ياسْجُدوا بالتخفيف قول ذي الرُّمَّةِ.

الا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيَّ علَى البِلَا ... ولا زال مُنْهلًا بِجرعَائِكِ القَـطْرُ[1]

وقال الأَخْطَلُ:

أَلا يا اسْلمي يا هِنْدُ هِندَ بني بَدْرِ ... وإن كان حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ[2]

وقال العجاج[3]:

---

(١) الـديوان ص ٢٠٦ مـطلع قصيدة، واللسـان (يـا) وشـواهـد المغني ٢١٠ ومعـه قصص طـريف والجـرعاء أرض رَمْلِيـة مُسْتوِيةٌ لا نَبات بهـا ـ وقام حـول البيت نقد ودفـاع ذكره السيـوطي في شواهد المغني ـ فيحسن الرجوع إليه.

(٢) البيت في ديـوان الأخطل ١٦٣، وأمـالي القالي ٣/٦٥ ومجـاز أبي عبيـدة ٢/٩٤، وابن يعيش ٢/٢٤، ومعاني الفراء ٢/٢٩٠.

(٣) تـقــدم فــي الجزء الأول ـ وانظر ديوانه ص ٥٨، وابن يعيش ١/٨٩٠.

يا دار سَلْمَى يا اسلمي ثم اسلمي عَنْ سَمْسَمٍ وَعَنْ يَمِين سَمْسَم

وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلَنَا، وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العَامَّةِ لدخول «يا» إلاّ في النِداء، لا تَكادُ العامَّةُ تقُول: يَا قَدْقَدِم زَيْدٌ، ولا يا اذْهَبْ بِسَلامٍ.

وقوله: ﴿[للَّه الذي يخرج] الخبء في السَّمَواتِ والأرْضِ﴾.

كل ما خبأته فهو خبء، وجاء في التفسير أن الخبء ههنا القَطْرُ من السَّمَاءِ، والنبات من الأرْضِ. ويجوز وهو الوجه أَنْ يكون الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى يعلم الغيب في السموات والأرْضِ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخفون وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ - خمسةُ أَوْجه:

فـأَلْقِهِي إليْهِم بإثبات الياء - وهو أكثر القراءة، ويجوز فـألْقِهِ إلَيْهِمْ بحذف الياء وإثبات الكسرة، لأن أصله فـألْقيه إلَيْهِم. فحذفت الياء للجزم، أعني ياء ألقيه، ويجوز فَـأَلْقِهُو إليهم باثبات الواو، ويجوز فألقِهُ إليهم بالضَّمِّ، وحُذِفَتِ الواو، وقد قُرئَ فألقِهْ إليهم باسكان الهاء. فأما إثبات الياء فهو أَجْوَدُها فألقهي، فإن الياء التي تسقط للجزم قَدْ سقطت قبل الهاء، لأن الأصل فألقيه إليهم، ومن حذف الياء وترك الكسرة بعد الهاء فلأَنَّهُ كان إذا أثبت الياء في قولك أنا ألقيه اليهم كان الاختيار حذف الياء التي بعد الهاء. وقد شرحنا ذلك في قوله يُؤَدِّه إليك شرحاً كافياً.

ومن قرأ فألقِهو إليهم ردّه إلى أصله، والأصل إثبات الواو مع هاء الإضمار. تقول ألقيتُهو إليك. ومعنى قولنا إثبات الواو والياء أعني في اللفظ ووصل الكلام، فإذا وقفت وقفت بهاء، وإذا كتبت كَتَبْتَ

بهاء. ومن قرأ بحذف الواو وإثبَاتِ الضَّمَّةِ فذلك مثل حذف الياء وإثبات الكسرة، ومَنْ أَسْكَنَ الهاءَ فغالط، لأن لهاء ليست بمجزومة ولها[1] وَجْهٌ من القِياس، وهو أنه يُجْري الهاء في الوصل على حالها في الوقف، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقي كسرة.

قال الشاعر:

فإنْ يَكُ غثاً أو سميناً فإنَّني ... سأجعل عينيه لِنَفْسِهْ مَقْنَعاً

وقوله تعالى: ﴿ثم تَوَلَّ عنهم فَانْظُر مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فيه قولان. قال بعضهم: معناه التقديم والتأخير، معناه اذهب بِكِتَابي هذا فألقه إليهمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ ثم تول عنهم، وقال هذا لأنَّ رُجُوعَه من عندهم والتولي عنهم بعد أن ينظُر ما الجواب[2]، وهذا حسن، والتقديم والتأخير كثير في الكلام، وقالوا معنى ﴿ثم تول عنهم﴾: تول عنهم مُسْتَتِراً من حَيْثُ لا يَرَوْنَكَ، فانظر ماذا يردُّونَ مِنَ الجواب.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إنِّي أُلْقِيَ إلى كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

فمضى الهدهد فألقى الكتاب إليهم فسمِعَها تَقُول: ﴿يَا أيها الملأ﴾ فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه، ومعنى ﴿كِتَابٌ كَرِيم﴾ حَسَنٌ ما فيه، ثم بَيَّنَتْ ما فيه فَقَالَتْ:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإنه «بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيم أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُوني مُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) في نسخة «وله» كما أشير في الهامش.

(٢) أي إن التولي إنما يكون بعد معرفة إجابتهم.

فهـذا مـا كـان في الكتـاب، وكُتُبُ الأنبيـاءِ صَلَواتُ اللَّهِ عليهم جاريةٌ عَلَى الإيجاز والاختصار، وقد رُوِيَ أن الكتاب كان من عبد اللَّه سُلَيمـانَ الى بلْقيس بنت سـراحيـل، وإنمـا كتب النـاس من عبـد اللَّه احتذاء بسُلَيْمَانَ.

ومعنى ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾: أَلَّا تَترفَّعُوا عليَّ وإنْ كُنْتُم مُلُوكاً.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾.

أَي بَيِّنُوا لي ما أَعمَلُ، والملأ وجُوهُ القَوْمِ، الـذين هم مُلَاءٌ بِمَـا يحتاجُ إلَيْهِ.

﴿قَالُوانَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

ويروى أنه كان مَعَها ألف قِيلٍ والقَيْلُ الملِك، ومع كل قيل أَلْفُ رَجُلٍ، وقيل مائة ألف رجل، وأكثر الرواية مائة ألف رجل.

وقوله: ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾.

بكسر النُّونِ، ولا يجـوز فتـح النـون لأن أصله حتى «تشهدونَنِي» فَحُذِفَتْ النون الأولى للنَّصْبِ وبقيت النُّونُ والياء للاسم، وحُذِفَت الياءُ لأنَّ الكسرةَ تدلّ عليهـا، ولأنه آخـر آية، وَمَنْ فتـح النون فَـلَاحِنٌ، لأنَّ النُّونَ إذا فتحت فهي نون الرفع، وليس هـذا من التي ترفـع فيه حَتَّى، ويجـوز أنه مِنْ سُلَيْمـان وأنه بسم اللَّه الـرحمن الـرحيم، بفتـح الألف فيكون موضع أن الرفع على معنى: أُلْقِي إليَّ أنه من سُلَيمَـانَ، ويجوز أن تكون أن في مَوْضـع نَصْبِ على معنى كتاب كـريم لأنه من سُلَيْمـان ولأَنَّهُ بسم اللَّه الرحمن الرحيم، فأما ﴿ أَلَّا تعلوا عليَّ﴾ فيجوز أن يكون أنْ فِي مَوْضِع رَفْعٍ وفي موضع نَصْبٍ، فالنصب على معنى كِتَـابٌ بِـأَنْ لَا

تَعْلُوا عليَّ أي كتب بترك العُلُوِّ، ويجوز على مَعْنى: ألقِيَ إليَّ أَلَّا تَعْلُوا عليَّ، وفيها وجه آخر حَسَنٌ على معنى قال لا تعلوا عَلَيَّ، وفسرَّ سيبويه والخليل أنَّ «أَنْ» في هذا الموضع في تـأويل أي[1]، على معنى أي لَا تعلوا عَلَيّ، ومثله من كتاب اللَّه عـز وجـل:﴿وَانْطَلَق المَلأُ مِنْهُم أَنِ آمْشِوا﴾[2] وتأويل أي ههنا تأويل القول والتفسير، كما تقول فعـل فلان كذا وكذا، أي إنِّـي جوادٌ، كأَنَّكَ قُلْتَ: يقول اني جوادٌ.

وقـوله:﴿قَـالَتْ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُو قَرْيَـةً أَفْسَدُوهَـا وَجعلُوا أَعِـزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً﴾.

مَعْنَاه إذا دخلوها عَنْوة عن قتال وغلبة.

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

هو من قول اللَّه عز وجل ـ واللَّه أعلم ـ لأنها هي قد ذكـرت أنَهم يُفْسِدُونَ فليس في تكرير هذا مِنْهَا فائدةٌ.

وقوله:﴿وَإنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها أهْدَت سليمـان لَبِنَةً ذَهَبٍ في حَـرِيرٍ، وقيـل لَبِنُ ذَهِبٍ في حــريـر. فـأمـر سليمــانُ بِلِبنَـةِ ذهب[3] فـطرحت تحت الدَّوَابّ، حيث تبول عليها الدَّوابُّ وتَرُوثُ، فَصَغَّرَ في أَعْينهم ما جاءوا به إلى سليمان، وقد ذُكِر، أن الهَدِيَّة قَـدْ كَانَتْ غيـرَ هَذَا، إلا أَنَّ قـولَ سُلَيْمَانَ: ﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ مما يدل على أن الهديَّة كانت مالاً.

وقوله عز وجل:﴿بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ﴾.

---

(١) أي هي تفسيرية.

(٢) سورة ص الآية ٦.

(٣) من اللبن الذي أحضروه.

حروف الجر مع «مَا» في الاستفهام تحذف مَعَها الألفِ من «مَا» لأنَّهُمَا كالشّيءِ الواحِدِ، وليُفْصَلَ بينَ الخبر والاستفهام؛ تقولُ: قَدْ رَغِبْتُ فيما عندك، فَتَثْبُتُ الألف، وتقول: فيم نظرت يا هذا فتحذف الألف.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيمانَ﴾.

معناه فلما جاء رَسُولُها سُلَيْمَانَ، ويجوز أن يكون فلَمَّا جَاءَ بِرُّهَا(١) سُلَيْمَانَ إلاَّ أنَّ قوله: أرجع إليهم مخاطبةٌ للرَّسُول.

وقوله تعالى: ﴿لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾.

معناه لا يَقْدُرُونَ على مُقَاوَمَةِ جُنُودِهَا.

وقوله: ﴿قَالَ يَاأَيُّها المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتيني بِعَرْشِهَا﴾: أي بسريرها.

﴿قَبْلِ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

أحب سليمانُ ﷺ أن يأخُذَ السَّرِيرَ مِنْ حيثُ يَجُوزُ أَخْذُهُ، لأنهم لَوْ أَتوا مُسْلِمِين لَمْ يَجُزْ أَخْذُ مَا في أيديهم، وجائز أن يكون أرادَ سُلَيْمَانُ إظهار آيةٍ مُعْجِزَةٍ في تصيير العَرْشِ إليْهِ في تلك السَّاعَةِ لأنّها مِنَ الآيَاتِ المعجزات.

﴿قالَ عفريتٌ مِنَ الجِنِّ﴾.

والعفريت النافِذُ في الأمْرِ المبالغُ فيه مع خُبثٍ وَدَهَاءٍ، يقال: رَجُلٌ عِفْرٌ وَعِفْرِيتٌ، وعِفْرِيَةٌ نِفْرِيةٌ، وَنُفارِيَّةٌ، في معنى وَاحدٌ.

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

---

(١) أي هديتها والمال الذي بعثت به ـ وانظر هل يصح أن يسمى برًّا.

أي مقدار جُلُوسِكَ الَّـذِي تَجْلِسُه مـع أصحابـك، وقيـل قَبْـلَ أَنْ تقومَ من مَجْلِسِك للحُكْمِ.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾.

ويقال إنه آصف بن بَرَخْيَا.

﴿أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

أي بمقدار ما يبلغُ البالغ إلى نهـاية نـظرك ثم يَعُودَ إِلَيْـكَ، وقيلَ في مِقْدارِ ما تفتح عَيْنَكَ ثُمَّ تَطْرِف، وهذا أشبه بارتِـدَادِ الطرف، ومثله من الكـلام: فعل ذلك في لحـظة عَيْنٍ، أي فِي مِقْـدَارِ مـا نـظر نـظرة واحِدةً.

ويقال في التفسير إِنَّهُ دَعَا باسْمِ اللَّه الأعْظم، الـذي إذا دُعِيَ به أَجَـابَ، وقيـل إنـه: يـا ذا الجـلال والإكـرام، وقيـل إِنَّـهُ يَـا إِلٰهَنَـا وإلٰـه الخلق جَميعاً إلٰهاً وَاحِداً لا إلٰه إلاَّ أَنْتَ، فذكر هـذَا الاسْمَ ثم قال إئت بِعَرْشِها، فَلَمَّا استَتَمَّ ذَلِكَ ظهر السرير بين يَدَيْ سُلَيْمَانَ.

وقوله: ﴿قَالَ نَكِّروا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾.

الجزم في ننظَر الوجه وعَلَيْهِ القِرَاءَةُ، ويجـوز نَنْظُرُ بـالرَّفْـعِ فمن جـزم فلجـواب الأمْـرِ، ومن رفع فعلى معنى فَسَنَنْـظُرُ، وقولـه أَتَهْتَـدِي معناه أَتَهْتدي لِمَعْرِفته أَمْ لاَ.

وقوله: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

ولم تقُلْ إنه عَرْشُها، ولاَ قَالَتْ: ليس هو بِعَرْشِها، شَبَّهَتْه بِهِ لِأَنـهُ مُنَكَّرٌ، يُرْوَى أَنَّهُ جُعِلَ أَسْفَلهُ أَعْلاَهُ.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنها كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ﴾.

أي صدها عن الايمانِ العادَةُ الَّتِي كَانَت عَلَيْها[١]، لأنها نَشَأَتْ ولم تعرف الا قوماً يعبدون الشَّمْسَ، فَصَدَّتها العَادَةُ، وَبَيَّنَ عادَتَها بقوله: ﴿إنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِين﴾.

ويجوز أنَّها كَانَتْ من قوم كافرين فيكون المعنى صَدَّها كَونها من قومٍ كافِرِينَ ويكون مبيناً[٢] عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ما كانت تعبد من دون اللَّه﴾.

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾.

والصَّرْح في اللُّغَةِ القَصْرُ، والصَّحْنُ، يقال هذه سَاحَةُ الدار وصحنة الدار وباحة الدَّار وقاعَةُ الدَّار وَقَارِعَةُ الدَّارِ، هذا كله في معنى الصَّحْنِ.

وقوله: ﴿ فلما رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾.

أي حَسِبَتْهُ ماءً، وكان قد عُمِلَ لِسُلَيْمَانَ صَحْنٌ[٣] من قَوارِير وَتَحْتَهُ الماء والسَّمَكُ، فظنَّتْ أنه ماء فكشفت عن سَاقَيْهَا. وذاك أن الجنَّ عابوا عِنْدَهُ ساقيها ورِجْلَيها وذكروا أن رِجْلَيْها كحافِرِ الحِمَارِ فتبين أمرُ رِجْلَيها.

وقوله عز وجل: ﴿فَإذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

---

(١) «ما» الموصولة في ﴿ما كانت تعبد﴾ هي عادتها التي صدتها عن الإيمان.
(٢) في الأصل مبينٌ وهو خطأ.
(٣) في الأصل صَحْناً.

أي فـإذَا قَوْمُ صَـالِحٍ فـريقان مؤمن وكـافِرٌ يختصمـون فيقولَ كـل فـريقٍ مِنْهُم الحَقُّ مَعِي، وطلبت الفرقـةُ الكَـافِـرَةُ على تصديق صـالـح العـذابَ،[1] فقال: ﴿لِمَ تَستعجلون بـالسّيئةِ قَبْـلَ الحسنةِ﴾، أي لم قُلْتُم إن كان ما أتَيتَ به حَقًّا فأتنا بِالعَذَابِ.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أي هَلَّا تَستغفرون اللّه.

قوله: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾.

الأصل تطيرْنا فـأدغمت التاء في الـطاء، واجتلبت الألف لسكون الـطاء، فإذا ابتـدأت قُلْتَ اطَّيَّرْنـا بِكَ، وإذا وصلت لَمْ تُـذْكِـرْ الألِفُ. وتسقط لأنها ألف وَصْلٍ.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي ما أصابكم من خَيْرٍ أو شَرٍّ فمن اللّه.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

[أي] تختبرون، ويجوز تُفْتَنُون من الفِتْنَةِ، أي تَطَيُّركم فِتْنَةٌ.

﴿وَكَانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ في الأرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

هؤلاء عتاة قَوْمِ صَالِحٍ.

﴿قالوا تقاسموا باللّه لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ. [ثُم لَنَقولَنَّ لِوَلِيِّهِ] ﴾.

وتجوز لَتُبَيِّتُنَّهُ، ويجوز لَيُبَيِّتَنَّهُ وأهله بالياء، فيها ثَلَاثَة أَوْجُهٍ. فمن قـرأ بالنـون قرأ «ثم لَنَقُـولَنَّ» لِوَلِيِّـهِ، ممن قرأ «لَتُبَيِّتُنَّـهُ» بالتـاء قرأ «ثُمَّ لَتَقولُنَّ» ومن قرأ «لَيبيّتُنه» بالياء قرأ «ثم لَيَقُولُنَّ» لِوَلِيِّه.

(١) تحدوه وطلبوا أن يسقط عليهم العذاب إن كان نبياً حقاً.

فمن قرأ بالنون فكأنهم قالوا: احْلِفُوا لَنُبَيِّتَنَّه وأهلَه، ومن قرأ بالتاء فكأنهم قالوا احلفوا لتبيتنه، فكأنه أخرج نفسه في اللفظ، والنون أَجْوَدُ في القراءة، ويجوز أن يكون قد أدْخل نفسه في التاء لأنه إذَا قَالَ تَقَاسَمُوا، فقد قال تحالفوا ولا يخرج نفسه من التحالف، ومن قرأ قالوا تقاسموا باللَّه ليبيتُنَّه، فالمعنى قالوا لَيُبَيِّتُنَّه متقاسمين، فكأنَّ هؤلاء النفر تحالَفُوا أَن يُبَيِّتُوا صالحا وَيَقْتُلوه وأهله في بَيَاتِهِمْ، ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم شَهِدُوا مَهْلِكَهُ وَمَهْلِكَ أهله، ويحلفون أنهم لصادقون. فهذا مَكرٌ عزموا عَلَيه.

قال اللَّه - عز وجل: ﴿ومَكَرُوا مَكْراً ومَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فمضوا لِبُغْيتِهِمْ فأرسل اللَّهُ عليهم صَخْرةً فدَمَغَتْهُمْ[1]، وأرسل على باقي قومهم مَا قَتَلَهُمْ بِهِ.

وقوله: ﴿فانظُرْ كيف كان عاقبةُ مَكْرِهِم [أَنَّا دَمَّرناهم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين]﴾.

يقرأ إنَّا دَمَّرنَاهُم - بكسر إن وبفتحها - فمن قرأ بِالكسر رفع العَاقِبة لا غير، المعنى فانظر أي شيء كان عاقبة مَكْرِهم، ثم فَسَّرَها فقال: إنّا دَمَّرنَاهُمْ، فدل على أن العاقبة الدَّمَارُ، ومن قرأ أنا دَمَّرناهم - بالفتح - رفع العاقبة وإنْ شاء نَصَبَها، والرفعُ أَجْوَدُ على معنى فانظر كيف كان عاقبةُ أَمْرِهِمْ، وأضمر العَاقِبَةَ. أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ. فيكون أنا في موضع رَفْعٍ عَلَى هذا التفسير، ويجوز أن تكون أنا في موضع نَصْبٍ، على معنى فانظر كيف كان عاقبة مكرهم لأنا دَمَّرناهم، ويجوز أن

---

(١) حطمت أدمغتهم.

تكـون «أنّا دَمَّـرْنَاهُمْ» خَبَـر كانَ المعنى فـانظر كيف كـان عاقبـة مَكْرِهُمُ الدَّمَارَ، ويجوز أن يكون اسم كان أنا دَمَّرنَاهُمْ وَعَاقبة أَمْرِهم منصوبـةٌ، المعنى فانظر كيف كان الدَّمَارُ عاقبـةَ مَكْرِهِمْ، وكيف في مـوضع نصب في جميـع هـذه الأقـوال، ـ ونصبهـا ـ إذا جُعِلَت العـاقِبَـة اسم كـان وكيف الخبرُ لأنها في مـوضع خبر كان، فـإذا جُعِلَتْ[1] اسم كان وخبرُها مَـا بَعْدها فهي[2] منصوبة على الـظرفِ[3]، وعمل فيهـا جملة الكلام كمـا تقول: كيف كان زيدٌ، وكيف كان زيد قائماً.

وقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾.

اكثر القراء نَصَبَ خاويةَ على الحـال، المعنى فانـظر إلى بُيُوتِهِمْ خَاوِيةً بِمَـا ظَلَمُوا. ورفعهـا من أربعة أوجُـهٍ قد بيَّنّـاهَا فيمن قـرأ﴿وهذا بَعْلِي شيخ﴾[4].

وقوله عز وجل: ﴿ولُوطاً إذ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾.

نَصْبَ لـوط من جهتين، على معنى وأَرْسَلْنَـا لُــوطـاً وعلى معنـى واذكر لُوطاً إذ قال لِقَوْمِهِ، لأنه قد جرت أقاصيص رُسُلٍ، فدخـل معنى اضمار اذكر هَهُنَا.

﴿أَتأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أنها فاحشة، فهو أعظم لذُنُوبِكم.

﴿أئِنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

---

(١) العاقبة.

(٢) كيف.

(٣) هي حال.

(٤) انظر تفسير سورة هود. الآية ٧٢.

يجوز على أوجه، إإِنكَمْ بهمزتين بينهما ألف، ويجوز أَئِنَكُمْ بهمزتين مُحَقَّقتَيْن، والأجودُ أينكمْ بجعل الهمزة الثانية بينَ بيْنَ تكون بين الياء والهمزة.

﴿فَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاَّ أَنْ قَالُوا﴾.

«جَوابَ» خَبرُ كَانَ وَ «أَنْ قالوا» الاسم، ويجوز فما كان جَوَابُ قومِهِ إلاَّ أَنْ قالوا.

وقوله: ﴿إِنَّهُم أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

قال قوم لوط هذا لِلُوطٍ ولمن آمن مَعَهُ، على جهة الهزْؤِ بِهِمْ لأنهم تطهَّروا عن أَدْبَار الرِّجَال وأَدْبَارِ النِّسَاءِ.

ويروى عن ابن عمر أنه سُئِلَ: هل يجوز هذا في النساء؟ قيل له ما تَقُول في التحميض فقال: أو يفعل ذلك المِسْلِمُونَ؟ فهذا عظيم جدًّا[1]. وهو الذي سَمَّاهُ اللَّهُ فاحِشَةً.

وقوله عز وجل: ﴿آللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وتشركون بالياء والتاء، ويقرأ آللّه، وآللّه، بالمد وترك المَدِّ، ويجوز - واللّه أعلم - اللّه خير أمّا يشركون[2].

قال أبو إسحاق: إذَا ضُمَّت التَّاءُ واليَاءُ فمعناه أَنَّهُمْ جَعَلُوا للَّه شُرَكَاءَ، وإذا فُتِحَتْ التَّاء والراءُ، فمعناه أنكم تجعلون أنفسكم لِلَّه شُرَكَاءَ، يقال: شَرِكْتُ الرَّجُلَ [أَشْرَكه] إذا صِرْتُ شَرِيكَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾.

---

(١) تقدم هذا في سورة الشعراء من هذا الجزء.
(٢) بالإمالة.

حجز بينهما بقدرته فلا يختلط العذب بالمِلحِ .

وقوله عز وجل:﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ الغَيْبَ إلَّا اللَّهُ﴾.

بالرفع القراءة[1]، ويجوز النصب، ولا أعلم أحَداً قَرَأَ به، فلا تقرأن به. فمن رَفَعَ في قوله: إلَّا اللَّهُ فَعَلَى البَدلِ، المعنى لا يعلم أَحَدُ الغَيْبَ إلا اللّه، أي لا يعلم الغيب الا اللّه، ومن نصب فعلى معنى لا يعلم أحد الغيب الا اللّه، على معنى آسْتَثْنِي اللّه عز وجل، فإنه يعلم الغيبَ.

وقوله:﴿وَمَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

وأيّان تُبْعَثونَ جميعا، أيْ لَا يَعْلَمُون متى البَعْثُ.

وقوله تعالى:﴿بَلِ ادَّارَك عِلْمُهُم في الآخِرَةِ﴾.

فيها أوجه: قرأ أبوعَمْرٍو: بل أُدْرِك عِلْمُهُمْ في الآخرةِ، وقرأ أكثر الناس بل ادَّراك بتشديد الدَّالِ، وروي عن ابن عباس بَلَى أَدْرَكَ عِلْمُهم في الآخرة، ويجوز بلى ادّارك علمهم في الآخرة فمن قرأ بل ادَّارَكَ علمهم في الآخرة وهو الجَيدُ، فعلى معنى بَلْ تَدَارَكَ علمُهُمْ في الآخرة، على معنى بل يتكامل عِلْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ، لأنَهُمْ مبْعُوثُونَ، وكل ما وعدوا به حَقٌّ، ومن قرأ بل أَدْرَكَ عِلْمُهُم فعلى معنى التقرير[2] والاستخبار، كأنه قيل: لم يُدْرِكِ عِلْمُهم[3] في الآخرةِ أي ليس يَقفون في الدنيا على حقيقتها، ثم بين ذلك في قوله:﴿بل هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾

(١) أي في لفظ الجلالة.

(٢) أي هناك همزة محذوفة، وهي استفهام للتقرير أي هل ادرك علمهم الآخرة.

(٣) في الآخرة متعلق بعلمهم، أي علمهم بما في الآخرة.

وقـالوا في تفسيـر ﴿بل ادَّارَكَ عِلْمُهم﴾: أَمّ أَدْرَكَ عِلْمُهُم، والقـراءة الجَيّـدَةُ ادَّارك على معنى تدارك بـإدغام التـاء في الـدَّال، فتصيـر دالاً سَاكِنَةً فلا يُبتدأ بِهـا، فيأتي بـألف الوصـل لتصل إلى التكلُّمُ بهـا. وإذَا وقفت على بل وابتدأت قلت ادَّارك، فإذا وَصَلْتَ كسرت اللام [في بل] لسكونها وسكون الدَّال.

وقوله: ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

الحدائق واحدتها حديقـة، والحديقـة البُسْتَانُ، وكـذلك الحـائط وقيـل القـطعـةُ من النخـل، وقـولـه ذات بَهْجَـةٍ معنـاه ذات حُسْنٍ

ويجـوز في غير القراءة ذوات بهجة، لأنها جماعة، كما تقـول: نِسْوَتُك ذوات حُسْنٍ، وإنمـا جاز ذات بهجـة لأن المؤنث يخبر عنـه فِي الجَمْـع بلفظ الواحِـدَةِ، إذا أردتَ جمَاعَـةً، كـأنـك قلت جمـاعـة ذاتَ بَهْجَةٍ.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

معناه يكفُرُون، أي يَعْدِلُونَ عَنِ القَصْدِ وطريق الحق.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

يُقْرأ في ضَيْقٍ وَضِيقٍ.

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قيـل في التَّفْسِير عجِـلَ لَكُمْ ومعناه في اللُّغَـةِ رَدِفَكُمْ مِثْلُ رَكِبَكُمْ وجاء بَعْدَكُمْ.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيَ عن ضَلَالَتِهِمْ﴾.

وتقرأ: وما أَنْتَ تهـدي العُمْيَ عن ضَلاَلَتِهِمْ، ويجـوز بهادٍ العُمْىَ عن ضَلاَلَتِهِمْ. فأمـا الوَجْهَـانِ الأولان فجيّدانِ في القـراءة، وقد قـرئَ بهما جميعاً، والوجه الثالث يجوز في العَرَبية، فَإنْ ثبتت به روايـةٌ وإلاَّ لم يُقْرأْ به، ولا أعلم أحداً قرأ به.

وقوله عز وجل: ﴿إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنَا﴾.

معناه ما تُسْمِع إلاَّ من يؤمن، وتأويل ما تُسْمِعُ، أي مَا يَسْمَعُ مِنْكَ فَيَعِي ويَعْمَـلُ إلاَّ من يُؤْمِنَ بآيـاتنا، فـأما من سمـع ولم يقبـل فبمنـزلـة الأصَمِّ. كما قال اللّه عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[1]، قال الشَّاعِرُ:

أَصَمَّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ[2]

وقوله عز وجل: ﴿وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، أي إذَا وَجَبَ.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.

وَتَكْلِمُهُمْ، ويـروى أن أول أشراط السـاعة خـروجُ الدَّابَّـةِ وطلوعُ الشمسِ مِنْ مَغْـرِبها، وأَكْثَـرُ ما جـاء في التفسير أنهـا تخـرج بِتُهَامَــةَ. تَخْرجُ مِنْ بَيْنِ الصَّفَا والمروَةِ. وقد جـاء في التفسير أنهـا تخرج ثـلاث مرات في ثلاثـة أَمْكِنَةٍ، وجـاء في التفسير تنكت في وَجْـهِ الكَافِـر نكتة سـوداء وفي وجه المؤمن نكتـة بيضاء، فتفشـو نكتة الكـافر حتى يسـودَّ منهـا وجهه أجمـع وتفشو نكتـة المؤمن حتى يَبْيَضَّ منها وَجْهَـهُ فتجتمع الجماعة على المائِدَةِ، فَيُعْرَفُ المؤمِنُ مِن الكافِرِ.

فمن قـرأ «تكَلِّمُهُمْ» فهـو من الكـلام، ومن قـرأ تَكْلِمُهُمْ فهـو من الكَلْمِ، وهو الأثر والجُرْحُ.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨. (٢) تقدم.

وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

القراءةُ النَصْبُ، ويجوز الرفع: صُنْعُ، فمن نصب فعلى معنى المَصْدَرِ، لأن قوله: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ... ﴾ دَلِيل على الصَّنْعَةِ، كأنه قِيلَ صَنَعَ اللَّه ذلك صنعاً. ومن قال صُنْعُ اللَّه بالرفع، فالمعنى ذَلِك صُنْعُ اللَّهِ.

وقوله عزو جل: ﴿وَكُلٌّ أَتوْهُ دَاخِرِينَ﴾.

وَأَتَاهُ داخرين، مَنْ وَحَّدَ فللفظ كُلّ، ومن جمع فلمعناها.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هِذِه البَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾.

﴿الذي﴾ في موضع نصب من صفة ﴿ربَّ هذه البلدة﴾ وقد قُرِئَتْ: التي حَرَّمَهَا؛ وقد قرئ بها لكنها قليلة، فالتي في مَوْضِع خَفْضٍ مِنْ نعت البلدة.

وقوله عز وجل: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

أي سيُريكم اللَّه آياته في جميع ما خَلَق، وفي أنفُسُكم.

سُورةُ القَصَص
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طٰسم﴾: قد تقدم ما ذكر في هذا.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

يقال: بان الشيء وأَبَانَ في مَعْنى واحِدٍ، ويقال بَانَ الشيء، وأَبَنْتُه أنا، فمعنى مبين مُبَيِّنٌ خَبْرِه وَبَرَكَتِهِ، وَمُبَيِّنُ الحَقِّ من الباطل والحلال من الحرام، ومبين أَنَّ نُبوَّةَ النبي ﷺ حق لأنَّه لَا يَقْدرُ أَحَدٌ بِمِثْلِه، ومبينٌ قصص الأنبياء.

وقوله: ﴿نتلو عليك من نبأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ﴾.

أي من خبر موسى وخبر فرعونَ.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معناه يُصَدِّقُونَ.

وقوله: ﴿إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأرْضِ﴾: مَعناه طَغَى

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعاً﴾.

معنى شيع فرق، أي جعل كل فرقة يُشيع بعضها بعضاً في فِعْلِها.

وقوله عز وجل: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾.

معنى نسائهم ههنا أنه كان يستحيي بَنَاتِهِمْ، وإنما كان يعمل ذَلِكَ لأنه قال له بعضُ الكهنة إن مَوْلُوداً يُولَدَ في ذلك الحين يكونُ سَبَبَ ذَهَاب مُلْكِكَ، فالعَجَبُ من حُمْقِ فَرْعَوْنَ، إن كان الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القَتْلُ، وإن كان كاذباً فما معنى القَتْل.

وقوله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾.

يعني بني إسرائيل الذين استضْعَفهم فرعونُ.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾.

أي نجعلهم ولاةً يُؤتَمُّ بِهِمْ[1].

﴿وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾.

أي يرثون فرعون وملكه.

وقوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾.

القراءة النَّصبُ، نُمَكِّنَ ونُرِيَ. وَيَجوزُ الرَّفع. . وَنُمكِّنُ لَهُمْ في الأَرْض وَنُـرِي ـ بإسكان الياء، فمن نَصَبَ عطف على نَمُنَّ، فكأن المعنى وان نمكِّنَ وَأَنْ نُـرِيَ، ومن رفـع فعلى معنى وَنَحْنُ نمكن، وقُرِئَتْ: ويُرَى فِرْعَوْنُ وهامانُ وَجُنُودُهُمَا، فَيُرى يكونُ في مَوْضِع نَصْبٍ على العطف على نُمَكِّن، ويجوز أَنْ يكون في موضع رفع على وسَيُرَى فِرْعَونُ وهامان وجنودُهما.

وقوله: ﴿وَأَوْحَينا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

قيل إن الوحيَ ههنا أَلْقَاءُ اللَّهِ في قلبها، وما بعد هَذا يَدُلَ ـ واللَّهُ

---

(١) في الأصل: يؤتم به.

أعلم-أنه وَحْيٌ من اللَّه عز وجل على جهة الاعلام للضَّمَانِ لها.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ويدل عليه: ﴿ولتعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

وقد قيل إنَّ الـوحي ههنا الإلهـام، وجائـز أن يُلْقي اللَّه في قلبها أَنَّهُ مردودٌ إليها وأنه يكون مُرْسَلاً، ولكن الإعلام أَبْيَنُ في هـذا أَعْني أن يكـون الوحي ههنـا إعْلَامـاً. وأصل الـوحي في اللغـة كلهـا إعْـلَامٌ في خِفْي، فلذلك صار الإلْهَامُ يُسمَّى وَحْياً.

وقوله: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي اليمّ﴾: اليمُّ البَحْرُ.

وقوله تعالى: ﴿فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وحَزَناً﴾.

ويجوز وحُزْناً، ومعنى ليكون لهم عَدُوًّا أي ليصير الأمـر إِلَى ذَلِكَ لا أنهم طلبوه وأَخذُوهُ لهذا كما تقـول للذي كسب مالاً فـأَدّى ذلك إلى الهَـلَاكِ: إنما[1] كسب فـلانٌ لِحَتْفِـهِ، وهـو لم يَـطْلُب المَـالَ للحَتْف، ومثله: فَلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوَالِدَةُ، أي فهي لَمْ تَلِدْهُ طَلَباً أَنْ يَمُوتَ وَلَـدُهَا ولكن المصير إلى ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ﴾.

رفـع قُـرَّةُ عَيْن على إضمـار هـو قـرةُ عين لي ولـك، وهـذا وقفُ التَّمَام، وَيَقْبُح رفْعُـه علَى الابتداء وأن يكـون الخبر «لا تَقْتُلوهُ» فيكـون كأنَّه قَدْ عَرَفَ أنه قرة عين لـه[2]، ويجوز رفعـه على الابتداء عَلَى بُعْـدٍ على معنى إذا كان قرة عين لي ولك فلا تَقْتُلْه، ويجوزُ النَّصْبُ ولكن لا

(١) في الأصل وإنما.

(٢) يقبح أيضاً لأن الخبر إنشائي.

تقرأْ به لأنه لم يأتِ فيه روايةُ قراءة، والنصبُ على معنى لا تَقْتُلُوا قُرَّةَ لي ولك لا تقتلوه، كما تقول زيداً لَا تَضْرِبْهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾.

المعنى أصبح فارغاً من كل شيء إلا مِن ذِكْرِ مُوسَى، وقيل إلاّ مِنَ الهمِّ بموسى والمعنى واحدٌ.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾.

المعنى إن كادت لتظهَر أنه ابنُهَا، وقد قُرِئَتْ فَرِغاً، والأكثرفارِغاً.

﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾.

معناه لولا رَبْطُنَا على قَلْبها، والربط على القلب إلْهَامُ الصَّبْرِ وتشديدُهُ وتَقْوِيتُهُ.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾.

بمعنى اتْبعي أَثَرَهُ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾.

معناه فاتْبَعَتْهُ، فَبصُرَت به عن جُنُبٍ أي عن بعد تُبْصِرُ ولا تُوهِمُ أنَّها تراه، يقال: بَصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَعَنْ جَنَابَةٍ إذَا نَظَرتْ إلَيْهِ عن بُعْدٍ، قال الشاعِرُ[1]:

فلا تحرمَنِّي نائلا عن جنابة ... فإنّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

أي لا تحرمني نائلا عَنْ بُعْدٍ، وإن كنت بعيداً مِنكَ.

(١) لعلقمة بن عبدة. الكامل ٢/٣٧ (تجارية) والمفضليات ٧٨٩، والقرطبي ٥/١٨٣، والسنتمري ٢/٤٢٣، والديوان من الستّة ١٠٧.

وقوله عز وجل: ﴿ وَحَرَّمْنا عَليه المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾.

معناه من قبل أن نَرُدَّهُ على أُمِّه، وكان موسى لم يأْخُذْ من ثَدْيٍ، أي لم يرضع من ثَدْيٍ إلى أَنْ رُدَّ إلى أُمِّهِ فرضع منها، وهذا معنى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾.

أي فقالت أخت موسى عليه السلام لما تَعذَّرَ عَلَيْهِمْ رَضَاعُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكفلونه لكم وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾.

فلما سمعوا قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾. قالوا: قد عَرَفْتِ أَهْلَ هَذا الغُلام - بقولك وهُمْ لَه ناصحون، فقال عَنيتُ «هم له» هم للمَلِك نَاصِحُونَ، فَدَلَّتْهم على أُمِّ مُوسَى، فَدُفع إليها تربِّيه لهم فِي حِسَابِهِمْ(١)

وقوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعدَ اللَّه حَقٌّ ﴾.

يعني ما وعدت به مما أُوحِيَ إليها من قوله: ﴿ إِنَّا رَادُّوه إِلَيْكِ وَجَاعِلُوه مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾. واستقر عندها أنه سيكون نبياً.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى ﴾.

قيل الأَشَدُّ بِضع وثلاثون سنة. وهو ما بين ثلاث وثلاثين الى تسع وثلاثين. وتأويل «بَلَغ أَشُدَّهُ» استكمل نهاية قوَّةِ الرَّجُل وقيل إن معنى واسْتَوَى - بلغ الأَرْبَعين، وجائز أن يكون «اسْتوى» وَصَل(٢) حقيقة بلوغ الأَشُدِّ.

---

(١) في تقديرهم وظنهم أنها تربيه لهم.

(٢) في الأصل: وَصَفَ.

وقوله: ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾.

فَعَلِمَ مُوسَى عليه السلام وحكم قبل أَنْ يُبْعَثَ.

﴿ وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين ﴾.

فجعل اللَّه إتيان العلم والحكمة مجازاةً على الاحْسَان لأنَّهُمَا يَـؤَدِّيانِ الى الجنـةِ التي هي جـزاء المحسنِين، والعـالمُ الحكيمُ مَن استعمل عِلْمَهُ، لأن اللَّه ـ عز وجل ـ قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَـرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

فجعلهم اذ لم يَعْملُوا بالعلم جُهَّالاً.

وقوله عز وجل: ﴿ وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِين غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾.

جـاء في التفسير أنـه دخلها وقت القـائلة، وهـو انتصـاف النَّهَـار وقوله: ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوّهِ ﴾.

هذا موضع فيه لطف، وذلك أَنـه قيلَ في الغـائِب «هذا» والمعنى وَجَد فيها رَجُلَيْن أَحَـدُهُمَا مِنْ شِيعَتِـه وأَحدُهمـا مِن عَدُوِّه، وقيـل فيهما هذا وهذا على جهة الحكايـة للحضرة، أي فـوجد فيهـا رَجُلَيْنِ إذا نظر إليهما النَّاظِرُ قال هذا من شيعته وهذا مِنْ عَدُوّه.

﴿ فَاسْتَغَاثَه الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾.

اي استنصـره، والذي من شيعتـه من بني إسـرائيـل، والـذي من عَدُوّه من اصحاب فرعون. وجـاء في التفسير أن فـرعون كـان رجلاً من أهل اصطخـر، ويقال إن الـرجل الـذي هو من عـدوه رجل من القِبْـطِ، وقيل أيضاً من أهل اصْطَخْرٍ.

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢.

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾.

أي فَقَتَلَهُ، والـوَكْـزُ أَنْ تَضْـرِبَ بِجُمـع كَفِّـكَ، وقـد قيـل وكـزه بالعصا.

وقوله: ﴿ قَالَ هذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾.

يـدل أن قتله إياه كـان خطأ وأنـه لم يكن أُمِرَ «مـوسى» بقَتْلٍ ولا قِتالٍ ﴿قَالَ رَبِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾.

وقوله: ﴿ فأصبح في المدينة خـائفاً يَتَـرَقَّبُ، فَإذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾.

أي يستغيث به، والاستصْراخُ الإغَاثةُ والاسْتِنْصَارُ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِش بالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴾.

وتقـرأ يَبْـطُشُ. المعنى - واللَّه أعلم - فلمـا أَرَادَ المُسْتَصْـرِخ أَنْ يَبْطِشَ مُوسَى بالذي هو عَدُوٌّ لَهُمَا، ولـم يفعل مـوسى، قال مـوسى إنك لَغَوِيٌّ مُبينٌ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيـدُ أَنْ تَقْتُلَني كما قَتَلْتَ نَفْساً بالأمْسِ إنْ تُـرِيدُ إلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً في الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكونَ مِنَ المُصْلِحِينَ ﴾.

فـأفشى على مُـوسَى عليه السلام. ويقـال إنَّ من قتل اثنين فهـو جَبَّارٌ، والجبار في اللغة المتعظِّمِ الذي لا يتواضع لأمْرِ اللَّهِ، فـالقاتِـلُ مؤمِناً جَبَّارٌ، وكل قاتل فَهُوَ جَبَّارٌ. قتل واحداً أو جماعة ظُلْماً.

وقوله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾.

يقال إنه مؤمن آل فِرْعَونَ، وإنَهُ كان نَجَّاراً، ومعنى يَسْعَى يَعْدُو.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلوكَ﴾.

الملأ أشراف القوم، والمنظورُ إليهم، ومعنى يأتمرون بك يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

أي فاخرج من المدينة، وقوله «لك» ليست من صلة النَّاصِحِينَ لأن الصلة لا تقدَّمُ على الموصول، والمعنى في قوله «إني لك» أنها مُبينَةٌ كأنه قال إني من الناصحين ينصحون لك، والكلام نصحت لك، وهو أكْثَرُ من نَصْحُتُكَ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾.

أي يرقبُ أن يلحقه مَنْ يَقْتُله، وينظر الآثار.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

يعني من قوم فرعون.

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِينِى سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

«مَدْيَن» مَاءٌ كان لقوم شعيب يقال إنّ بيْنَهُ وبيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةُ ثَمانية ايام، كما بين البصرة والكوفة، وكان موسى عليه السلام خرج مِنْ مِصْرَ ومعنى تلقاء مَدْيَن، أي سَلك في الطريق التي تلقاء مَدْيَنَ فيها.

﴿قال عَسَى رَبّي أن يهدني سواءَ السَّبيل﴾.

السبيل الطريق، وسواء السبيل قصد الطريق في الاستواء.

قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾.

مَدْيَن في موضع خفض، ولكنه لا ينصرف لأنه اسم للبقعة.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.

أمة جماعة.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.

أي تذودان غَنَمَهُمَا عن أَنْ يَقْرُبَ موضع الماء، لأنَّها يَطْرُدُهَا عن الماء من هو على السَّقي أقوى مِنْهُمَا.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾.

أَي مَا أَمْرُكما، معناه مَا تَخْطُبان، أي ما تُرِيدَانِ بِذَوْدِكُمَا غَنَمكُمَا عن الماء.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ﴾.

وقرئت ﴿حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ - بضم الياء وكسر الدال - أي لا نَقْدِرُ أن نسقي حتى تَرُدَّ الرعاةُ غَنَمَهُمْ وَقَد شَرِبَتْ فيخلو الموضع فَنَسْقي. فَمن قرأ يَصْدُر بضم الدال فمعناه حتى يرجعَ الرِّعاءُ، والرِّعاء جمعُ راع، كما يقال صاحب وصحاب.

وقوله: ﴿وَأبونا شيخ كبير﴾.

الفائدة في قوله: ﴿وَأبونا شيخ كبير﴾. أي لا يمكنه أن يَرِدَ وَيَسْقي.

فلذلك احتجنا ونحن نِسَاءٌ أَنْ نسقيَ.

﴿فَسَقى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ الآية.

أي فسقى لهما من قَبْلِ الوَقْتِ الذي كانتا تسقيان فيه، ويُقَال إنَّهُ رَفع حَجَراً عن البِئْرِ كان لا يرفعه إلاَّ عَشَرةُ أَنْفُسٍ . وقيل إنَّ مُوسى كان في ذلك الوقت من الفقر لا يقدر على شَقِّ تمرةٍ[1].

وقوله : ﴿ فَجَاءَتهُ إحْدَاهُما ﴾ .

المعنى فلما شَرِبَتْ غنمهما رَجَعَتَا إلى أَبِيهِمَا فأخبرتاه خبر مُوسَى وَسَقْيه غَنَمَهُمَا، وجاءتاه قبل وقتهما شاربةً غَنمُهُمَا، فوجَّهَ بإحْداهُما تَدْعُو مُوسَى فجاءته ﴿ تمشي عَلَى اسْتِحيَاءٍ ﴾ . جَاءَ في التفسير أنها ليست بخرَّاجَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ولا ولَّاجَةٍ، أي تمشي مَشْيَ مَنْ لم تَعْتَدِ الدخول والخروج مُتَخَفِّرَةً مستحيية .

﴿قَالَتْ إنَّ أَبي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ .

المعنى فأجابها فمضى معها إلى أبيها .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيه القَصَصَ ﴾ .

أي قصَّ عليهِ قِصَّتهُ في قتلهِ الرَّجُلَ، وأنهم يطلبونه ليقتلوه .

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وذلك أَنَّ القوم لم يكونوا في مملكة فِرْعَونَ[2]، فأعلم شعيبٌ موسى أنَّه قد تَخَلَّصَ من الخوف، وأنه لا يقدر عليه - أعني بالقوم قوم مَدْيَنَ الذين كان فيهم أبو المرأتين . ويقال في التفسير إنه كان ابن أخي شعيب النبيّ عليه السلام .

﴿قَالَتْ إحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ .

أي اتخذه أجيراً .

---

(١) لا يملك ما يعادل نصف تمرة .

(٢) أي قوم مَدين .

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾.

أي انَّ خير من اسْتَعْمَلْتَ مَنْ قَوِيَ على عملك وأَدَّى الأمانَةَ فيه، وإنما قالت «القَوِيُّ الأمين» فَوَصَفَتْه بالقوَّة لِسَقْيِهِ غنمها بِقُوَّة وشِدَّة، وقيل لقوته على رفع الحجر الذي كان لا يُقِلُّه أقلُّ من عَشَرةِ أَنفس. وقد قيل إنه كان لا يقله أقلُّ من أرْبعين نَفْساً. فأما وصفها له بالأَمَانَةِ فقيل إنَّ مُوسَى لما صار معها إلى أبيها تقدَّم أَمَامَهَا وأَمَرهَا أن تكون خلفه، وَتَدُلَّه على الطريق، وخاف إذا كانت بين يديه أَنْ تُصِيبَ مَلْحَفَتَها الرِّيحُ فيتبيَّن وصْفها، فذلك ما عرفته من أمانته.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

معنى أُنْكِحُكَ أُزَوِّجُكَ.

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ﴾.

أي تكون أجيراً لي ثماني سنين.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدَكَ﴾.

أي فذلك بفضلٍ منك ليس بِوَاجِبٍ عَلَيْكَ.

﴿قالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

أي ذلك الذي وَصَفْتَ لِي بيني وبينك، ومعناه، ما شَرَطْتَ عَلَيَّ فلك وما شرطت لي فلي، كذَلك الأَمرُ بَيْنَنَا، ثم قال:

﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾.

والعُدْوَانُ المجاوزة في الظُّلمْ، وعُدْوَانٌ منصوبٌ بلاَ، ولو قُرِئَتْ

فَلَا عُدْوَانٌ عليَّ لجاز من جهتين إحْدَاهما أَنْ تَكونَ «لا» رافعة كَلَيْسَ كما قال الشاعِرِ:[1]

مَـن صَـدَّ عـن نِـيـرانِـهـا ... فـأنـا ابن قيسٍ لَا بَـراحُ

ويجـوز أن يكون «عُـدْوَانُ» رَفْعاً بـالابتـداء و«عَلَيَّ» الخبرُ، و«لا» نافية غير عَامِلةٍ، كما تقول لَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَلَا عَمْرٌو، و«أيّ» هي في موضع الجزاء مَنْصُوبةٌ بِقَضَيْتُ، وجواب الجزاء فَلا عُدْوَانَ، و«ما» زائدة موكّدة، والمعنى أي الأجلين قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى ما نَقُولَ وَكِيلٌ﴾.

أي واللَّهُ عَزّ وَجَلَّ شَاهِدُنا على ما عَقَدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾.

يُرْوَى أنه قضى أتمَّ الأَجَلَيْنِ، وهو عَشْرُ سِنِين.

وقوله: ﴿ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾.

آنس علم وأبصر، يقال: قد آنست ذلك الشخص أي أَبْصَرْته.

﴿قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾.

أي لعلي أعلم لِمَ أُوقِدَتْ.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

الجـذوة القطعـة الغليظة من الحـطب، ويقرأ: أَوْ جُـذوة بالضَّـمِّ، ويقال جَذْوة بالفتح. فيها ثلاث لغات.

وقوله: ﴿في البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

---

(١) تقدم ص ٢٧٠ جـ ١.

سُمِّيتْ مباركة لأن اللَّه كلم موسى فيها، وبعثه نبيًّا، ويقال بُقعَةٌ وبَقْعة بالضَّمّ والفَتْح. وقد قرئ بهما جميعاً، فمن جمع بِقاعاً فهي جمع بَقْعَةٍ بالفتح، مثل قَصْعَة وقِصَاع، ومن قال بُقْعة - بالضم - فأجود الجمع بُقَع مثل غُرفة وغُرَفٌ، وقد يجوز في بُقْعة بقاع مثل حُفْرَة وحِفَار.

وقوله: ﴿أَنْ يَا مُوسَىٰ﴾.

«أن» في موضع نصب المعنى نُودي بأنه يَا مُوسَى وكذلك ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطفٌ عليها.

﴿فَلما رآها تهتز كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

معناه لم يَلْتَفِتْ.

وقوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.

أي قد آمنت من أن يَنالَك منها مكروه وهي حيَّةٌ.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي من غَيْر بَرَصٍ. ﴿واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.

والرُّهْبِ جميعاً ومعناهُمَا واحدٌ، مثل الرُّشد والرَّشَدِ، والمعنى في جناحك ههنا هو العَضُد، ويقال اليد كلها جناحٌ.

وقوله: ﴿فَذانِكَ بُرْهَانَانِ﴾.

تقرأ بتخفيف النون وتشديدها - فَذَانِّك - فكأن فَذَانِّكَ تَثْنِيةُ ذَلِكَ وذانك تثنية ذَاكَ جعل بدل اللام في ذلك تشديد النُّونِ في ذَانِك وبرهانان آيَتَانِ بَيِّنَتَان.

﴿ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾.

أي أرسلناك إلى فرعون وَمَلَئِهِ بهاتين الآيتَين.

وقوله: ﴿فَأَرْسِلْه مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾

ويُصَدِّقْنِي - بالرفع والجزم - قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ يُصَدِّقُنِي بضم القاف فهو صفة قوله «رِدْءًا» - والردء العَوْنُ، تقول رَدَأْتُهُ أردؤه رَدْءًا، إذا أعنته، والرِّدْءُ المُعينُ. ومن جزم «يُصَدِّقْني» فعلى جواب المسألة، أرسله يُصَدِّقْنِي، ومن رفع يصدقني فالمعنى رِدْءاً مُصَدِّقاً لِيَ.

وقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

أي سنعينك بأخيكَ، ولفظ العضُدِ على جهة المثل، لأنّ اليد قوامُها عَضُدُهَا، فكل مُعِينٍ عَضُدٌ. وتقول قد عاضَدَنِي فلان على الأمر أي عاونني.

وقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لكُمَا سُلْطَاناً﴾.

أي حجة نَيِّرَةً بَيِّنَةً، وإنما قيل للزيت السليط لأنه يستضاء به، فالسُّلْطانُ أَبْيَنُ الحُجَجِ.

وقوله: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بآيَاتِنَا ﴾.

أي بسلطاننا وحجتنا. فبآياتنا مِنْ صِلَة يَصِلُونَ، كأنه قال: لَا يَصِلُونَ إليكُمَا، تَمْتَنِعَانِ منهم بآياتنا. وجائز أن يكون «بآياتنا» متصلا[1] بنجعل لكما سُلطاناً بآياتنا، أي حجة تدلُّ عَلَى النُّبوَّةِ بآياتنا، أي بالعَصَا واليَدِ، وسائر الآيات التي أُعْطِيَ مُوسَى عليهِ السلام. ويجوز أن يكونَ بآياتِنَا مُبيناً عن قوله: ﴿أنتما وَمَن اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾

---

(١) في الأصل «متصل».

أي تغلبون بآياتنا .

وقوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بآياتنا بَيِّنَاتٍ﴾ الآية .

لم يأتوا بحجة يدفعون بها مَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ الَّا أن قالوا إنها سحْرٌ فلما جُمِعَ السَّحَرةُ بينوا أَنَّ آيات موسى عليه السلام ليست بسحر، فغلَبَ موسى بآيات اللّه وبحجته كما قال عز وجل به .

وقوله : ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ .

أي اعمل آجرًا، ويقال إنَّ فرعونَ أولُ من عَمِلَ الآجُرَّ .

﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً﴾ .

والصرح كل بناء متسع مرتفع(١)

وقوله : ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ .

فظن فرعون أنه يتهيأ له أَنْ يبلغ بصرحه نحو السماء فَيَرَى السَّماءَ وَمَا فِيها .

﴿وَإِنِّي لأظُنُّه مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ .

الظَّنُّ في اللُّغَةِ ضَربٌ يكون شَكًّا ويَقِيناً . وقول فِرْعَوْنَ : وإني لأظُنُّه اعتراف بأنه شاكٌّ، وانه لم يتيقَن أَنَّ موسى كاذِبٌ، ففي هذا بيان أنه قد كفربموسى على غير يقين أَنَّه ليس بِنَبِيّ، وقد وَقَعَ في نفسه أنه نبي لأن الآيات التي هي النبوة لا يجْهَلها ذو فطرة، وقوله في غير هذا الموضع : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرضِ بَصَائِرَ . . ﴾(٢)، دليل على أنه قد أَلْزَمَ فرعونَ الحجَّةَ القَاطِعَةَ .

---

(١) انظر ص١٢٢من هذا الجزء الآية : ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ .

(٢) سورة الاسراء الآية ١٠٢ .

وقوله : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ ﴾ .

اليَمُّ البحرُ وهو الذي يقال له «إيسَافُ» وهو الذي غرق فيه فِرعَوْنُ وجنوده بناحية مصر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ .

أي من اتبعهم فهو في النار .

﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ :

أي لا نَاصِرَ لَهُمْ ولا عَاصِمَ من عذاب اللَّه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدَمَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى ﴾ .

فكان خاتَمَة إهْلاَكِ القُرون بالعَذَاب في الدُّنْيا أن جعل المُكَذِّبِينَ بِمُوسَى الذين عَدَوْا في السَّبِت قِرَدةً خاسِئينَ عند تكذيبهم بِمُوسَى عليه السَّلاَمُ .

وقوله : ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ﴾ .

أي مُبَيِّناً للناس ، المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر للنَّاسِ أي هذه حال إتْيَانِنَا إيَّاهُ الكتاب مُبَيِّناً نُبَيِّنهُ للناس ، ﴿ وهدًى ورحمةً ﴾ عطف على بصائِرَ ، ولو قرئت بالرفع على معنى فهو هُدًى ورحمةٌ جَازَ والنصب أجود ولا أعلم أَحَداً قرأ بالرفع ـ فلا تقرَآن بها .

وقوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ ﴾ .

أي وما كنت بجانبِ الجبل الغربي .

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ .

أي مَا كنتَ مُقِيماً في أهلِ مَدْيَنَ.

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾: يَعْنِي [نادينا] مُوسَى.

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

المعنى إنك لم تشاهد قَصَصَ الأنبياء، ولا تُلِيَتْ عَلَيْك، ولكن أَوْحَيناها إليك، وقَصَصْنَاها عليك رحمةً مِنْ رَبِّكِ لتنذِر قوماً، أي لتعرِّفهمُ قَصَصَ مَن أُهْلِكَ بِالعَذَابِ ومن فاز بالثواب، ولو قرئت «ولكن رحمةٌ» لكان جائزاً على معنى ولكنْ فِعلُ ذلك رَحْمةٌ من رَبِّك، والنَّصْبُ على معنى فعلنا ذلك للرحمة، كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخَيْر، أي فعلته لابتغاء الخَيْر، فهو مفعول له.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فيقولوا رَبَّنَا لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فنتبعُ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي لولا ذلك لم يحتج إلى إرْسَالِ الرُّسُل، ومواترة الاحْتجاج.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾.

أي فلما جاءتهم الحجة القَاطِعَةُ التي كان يجوز أَنْ يَعْتَلُّو بتأَخُّرِهَا عنهم.

﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى ﴾.

المعنى: هلا أوتي مُحمَّدٌ مثلَ ما أوتي موسى، صلى اللّه عَلَيْهِمَا من أمر العصا والحية وانفلاق البحر، وسائر الآيات التي أَتَى بِهَا مُوسَى، فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمَّدٍ عليهما السلام[1].

﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾.

---

(١) طلبوا معجزات مادية، ولو جاءتهم لكفروا بها.

أي تعاونا. جاء في التفسير أنهم عَنَوْا موسى وهرون. وقالوا عَنَوْا موسى وعيسى، وقيل عَنَوْا موسى ومحمَّداً عليهما السلام. وقرئ ﴿سِحْرانِ تَظَاهَرَا﴾ يَعْنُونَ كِتَابَيْنِ، فقالوا: الانجيل والقرآن، ودليل مَن قرأ سِحْران قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾.

وهذا لا يمنع سَاحِران، لأن المعنى يصيرُ: قل فأتوا بكتاب من عِنْد اللَّه هُوَ أَهْدَى مِنْ كِتَابَيهِمَا.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

فأعلم أن مَا ركبُوه من الكفر لا حجَّةَ لَهُم فِيه، وإنما آثروا فِيه الهَوَى وقد علموا أنه هو الحق.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ﴾.

أي فَصَّلْنَاه بأن فصَّلْنا ذكر الأنبياء وَأَقَاصِيصَهُمْ، وأقاصيص مَنْ مَضَى، بعضها بِبَعْضٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هم به يُؤْمِنُونَ﴾.

جاء في التفسير أن هؤلاء طائفة من أهل الكتاب كانُوا يَأْخُذون به وينتهون إلَيْهِ ويقفون عندَهُ. كانوا يحكمون بحكم اللَّه، بالكتاب الذي أُنْزِلَ قَبل القرآن. فلما بُعِثَ مُحمَّدٌ ﷺ وتلا عليهم القرآنَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إنَّه الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا.

وذلك أَنّ ذكَرَ محمد ﷺ كان مَكْتُوباً عندهم في التوراة والانجيل، فلم يعانده هؤلاء وآمَنُوا وَصَدَّقُوا، فأثنى اللَّه عليهم خيراً وقال:

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

أي يؤتون أجرهم بإيمانهم بـالكتاب الـذي مِنْ قبلِ محمـد ﷺ، ويُؤْتَوْنَ أجرهم بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿ويَدْرَأُونَ بالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ﴾.

معنى يَدْرَأُون يدفعون ـ بما يعلمون من الحسنات ـ مـا تَقَدَّم لهم من السَّيِّئَاتِ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: أَيْ يَتَصَدّقون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

أي إذا سمعوا ما لا يجوز وينبغي أن يُلْغَى لم يلتفتوا إليه.

﴿وقالـوا لَنَـــا أَعْمَـالُنَـا وَلَكُمْ أَعْمَـالُكُمْ، سَـلاَمٌ عَلَيْكُمْ لا نبتغي الجَاهِلِينَ﴾.

ليس يـريـدون بقـولهم ههنـا سـلام عليكم التحيَّـة، المعنى فيـه أعرضوا عنه وقالـوا سلام عليكم، أي بيننـا وبينكم المتَاركـةُ والتَّسَلُّمُ. وهذا قبل أن يُؤْمَرَ المُسْلِمُون بالقِتَالِ.

وقوله: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أجمـع المفسرون أنهـا نـزلت في أَبِي طَـالِبٍ، وجـائـز أن يكـون ابتـداء نزولهـا في أبي طَالِبٍ وهي عـامَّةٌ، لأنـه لا يهـدي إلا اللَّه، وَلاَ يُرْشِدُ ولا يوفق الا هو، وكذلك هو يُضِلُّ من يشاء.

﴿وَقَالُوا إن نَتَّبعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾.

كانوا قالوا للنبي ﷺ إنا نعلم أن ما أتيت به حَقٌ، ولكنا نكره إنْ آمَنَّا بِكَ

أن نُقْصَدَ ونُتَخَطَّفَ منْ أَرْضِنَا فأعلمهم اللَّه أنه قَدْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بأن آمنهم بمكَةَ، فَأَعْلَمَهُم أن قد آمَنَهُمْ بحرمَةِ البَيْتِ، ومنع منهم العَدُو[1] أي فلو آمنوا لكان أولى بالتمكن والأمن والسَّلامَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾.

يعني بأمها مَكَّةَ، ولم يكن لِيُهْلكَهَا إلاَّ بظلمْ أهْلِهَا.

﴿ أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاَقِيهِ كمن مَتَّعْنَاه متاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني المؤمِنُ والكافِر، فالمؤمِنُ من آمن باللَّه ورسوله وأطاعه ووقف عند أَمْرِه فَلُقِّيَهُ جزاءَ ذَلِكَ، وهو الجنَّةُ، والذي مُتِّعَ متاعَ الحياة الدنيا كافرُ. لم يُؤْمِنْ باللَّه ثم أُحْضِرَ يوم القيامَةِ العَذَابَ وذلك قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن هذه الآية نَزَلَتْ في محمد ﷺ وأبي جَهْلٍ ابْنِ هِشَامٍ فالنبي ﷺ وُعِدَ وَعْداً حسناً فَهُوَ لاَقِيه في الدنيا بأنه نُصِرَ على عَدُوِّهِ في الدنيا، وهو في الآخرة في أعلى المراتب من الجنة، وأبو جهل من المُحْضَرِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَت مَعِيشَتَها﴾.

«معيشتها» مَنْصُوبَةٌ بإسقاط في وَعَمَل الفِعْل. وتأويله بطرت في مَعِيشَتِها والبطرُ الطغيانُ بالنِّعْمَةِ.

---

(١) منع العَدُوَّ من التعدي عليهم.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

أي يوم ينادي الأنَس. وسماهم «شركائي» على حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ، المَعْنَى أين شركائي في قولكم، واللَّه واحدٌ لا شريك له.

﴿قال الذين حقَّ عَلَيهِمُ القَوْلُ﴾: الجِنُّ، والشَّيَاطِينُ.

﴿هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ [كَمَا غَوَيْنَا]﴾.

يعْنُونَ الإنْسَ، أي سولنا لهم الغَيَّ والضلاَلَ.

﴿أَغْوَيْنَاهُم كَمَا غَوَيْنَا﴾.

أي أضللناهم كما ضَلَلْنَا.

وقوله عز وجل: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾.

برئ بعضهم من بَعْضٍ، وصاروا أَعْداءً، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعْضٍ عَدَوٌّ إلاَّ المُتَّقِينَ﴾(١).

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾.

أي لم يُجيبوهم بحجَّةٍ.

﴿وَرَأَوُا العَذَابَ لَوْ أَنَّهُم كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

جواب «لو» محذوف ـ واللَّه أعلم ـ المعنى لو كانوا يَهْتَدُونَ لما اتَّبعُوهم ولا رأوا العذابَ.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الخِيرَةُ﴾.

أجود الوقوف على ويختار، وتكون «مَا» نفياً. المعنى ربك يخلق ما يشاء، وربك يختار لَيْسَ لهم الخيرة، وما كانت لهم الخيرةُ، أي

(١) سورة الزخرف /٦٧.

ليس لهم أن يَخْتـاروا على اللّه، هـذا وجـه. ويجـوز أن تكـون مـا في معنى الذي فيكون المعنى ويختار الذي كـان لهم فيه الخيـرة. ويكون معنى الاختيار ههنا ما يتعبدهم به، أي ويختار لهم فيما يدعـوهم إليه مِنْ عِبَادَتِه ما لهم فيه الخيرة، والقول الأول أجـودُ ـ [أي] أن تكون مـا نَفْياً.

وقوله: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

معنى سبحان اللّه تنزيه له من السُّـوءِ. كذا هـو في اللغة ـ وكـذا جاء عن النبي ﷺ.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتم إنْ جَعَلَ اللّهُ عليكم النهَارَ سَرْمَداً إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

السَّرمَدُ في اللُّغَةِ الدَّائِمُ.

وقوله: ﴿مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضَيَاءٍ﴾.

أي بِنَهـارٍ تُبْصـرون فيـه وتتصـرفـون في مَعَـايشكم، وتصْلِحُ فيـه ثماركم وَمَنَابتكُمْ لأن اللّـه ـ عز وجل ـ جعل الصلاح للخلق بـالليل مـع النهار، فلوكان واحِدُ منهما دون الآخر لهلك الخَلْقُ[1]، وكذلك قـوله في النهار:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ القِيَـامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

أعلمهم أن الليل والنهار رحمةٌ فقال:

﴿وَمِنْ رَحْمَتِـهِ جَعَـلَ لَكُمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ لِتَسْكُنُـوا فِيـهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(١) لو وجد النهار دون الليل أو الليل دون النهار.

المعنى جَعَل لكم الزَّمانَ لَيْلاً ونَهاراً، لتسكنوا بالليل وتبتغوا من فضل اللَّه بالنهار. وجائز أن تَسْكنوا فيهما، وأن تبتغوا من فضل اللَّه فيهما، فيكون المعنى جعل لكم الزمان ليلاً ونهاراً لتسكنوا فيه ولتبتغُوا مِنْ فَضْلِه.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شهيداً﴾.

أي نزعنا من كل أمّة نَبِيّاً أي آخْتَرْنَا منها نبياً وكلَّ نَبيٍّ شاهد على أمته.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

أي هاتوا فيما اعْتَقَدْتُم بُرْهَاناً أيْ بَيَاناً أنكم كنتم على حَقٍّ.

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الحقَّ لِلَّهِ﴾.

أي فعلموا أَنَّ الحقَّ تَوحِيدُ اللَّه وَمَا جَاءَ بِهِ أنبياؤُه.

وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أي لم ينتفعوا بكل ما عَبَدُوه مِنْ دُونِ اللَّهِ، بل ضرهم أعظم الضَّرَرِ.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾.

قَارُون اسم أَعْجميٌّ لا ينصرفُ، ولو كان فَاعولاً مِنَ العربيَّةِ، مِنْ قَرَنْتُ الشّيءَ - لا يُصْرف[1]. فلذلك لم يُنَوَّنْ.

وجاء في التفسير أَن قارون كان ابنَ عَمِّ مُوسَى، وكان مِنَ

---

(١) يريد أنه مع ان صيغة فاعول موجودة في اللغة العربية مثل جاسوس وقاعود وقانون، وقارون فاعول من قرنت ولكنه لا ينصرف لأنه علم أعجمي.

العُلَماء بالتَّوْرَاةِ. فبغَى على موسى وَقَصَدَ إلى الإفساد عليه وتكذيبه، وكان من طلبه للإفْسَادِ عَلَيْه أَنَّ بَغِيًّا كانت مَشْهُورَةً في بني إسرائيل فَوَجَّهَ إليها قارونُ ـ وَكَانَ أَيْسَرَ أهلِ زَمَانِهِ ـ يأمرها أن تَصِيرَ إليه، وهو في مَلأٍ مِنْ أَصْحابه لِتَتَكَذَّبَ على مُوسَى وتقول: إنه طلبني للفساد والرِّيبَةِ، وضمن لها قَارُونُ أَنْ فعلتْ ذلك أن يَخْلِطها بِنِسَائِهِ، وَأَنْ يُعْطِيها على ذلك عَطَاءَ كبيراً، فجاءت المرأةُ ـ وقارون جالس مع أصحابه ـ وَرَزَقها اللَّهُ التوبة فقالت في نفسِها مالي مَقَامُ توبةٍ مثلُ هذا، فأقبلت على أهل المجلس وقارُونَ حَاضِرٌ، فقالت لهم إن قارونَ هَذَا وَجَّه إليَّ يأمُرُنِي وَيَسْأَلُني أن أتكذَّب على موسى، وأن أقول انه أرادَني للفساد وإنَّ قارونَ كاذبٌ في ذلك فلما سمع قارون كلامها تحيَّر وَأُبْلِسَ[١] واتَّصَلَ الخَبَرُ بمُوسَى ـ عليه السلام ـ فجعل اللَّهُ أَمْرَ قارون إلى مُوسَى وأمر الأرض أَنْ تُطيعَه فيه، فَوَرَدَ مُوسَى على قارونَ فَأَحَسَّ قارون بِالبَلاءِ، فقال يا موسى ارْحَمْني، فقال: يا أرض خُذِيهِ فخُسِفَ به وَبِدَارِه إلى رُكْبَتَيهْ، فقال: يا موسى ارحمني، فقال: يا أرض خُذِيه فَخُسِفَ به إلى سُرَّتِهِ، ثم قال: يا أرض خذيه فخسف به إلى عُنُقِهِ واسترحَمَ موسى فقال يا أرض خذيه فخسف به حتى ساخت الأرضُ بِهِ وبداره، قال اللَّه عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ له من فِئَةٍ يَنْصُرُونَه مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز مَا إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾.

روي في التفسير أنَّ مَفَاتِحَه كانت من جُلُودٍ على مقادر الاصبع وكانت تحمل على سبعين بَغْلاً أو ستين بَغْلاً، وجاء أَيْضاً أَنَّ مفاتحه

(١) بهت ولم يجد ما يقول.

خزائنُه، وقيل إن العُصْبَةَ ههنا سَبْعُونَ رَجُـلاً، وقيل أربعـون، وقيل مـا بين الخَمسـة عَشَـرَ إلى الأرْبَعِين، وقيـل مـا بين الثلاث إلى العشـرة. والعُصْبَةُ في اللغة الجماعة الذين أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ يتابـع بعضهم بعضاً في الفِعْـلِ ويتعصَّبُ بعضهم لِبَعْضٍ. والأشبَـهُ فيمـا جـاء في التفسيـر أنّ مفاتحه خزائنهُ، وأنها خزائن المال الذي يُحْمَـلُ على سَبْعِينَ، أو على أربعين بَغْلاً ـ واللَّه أعلم ـ لأن مفاتَح جلودٍ على مِقْدَارِ الاصْبَع، تُحمَلُ على سبعين بغلاً للخزائن أمر عظيم ـ واللَّه أعلم ـ.

ومعنى لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ، لَتُثْقِلُ العُصْبَـةَ. قَالَ أَبُـو زَيْدٍ: يقـال نُؤْتُ بالحِمْلِ أَنُوءُ به نُوءًا إذا نَهَضْت به، وناء بي الحمل إذا أَثْقَلَنِي.

وقوله: ﴿ إذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾.

جاء في التفسير لا تَأْشَـرْ[1] إنّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الأشِـرينَ. ولا تفرح ههنا ـ واللَّه أعلم ـ أي لا تفرح لكثرة المال في الدنيا لأن الـذي يفرح بالمال ويصـرفه في غيـر أَمْرِ الآخِـرةِ مَذْمُـومٌ فيه، قـال اللَّه عَزّ وجـلّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[2].

والدليل على أنهم ارادوا لا تفرح بالمال في الدنيا قولهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَـكَ مِن الدُّنْيَـا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ﴾.

ولا تنس نصيبـك من الدنيـا، أي لا تنس أن تعمل بـه لآخرتـك، لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرَتِهِ.

---

(١) معنى لا تفرح لا تأشر ولا تبطر.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الحديد: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، واللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿قَالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

ادَّعى أن المال أُعْطِيَهُ لعلمه بالتوراة، والذي رُوِيَ أنه كانَ يَعْمَلُ الكِيميَاء، وهذا لا يصح لأن الكيمياء باطلٌ لَا حقيقة لهُ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه خرج هُوَ وأصحابُهُ عَلَى خَيْلِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الخَيْلِ الأُرْجُوَانُ. والأرجوان في اللغة صبغٌ أَحْمَرُ، وقيل: كان عليهم وعلى خيلهم الدِّيبَاج الأَحْمَرُ.

وقوله: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

أي لا يُلَقَّى هَذه الفَعْلَةَ، وهذه الكلمة يعني قولهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾.

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ﴾.

يعني الذين قالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ ما أُوتِيَ قَارُونُ﴾.

﴿يَقُولُونَ: وَيْكَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا، وَيْكَ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾.

هذه اللفظة لفظة «وَيْكَ» قد أَشْكَلَتْ على جَمَاعَةٍ من أَهْلِ اللغةِ وجَاءَ في التفسير أن معناها ألم تر أنه لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ، وقال بعضهم معناها أَمَا تَرَى أنه لا يفلح الكافرونَ، وقال بعض النحويين - وهذا غلط عظيم - إنّ مَعناها وَيْلَكَ اعْلَمْ أنه لا يفلح الكافرون فحذف اللام فبقيتْ وَيْكَ وَحَذَفَ اعلم أنه لا يفلح الكافرون، وهذا خطأ من غير جهة، لو كان كما قال لكانت أن مكسورة كما تقول: ويلك إنه قَدْ كَانَ كذا وكذا، ومن جهة أخرى أنْ يُقَالَ لمن خاطب القوم بهذا

فقالوا: ويلك «إنه لا يفلح الكافرون»[1]، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من ويل.

والقول الصحيح في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس. قال سألت عنها الخليل فزعم أنها «وَيْ» مفصولة من كأن. وان القوم تنبهوا فقالوا: وَيْ، مَتندّمِينَ على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه أو ندامته أن يقول «وي» كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، فحقيقة الوقف عليها وَيْ، وهو أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم، قال الشاعر:[2]

سَالَتَاني الطلاق إذ رأتاني　　قلّ مالي. قد جِئْتُما فِي بنكر

وَيْكَأَن مَن يكن له نَشَبٌ يُحْبَبْ　　ومن يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضَبْرِ

فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسير، لأن قول المفسرين هو تنبيه.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلَى مَعَا دٍ﴾.

معنى فرض عليك القرآن أنزله عليك وألزمك، وفرض عليك العمل بما يوجبه القرآن.

---

(١) قوم قارون بعد أن خسف اللّه به وبداره أصبحوا يشكرون اللّه. على النجاة مما أصابه ويقولون: لولا أن مَنَّ اللّه علينا لخسف بنا، وهم يخاطبون بهذا من ليس على مذهب قارون ـ فلا يناسب ان يقولوا له «ويلك انه لا يفلح الكافرون» والعبارة غير جيدة.

(٢) عمرو بن نفيل يتحدث عن زوجتين له فركتاه لقلة ماله وقبله:

تلك عرساي تنطقان على العمد　　إلى اليوم قول زور وهتر

والبيت الأول في كتاب سيبويه ٢/١٧٠ ـ وانظر الخزانة ٣/٩٥، ٩٦ وابن يعيش ٤/٧٦. والبيت الثاني في الكشاف في الآية نفسها وذكر المرزوقي في مشاهد الانصاف البيتين وبيتاً بعدهما ـ وقال ان الشعر ينسب أيضاً لسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

﴿لَرَادُّكَ إِلَى معاد﴾: جاء في التفسير: لرادُّك إلى مكانك بمكة، وقيل إلى معادٍ إلى مكانك في الجنة، واكثر التفسير لباعثك، وعلى هذا كلام الناس: اذْكُر المَعَادَ. أي اذكر مبعثك في الآخرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾.

أيْ مُعيناً للكَافِرين، ويجوز فلا تَكُونَنْ ظهيراً، ولكني أكرهها لأنها تخالف المصحف، ويجب أن تكتب بالتخفيف بالألف.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾.

وجهه منصوب بالاستثناء، ومعنى الا وجههُ الا إياه، ويجوز إلاَّ وجهُهُ بالرَّفْع، ولكن لا ينبغي ان يقرأ بها، ويكونُ المعنى كل شيء غير وجهه هالك، وهو مثل قول الشاعر:[1].

وكل أخ مفارقه أخوه لَعَمْرَ أبيك إلاَّ الفَرقَدَان

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أَخُوه.

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي ـ ومن شواهد النحو السائرة انظر الأغاني ١٤/٢٤، والاصابة ت (٥٩٧٠) والاستيعاب ٢/٥٢٠ وشواهد المغني ٧٨، وكتاب سيبويه ١/٣٢٣ بولاق، والكامل ٣٥٧ (ط المعارف). وقد تقدم.

سُورَةُ العَنْكَبُوتَ
مكيَّة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿أَلم. أَحَسِبَ النَّاسُ﴾.

﴿أَلْم﴾تفسيرها أنَا اللّه أعلم. وقد فسرنا كل شيء قيل في هـذا في أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أن يَقولُوا آمَنَّا﴾.

اللفظ لفظ استخبار والمعنى معنى تقرير وتوبيخ، ومعناه أَحَسِبُوا أَنْ نَقْنَع منهم أن يقولـوا «إنا مؤمنـون» فقط ولا يمتحنون بمـا يَتَبَيَّنُ بـه حقيقة إيمانهم.

وجـاء في التفسير في قـولـه ـ جـل وعـز ـ: ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾، لا يختبرون بِمَا يُعْلَمُ بِهِ صدقُ إيمانهم من كذبه. وقيل: ﴿لاَ يُفْتَنُونَ﴾: لاَ يُبتَلَوْنَ فِي أَنْفُسِهم وأموالهم. فيعلَمُ بالصبر عَلى البَلاءِ الصَّـادِق ـ الايمانُ مِنْ غَيْرِه.

ومـوضـع «أن »الأولى نصبٌ اسمُ حَسِبَ وخبره، ومـوضـع «أن» الثـانية نصب من جهتين أجْـوَدُهُمَا أَنْ تَكُـونَ مَنْصُوبَـةً بِيُتْرَكُـوا، فيكون المعنى أحسب الناس ان يتركوا لأنْ يقولوا، وبأن يقـولوا، فلمـا حذف حرف الخَفْضِ وصل بتُتْـرَكوا إلى أن فَنصبَ، ويَجُـوزُ أن تكون الثـانية

العاملُ فيها «أَحَسِبَ»، كأن المعنى على هذا ـ واللّه أعلم ـ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهم لا يُفْتَنُونَ. والأَوَّلُ أَجْوَدُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي اخْتَبَرْنَا وابْتلينا.

وقوله: ﴿فَليَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾.

المعنى ولَيَعْلَمَنَّ صِدْقَ الصَّادِق بوقوع صِدْقِه منه، وكَذِبَ الكَاذِبِ بوقوع كَذِبه مِنْهُ، وهو الذي يُجَازِي عليه، واللَّه قد عَلِمَ الصَّادِق من الكاذِبِ قبل أَنْ يَخْلُقَهما ولكنَّ القَصْدَ قَصْدُ وقوع العلم بما يُجَازَى عَلَيْه.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾.

أي يَحْسَبُونَ أَنَّهم يَفُوتُونَنا، أي ليس يُعْجِزُونَنَا.

﴿ساء ما يحكمون﴾ على معنى ساء حكماً يحكمونَ، كما تقول نعم رَجُلاً زَيْدٌ ـ ويجوز أن تكون رفعاً، على معنى ساء الحكم حكمهم.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه واللَّه أعلم من كان يَرْجُو ثوابَ لِقاءِ اللَّه، فأما من قال: إن معناه الخوف، فالخوف ضِدُّ الرَّجَاءِ، وليس في الكلام ضِدٌّ. وقد بينا ذلك في كِتَابِ الأَضْدَادِ.

وقوله: ﴿فإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾.

«من» في معنى الشـرط، يرتفـع بالابتـداء، وخبرهـا كان، وجـواب الجزاء فإن أجل اللّه لآتٍ.

وقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ﴾.

القـراءة حُسْنـاً، وقـد رويَتْ إحْسَـانـاً، وحُسْنـاً أَجْـوَدُ لمـوافقـة المصحف، فمن قـال حُسْناً فهـو مِثْلُ وَصَّيْنَـا. إلا أن يفعل بـوالديـه مـا يَحْسُنُ، ومن قرأ إحساناً فمعنَاهُ ووصينا الانسان أن يحسـن إلى والديـه إحساناً، وكأن حُسْناً اعَمُّ في البِرِّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾.

معناه: وان جاهَدَكَ أيها الانسان والداك لتشرك بي، وكذلك على أَنْ تُشْرِكَ بي، ويروى أن رَجُلاً خرج مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِراً إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فَحَلَفَتْ أمُّه أَنْ لا يظلهـا بيت حتى يرجـع، فأعلم اللّه أَنَّ بـرَّ الوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ، ونهى أَنْ يَتابَعَا على مَعْصِيَةِ اللّه والشرك به، وإن كان ذلك عند الوالدين برًّا.

وقوله: ﴿ومن الناس مَنْ يَقُولُ آمَنَّـا باللَّهِ فـإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَل فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

أي فإذا ناله أَذًى أَوْ عَذَابٌ بسبب إيمانه جَـزِعَ من ذلك مـا يجزع من عذاب اللّه. وينبغي للمؤمن أَنْ يَصبرَ على الأذيَّةِ في اللّه عز وجل.

وقـوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لـلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُـوا سَبِيلَنَـا وَلَنَحْمِـلْ خَطَايَاكُمْ﴾.

يقرأ وَلْنَحْملْ بسكون اللام وبكسرها. في قوله ولنَحْمِلْ. وهو أمر في تأويل الشرط والجزاء، والمعنى إن تَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا حَمْلنا خطايـاكم.

والمعنى إنْ كَانَ فيه إثم فنحنُ نَحْتَمِلُه، ومعنى «سبيلِنَا» الطريقَ في ديننا الذي نسلكه، فأعلم اللَّه عز وجل أنهم لا يحملون شيئاً من خطاياهم فقال:

﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

معناه من شيء يُخففُ عن المحمولِ عنه العذابَ، ثم أعلم أنهم يَحملُونَ أَثْقَالَهُمْ وأثقالاً مع أَثْقَالِهم كما قال عز وجل: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١)، فقال في هذه السورة: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالَهُمْ وأثقالاً مع أَثْقَالِهِم﴾.

وجاء في الحديث تفسير هذا أنه من سَنَّ سُنَّةً ظُلْمٍ، أو من سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعليه إثمها وإثم من عمل بها، ولا ينتقصُ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِين عَمِلُوا بِهَا شَيءٌ. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كان له أَجْرُهَا وأَجْرُ من عمل بها إلى يوم القيامةِ وَلَا يُنْتَقَصُ من أُجُورِهِمْ شيءٌ وعلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٢)، أي علمت ما قَدَّمَتْ من عَمَلٍ، وما سَنَّتْ مِنْ سُنَّةٍ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فإن ذلك مِمَّا أَخَّرَتْ. ويَجُوزُ أن يكون «مَا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ» ما قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ وما أَخَّرت مما كان يجب أن تُقَدِّمَهُ. ثم أعلم اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّه يُوَبِّخُهُمْ فقال:

﴿وَلَيُسأَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

فذلك سُؤالُ تَوْبِيخٍ كما قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْئُولُونَ﴾(٣) فَأَمَّا سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ فقد أعلم اللَّه- عز وجل - أَنَّهُ لا يَسْأَلُ سُؤَالَ اسْتِعْلَامٍ في

---

(١) سورة النحل الآية ٢٥.

(٢) سورة الانفطار / ٥.

(٣) سورة «الصَّافَّات» ٢٤.

قوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1] .

وقوله : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ .

فالاستثناء مُسْتَعْمَلٌ في كلام العَرَبِ، وتأويلُه عند النَّحْوِيّينَ توكيدُ العَدَدِ وتحصيلُه وكمالُه، لأنك قد تذكر الجملةَ ويكون الحاصلُ أَكْثَرَهَا، فإذا أردت التَّوْكِيدَ في تمامها قُلْتَ كلّها، وإذا أردت التّوكيدَ في نقصانِها ادْخَلت فيها الاسْتثناء، تقول : جاءني إخوتك يعني أَنَّ جَمِيعَهُم جاءك. وجائز أَنْ تَعْنِيَ أَنَّ أكثرهم جاءَك، فَإذَا قُلْتَ: جاءني إِخْوَتُكَ كُلُّهُمْ أَكَّدْتَ معنى الجَمَاعَةِ، وأَعْلَمْتَ أنه لم يتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وتقول أَيْضاً: جاءني إِخْوَتُكَ إلاّ زيداً فتؤكد أنَّ الجَمَاعَةَ تنقُصُ زيداً. وكذلك رُءُوس الأعْدَادِ مُشَبَّهَةٌ بالجماعات، تقول: عندي عَشَرةٌ، فتكون ناقِصَةً، وجائز أن تكون تامَّةً، فإذا قُلْتَ: عَشَرَةٌ إلاَّ نِصْفاً أو عشرةٌ كَامِلةٌ حَقَّقْتَ، وكذلك إذَا قُلْتَ: أَلْفٌ إلاّ خَمْسِينَ فهو كقولك عشرةٌ إلاَّ نِصْفاً لأنك إنَّما اسْتَعْمَلْتَ الاستثناء فيما كان أَمْلَكَ بالعَشَرَةِ[2] من التِّسْعَةِ، لأنَّ النِّصْفَ قَدْ دَخل في بابِ العَشرةِ، ولو قُلْتَ عشرة إلاَّ واحداً أو إلاَّ اثنَيْن كان جائزاً وفيه قُبْحٌ، لأن تِسْعةً وَثمانيةً يؤدي عَنْ ذَلِكَ العَدَدِ، ولكنه جائز من جهة التَّوْكِيدِ أَنَّ هَذِه التِّسْعَةَ لا تَزيد ولا تنقُصُ، لأَنَّ قَوْلَكَ عَشَرةٌ إلاَّ واحداً قد أخبرت [فيه] بحقيقة العَدد واسْتثنيت ما يكون نقصاناً من رأس العَدَدِ.

والاختيار في الاستثناء في الاعداد التي هي عُقُودُ الكُسُور والصِّحَاحِ [أنه][3] جَائِزٌ أن يستثنى. فأما استثناء نصف الشيء فقبيح

---

(١) سورة الرَّحْمن ٣٩.

(٢) أدخل في عدد العشرة وأدل عليها.

(٣) زيادة لا بد منها لخلو الخبر من الرابط.

جـدًّا، لا يتكلم به العَـرَبُ، فإذَا قلتَ عشـرةً إلا خمْسةً فليس تَـطُور[1] العَشَرةُ بِالخَمْسَةِ لأنها لَيْسَتْ تَقْـرُبُ منها، وإنمـا تتكلم بالاستِثْنَـاء كما تتكلم بِالنُّقْصَانِ، فتقول: عندي درهـم ينقص قِيـرَاطاً، ولـو قلت عندي درهم ينقص خمسة دوانيق[2] أو تنقُصُ نِصْفَه كان الأولى بذلك: عِنْدِي نصف دِرْهَمٌ. ولم يأت الاستثناء في كلام العَرَبِ إلاَّ قليلٌ من كثير[3].

فهذه جملة كافيةٌ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

الطُّوفَانُ مِن كُلِّ شيءٍ ما كان كثيراً مُطِيفاً بالجماعة كلها كـالْغَرَقِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى المـدُنِ الكَبِيـرَةِ. يقـال فيه طـوفانٌ. وكـذلك القتـل الذَّرِيعُ والموت الجارف طوفانٌ.

وقوله: ﴿فَأَنْجَينَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾.

قد بَيَّن في غير هـذه الآية مَنْ أَصْحَـابُ السفينةِ، في قـوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثنين وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَق عَلَيْه القَوْلُ﴾[4].

وقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

المعنى وَأَرْسَلْنَا إبراهِيمَ عَطْفاً على نوحٍ.

وقوله: ﴿إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وتخلقون إفْكاً﴾.

---

(١) الطور ـ كنهر وكعود ـ والطوار ـ ما كان بحذاء الشيء أو جواره، والمراد أن الخمسة ليست دانية من العشرة.

(٢) جمع دانق، وجمعه دوانق ـ والدرهم عشرة دوانق.

(٣) لم يأت الا استثناء الشيء القليل من الكثير.

(٤) سورة هود الآية ٤٠.

وقرئت «وَتُخَلِّقُونَ إِفْكاً». أَوْثاناً أَصْناماً. وتخلقون إفْكاً فيه قَولانِ، تخلقون كذِباً، وقيل تعملون الأَصْنَامَ، ويكون التأويلُ على هذا القول: إنما تعْبُدُونَ من دون اللّه أَوْثاناً وأَنْتُم تصنعونَها.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثم يُعِيدُه﴾، وتقرأ تَرَوا بالتَّاءِ.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾.

أي ثم إن اللّه يبعثهم ثانيةً بِنَشْئِهِمْ نشأةً أخرى، كما قال: ﴿وأَنَّ عَلَيْه النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾[1]. وأكثر القراءة النشأة بتسكين الشِّين وترك لمدَّة، وقرأ أَبُو عَمْرٍو النَّشَاءَةَ الأُخْرَى بِالمَدِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أنتم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءَ﴾.

أي ليس يعجز اللَّهَ خَلْقٌ في السماء ولاَ في الأَرْضِ. وفي هذا قولان أَحَدُهُما معناهُ ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء مُعْجِزين في السَّمَاءِ، أي من في السموات ومن في الأرض غير مُعْجِزِينَ. ويجوز - واللّه أعلم - وما أَنتُمْ بمعجزين في الأَرْضِ، لا ولو كنتم في السماء، أي لا ملجأ من اللّه إلاَّ إليْهِ.

وقوله عزوجل: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللّه وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتي﴾.

روي عن قَتَادَة أنه قال: إنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْماً هَانُوا عَلَيْه فقال: أولئك يئسوا مِنْ رَحْمَتِي، وقال: إنه لا يَيْأَسُ من رَوْح اللّه إلاَّ القوم الكافرون، وينبغي للمؤمن ألاَّ ييئَسَ من روح اللّه، ولا من رَحْمَتِه، وَلاَ يأْمَنُ مِنْ عَذَابِه وعِقَابِه، وصِفَةُ المُؤمِنِ أن يكون راجياً للّه، خائفاً.

---

(١) سورة النجم الآية ٤٧.

﴿فَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ﴾.

وقرأ الحسنُ فما كان جَوَابُ قَوْمِهِ ـ بالرفع ـ فمن نصب جَعَل «أَنْ قَالُوا» اسم كَـانَ، ومن رفع الجَـوَابَ جَعَلَه اسمَ كان وجَعَـلَ الخَبَرَ «أَنْ قَـالُوا» وَمَـا عَمِلَتْ فيه، ويكـون المَعْنَى ما كـان الجوابُ إلاَّ مَقـالَتَهُـم: اقْتُلوه، لما أَنْ دَعَـاهُـم ابراهيم إلى توحيد اللّه عز وجَلَّ، واحتَجَّ عَلَيْهم بـأنهم يعبـدون مـا لا يضـرهم ولا ينفعُهُمْ، جعلوا الجــواب اقتلوه أو حَرِّقُوهُ.

وقوله: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

المعنى فحرَّقوه فأنجاه اللّه من النَّـارِ. ويُرْوَى أن إبـراهيم ﷺ لم تعمل النَّارُ في شيء منه إلاّ في وَثَاقِـهِ الذي شُـدَّ بِهِ. ويـروى أن جميع الدواب والهَوَامِّ كانت تطفـئُ عن إبراهيم إلا الوزغ[1]، فإنها كانت تنفخ النار، فأمِرَ بِقَتْلِهَا ويـرد أنه لم ينتفـع في ذلك اليـوم بِالنّــارِ، أعني يَوْمَ أخذوا إبراهيم عليه السلام.

وجميعَ ما ذكرناه في هذه القِصَّةِ مِمَّـا رواه عبد اللّه بن أحمـد بن حَنْبَل عَنْ أَبيه، وكـذلك أكثـر ما رَوَيْتُ في هـذا الكتاب من التفسيـر. فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً﴾.

أي قال إبراهيم لقوْمِهِ إنمـا اتخذتم هـذه الأوثان لِتَتَـوادُّوا بها في الحياة الدُّنْيَا.

﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُر بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾.

---

(١) الوزغ هو سام أ.

وهـذا كما قـال اللّه ـ عز وجـل :﴿الأخِـلاَّءُ يَـوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدوٌّ إلاَّ المُتَّقِين ﴾[1].

وفيهـا في القـراءَةِ أَرْبعَـةُ أَوْجُـهُ. مِنْهَـا مَـوَدَّةَ بَيْنِكُمْ، بفتـح مـودّة وبـالإضـافـة إلى بَيْنِ، وبنصْب مَـوَدَّة والتنــوين، ونصب بَيْنَ، «مَـودَّةً بينَكُمْ» ويجـوز مودَّةُ بَيْنِكُمْ ـ بـالرفـع والإِضَافَـةِ إلى بين، ويجوز مَـوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ ـ بـالرفـع والتنوين ونصبُ بَيْنٍ. فـالنَّصْبُ في مَوَدَّة من أجـل أنها مفعـول لهـا، أي اتخـذتم هـذا للمـودَّةِ بينكم. ومن رفـع فمن جهتين إحْـدَاهُمَـا أن يكـون «مـا» في معنى «الـذي» ويكـون المعنى: إنَّ مـا اتخذتموه من دون اللّه أوثاناً مَوَدَّةُ بينكم، فيكون مودة خبرَ إنَّ، ويكون بـرفع مـودَّة على إضْمارِ هيَ، كَـأَنَّهُ قـال: تِلْكَ مودَّةُ بَيْنَكُمْ في الحيـاة الـدنيا، أي أُلْفَتُكُمْ واجتمـاعكم على الأَصْنَامِ مـودَّةُ بينكم في الحيـاة الدنيا.

وقوله عز وجل :﴿فآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إنّي مُهَاجِرٌ إلَى رَبِّي﴾.

صَـدَّق لُوط إبـراهيم عليه السـلام، وقـال إني مهـاجـر إلى ربي. إبْرَاهِيمُ هاجَرَ من كُوثَى[2] إلى الشام.

وقوله :﴿ وآتَيْنَاهُ أَجْره فِي الدُّنْيَا﴾.

قيـل الذكـر الحسن، وكذلـك ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْه فِي الآخِرينَ﴾. وقيل ﴿وآتيناه أجْـرَهُ في الـدُّنيا﴾ أنــه ليس مِنْ أمَّـةٍ من المُسْلمين واليهــودِ والمجـوسِ والنَّصارى الا وهم يعـظمون إبـراهيم. وقيل﴿وآتينـاه أَجْرَه

---

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧.

(٢) المعـروف تاريخيـاً أن إبراهيم كـان في أور الكلدانيين ـ قريبـاً من بابـل ـ ولعل كـوثى اسم من اسمائها أو هي قرية قريبة منها.

في الدُّنْيَا﴾أن الانبياء مِنْ وَلَدِه، وقيل الولد الصالح.

وقوله تعالى :﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى أنه لم يَنْزُ ذَكَرٌ على ذَكَرٍ قبل قَوْمِ لُوطٍ.

وقوله :﴿أَئِنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

اللفظ لفظ استفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ.

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾.

جاء في التفسير ويقْطَعُونَ سبيلَ الوَلَدِ، وقيل يعترضون النـاسَ، في الطُّرُقِ لِطلَب الفَاحِشة.

﴿وتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾.

أي تأتون في مجالسكم المنكَر، قيل إنهم كانوا يَخْذِفُونَ[1] النَّاسَ في مجالِسِهِمْ ويسخرون مِنْهم، فأعلم اللَّه جل وعز. أن هذا من المنكر، وأنه لا ينبغِي أن تتعاشر الناس عليه، ولا يجتمعوا إلاَّ فيما قَرَّب إلى اللَّه وباعَدَ مِنْ سَخَطِهِ، وألاَّ يجتمعوا على الهزء والتَّلَهِّي، وقيل: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾ أَنَّهُمْ كانوا يَفْسُقَونَ في مَجَالِسِهِم.

وقوله :﴿وعاداً وثموداً وقَدْ تَبَيَّنَ لكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾.

المعنى وأهلكنا عاداً وثموداً، لأَن قبل هذا قَارُونَ وأَصْحَابَهُ، فأَخذتهم الرجفة.

وقوله :﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فِمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصِباً﴾.

(١) الخذف بالخاء المعجمة رمي الحصا بالسبابة.

وهم قومُ لوطٍ.

﴿وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم قوم ثمودَ وَمَدْين.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾: وهم قارون وأَصْحابُه.

﴿وَمنهم من أَغْرَقْنَا﴾: وهم قوم نوحٍ وفرْعَوْنَ.

فأعلم اللّه أن الذي فُعِلَ بهم عَدْلٌ، وأنه لم يَظْلِمْهُمْ، وأنهم ظلموا أَنْفُسَهُمْ. لأنه قَدْ بَيَّنَ لَهُمْ، وذلك قوله: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

أتوا ما أَتَوْه وَقَدْ بَيَّن لهم أن عاقبته عَذَابُهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتخذت بَيْتاً... ﴾الآية[1].

«لَوْ» مُتَّصِلةً بقوله اتَّخَذُوا، أي لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتِّخَاذِ العنكبوتِ، ليس أنهم لا يَعْلَمُونَ أن بيت العنكبوت ضعيف، وذلك أن بيت العنكبوت لا بَيْتَ أضعفُ منه، فيما يَتَّخِذُه الهَوَامُّ في البيوت، ولا أقل وقايةً منه من حَرٍّ أو بَرْدٍ، والمعنى أن أولياءَهُمْ لاَ يَنْقُصُونَهُمْ، ولا يرزقونهم ولا يدفعون عنهم ضَرَراً، كما أن بيت العَنكَبُوتِ غير مُوَقٍّ للعنكبوت.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِم الصَّلاَةَ إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ﴾.

قال الحسن وَقَتَادَةُ: من لم تنهه صَلاَتُه عن الفحشاء والمنكر فليست صَلاَتُه بِصَلاةٍ، وهي وَبَالٌ عَلَيْه.

---

(١) بقيتها: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

فيها أوجه: فمنها أن أكبر في معنى كبير، وجَاءَ في التفسير: ولذكر اللَّه إيَّاكم إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ أكبر من ذكركم، ووجه آخر معناه ﴿ولذكر اللَّه أكبر﴾ هو النهيُ عن الفحشاء والمنكر، أكبر من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، لأن اللَّه قد نهى عنها.

وقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

[أي] أهلَ الحربِ، فالمعنى: لا تجادلوا أهل الجزيَةِ إلَّا بالتي هي أَحَسَنُ، وقاتلوا الذين ظلموا. وقيل إن الآية منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ﴾(١). إلى قوله حتى ﴿يعطوا الجزية عَنْ يَدٍ وهم صاغرون﴾. فكان الصَّغَارُ خارجاً مِنَ الَّتي هي أَحْسَنُ، فالأَشْبَهُ أن تكون مَنْسُوخَةً. وجائز أن يكون الصغار أخذَ الجزية مِنهم وَإن كرهوا، فالذين تُؤْخَذُ منهم الجزية بنص الكتاب اليهودُ والنَّصَارَى، لأنهم أصحابُ التَّوراة والانجيل، فأما المجوسُ فأخذت منهم الجِزْيَةُ لقول رسول اللَّه ﷺ: «سُنُّوا بِهِم سُنَّة أهل الكتاب». واختلف الناسُ فيمن سِوى هؤلاء من الكفار مثل عبدَة الأوثان ومن أَشْبَهُهُمْ فهم عند مالك بن أنس يجرون هذا المجرى. تؤخذ منهم الجزية كانوا عَجَماً أو عَرَباً، وأما أهل العِراقِ فقالوا نَقْبَلُ الجزية من العَجَم غير العَرَبِ إذا كانوا كفَّاراً، وإن خرجوا من هذه الأَصْنافِ أعني اليهود

(١) بقيتها: ﴿ولا يُحرّمُون ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دينَ الحَقّ مِنَ الَّذِينَ اوتُوا الكتاب﴾ سورة التوبة الآية ٢٩.

والنصارى والمجوس، نحو الهندِ والترك والديلم، فأما العَرَب عندهم فإذا[1] خرجوا من هذه الثلاثة الأصناف لم تُقْبَلْ منهم جِزْيَةٌ، وكان القتل في أمرهم إن أقاموا على مِلَّةٍ غير اليَهُوديَّةِ والنصرانية والمجوسيَّةِ، وبعض الفقهاء لا يرى إلا القَتْلَ في عبدة الأووثان والأصنام ومن أشبَهُهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تخطه بيينك إذاً لارْتَابَ المبْطلُونَ﴾.

أي ما كنت قرأت الكتُبَ وَلَا كُنْتَ كاتباً، وكذلك صفة النبي ﷺ عندهم في التوراة والانجيل.

وقوله: ﴿لارْتَابَ المُبْطِلُونَ﴾ قيل إنهم كُفَّارُ قُرَيْشٍ.

وقوله: ﴿بل هو آياتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾.

قيل فيه ثلاثة أوجُهٍ، منها بل القرآن آياتٌ بينات، ومنها بل النبي ﷺ وأموره آيات بيناتٌ، ومِنْها «بل هو آيات بيِّناتٌ» أي بل إنه لا يقرأ ولا يكتبُ، آيات بَيِّنَاتٌ، لأنه إذا لم يكن قرأ كتاباً، ولا هو كاتب ثم أخبر بأقاصيص الأولين والأنبياء فذلك آياتٌ بينَاتٌ في صدور الذين أوتوا العلم.

وقوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ العَذَابُ﴾.

هذه نزلت في قوم جهلة قالوا: ﴿اللَّهُمْ إنْ كَانَ هَـذَا هُوَ الحقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِر عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾[2]، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ

---

(١) في الأصل إذا خرجوا وزدنا الفاء في جواب أمّا.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الانفال.

لِعَذَابِهِمْ أَجَلاً فقال:﴿بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٢].

وقوله عز وجل:﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾.

مَعناه فُجَاءَةً، وبغتَةً اسم مَنْصُوبٌ في موضع الحال، ومعناه وَلَيأتينَّهُمْ مفاجأةً﴾.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

كان قوم من المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهود فأتوا به النبي ﷺ. فقال عليه السلام: كَفَى بها حَماقةَ قَوْمٍ، أو ضَلاَلَة قَوْمٍ أَنْ رَغبوا عما أَتَى بِهِ نَبِيُّهُمْ إلى ما أتى به غير نبيِّهِمْ إلى غير قومهم.

وقوله عز وجل:﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدونِ﴾.

تفسيرها: قيل إنَّهُمْ أُمِرُوا بالهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة اللَّه - عز وجل - وأداء فرائضِه، وأصل هذا فيمن كان يمكنه مِمَّنْ آمن وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يُعمل فيه بالمَعَاصِي ولا يمكنه بغير ذلك أن يُهَاجِرَ وينتقِلَ إلى حيث يَتَهَيَّأ له أن يعبُدَ اللَّه حق عِبَادَتِهِ.

وقوله عز وجل:﴿فإيَّايَ فَاعْبُدونِ﴾.

«ايَّايَ» منصوب بفعل مضمر، الذي ظهر يُفَسِّرُهُ، المعنى فاعبدوا إياي - فاعبدوني، فاستغنى بأحد الفعلين، أعني الثاني - عن إظهار الأول، فإذا قلت: فإياي فاعبدوا، فإياي منصوب بما بعد الفاء، ولا

(١) سورة القمر الآية ٤٦.

تنصِبْه بِفِعْل مُضْمَر كما أنك إذا قُلْتَ: بِزَيْد فَامْرُر، فالباء متعلقة بامْرُرْ، والمعنى: أنَّ أرضي واسِعَةٌ فَاعْبُدونِ، فالفاء إذا قُلْتَ زيداً فاضرب لا يصلح إلا أَنْ تكون جواباً للشَّرطِ، كأن قائلاً قال: أنا لا أَضربُ عَمْراً، ولكني أضرب زيداً، فقُلتَ أنت مُجيباً له: فاضرب زيداً، ثم قلت زيداً فاضرب، فجعلت تقديم الاسم بدلاً من الشرط، كأنك قلت إن كان الأمر على ما تصف فاضرب زيداً، وهذا مذهب جميع النحويين البصريين.

وقوله:﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

كل حيوان على الأرض مما يعقل، وما لا يَعْقِل فهو دابَّةٌ، وإنما هو من دَبَّتْ على الأرض فهي دَابَّةٌ، والمعنى نفسٌ دابَّةٍ، ومعنى وكأين: وكم من دَابَّةٍ.

وقوله: ﴿لا تحمل رِزْقَهَا﴾.

أي لا تدَّخر رزقها، إنما تصبح فَيَرْزُقُها اللّه. وعلى هذا أكثر الحيوان والدّبِيبِ وليس في الحيوان الذي هو دبيب ما يدخِرُ فيما تبيَّن غيرُ النَّمْلِ، فإن ادِّخَارَه بيّنٌ.

وقوله:﴿وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

معناه هي دار الحياة الدائمة.

وقوله عز وجل:﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ من الجَنَّةِ غُرَفاً﴾.

وقرئت لَنُثَوِّيَنَّهُمْ - بالثاء - يقال ثوى الرجل إذا أقام بالمكان وَأَثْوَيْتُه أنزلته منزلاً يقيم فيه.

وقوله عز وجل:﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾.

قــرئ بِكَسْـر الـلام وتسكينهـا، والكســر أَجْـوَدُ على معنى لكي يكفروا وكي يتمتَّعُوا.

وقوله:﴿فإذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

أي لم يدعوا أن تُنْجِيَهُمْ أَصنامُهُم وما يعبدونه مع اللَّه.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلَى البَرِّ إذا هم يُشْرِكُونَ﴾.

أي يعبدون مع اللَّه غيره.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

أعلم اللَّه أنه يَزِيدُ المجاهـدين هدايـةً كما أَنَّـهُ يُضِلُّ الفـاسقين، ويَزِيد الكافرين بِكُفْرِهِمْ ضَلَالَةً، كذلك يَزِيدُ المُجَاهِـدِين هِدايـةً ـ كذا قال عز وجل:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُـمْ هُــدًى وآتَاهُـمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]، فالمعنى أَنَّهُ آتاهم ثواب تقواهم وَزَادَهم هُدًى عَلَى هِدَايتِهِم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّـه لَمَع المُحْسِنِينَ﴾.

تـأويله إن اللَّه نَاصِـرُهم، لأن قولـه: ﴿والذين جـاهدوا فينا﴾. اللَّه معهم[2]. يـدل على نصرهم، والنصـرة تكون في عُلُوِّهِمْ على عَـدُوِّهِمْ بالْغَلَبَةِ بالحِجَّةِ والغَلَبة بالقَهْرِ والقدرة.

---

(١) سورة محمد آية ١٧.

(٢) العبارة غير جَيِّدَةٍ، ويظهر أنه يريد أن المجاهدين من المحسنين، فاللَّه معهم أي ناصرهم ـ لأن الآية «وان اللَّه لمع المحسنين» وليست «مع المجاهدين» لكن معية المحسنين عامة تستلزم معية المجاهدين، وربما سقط من كلامه شيء.

سُورَةُ الرُّومِ
مَكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿ألم. غُلِبَتْ الرُّومُ﴾.

قد شَرَحْنَا ما جاء في ﴿الم﴾، وقُرِئَتْ غُلِبَتْ بضم الغَيْنِ، وقرأ أبو عَمْرٍو غَلَبَتْ - بفتح الغَيْن - والمعنى على غُلِبَتْ، وهي إجماع القراء. وذلك أن فارِسَ كانت قد غَلَبَتِ الروم في ذلك الوَقْتِ، والروم مغلوبة، فالقَراءة غُلِبَتْ.

وقوله: ﴿في أَدْنَى الأَرْضِ﴾.

قيل في أطراف الشام، وتأويله أدنى الأرض مِنْ أَرْض العَرَبِ.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِينَ﴾.

هذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله، لأنه أَنْبَأَ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله - عز وجل - وكان المشركون سُرُّوا بأن غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ، وَذَلِكَ لأنَّهم قالوا: إنَّكُمْ أيها المسلمون تَزْعَمُونَ بأنكُمْ تُنْصَرون بأنكم أهلُ كتاب، فقد غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّوم، وفارس ليست أهل كتاب، والروم أهل كتابٍ، فكذلك سنغلبكم نحن، فأعلم الله - عز وجل - أَنّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِين، وَسَيُسَرُّ المسلمُونَ بِذَلِكَ فراهَنَ المُسْلِمُونَ المُشْرِكين وبايعوهم على صحة هذا الخبر. والبِضْعُ ما بين الثلاث إلى التِّسْع، فلما مضى بعض البِضْع

طَالبَ المشركون المُسْلِمِين وقالوا قَدْ غَلَبْنَاكُمْ، لأنه قد مَضَت بضع [سنين] ولم تغلب الروم فَارِسَ واحتج عليهم المسلمون بأن البِضْعَ لَمْ يَكْمُل، وزادوهم وأخروهم إلى تمام البِضْع، فغلبت الروم فارسَ وقمَرَ المسلمون وذلك قبل أن يُحَرَّمَ القِمَارُ وَفَرِحَ المسلمون وخَزِيَ الكافرون.

وقوله عز وجل:﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

القراءة الضَّمُّ، وعليه أهل العربية، والقرّاء كُلُّهم مجمعون عليه، فأما النحويون فيجيزون مِنْ قَبْلٍ ومن بَعْدٍ بالتنوين، وبعضهم يجيز من قَبْلِ وَمِن بَعْدِ - بغير تنوين، وهذا خَطَأٌ لأن قَبْل وبَعْد ههنا أصلهما الخفض ولكن بُنِيَتَا علَى الضَّمِّ لأنهما غايَتَانِ. ومعنى غاية أن الكلمة حذفت منها الاضافَةُ، وَجُعِلَت غاية الكلمة ما بقيَ بعد الحَذْفِ. وإنما بُنِيَتَا على الضم لأن إعرابَهُمَا في الإضَافَةِ النصبُ والخَفْضُ. تقول: رأيته قبلَكَ وَمِنْ قَبْلِكَ، ولا يرفعان لأنهما لا يُحدَّث عَنْهُمَا لأنهما اسْتُعْمِلتَا ظرفَيْنِ، فلما عُدِلاَ عن بابهما حُرِّكا بغير الحركتين اللَّتَيْنِ كانتا تَدْخُلاَنِ عليهما بحق الاعراب. فأما وجوب ذهاب إعْرَابِهما، وبِنَاؤُهما فلأنَّهما عُرِّفَا من غير جهة التعريف، لأنه حذف منهما ما أضيفتا إلَيْه.

والمعنى للَّه الأمر من قبل أَنْ يُغْلَبَ الروم ومن بعدما غُلِبَتْ، وأَما الخَفْض والتَّنْوِينُ فعلى من جعلهما نكرتين، المعنى: لِلَّهِ الأمر مِنْ تَقَدُّمٍ وَتَأَخُّرٍ. والضَّمُّ أَجْوَدُ، فأما الكسر بلا تنوينٍ فذكر الفرّاء أَنَّه تَرْكُه عَلَى ما كَانَ يَكُونُ عَلَيْه في الإضافَةِ ولم يُنَوَّنْ، واحتج بقول الأول:(١).

---

(١) البيت للفرزدق وصدرهُ: يا من رأى عارضاً أُسَرّ به، وهو في ابن يعيش ٢١/٣، والعيني =

بَيْنَ ذراعَيْ وَجَبْهَةِ الأسَدِ

وبقَوْلِه(١):

ألاَّ غُلالَةَ أوْ بَدَاهَةَ قارِحٍ نَهْدِ الجُزَارَة

وليس هذا كذلك لأن معنى بين ذراعي وجبهة الأسَدِ. بين ذراعيه وَجَبْهَتِهِ فقد ذكِرَ أحَدَ المضافَيْن إلَيْهِمَا، وذلك لو كان للّه الأمْرُ من قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ كَذا لجاز وكان المعنَى من قبل كذا ومن بعد كذا. وليس هذا القول مما يُعرَّج عَلَيْهِ ولا قاله أحد من النحويين المتقدمين.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾.

الغَلَبُ والطَّلَبُ مَصْدَران، تقول: غَلَبْتُ غَلَباً، وَطَلَبْتُ طَلَباً، وزعم بعض النحويين أنَّه في الأصل مِنْ بَعْد غَلَبَتِهِم، وذكر أن الاضافة لما وقعت حذفت هاء الغَلَبَةِ، وهذا خطأ. الغلبةُ والغَلَبُ مصدر غَلَبْتُ مثل الجَلَبُ والجَلبةُ.

وقوله: ﴿وَعْدَاللّهِ لَا يُخْلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ﴾.

القراءة النَّصْبُ في وَعْد، ويَجُوز الرَّفْعُ، ويجوز النصب، ولا أعلم أَحداً قرأ بالرفع. فالنصب على أَنَّهُ مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ، لِأَن قوله «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سيغلبون».

هو وعد من اللّه للمؤمنين، وقوله «وَعْدَاللّهِ» بمنزلة وعدَ اللّه

= ٤٧٢/٣ وكتاب سيبويه ٢٧٧/٢ والخزانة ٢٧٧/٢ (سلفية) والسنتمري ٩٢/١.

والعارض السحاب تعترض الأفق وذراع الأسد وجبهة الأسد مجموعتان من الكواكب ـ وللاسد ذراع مقبوضة وأخرى مبسوطة ـ كل منهما كوكبان.

(١) البيت للاعشى من قصيدته:

يا جارتا ما أنت جاره بانت لتخزننا عفاره

والبيت في الخزانة ١٣١/٣ وهو الشاهد ٢٣، وفي العيني ٤٥٣/٣، وفي الديوان ١١٦، وفي الخصائص ٤٠٧/٢.

وَعْداً. ومن قال: وَعْدُ اللّه كان على معنى ذلك وَعْدُ اللّه كما قال: كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً من نهارٍ بَلاَغٌ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

هذا في مشركي أهل مكة المعنى يعلمون من معايش الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يعالجون التجارات، فأعلم اللّه - عز وجل - لما نفى أنهم لا يعلمون مَا الَّذِي يَجْهَلُونَ، ومقدار ما يَعْلَمُونَ فقال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾.

«هم» الأولى مرفوعة بالابتداء، «وهم»الثانية ابتداء ثانٍ، وغافلون خبر «هم» الثانية، والجملة الثانية خبرهم الأولى. والفائدة في الكلام او ذكر «هم» ثانية، وإن كانت ابتداء تَجْري مجرى التوكيد كما تقول زيد هو عَالِمٌ، فهو أوكد من قولك زيد عالم. ويصلح أن تكون «هم» بدلاً من هم الأولى مُؤكّدَةً أَيْضاً، كما تقول: رأيته إيّاهُ.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ﴾.

معناه أو لم يتفكروا فيعلموا، لأن في الكلام دليلاً عَلَيْه، وَمَعنى بالحقّ ههنا «إلاَّ للحَقِ» أي لأقامة الحقِّ.

﴿وأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

أي لإقامة الحق ورَجَلٍ مُسَمًّى؛ وهو الوقتُ الذي تُوَفَّى فيه كُلُّ نَفْس ما كَسَبَتْ.

وقوله:﴿وَإنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

[أي لكافرون] بلقاءِ رَبِّهم، تَقَدَّمت الباءَ لأنها مُتَّصِلةٌ بكافِرُونَ، وما اتَّصَلَ بخبرِ إن جازَ أن يُقَدَّم قبْلَ اللام، ولا يجوز أن تَدْخلَ اللاَّمُ بَعْدَ مُضيِّ الخَبَرِ. لا يجوز أن تقول إن زيداً كافر لبالله. لأنَّ اللام حَقُّهَا أن تدخل عَلى الابتداء والخبر. أو بين الابتداء والخَبر، لأنها تؤكد الجملة، فلا تأتي تَوْكيداً وقد مضت الجملة. ولا اختلاف بين النحويين في أن اللام لا تدخل بغير الخبر.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾.

يعني أن الذين أهلكوا من الأمم الخالِيةِ، كانُوا أكثر حَرْثاً وعِمارَةً من أهل مكة، لأن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى [أَن كَذَّبُوا. . .]﴾.

القراءة بنصب عاقبة ورفعها، فمن نصب جعل السوءى اسم كان ومن رفع «عَاقِبَةَ» جعل السُّوءَى خبراً لِكان، والتفسير، في قوله أَساءُوا ههنا أنهم أشركوا، والسُّوءى النَّارُ، وإنما كان أساءوا ههنا يَدُلُّ على الشرك لقوله: ﴿وإنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ بِلقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

فإساءتُهم ههنا كفرهم، وجزاء الكُفْرِ النَّارُ. وَدَلَّ أيضاً على أَنَّ اساءوا ههنا الكُفْرَ: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللَّه وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فالمعنى: ثم كانَ عَاقِبةُ الكافِرينَ النَّارَ لتكذِيبِهمْ بآيات اللَّه واستهزائهم.

وقوله عز وجل: ﴿يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أنهم في القيامة ينقطعون في الحجة انقطاع يئسين منْ رَحْمةِ اللَّه، والمبلس الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يَهتدِي إليها، تقول: ناظرت فلاناً فأبلس أي انقطع وأمسك ويئس من أن يحتج.

وقوله:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

جاء في التفسير أنـه افتراق لا اجتمـاعَ بعده، وفيمـا بعده دليـل على أن التفرق هو للمسلمين والكافرين، فقال:﴿يومئِذ يتفرقون﴾،ثم بين على أي حال يتفرقون فقال:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبِرُونَ﴾.

وجـاء في التفسير أن «يُحْبَـرُونَ» سمـاع الغنـاء في الجنـة، والحبـرة في اللغة كل نعمة حسنة، فهي حَبْـرة، والتحبير التحسين والحَبْـرُ العِالم أيضـاً هو من هـذا، المعنى أنه متخلق بأحسـن أخـلاق المؤمنين، والحِبْـرُ المِـدادِ إنمـا سُمِّيَ لأَنَّه يُحَسِّنُ به.

وقوله:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا ولِقَـاءِ الآخِرَةِ فَـأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

أي حال المؤمنين السماع في الجنـة، والشغل بغـاية النعمـة[١]، وحال الكافرين العذاب الأليم هم حاضروه أبـداً غير مُخَفَّفٍ عنهم، ثم أعلم عز وجل بعد هذا ما تُدْرَكُ به الجَنَّةُ، ويتباعد به عَن النَّارِ بقـوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُـونَ، وَلَهُ الحَمْـدُ فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

جـاء في التفسيـر عن ابن عبـاس أن الـدليـل على أنَّ الصلوات خمس هـذه الآيـة ﴿فسبحـان اللّه حين تُمسـون وحينَ تُصْبِحُـون﴾ فحين تمسون صلاة المغرب وَعِشَاءُ الآخـرة وحين تصبحون صـلاة الغداة[٢]، وعشياً صلاة العصر، وحين تظهرون صلاة الـظهر. وقـد قيل ان قـوله:

---

(١) لا يشغلهم الا التمتع بالنعم الكبرى.

(٢) صلاة الصبح.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صلاة العِشـاءِ ثلاثُ عَـوْرَاتٍ لَكُمْ﴾[1] إنها الصـلاة الخامسـة، فيكون على هذا التفسير قوله: ﴿حين تمسون﴾ لصلاة واحدة.

ومعنى سبحان اللّٰه تنزيه اللّٰه من السوء. هذا لا اختلاف فيه.

وقـولـه ـ عز وجل ـ ﴿يُخْـرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّت وَيُخْـرِجُ الميّتَ مِنَ الحيِّ﴾.

جـاء في التفسير أنـه يخرج النـطفَة ـ وهي الميت ـ من الحي مِنَ الإنسان، ويخرج الحيَّ من المَيِّتِ، يخرج الانسان من النطفة.

﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

أي يجعلها تنبت، وإحياء الأرض إخراج النّبات منها.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

أيْ وَكَذَلِكَ تُخْـرَجُونَ مِنْ قُبُـورِكُمْ مَبْعُوثِينَ، وموضِعُ الكـاف نَصْبٌ بِتُخْـرَجُـونَ، والمعنى أن بعثكم عليـه كخلقكم، أي همـا في قُـدْرَتِـهِ مُتَسَاوِيانِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ من تُرَابٍ﴾.

أَيْ من العَلاَمَاتِ التي تـدل على أَنَّ اللَّهَ وَاحِـدٌ لا مثيل لـه ظهورُ القُـدرة التي يعجـز عنهـا المخلوقـون، ومعنى خلقكم مِنْ تُـرَابٍ، أي خلق آدَمَ مِنْ تُرَابٍ.

﴿ ثُمَّ إذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

[أي] آدَمُ وَذرِيَّتُهُ.

---

(١) سورة النور الآية ٥٨.

﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾.

خلق حَوَّاءَ مِنْ ضِلْعٍ من أضلاع آدم، وجعل بين المرأة والزَّوج المودَّة والرّحمة مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وأن الفرْك وهو البُغْضُ مِنْ قِبَلِ الشيطانِ، يقَال فَرِكَت المرأة زوجها تَفرِكَه فِرْكاً، إذا أبغضته.

وقوله عز وجل:﴿وَمِنْ آيَاتِه يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمعَاً ﴾.

خوْفاً وطمعاً منصوبان على المفعول له، المعنى يريكم البرق للخوف والطمع، وهو خَوْفٌ لِلمُسَافِر، وطمع للحَاضِرِ. المعنى ومن آياتِهِ آيَةٌ يريكم بها البرق خوفاً وطَمَعاً. هذا أَجوَدُ في العَطْفِ. لأنه قال: «ومن آياته خَلْقٌ» فنسق باسم على اسم، ومثله من الشعر.

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أَمُوتُ،وأخرى ابتغي العيش أكدح[1]

المعنى فمنهما تارة أموتها أي أموت فيها، ويجوز أن يكون المعنى ويريكم البرق خوفاً وطمعاً من آياته، فيكون عطفاً بِجُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ.

وقوله عز وجل:﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِه﴾.

أي تقوم السماء بِغَيْرِ عَمَدٍ، وكذلك الأرض قائمة بأَمْرِه[2]، والسماء محيطة بها.

وقوله عز وجل :﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ﴾.

أي للبعث بعد الموت.

وقوله:﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.

---

(١) تقدم.

(٢) في نسخة أخرى أي تقوم بأمره.

معناه مطيعونَ، والمعنى: وهذا من آياته، ولم يذكر «ومن آياتـه» لأنه قد تقدم ذكر ذَلِكَ مَرَّاتٍ، ومعنى «قانتون» مطيعون طاعة لا يجوز أن تقع معها معصية، لأن القنوت القيام بالطاعة. ومعنى الطاعة ههنا، أنَّ من في السموات الأرض في خلقهم دليل على أنهم مخلوقون بإرادة اللَّه ـ عز وجل ـ لا يقدر أَحَدٌ على تغيير الخلقة، ولا يقدر عليه ملك مُقرَّبٌ، فآثار الصنعة والخلقة تدل على الطاعة، ليس يعني طاعة العباد، إنما هِيَ طاعَةُ الارادة والمشيئة.

وقوله عز وجل:﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

فيه غير قول، فمنها أن الهاء تعود على الخلق، فالمعنى الاعادة والبعث أهون على الانسان من إنشائه، لأنه يُقَاسِي في النشء ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث.

وقال أبو عبيدة وكثيرٌ من أهل اللغة: إن مَعْنَاهُ: وَهُوَ هيّنٌ عليه، وإن «أَهْوَن» ههنا ليس معناه أن الإعادة أهون عليه من الابتداء، لأن الإعادة والابتداء كلٌ سَهْلٌ عَلَيْه ومن ذلك من الشعر:(١)

لعمرك ما أدري وإني لأَوْجَلُ   على أينا تعدو المنية أول

فمعنى لأوجل لَوَجِلٌ، وقالوا اللَّه أكبر أي اللَّه كبيرٌ، وهو غير منكر، وَأَحْسَنُ مِنْ هذين الوجهين أنه خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكونَ البعث أَسْهَلُ وأهون من الابتداء

---

(١) لمعن بن أوس المزني ـ وكان قد طلق زوجه وتزوج بأخرى فغضب عليه صهره أخو زوجه وقاطعه فأخذ أوس يستعطفه بهذه الأبيات وهي غاية في الاستعطاف والرقة، وأشار فيها إلى هذا الحادث إذ قال:

فلا تعجبن أن تستعار ظعينة   وترسل أخرى كل ذلك يفعل

انظر شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣٢ جـ٣، والكامل ٢/١٤ والخزانة ٥٢٥/٣.

والانشـاء، وجعله مثـلاً لهم فقـال: ﴿وله المثــل الأعلى في السَمـواتِ والأرض﴾.

أي قـولـه: ﴿وَهُو أهـون عليه﴾ قـد ضـربَـهُ لكم مَثَـلاً فبمـا يصعب ويسهل.

وقـوله تعـالى: ﴿ضَـرَب لَكُمْ مَثَـلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَـلْ لَكُمْ مِنْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

هذا مثل ضربهُ اللَّه ـ عـز وجل ـ لمن جَعَلَ له شَـريكاً مِنْ خلقـه. فأعلم ـ عز وجل ـ أَنَّ مَمْلُوك الإنسان ليس بشريكه في ماله وزوجته، وأنه لا يخـافُ من مملوكه أن يَـرِثَه فقـال: ضـرب لكم مثـلا من أنفسكم أن جعلتم ما هو مِلْـكٌ للَّه من خلقه مثلَ اللَّه، وأنتم كَـلكم بَـشَـرٌ، ليـس ممـاليككم بمنزلتكم في أمـوالكم، فاللَّه ـ عـز وجل ـ أَجْـدَرُ أَلَّا يَكـونَ يُعْـدَلُ به خلقُه.

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَات﴾.

موضع الكاف نَصَب.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنِيفاً﴾.

الحنيف الـذي يميـل إلى الشيء فـلا يـرجـع عنـه كـالحَنَفَ في الرِّجلِ وهو مَيْلها إلى خارجها خلْقَةً. لا يَملكُ الأحنَفُ إنْ يَرُدَّ حَنَفَهُ.

وقوله ـ عز وجـل ـ: ﴿فِـطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

«فـطرة اللَّه» منصـوب بمعنى اتَّبِـعْ فـطرة اللَّهِ، لأن معنى «فَـأَقِمْ وَجْهَكَ» اتبع الدينَ القَيِّمَ. اتبع فِطرةَ اللَّه، ومعنى فطرة اللَّه خِلْقَةَ اللَّه التي خلق عليها البشرَ، وقول النبي ﷺ: كل مَـوْلُودٍ يُـولَدُ على الفِـطرة

حتى يكون أبواه يُهوِّدَانِه وَيُنَصِّرَانه ويُمَجِّسَانه، مَعْنَاهُ أن اللَّه ـ عزوجل ـ فطر الخلق على الإيمان على ما جاء في الحديث، أن اللَّه ـ جل ثناؤه ـ أخرج مِنْ صُلب آدم ذُرِّيَّتَهُ كالذَّرِّ، وَأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ بأنه خَالِقُهُمْ، قال اللَّه عزوجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]. فكل مولود فهو من تلك الذُّرِّيَّةِ الَّتي شَهِدَتْ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهَا.

فمعنى «فطرَةَ اللَّهِ» دين اللَّه الذي فَطَرَ الناس عليه.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

أكثر ما جاء في التَّفْسِير أن معناه لا تبديل لِدين اللَّهِ، وما بعده يدل عليه، وهو قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون بحقيقة ذلك.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهُ﴾.

مَنْصُوبٌ عَلَى الحال بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾. زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وُجُوهَكم منيبين إليه، لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل معه فيها الأمَّةُ، والدليل على ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ﴾.

وقوله «منيبين» معناه راجعين إليه إلى كلِّ ما أَمَر به ولا يخرجون عن شيء مِنْ أَمْرِه، فأعلمهم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الطريقة المستقيمة في دين الاسلام هو اتباع الفطرةِ والتَّقْوَى مع الاسلام وأداء الفرائض، وأَنه لا ينفع ذلك إلَّا بالإخْلَاصِ في التوحيد فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢

وقرئت ﴿فَرَّقوا﴾ دينهم.

﴿وَكَانُوا شِيعاً﴾.

فِرَقاً، فأمرهم اللَّه - عز وجل - بالاجتماع والأُلْفَةِ ولُزوم الجماعة، والسنَّةُ هي الهدايةُ، والضَلَالة هي الفُرْقَةُ.

وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

أي كل حزب من هذه الجماعة الذين فارقوا دينهم فَرِحٌ يَظُنُّ أَنَّهُ هو المُهْتَدِي. ثم أعلم اللَّه عز وجل أنهم إذا مَسَّهُم ضُرٌّ دَعَوْا ربهم منيبين إليه، أي لا يلجأون في شدائدَهم إلى مَنْ عَبَدوه مع اللَّه - عز وجل - إنّما يَرجِعُون في دُعائِهِمْ إلَيْه وَحْدَه.

﴿ثُمَّ إذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

أي إذا أذاقهم رحمةً بأن يخلصهم من تلك الشدة التي دعَوْا فيها اللَّه وحده مَرُّوا بعد ذلك على شركِهِم.

وقولهم عز وجل: ﴿لِيَكْفُروا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: معنى «فَتَمَتَّعُوا» خطاب بعد الاخبار لأنه لَمَّا قال: «لِيَكْفُرُوا» كان خبراً عَنْ غائب. فكأن المعنى فتمتعوا أيها الفاعلون لِهَذا فسوف تعلمون، وليس هذا بأمرٍ لازم أَمَرَهُمْ اللَّه بِهِ.

وهو أَمرٌ عَلَى جهة الوَعِيدِ والتَهدُّد، وذلك مستعمل في كلام الناس تقول: إن أسمعتني مَكْروهاً فَعَلْتُ بك وَصَنَعْتُ ثم تقول: افعَلْ بي كذا وكذا[1] فإنك سترى ما ينزل بك، فليس إذا لم يُسْمِعْكَ كان عاصياً لك. فهذا دليل أنه ليس بأمرٍ لازم، وكذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

(١) أي اسمعني هذا المكروه.

وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر﴾[١] وكذلك: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[٢].

لم يُخَيَّروا بين الايمان والكفر ولكنه جرى على خطاب العِبَاد وحِوَارِ العربِ الذي تستعمله في المبالغة في الوعيد، ألا ترى أن قوله بعد ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر: إنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾[٣] فهذا مما يؤكد أمر الوَعِيدِ.

وقوله:﴿فآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾.

جعل اللَّه عز وجل لذي القُرْبَى حَقًّا وكذلك للمساكين. وابنُ السّبيل الضَّيفُ فجعل الضيافة لازمةً. فأما القَرابَاتُ فالمواريث قدْ بَيَّنَتْ مَا يَجِبُ لكل صنف منهم، وفرائض المواريث كأنها قَدْ نسختْ هذا أعني أمر حق القرابة، وجائز أن يكون للقرابة حق لازم في البرِّ.

وقوله:﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.

يعني به دفع الانسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك في أكثر التفسير لَيْسَ بحرام، ولكنه لاَ ثَوابَ لمن زادَ عَلَى ما أَخَذَ. والرِّبَا ربوان، والحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو يجر مَنفعة، فهذا حرام[٤]، والذي ليس بحرام هو الذي يَهَبُه الانسان يستدعي به ما هو أكثر مِنْهُ، أو يهدي الهدِيَّة يستدعي بها ما هو أكثر منها.

وقوله:﴿وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٠.

(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

(٤) في الاصل فحرام.

أي وما أَعْطَيتُمْ من صَدَقَةٍ لا تطلبون بها المكافأة وإنما يقصدون بها ما عند اللّٰه.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعَفُونَ﴾.

أي فأهلها هم المضعَفُونَ، أَيْ هم الذي يضاعف لهم الثواب، يعطون بالحسنة عشْرةَ أمثالها ويضاعف اللّٰه لمن يشاء، وقيل ﴿المُضْعِفُونَ﴾ كما يقال رجل مَقْوٍ، أي صاحب قوَّةٍ، وموسِر أي صاحب يَسَارٍ، وكذلك مُضْعِفٌ، أي ذو أضعاف من الحسنات.

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِنُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

ويقرأ بالياء أيضاً «لِيُذيقَهُمْ» أي ليذيقهم ثواب بَعْضِ أَعْمَالِهم، ومعناه ظهر الجَدْبُ في البَرِّ والقَحْطُ في البَحْرِ، أي في مُدُنِ البحر، أي في المدُن التي عَلَى الأنْهَارِ، وكل ذي ماء فهو بَحْرٌ.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلّدين القَيِّم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰه يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

معنى «فأقم وجهك» أَقم قصدك واجْعَلْ جِهَتَك اتباع الدين القَيِّم من قبل أن تأْتِيَ السَّاعَةِ وتقوم القيامَةُ فلا ينفع نفساً إيمَانُهَا لم تكن آمَنت من قبل أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمَانِها خَيْراً.

وَمَعْنَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

يتفرقون فيصيرون فَرِيقاً في الجنَّةِ وَفَرِيقاً في السَّعيرِ.

وقوله: ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

أي لأنفسهم يوطئُونَ.

وقوله عز وجل:﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾.

أي فَرَأَوا النَّبْتَ قد اصْفَرّ وَجَفّ.

﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِه يَكْفُرُونَ﴾.

ومعناه ليظلُّنَّ، لأن معنى الكلام الشرط والجـزاء فيهم يستبشرون بالغيث ويكْفِرُون إذا انقطع عنهم الغَيْثُ وجفّ النباتُ.

وقوله: ﴿[وَيَجْعَلُه] كِسَفاً﴾: [أي] قطعـاً من السحاب.

وقوله:﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾.

أي فتـرى المطر يخـرج من خلل السحاب، فـأعلم عز وجـل أَنَّه يُنْشِـئُ السَّحابَ ويحيي الأرض ويرسـل الرِّيَـاحَ، وذلك كله دليـل على القدرة التي يعجز عنها المخلوقون، وأنه قادر على إحياء الموتى.

وقـولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ كَـانُـوا مِنْ قَبْـلِ أَن يُنَـزَّلَ عَلَيْهِم مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾.

المعنى أن ينْـزِلَ عليهم المطر، ويقـرأ أن يُنَـزَّل، وَمَعْنَى مُبْلِسينَ مُنْقَطِعين انقطاع آيسين، فأما تَكْرِيرُ قوله «من قبل» ففيه وَجْهَانِ، قـال قطرب إن قَبْلَ الأولى للتنزيل، وقَبْل الثانية لِلْمَطَرِ. وقال الأخفش وَغيرُه من البَصْرِيّين: تكرير قبل على جهـة التوكيـد، والمعنى وإن كانـوا من قبل تنزيل المطر لَمُبْلِسينَ. والقول كما قـالوا لأن تنـزيل المـطر بمعنى المـطر، لأن المطر لا يكـون إلا بِتَنْزِيـلٍ كمـا أن الـرِّيـاحَ لا تُعْـرَفُ إلا بِمُرورِهَا قال الشاعر(١):

---

(١) هو ذو الرُّمة ـ وقد تقدم البيت جـ ١/٣٦٢.

مَشَينَ كما اهتزت رِمَاح تَسَفَّهتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرياح النَّوَاسِم

فمعنى مَرُّ الرِّياح كقولك تَسَفَّهتْ أعاليها مر الرياح النواسم.

وقوله عز وجل:﴿فانظر إلى أَثَر رَحْمَة اللَّهِ﴾.

ويقرأ ﴿آثاررحمةاللّه﴾، يعني آثار المطر الذي هو رحمة من اللّه ﴿كيف يحيي الأرض بعد مَوْتِها﴾، وإحْيَاؤها أَنْ جَعَلها تُنْبِتُ فكذلك إحياءُ الموتى، فقال:

﴿إنَّ ذَلِكَ لَمُحْيي المَوْتَى﴾.

ذلك إشارة إلى اللّه عز وجل.

وقوله: ﴿فَإنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

هذا مثل ضربه اللّه للكفار كما قال: ﴿صُمٌّ بكمٌ عُمْيٌ﴾، فجعلهم في تركهم العَمَل بما يسمعون وَوَعْيِ ما يُبْصِرُونَ بمنزلة الموتَى، لأن ما بيَّنَ من قدرَتِه وصنعته التي لا يقدر على مثلها المخلوقون دليل على وحدانيته.

وقوله: ﴿إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا﴾.

أي ما يَسْمَعُ إلا من يؤمن بآياتنا، وجَعَلَ الاسماع ههنا إسماعاً إذا قُبِلَ وعُمِلَ بما سُمِعَ[1]، وإذا لم يُقْبَل بمنزلة ما لم يُسْمع ولم يُبْصَر.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ﴾.

---

(١) من يسمع ولا يعمل بما سمع كأنه لم يسمع ـ فجملة... ان تسمع الا من يؤمن، تعني لا تسمع سماعاً ذا فائدة الا لمن يؤمن.

القــراءة بـالجــرفي «العُمْيِ» والنَّصب جائــز، بهَــادٍ العُمْيَ عن ضلالَتِهِمْ. فالقـراءة بالجرّ، فأما النَّصْبُ فإن كـانت فيها رِوَايـةٌ، والا فَلَيْسَت القراءة بها جائزة، لأن كل ما يُقْرأُ به ولم يتقدم فيه رِوَايةٌ لِقُرَّاء الأمصار المتقدِّمِينَ فالقراءة به بِدْعَةٌ وإن جاز في العربية، والعمـل في القراءة كلها على اتباع السُّنَّةِ.

وقوله عـز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْـدِ ضَعْفٍ قوةً ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُق مَا يَشَاءُ﴾.

تأويله أنه خلقكم من النُّطَفِ في حالِ ضَعْفٍ ثم قَـوّاكُمْ في حال الشبيبة ثم جَعَل بَعْدَ الشَّبِيبةِ ضعفـاً وَشَيْبةً. وروي في الحـديث أن ابن عمـر قال: قـرأتُ على النبي ﷺ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ من ضَعْفٍ...﴾ قال فأقرأني من ضُعْفٍ، وقرأ عطيةُ على ابن عمر من ضَعْفٍ فأقـرأه من ضُعْفٍ، وقال له: قرأتُها على النبي ﷺ من ضَعْفٍ فأقرأني من ضُعْفٍ، فالذي روى عطية عن ابن عمر عن النبي ﷺ [من ضُعْفٍ] بالضَّم، وقـد قِرِئَتْ بفتح الضَّادِ، والاختيارُ الضَّمُّ، للرواية.

وقوله عز وجل:﴿وَيَـوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ﴾.

يعني يـوم القيامَـةِ، والسّاعَـةُ في القُرآنِ على معنى السـاعة التي تقـوم فيهـا القيـامـة فلذلـك تـرك ذِكْـرَ أَنْ يُعـرِّف أَيُّ سَـاعَـةٍ هي.

﴿يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ﴾: يَحْلِفُ المجرمون.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

أي ما لبثوا في قُبُورهم الا ساعةً واحدة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

أي مثل هذا الكَذِبِ كذبهُم لأنهم أقسموا على غَيْر تحقيق.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ﴾.

أي في علم اللَّهِ المُثْبَتِ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي إنَّ ما وَعَدَك اللَّه من النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّك حق، وإظهار دين الاسلام حقٌّ.

﴿ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

أي لا يستفزَّنَّكَ عن دِينَكِ الذين لا يوقنون، أي هم ضُلَّالٌ شَاكُّونَ.

سُورَةُ لُقْمَان
مكية

ما خَلاَ ثلاث آيات منها مَدَنِيَّـة، قولـه: ﴿ولو أن مـا في الأرْضِ﴾ إلى تمام الثلاث إيات(١).

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿آلم﴾: قال ابن عباس معنى «آلم» أنا اللّه أعلم، وقد فسرنا في سـورة البقرة جميعَ ما قيل في «آلم» وما أشبهها.

وقوله:﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾.

معنـاه هـذه الآيـات، تلك الآيـات التي وُعِـدْتُمْ بهـا في التَّـوْرَاةِ ويجوزُ أن يكون بمعنى هذه آيات الكتاب، وقد تقـدم تفسير مثـلِ هذا من سورة البقرة أيضاً.

وقوله:﴿هُدًى وَرَحْمَةً للمُحْسِنِينَ﴾.

القراءة بالنصب على الحال، المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة.

---

(١) جرياً على عـادته في كثيـر من السور يضـع البسملة قبل عنـوان السورة وقـد نبهنا لهـذا من قبل وآثرنا وضع البسملة قبل بداية السورة وبعد كتابة العنوان، والصواب أن يقال: الثلاث الآيات.

وقوله عـزو جل:﴿وَمِنَ النَّـاسِ مَنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الحَدِيثِ لِيَضِـلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

ويقرأ: ليُضِلَّ عن سبيل اللَّه.

فأكثر ما جاء في التفسيـر أنَّ «لَهوَالحديث» ههنا الغِنَـاءُ لأنه يُلْهِي عَنْ ذكر اللَّه، وقد روي عن النبي ﷺ أنـه حرم بيـع المغنية. وقـد قيل في تفسيـر هذه الآيـة إن لهو الحـديث ههنا الشـركُ، فمن قرأ لِيُضِـلَّ ـبضم الياء ـ فمعناه ليضل غيرَهُ، فـإذا أضلَّ غيـرَهُ فقد ضَـلَّ هُوَ أيضـاً، ومن قـرأ لِيَضِلَّ فمعنـاه ليصير أمـرُه إلى الضَّلاَلِ، فكَـأَنـه وَإنْ لم يَكُنْ يُقَدِّرُ أنه يَضِلّ فسيصير أمره إلى أنْ يَضِلَّ.

وقوله:﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً﴾.

أي يَتّخِذَ آياتِ اللَّه هُزُوًا، وقد جرى ذكر الآيـات في قولـه:﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾. وقد جاء في التفسيـر أيضاً أن قـوله:﴿وَيَتَّخِـذَهَا هُزَواً﴾ يَتّخِذَ سَبيلَ اللَّه هُزَوًا.

وقـولـه:﴿خَلَقَ السَّمَـواتِ بِغَيْـرِ عَمَـدٍ تَـرَوْنَهـا وَأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الآية.

وصف اللَّه عـز وجل خَلْقَـه الذي يَعْجِـزُ المَخْلُوقُونَ عن أن يـأتوا بمثله، أَوْ يَقْـدِرُوا على نَوْعٍ منـه ثم قال:﴿هَـذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَـاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه﴾.

وقوله:﴿بغير عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾، قيل في التفسير إنهـا بِعَمَدٍ لاَ تَـرَوْنَهَا، أي لا تـرون تلك العَمَدِ، وقيـل خلقها بغيـر عَمَدٍ وكـذلك تـرونهـا[1].

(١) جملة «ترونها» إما مستأنفة، أي ترونها كذلك،وإما صفة لعمَدٍ أي بغير عَمَدٍ مَرْئيةٍ، ويفسـر بغير عمد أصلاً، أو بعمد لا ترى.

والمعنى في التفسير يؤول إلى شيء وَاحِدٍ، ويكون تأويل «بغير عمد ترونها الذي فُسّرَ بعَمدٍ لا ترونها. يكون معنى العمد قدرته عز وجل التي يمسك بها السماوات والأرض.

﴿وَأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رَوَاسِي﴾ جِبالٌ ثَوابِتُ، كما قال - عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[1]. فمعنى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كَرَاهَةَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، ومعنى «تميد» تتحرك حركة شَدِيدَةً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للَّهِ﴾.

معناه لأن تشكر للَّه، ويجوز أن تكون «أَنْ» مُفَسِّرَةً، فيكون المعنى أي اشْكُرْ للَّه تبارك وتعالى: وتأويل «أن اشكر للَّه» قُلنَا له: أشكر للَّه على ما آتاك.

وقد اختلف في التفسير في لقمانَ فقيل: كان نبياً، وقيل: كان حكيماً، وقيل كان رَجُلاً صَالِحاً، وقيل: كان حبشياً غليظ المَشَافِرِ مُشَقَّقَ الرِّجْلَيْنِ ولكنَّ اللَّهَ آتاهُ الحكمةَ، فلسنا نشك أنه كانَ حكيماً لقول اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾. وقيل كان نَجَّاراً وقيل كان خيَّاطاً، وقيل كان رَاعِياً.

وَرُوِيَ في التفسير أَنّ إنساناً وقف عليه وهو في مجلسه فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتَ تَرْعَى مَعِي في موضع كذا وكذا، قال: بلى، قال فما بلغ بكَ ما أَرَى؟ فقال: صِدْقُ الحَدِيثِ والصَّمْتُ عَمَّا لا يعنيني.

وقوله: ﴿[وَإِذْ] قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

---

(١) سورة النبأ الآية ٦ و٧.

موضع «إذْ» نَصْبٌ بقوله:﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال، لأن هذه الْمَوْعِظَةَ حكمةٌ.

وقوله:﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني أن اللَّه هُوَ المحيي المميتُ الرّازِق الْمُنْعِمُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فإذا أَشْرَكَ به أَحَدٌ غيره فذلك أعظَمُ الظُّلْمِ لأنه جَعَل النِّعْمَةَ لِغَير رَبِّهَا، وَأَصْلُ الظُّلْمِ في اللغة وضع الشيء في غير مَوْضِعِه. وقد بيّنا ذَلِكَ فِيمَا سَلَفَ من الكِتَابِ.

وقوله عز وجل:﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُه فِي عَامَيْنِ أَنِ آشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

جاء في التفسير وهناً على وَهْنٍ، ضَعْفاً على ضَعْفٍ، أي لَزِمَهَا لحملها إياه أن ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وموضع «أَنْ» نَصْبٌ بوصَّيْنا. المعنى وصَينا الانسان أن اشُكَره لي ولوالديك، أيْ وَصَّيْنَاه بشكرنا وَبِشُكْرِ والديه.

وقوله عز وجل :﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾.

يُرْوَى أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ ذكر أن هذه الآية نَزَلَتْ بسببه، وذلك أنه كان أَسْلَمَ فحَلَفَتْ أُمُّه أَلَّا تأكُلَ طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى يَرْتَدَّ إِلَى الكُفْرِ، فمكثت ثلاثاً لا تطْعَمُ ولا تَشْرَبُ حتى شَجَرُوا فاها - أي فتحوه - بعِودٍ. حتى أكلت وشربت، وَيُرْوى أنه قال: لو كانت لها سَبْعُونَ نَفْساً فخرجت لما ارْتَددْتُ عَنِ الاسلام.

وقوله عز وجل:﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

يقال: صَاحَبْتُه مُصَاحَباً وَمُصاحَبَةً. ومعنى المعروف ما يستحسن من الأفعال.

﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.

أي اتَّبِعْ سَبِيل مَنْ رَجَع إليَّ.

وقوله:﴿يَا بُنَيَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

وتقرأ مثقالُ حَبةٍ. الآية إلى قوله ﴿لطيف خبير﴾[1] أي لطيف في استخراجها خبير بمكانها. ويقال في صخرة، أي في الصخرة التي تحت الأرض.

ويروى أن ابن لقمان سأل لقمانَ فقال: أَرَأَيْتَ الحَبَّةَ تَكُونَ في مَقْلِ البَحرِ[2]، أي في مغاص البحر أَيَعْلَمُهَا اللّه. يقال مَقَلَ يَمْقُل إذَا غَاصَ، فَأَعْلَمَهُ أنَّ اللَّه - عز وجل - يعلم الحَبَّةَ حيث كانت، وفي أخفى المواضع، لأن الحبَّة في الصخرة أخفى من الماء، ثم أعلمه أَنَّهَا حيث كانت يَعْلَمُها بلُطْفِه - عز وجل - وخِبْرَتِه.

وهذا مثلٌ لأعمال العِبَادِ أَنَّ اللَّه يأتي بأعمالهم يومَ القيامة فمن يعمل مثقالَ ذرَّة خيراً يرَهُ، ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شراً يَره.

فأما رفع «مثقال» مع تأنيث «تك» فلأن مِثْقَالَ حبة من خردل راجع إلى معنى خَرْدَلَةٍ، فهو بمنزلة إن تك حَبَّةٌ من خردل. ومن قرأ: إنها إن تك مثقالَ حبة - بالنصب - فعلى معنى انَّ الّتي سَأَلْتني عنها إن تك

---

(١) تمام الآية: ﴿يا بني إنها إن تَكُ مثقال حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكَنْ في صَخْرةٍ أَوْ فِي السَّمَواتِ أو في الأرْضِ يَأتِ بِهَا اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

(٢) في غوصه وأعماقه

مثقـال حبة، وعلى معنى أنَّ فَعْلَةَ الانسـان وإن صَغُرَتْ يـأت اللّه بها، ويجوز أنها إن تك بالتـاء مثقال حبـة من خردل، على معنى انَّ القصـة كما تقول[1]: انهـا هند قـائمةٌ، ولـو قُلْتَ انها زيـد قائم لجـاز، إلاَّ أن النحـويين يختارون ذلـك مَعَ المُـذَكَّرِ، ويجيزون مـع المؤنث التـأنيث والتذكير، يقـولون: انَّـهُ هِنْدٌ قَـائِمَةٌ، وانهـا أمة اللّه قـائمة. فيجيـزون الوَجْهَيْن. فأما انها إن تَكُ مثقَالَ حَبَّةٍ من خردل عنـد من لا يجيز «إنَّهـا زَيْدٌ قَائِمٌ»، فيجوز عنده هـذا لأن مَعْنَاه التـأنيث بِرَدّ «مـا» إلى الحبَّةِ من الخردل.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

ويقرأ تُصَاعِرُ، ويجوز في العربية: ولا تُصْعِرْ، ولا أعلم أحَداً قرأ بها، فإذا لم ترو فلا تقرأ بها، ومعناه لا تُعْرِضْ عن الناس تَكَبُّراً، يقال أصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَدٌ إذا أَصَابه دَاءٌ فلوى منه عُنُقَهُ، فيقـال للمتكبر فيه صَعَرٌ، وفيه صَيَدٌ، فـأما تُصَعِّـر فعلى وجه المُبَـالَغَة، ويصـاعر جـاء على معنى يُفَاعِل، كأنك تُعَارِضُهُمْ بِوَجْهِـك. ومعنى تُصْعِرْ تلزم خَـدَّك الصَّعَرَ، لأنه لا داء بالانسان أَدْوَأَ من الكِبْرِ.

والمعنى في الثـلاثـة هـذا، المعنى، إلاَّ أن تُصَعِّـرْ وَتُصَـاعِـرْ أَبْلَغُ [من تُصْعِرْ].

وقوله:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾.

أي لا تَمْشِ[2] مُتَبَخْتِراً مُخْتَالاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.

---

(١) أي ان الضمير في إنها إن تك ـ ضمير الشأن والحالة.

(٢) في الأصل: لا تمشي.

معنى اغْضُض انقص، ومن ذلك غضضت بَصَرِي، وَفُلَانٌ يَغُضّ بَصَرَهُ من فُلَانٍ أي يتنقَصُّهُ.

ومعنى: ﴿أَنْكَرُ الأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، يقال: أتانا فُلانٌ بوجه مُنكَر الخِلْقَةِ، أي قبيح.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لكم مَا فِي السَّمَوات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

تسخير ما في السموات الشمس والقمرُ والنُّجُومُ، ومعنى تسخيرها للآدميين الانتفاع بها في بلوغ مَنَابِتهم[1]، والاهتداء بالنجوم فِي مَسَالِكِهِمْ، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

ويقرأ ﴿نِعَمَهُ﴾ على الجمع. فمن قرأ نعمةً فعلى معنى ما أعطاهم من توحيده عز وجل، ومن قرأ نِعَمَهُ فعلى جَميعِ مَا أَنْعَمَ به عَلَيهِمْ.

قوله عز وجل: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾.

أي من أسلم فقد استمسك بقول: لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَهِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

ويقرأ «والبحرُ» بالرَّفْعِ.

---

(١) ما يستنبتونه ويثمرونه من النبات.

فأمَّا النصبُ فعطفٌ على «ما» والمعنى ولو أن ما في الأرْضِ ولـو أن البحرَ، والرفع حسن على وجهين على معنى. والبحرُ هَذِه حَاله[1]، ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع إن مع ما بعدها لأن معنى لو أَنَّ ما في الأرض لَوْ وقع ما فِي الأرْضِ، لأن «لو» تطلب الأفعال فـإذا جاءت معها إنَّ لم تذكر معها الأفعال، لأنه تذكر معها الأسماء والأفعال[2].

وقوله عز وجل:﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

معنـاه ما انقـطعت، ويروى أَنَّ المشـركين قالـوا في القـرآن: إنَّ هَذا كلامٌ سَيَنْفَدُ، وسيقطع، فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ كَلِمَاتِـه وحكمتَهُ لا تَنفدُ.

وقوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

تـأويله الا كخلق نفس وَاحِدَةٍ، وكبعث نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ، أي قُـدْرَةُ اللَّهِ عَلَى بعث الخلق أجمعين وعلى خلق الخلق أجمعين كَقُدْرَتِه على خلق نفسٍ واحدةٍ وبعث نفس وَاحِدَةٍ.

وقوله:﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار، لَيْلَ الصيف في نَهاره.

﴿وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

يدخل نهار الشتاء في لَيله.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾.

ويقـرأ بِنِعِمات اللَّه، ويجـوز بِنَعْمَات اللَّه، ويجـوز بِنِعَمَـات اللَّه

---

(١) أي هي جملة مستأنفة.

(٢) لا تذكر الأفعال بعد «لو» إذا كان في حيزها «أن» ـ وبغير أن تذكر الأفعال والأسماء.

بفتح العين ففيها ثلاثة أوجه إذَا جُمِعَتْ، وأكثر القراءة بنعمة اللَّهَ على الـواحدة، وأمـا الكسر فعلى [مـذهب] من جَمَع كِسْـرةً على كِسِـرَاتٍ، ومَنْ أَسْكن وهـو أجود أَوْجُهِـهِ[1] فعلى من جمع كِسْـرات، لأن كِسْراتٍ بقـل مثله في كلام العَـرَبِ، إنما جـاء في أصول الأبنيـة ما تـوالت فيه كسرتان نحـو إبل وإطِـل فقط، ومن قرأ بِنِعَمَـات اللَّه فلأن الفتـح أخف الحركات، قال الشاعر:[2]

ولمـا رأونـا بـاديـاً رُكَبَـاتُـنَـا على مَوْطِنٍ لا نَخْلِطُ الجِدَّ بالهَزْلِ

والأكثـر رُكَبات، ورُكْبَـات أَجْوَدُ لِثِقَـلِ الضَّمَّـةِ، ولكنـه أكثـر من الكلام من نِعِمَات، وكِسِراتٍ.

وقوله عز وجل:﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

روى قتادَةُ أن أحبَّ العِبَادِ إلَى اللَّه مَنْ إذَا أُعْطي شَكَرَ وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ. فأعلم اللَّه ـ عـز وجل ـ أَنَّ المُعْتَبِـرَ المُتَفَكِّرَ في خلق السمـوات والأرض هو الصبار الشكور.

وقوله عز وجل:﴿وَإذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾.

قال في الموج: «كَالظُّلَلِ» لأنّ موج البحر يعظمَ حتى يصيرَ كأَنَّهُ ظُلَلٌ.

وقوله: ﴿خَتَّارٍ كَفُورٌ﴾.

الخَتْرُ أقبح الغَدْرِ.

وقوله عز وجل:﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِه شَيْئاً﴾.

(١) ليس إسكان العين وجها جيداً.

(٢) تقدم جـ ١/ ٢٤١.

«جاز» في المصحف بغير ياء، والأَصْلُ جَازِيٌّ. وَذَكَر سيبويه والخليل أن الاختيار في الوقف هُوَ جَازْ، بغيرياء والأصل جازيٌ بضمة وتنوين، فَثَقُلَتِ الضَّمةُ في الياء، فحذفت وسكنت الياء والتنوين فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكان ينبغي أن يكونَ في الوقف بياءٍ لأن التنوين قد سقط ولكن الفُصحَاءَ مِنَ العَرَبِ وقفوا بغير ياء لِيُعْلمُوا أن هذه اليَاءَ تَسْقُط في الوصل. وزعم يُونُس أَن بعض العرب الموثوقِ بهم يقف بياء، ولكنَّ الاخْتِيار اتباعُ المصحف والوقف بِغَيْر يَاءٍ

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

﴿الغَرور﴾ الشيطان.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وما تدرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

جاء في التفسير أن هذه الخمسَ مفاتحُ الغَيْب التي قال اللَّه عز وجل [فيها]: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِح الغَيْب لا يعلمها إلَّا هُوَ﴾[1] فمن ادَّعى أنه يعلم شيئاً من هذه فَقد كَفَرَ بالقُرآنِ، لأَنَّهُ قَدْ خَالَفَهُ.

---

(١) سورة الانعام الآية ٥٩.

سُورَةُ السَّجدة
مكية

إلا ثلاث آيات منها مدنية، ﴿[أَفَمَنْ كانَ مُؤمِناً كَمن كانَ فَاسِقاً﴾ إلى تَمامِ الثلاثِ آيات[1].

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الم. تَنْزِيلُ الكِتابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾.

روى أحمد بن حنبل بإسناد له أن النبيّ ﷺ كان يقـرأ في كل لَيْلةٍ سورةَ السَّجْدَةِ «الم تنزيل»، وسورة «تبارك الملك»، وروى كَعْبُ الأحبار أنـه قال: من قـرأ سورة السجـدة كَتبت له سَبْعُـونَ حسنـةً وحُـطَّتْ عَنْـهُ سبعونَ سَيِّئَةً وَرَفعَتْ له سَبْعُونَ دَرَجَة.

وقوله: ﴿الم. تنزيل الكتاب﴾ قد شرحنا ما قيل في «الم»، ورفع «تنزيل» على خبر الابتداء على إضمار الذي نتلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكـون في المعنى خبـراً عن «الم»، أي «الم» مِنْ تنـزيـل [الكتـاب] ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء لاَ رَيْبَ فيه.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

---

(۱) الصحيح أن يقال الثلاث الآيات.

وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وَمِثْلُهُ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْـذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[1]، و«ما» في جميع الموضعين نَفْيٌ، أي لم يشاهدُوا هُمْ ولا آباؤهم نبياً. فأما الانذار بما تقدم من رسل اللّه صلى اللّه عليهم فعلى آبـائهم به الحجـة، لأن اللّه عز وجـل لا يُعَذِّبُ إلا من كفـر بالـرُّسُـل، والدليل على ذلك قوله:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

قوله:﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

أعلم اللّه عـز وجل أنـه يُـدَبِّـرَالأمْـرَ من السَّمـاء إلى الأرض، ثم يعـرج الأمر إليـه في يوم، وذلـك اليوم مقـداره ألفُ سَنَةٍ ممـا تعدُّونَ. ومعنى يَعْـرُج ينزل ويَصْعَدُ يقال عَرَجْتُ في السِّلْمِ أَعْرُجُ، ويُقَـالُ عَرِج يَعْرَجُ إذَا صَار أَعْرَجَ.

وقوله تعالى:﴿الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾.

وقد قرئ﴿خَلَقَهُ﴾- بتحريك اللام وتسكينها جميعاً - ويجـوز خَلْقُهُ بالرفـع ولا أعلم أحداً قـرأ بها. فـأما «خَلَقَـهُ» فعلى الفِعْلِ المَـاضِي. وتأويل الإِحْسَانِ في هذا أنه خَلَقَهُ على إرَادَتِه فخلق الإِنْسَانَ في أحسن تَقْوِيمٍ، وخلق القِرْدَ على مـا أحب - عز وجـل - وخَلْقُه إيـاهُ على ذلك مِنْ أَبْلَغِ الحكمةِ. ومن قرأ خَلْقَـهُ بتسكين اللام فعلى وَجْهَيْنِ أحـدهما المَصْـدَرَ الذي دل عليـه أَحْسَنَ، والمعنى الذي خلق كـل شيء خلقه، ويجوز أن يكون على البَدَلِ فيكون المعنى الذي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلَّ شيء خَلَقَهُ، والرفعُ على اضمار: «ذَلِكَ خَلْقُه».

وقوله عز وجل:﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الانْسَانِ مِنْ طَينٍ﴾.

---

(١) سورة يس الآية ٦.
(٢) سورة الاسراء ١٥.

يعني آدم وَذُرِّيَّتَهُ، فـآدم خلق من طين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَـةٍ مِنْ مَـاءٍ مَهِينٍ﴾.

ومعنى مَهِين ضَعِيفٌ، ومعنى السـلالـة في اللغـة مـا ينسَـلُّ من الشيء القليل، وكذلك الفعالةُ نحو الفُضَالَةُ والنُّخامَةُ والقُوارةُ[1].

وقـوله عـز وجل:﴿وقـالوا أئِـذَا ضَلَلْنَـا فِي الأَرْضِ أَئِنَّـا لَفِي خلق جَدِيدٍ﴾.

ويقرأ أَنَّا لَفِي خلق جَدِيدٍ، ويقرأ إنَّا لَفِي خَلْق جَديدٍ[2]، ومـوضع «إِذَا» نصبٌ، فمن قرأ «أَئِنَّا» فعلى معنى أَنُبْعَث إذا ضَلِلْنَا في الأَرْضِ، وَيَكُونُ يَدُلُّ عَلَيه «إنَّا لَفِي خَلْق جَـدِيدٍ»، ومن قـرأ إنا لفي خلق جـديد فإذا منصوبة بضللنا، ويكون بمعنى الشرط والجزاء، ولا يضر ألاَّ يذكر الفـاء، لأن «إذَا» قد وليهـا الفعل المـاضي، ولايجوز أن ينتصبَ «إذا» بمـا بعْدَ «أنَّ»، لا خـلاف بين النحويين في ذلـك، ومعنى «إذَا ضَلَلنا» إذا مُتْنَـا فَصِرْنَـا تُـرابـاً وعـظامـاً فَضَلِلْنَـا في الأرض فلم يتبيَّنْ شيء من خَلْقِنَا، ويقرأ صَلَلْنَا بالصَّادِ، ومعناه على ضربين أحدهما أَنْتَنَّا وَتَغيَّرْنَا، وتَغيَّـرَتْ صُوَرُنـا، يقال صَـلَّ اللحم وَأَصَـلَّ إذا أَنْتَنَ وَتَغيَّـرَ، والضَّـرب الثَّاني صَلَلْنَا صرنا من جِنْسِ الصَّلَّةِ، وهي الأرض اليابسة.

وقوله:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ﴾.

من تَوْفِيَةِ العَـدَدِ، تأويله أنـه يقْبِضُ أَرْواحَكُم أَجْمعين فلا ينقص واحدٌ منكم، كما تقول: قد استَوْفَيْتُ مِنْ فُلَانٍ وتَـوفَّيْتُ من فـلان مالي عنده، فتأويلُه أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لي عَلَيه شيء.

---

(١) القوارة ما قور من الثوب وغيره مثل قوارة الجيب والبطيخ.

(٢) أي بالاثبات بدون استفهام وإنا مفتوحة الهمزة ومكسورتها.

وقوله:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

هذا متروك الجواب، وخِطابُ النبي ﷺ خطابُ الخلق. الدليل عليه ذلك:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ..﴾ فهو بمنزلة وَلَوْ تَرَوْنَ فالجواب لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار.

وقوله:﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.

فيه إضمار «يَقولُون» رَبَّنا أَبْصَرْنا.

وقوله:﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

تأويله مثل قوله:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُم عَلَى الْهُدَى﴾[1]، ومثله ﴿فَظَلَّتْ أعناقُهُمْ لها خَاضِعِينَ﴾[2].

وقوله:﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّم مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

قال قتادة بذنوبهم، وهذا حسن، لأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قال:﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾[3].

وقوله:﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾.

تأويل النسيان ههنا التَّركُ، المعنى فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا فتركناكم من الرحمة.

وقوله عزل وجل:﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمعاً﴾.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٥ أي لو شاء جمعهم لجمعهم.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٣. ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيةً فَظَلَّتْ...﴾.

(٣) سورة الطور الآية ١٦.

معنى «تتجافى» ترتفع وَتُفَارِقُ المضاجعَ، ومعنى «خوفاً وَطَمَعاً» خوفاً من عذاب اللّه وطمعاً في رحمة اللّه. وانتصاب «خوفاً» و «طَمَعاً» لأنه مفعول له، كما تقول: فَعَلْتُ ذلك حِذَارَ الشَّرِ أي لِحذارِ الشَّر وحقيقته أنه في موضع المصدَرِ، لأن «يَدْعُونَ رَبّهُمْ» في هذا الموضع يدل على أَنَّهُم يَخَافُونَ عذابَه ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، فهو في تأويل يَخَافُونَ خوفاً ويطمعون طمعاً.

وقوله:﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

أي ينفقون في طاعة اللّهِ، وقد اختلف في تفسيرها، وأكثر ما جاء في التفسير أنهم كانوا يصلون في الليل وقت صلاة العتمة المكتوبة لا ينامون عنها، وقيل التطوع بين الصلاتين، صلاة المغرب والعشاء الآخرة.

وقوله:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

دليل على أنها الصَّلَاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ، لأنه عمل يستسِرُّ الإِنْسَانُ به فجعل لفظ ما يجازى به «أُخْفِيَ». ويقرأ بإسكان الياء[1]، ويكون المعنى ما أخفي أنا لهم. اخبار عن اللّه. وإذا قرئت: أُخفِيَ لهم من قرة أَعْينٍ - بفتح الياء - فعلى تأويل الفعل الماضي، ويكون اسم ما لم يسم فاعله مافي أُخْفِيَ من ذكر «ما»[2] وقرأ الناس كلهم من قُرّة أَعْيُنٍ إلاّ أبا هُرَيْرَةَ فإنه قرأ من قُرَّاتِ أَعْيُنٍ. ورواه عن النبي ﷺ.

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

---

(١) في أُخْفِي. أي عبر عن مجازاته بكلمة «أخفي» لإخفائه صلاته.

(٢) نائب الفاعل هو الضمير المستتر العائد على «ما».

«جزاء» أيضاً منصوب مفعول لـه. وقرئت: فـلا تعلم نفسٌ ما أَخْفَى لَهُمْ، أي ما أخفى اللّه لهم.

وقوله:﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُون ﴾.

جاء في التفسير أنها نزلت في علي بن أبي طـالب عليه السـلام، وعُقْبَـةَ بنِ أَبي مُعَيْطِ. فالمؤمن عَلِي رضـي اللّه عنـه، والفـاسقُ عقبـة ابن أبي معيط، فشهد اللّه لِعلي بالإيمان وأنه في الجنة بقوله:

﴿أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى﴾.

وقال: ﴿لا يستوون﴾، ولو كان قال: لا يتسويان لكان جَـائزاً. ولكن «مَنْ» لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الواحِـد وعلى الجماعـة فجاء «لا يَسْتَوُونَ». على معنى لا يستـوي المؤمِنُـونَ والكَـافِـرُونَ، ويجـوز أن يكونَ «لا يَسْتُوُونَ» للاثنين، لأن معنى الاثنين جماعة.

وقـولـه عـز وجـل:﴿وَلَنُـذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَـذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَـذَابِ الأَكْبَرِ﴾.

الأدنى ما يصيبهم في الدنيا، وقد اختلف في تفسيرها، فقيل:﴿ما يصيبهم من الجدب والخوف، ويكون دليل هذا القول قوله:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَـيءٍ مِـنَ الـخَـوْفِ والـجُـوعِ وَنَـقْصٍ مِـنَ الأمْـوَالِ وَالأَنْـفُسِ والثَّمراتِ﴾[1]، وقيل «العذاب الأدنى» ههنا السِّبَاءُ والقتل، وجملته أن كل مـا يعذَّبُ بـه في الدنيـا فهو العـذاب الأدنى، والعذاب الأكبـر عـذاب الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥.

جاء في التفسير لا تكن في شك من لقاء موسى عليه السلام، ودليل هذا القول في التفسير قوله: ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾[1]، فالمعنى لا تكن يا محمد في مِرْيةٍ من لقائه، والخطابُ للنبي عليه السلام بمنزلة الخطاب له ولِأُمَّتِهِ في هذا الموضع، أي فلا تكونوا في شك من لقاء النبي عليه السلام بموسى، وَقِيلَ «فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ من لقائه» أي من لقاء موسى الكتاب[2]، وتكون الهاء للكتاب، ويكون في لقائه ذكرُ مُوسى، ويجوز أن يكون الهاء لموسى، والكتاب محذوف، لأن ذكر الكتاب قد جرى كما جرى ذكر موسى.

وهذا والله أعلم أشبه بالتفسير

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدونَ بِأَمْرِنَا﴾.

أكثر البصريّينَ لا يجيزون «أَئِمةً» بهمزتين، وابن أبي إسحاق وحدَهُ يجيز اجتماعَ هَمْزَتين، وسيبويه والخليل وجميع البصريين - إلاّ ابنَ اسحاق - يقولون أيمَّة - بهمزة وياء - وإذا كانَ الهمزتان في كلمة وَاحِدَةٍ لم يجيزوا إلا ابدال الثانية في نحو أَيمَّة وآدم، ومن قرأ أَئِمةً لَزِمَه أَنْ يَقُول في «آدم» أَأْدَم» لأنه أفعل من الأدْمَةِ، وأئمة أَفْعِلَة، ولا ينبغي أن تقرأ إلاَّ أيمَّةَ، لأن من حقّق الهمزة فيما يجوز فيه تخفيفُ الهمز أجاز التخفيف فكذلك هو يجيز التخفيف في أيمة، فتصير قراءة أَيِمَّة إجماعاً.

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾.

وَلِمَا صَبروا، والقراءة بالتشديد والتخفيف في «لَمَّا»، فالتخفيف معناه جعلناهم أئمة لِصَبْرِهِمْ، ومن قرأ «لمَّا» صَبَروا فالمعنى مَعنى

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥.

(٢) لقائه بمعنى تلقيه.

حكاية المجازاة. لَمَّا صَبَرُوا جعلناهم أئمة، وأصل الجزاء في هذا كأنَّهُ قيل إن صَبرتُمْ جعلناكم أئمةً، فلما صبروا جُعِلوا أَئِمةً.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

وقرئت بالنُّونِ «أَوَ لَمْ نَهْدِ لَهُمْ». وزعم بعض النحويين أن «كم» في موضع رفع بـ «يَهْدِ» والمعنى عنده أو لم نُبَيِّنْ لهم القرون التي أهلكنا مِنْ قَبْلِهِمْ. وهذا عندنا ـ أعني عند البصريين ـ لا يجوز، لأنه لا يعمل ما قبل «كم» في «كم»، لايجوز في قولك كم رَجُلٍ جاءني، وأنت مخبر أن تقول جاءني كم رجل، لأن كم لا تُزَالُ عن الابتداء[1]، ولذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذَا نصبت بما في الخبر والاستفهام تقول في الخبر:

كَمْ بجودٍ مُقْرِفاً نالَ الغِنَى[2]

---

(١) لا تحول عنه.

(٢) هو شطر من أبيات لأنس بن زنيم الصحابي الجليل، وقد وجه بهذه الابيات الى عبيد اللّه بن زياد، وكان وعده بشيء ثم أبطأ فبعث اليه يستعطفه منها:

سل أميري ما الذي غيره ... عن وصالي اليوم حتى ودَعَه
لا تهني بعد إكرامك لي ... فشديد عادة منتزعة
لا يكن وعدك برقاً خلَّباً ... إن خير البرق ما الغيث معه
كم بجود مقرفاً نال العلا ... وكريم بخله قد وضعه

والمقرف المهجن أو الوضيع الأصل ـ ويونس يرى جواز الفصل بين كم الخبرية وتمييزها المضاف إليه بالظرف ـ وهو هنا منصوب ـ والتقدير كم مقرفاً. وفي الأبيات شاهد آخر على استعمال ماض لودع ـ في البيت الأول، ويروى أيضاً:

ليت شعري عن خليلي ما الذي ... غاله في الود حتى ودعه

ومثل هذا بيت أبي سويد في عينيته:

فسعى مسعاته في قومه ... ثم لم يدرك ولا عجزاً ودع

انظر الخزانة جـ٣/١٢١، ١٢٢، وشرح شواهد الشافية ص ٥٢.

ففصلت بين «كم» وبين قولك مقرفاً بِقَوْلِكَ «بجودٍ»، فيكون الفَصْلُ فيها بين كم وما عملت فيه عِوَضاً من تصرفها، الا ترى أنه لا يجوز عشرون عندي درهماً، ويجوز في الخبر كم عندي دِرهماً جَيِّداً.

وحقيقة هذا أن «كم» في موضع نصبٍ بأهلكنا، وفاعل «يَهْدِ» ما دل عليه المعنى مما سلف من الكلام، ويكون «كم» أَيْضاً دليلا على الفاعل في يهدي، ويدل على هذا قراءة من قرأ أو لم نَهْدِ ـ بالنُّونِ ـ أي ألم نبين لهم. ويجوز أيضا على «يهد» بالياء ـ أن يكون الفعلُ للَّه ـ عز وجل ـ يدل عليه قراءة من قرأ «أَوَلَم نَهْدِ».

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾.

يُقرأ الجُرُزَ، ويجوز، الجَرَزَ والجُرْز والجَرْز. كل ذلك قد حكي في الجرز.

جاء في التفسير أنها أرض اليَمَنِ، والجرز عند أَهْل اللُّغَةِ الأرض التي لا تُنْبِتُ. وكان أصلها أنها تأكل نباتها، يقال امرأة جَرُورٌ إذا كانت أكولاً، ويقال: سيف جرازٌ ذَا كان مستأصلا. فمن قال جُرْزٌ فهو تخفيف جرُز، ومن قال: جَرَزٌ وَجرزٌ فهما لغتان. ويجوز أن يكون جَرْزٌ مَصْدَراً وُصِفَ به كأنه أرض ذات جَرْزٍ ـ أعني بإسكان الراء، أي ذَات أكل للنّبَاتِ.

وقوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾.

ويجوز في «يَمْشون» في مساكنهم: تَمْشُون.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

جاء في التفسير أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا: يُوشِكُ أن يكون لنا يومٌ نستريح فيه، فقال المشركون: مَتَى هَذَا الفَتحُ إن كُنتُم صَادِقِينَ، فأعلم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَن الراحة في الجنة في الآخرةِ. وجاء أيضاً في الفتح مَتَى هذا الحَكمُ إنْ كنتم صادقين، ومتى هذا الفَصلُ. فأعلم اللَّه - عز وجل - أَنَّ يَوْمَ الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمَانُهُمْ وَلَا هم يُنْظَرُونَ.

أَيْ أَنَّهم ماداموا في الدنيا فالتوبة مَعْرُوضَةٌ لَهُمْ ولا توبة في الآخرةِ.

﴿[فَأَعْرِضْ عَنْهم وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ]﴾.

وقرئت: فانتظر انهم منتظرونَ، ومُنْتَظَرونَ.

سُورَة الأحْزَابِ
مَدَنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

معناه اثبُتْ على تقوى اللَّه ودُم عَلَيها(١).

وقوله:﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

أي كان عليماً بما يكون قبل كونه، حكيماً فيما يخلقه قبل خلقه إياه.

﴿واتَّبعْ مَا يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: يَعْني به القرآنَ.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّه وَكِيلاً﴾.

معناه وكفى اللَّه وكيلاً، دخلت الباء بمعنى الأمر، وإن كان لفظُه لفظَ الخبرَ. المعنى اكتف باللَّه وكيلاً.

وقوله عزَّ وَجَلَّ:﴿مَا جَعَل اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه﴾.

قال ابن عباس: إن النبي ﷺ صَلَّى فسها كما يسهو الرجال في صلاته وخطرت على باله كلمة فقال المنافقون إنَّ لَه قَلْبَيْن، قلباً معكم وقلباً مع أصحابه. وأكثر ما جاء في التفسير أن عبد اللَّه بن خَطَلٍ

---

(١) في الأصل: ودم عليه.

كانت قُرَيْشٌ تسميه ذا القلبين، وروي أنه قال: إنَّ لي قَلْبَيْنِ أَفْهَمُ بِكلِّ وَاحِدٍ منهما أكثر مما يَفْهَمُ محمّدٌ، فأكذبه اللَّه ـ عز وجل ـ فقال: ﴿ما جَعَل اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْن فِي جَوْفِهِ﴾. ثم قَرَنَ بهذا الكلام ما يقوله المشركونَ غيرُهم مما لا حقيقة له فقال عز وجل:

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وتُقْرَأ تَظَّاهَرُونَ مِنْهُنَّ، فمن قَرأ تُظَاهِرُونَ بالتخفيف فعلى قولك: ظاهر الرَّجُلُ من امْرَأَتِه، ومن قرأ تَظَّاهَرُونَ ـ بالتشديد ـ فعلى تظاهر الرَّجُلُ من امْرأته، ومعناه أنه قال لها: أَنْتِ عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الزوجة لَا تَكُونُ أُمًّا، وكانتِ الجَاهِلِيَّة تُطَلِّقُ بهذا الكلام، فأنزل اللَّه كفارة الظهار في سور المجادلة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَل أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

أي ما جعل من تدعونه ابناً وليس بِوَلَدٍ في الحقيقة ـ ابناً[1]. وكانوا يتوارثون على الهجرة ولا يرث الاعرابي من المُهَاجِر، وَإِنْ كان النَّسَبُ يوجب له الإرث. فأعلم اللَّهُ أَنّ أُولي الأرحام بعضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ، وأبطل الإرث بالهجرة.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

أي ادّعاؤكم نَسبَ من لا حقيقة لنسبه قولٌ بِالْفَمِ لا حقيقةَ معنًى تَحْتَهُ.

﴿واللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

أي اللَّه لا يجعل الابن غير الابن، وهو يَهْدِي السَّبِيلَ، أي يَهْدِي

---

(١) من تتبنونه تدعونه ابناً هو في الواقع ليس بابن ـ ولم يجعله اللَّه ابناً.

السبيلَ المستقيمة مثل قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1].

وقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ﴾ : أي هو أَعْدَلُ.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾.

أي فإنْ لم تعلموا أنّ المدعوَّ ابنُ فُلانٍ فهو أخوك في الدِّينِ إذا كان مُؤْمِناً، أي فقل يا أخي.

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾: أي بَنُو عَمِّكم، ويجوز أن يكون: وَمَوالِيكُمْ - [أي] أَوْلياؤكُمْ في الدِّين.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولكن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

في هذا وَجْهَانِ، أَحَدُهُما وليس عليكم جناح فيما أَخْطَأْتُمْ بِهُ مِمَّا قد فعلتمُوهُ قَبْلَ أن تُنْهَوْا عن هذا، ولكن ما تعمدَّتْ قلوبُكم، أَي ولكن الاثم فيما تعمدَّت قُلُوبُكُمْ، و«ما» في موضع جَرٍّ. عطف على «مَا» الأُولَى[2] المعنى. وليس عليكم جناح في الذي أخطأتم به، ولكن في الذي تعمدت قلوبكم. ويجوز أن يكون: ولا جناح عليكم في أن تقولوا[3] له يا بُنَيَّ على غير أن تَتَعَمَّدَ أن تجريه مجرى الوَلَدِ في الإِرْثِ.

وقوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُه أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

وفي بعض القراءة: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهُوَ أَبٌ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٨.

(٢) التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

(٣) في الأصل أن تقول له.

لَهُمْ، ولا يجـوز أن تقـرأ بهـا لأنهـا لَيْسَت في المصحف المجـمـع عليـه. والنبي عليـه السـلام أبـو الأمـة في الحقيقـة، ومعنى وأَزْوَاجُـه أُمَّهاتُهُمْ، أي لا تحل زوجة النبي ﷺ لأحَدٍ بَعْدَه إذْ هي بمنزلة الأُمّ.

وقـولـه: ﴿وَأُولـو الأرْحَامِ بَعْضُهم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَـابِ اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهَاجِرِينَ﴾.

أي ذو الرَّحِم بِذِي رَحِمِه أولى من المُهَاجِـر إذَا لم يَكُنْ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إلَى أَوْلِيَائِكم مَعْرُوفاً﴾.

«إلَّا أَنْ» استثنـاء ليسـت مـن الأول المـعنـى لكـن فِعْـلُكُم إلَـى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْروفاً جائِزٌ، وهو أن يوصَي الرجـلُ لِمَنْ يَتولَّاهُ بمـا أحب من ثُلُثِهِ، إذَا لم يكن وارثاً، لأنه لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ.

﴿كانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

أي كـان ذلك في الكِتـابِ الذي فُـرِضَ فيه الفـرضُ مسـطوراً أيْ مكتوباً.

وقوله: ﴿وَإذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيّينَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُـوحٍ وإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

موضع «إذْ» نصبٌ المعنى اذكر إذْ أَخَذْنَا، فذكرَهُ اللَّهُ ﷺ في أَخْذِ الميثاقِ قبل نوحٍ. وجاء في التفسير: إنّي خُلِقْتُ قَبْلَ الانبياء، وَبُعِثْتُ بَعْدَهُمْ. فَعَلى هذا القولِ لا تَقْدِيمَ في هذا الكلام ولا تأْخِيرَ. هو على نَسَقِـه، وَأخِذَ الميثـاق حيث أخرجـوا مِنْ صُلْبِ آدَمَ ـ صلى اللّه عليه ـ كالذَّرِّ، وَمَذْهَبُ أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دَلِيـلٌ

أن المـذكـور أوّلاً لا يستقيم أَنْ يكُـونَ مَعْنـاه التَّـأْخِيـرُ. فـالمعنى على مـذهب أَهْلِ اللُّغـة، وَمِنْ نُـوحٍ وإبـرَاهيم ومُـوسَى وعِيسَى ابن مَـريمَ وَمِنْك. ومثله قوله: ﴿وَاسجُدِي وَارْكَعِي مع الراكِعِينَ﴾[1].

وقوله:﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾.

معنـاه ليسـأل المبلغين من الـرُّسُـلِ عَنْ صِـدْقِهِمْ في تبليغهـم، وتـأويل مَسْـأَلَـةِ الـرُّسُـلِ - واللَّه يعلم أنهم صـادقـون - التَّبكيتُ للذين كفروا بِهِمْ، كما قـال اللَّه - عز وجل -﴿وإذْ قَالَ اللَّهُ يَـا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أأنتَ قلت لِلنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فـأجاب فقـال: ﴿سُبْحَانَكَ مَـا يَكُونُ لي أَنْ أَقُـولَ مَـا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إنْ كُنْتُ قُلْتُـه فَقَـدْ عَلِمْتَهُ﴾، ثم قـال﴿ما قلت لهم إلاَّ مَـا أَمَـرْتَنِي بِهِ﴾[2]، فتـأويله التَّبْكِيتُ للمُكَـذِّبِينَ، فعلى هذا ﴿ليسـأل الصادقين عَنْ صِـدْقِهِمْ وَأَعَدَّ للكَـافِرِين عَـذَاباً أَلِيماً﴾، أي للكافريـن بالرُّسُلِ.

وقـوله: ﴿يَا أَيُّها الَّـذِينَ آمَنُوا اذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ جَـاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرسلْنا عَلَيْهِم رِيحاً، وَجُنوداً لم تَرَوْهَا﴾.

هؤلاء الجنودُ هم الأحْزابُ، والجنود الذين كـانوا: [هم] قُـرَيْشٌ مَعَ أبي سُفْيَانَ وغطفَانُ وبنو قريظة، تحزبوا وتظاهروا على حرب رسول اللَّه ﷺ فـأرسل اللَّه عليهم ريحـاً كفَأَت قُـدُورَهُمْ، أي قَلَبَتْهَا، وقَلَعَتْ فساطيطهم[3] وأظعنتهُمْ من مَكانهم، والجنودُ التي لم يروها المَلاَئِكَةُ.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة الآية ١١٦، ١١٧.

(٣) جمع فسطاط وهو الخيمة من الشعر، والأظعنة الهـوادج جمع ظعينـة، ويطلق على المـرأة في الهودج.

وقوله:﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

جاءت قريظة من فَوْقِهِمْ، وجاءت قريش وغَطَفَانُ من ناحية مَكَّةَ، مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ.

وقوله:﴿وَتَظُنُّون بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾.

اختلف القــراءُ فيهـا. فقــرأ بَعْضُهُمْ بِـإِثْبَــاتِ الأَلِفِ فِي الـوَقْفِ والـوَصْلِ وقـرأ بعضهم «الظُّنُـون» بغير أَلِفٍ في الـوصـل، وبـألف في الـوقف. وقرأ أبـو عَمْرٍ، «الظنـون» بغيـر ألف، في الـوصـل والـوقف، والـذي عليه حُـذَّاق النحويين والمتَّبِعُـونَ السُّنَّةَ من حُـذَّاقِهِمْ أَن يقرأوا «الـظُّنُونَـا». ويقفون على الألف ولا يَصِلُونَ[1]، وإِنَّمَـا فَعَلُوا ذَلِـكَ لأن أواخـر الآيات عِنْـدَهُـمْ فَوَاصِـلُ، ويثْبِتُون في آخـرها في الـوقف ما قـد يحذف مثله في الوَصْلِ. وَهَؤُلاءِ يتبعُون المُصْحَفَ ويكرهون أَنْ يَصِلُوا ويثبتـوا الأَلِفَ، لأن الآخر لم يقفـوا عَلَيْهِ فيجـروه مجرى الفَـوَاصِـلِ. ومثل هذا من كلام العَرَبِ في القَــوَافِـي:

أَقِلِّي اللوم عَاذِل والعِتَابَا[2].

فأتيت الألف لِأَنَّهَا في موضع فاصِلةٍ وهي القافية.

وقوله عز وجل:﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾.

ويجوز زَلْزَالاً. بفتح الزاي، والمصدر من المَضَاعَفِ يجيء على ضـربين فَعْلال وَفِعْــلال نحــو قَلْقَلَهُ قَلْقَـالاً وَقِلْقَالاً وَزَلـزلْزَلْتـهُ زَلْزَالاً وَزِلْزَالاً، والكسر أكثر وَأَجْوَدُ لأَنَّ غيـرَ المَضَاعَفِ من هـذا الباب مكســورٌ

(١) كلام مستأنف أي هم يقفون ولا يصلون.

(٢) الشطر الثاني: وقولي - إن أصبت - لقد أصابا. من قصيدة لجرير مشهورة.

الأول، نحو دَحْرَجْتُه دِحْراجاً لا يجوز فيه غير الكسر، ومعنى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤْمِنُونَ﴾ أَيْ فِي تلكَ الحال اخْتُبِرَ المؤمِنُونَ، ومعنى ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شديداً﴾، أُزْعِجُوا إزعاجاً شديداً وحُرِّكوا.

وقوله: ﴿وإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. [مَاوَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه إلاَّ غُرُوراً]﴾.

موضع «إذْ» نَصْبٌ. المعنى اذكر إذ يَقُول المنافقون، ومعنى الآية أن المنافقين قالوا: وَعَدَنا محمَّدٌ ﷺ أن فارسَ والرُّومَ تُفْتَحَانِ عَلَيْنَا، وَنَحْن بمكاننا هذا ما يقدر أحدنا أن يبرز لحاجَتِه، فهذا وعْد غُرور.

وقوله عزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: يا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فارْجُعُوا﴾.

ويقرأ «لاَ مَقَام لَكُمْ» بفتح الميم، فمن ضمَّ الميم فالمعنى لا إقامة لكم[1]، تقول: أقمت في البَلَدِ إقامةً ومُقاماً، ومن قرأ «لا مَقَام لكم» - بفتح الميم، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه، وهؤلاء كانوا يُثَبِّطُونَ المؤمنين عن النبي ﷺ.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يقولون إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

أي مُعَوَّرَةٌ وذلك أنهم قالوا إن بُيُوتَنَا مِمَّا يَلِي العَدُوَّ، ونحن نُسْرَقُ مِنْهَا، فكذَّبَهُم اللَّه تعالى وأعلم أن قَصْدَهُمُ الهَرَبُ والفرارُ، فقال:

﴿وَمَا هِيَ بِعَورَةٍ﴾.

ويقرأ: وَمَا هِيَ بِعَوِرَةٍ، يُقَال عَوِرَ المَكَانُ يَعْوَرُ عَوَراً، وهو عَوِرٌ

---

(١) مصدر ميمي من أقام.

وبيوت عَورةٌ، وبيوت عَوْرَةٌ على ضَربَيْن، على تسْكِين عَوْرَة، وعلَى مَعْنَى ذات عَوْرَة.

﴿إنْ يرِيدُونَ إلاّ فِرَاراً﴾.

أي ما يريدون تَحرُّزاً مِنْ سَرَقٍ، ولكن المنافقين يريدون الفرار عن نُصْرَةِ النبي عليه السلام.

﴿وَلو دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾.

أي ولو دُخِلَتْ البيوتُ من نواحيها ﴿ثم سُئِلوا الفتنة لآتَوْهَا﴾، ويقرأ بالقصر ﴿لأتَوْهَا﴾، فمن قرأ لآتوها بالمدِّ فالمعنى لأعطوها، أي لَوْ قِيلَ لَهُمْ كُونوا على المسلمين مُظْهِرِينَ الفتنةَ لَفَعَلُوا ذَلِكَ، ﴿وَمَا تَلَبَّثوا بِهَا إلاَّ يَسِيراً﴾، ومن قرأ «لأَتَوْهَا» بالقصر، فالمعنى لَقَصدُوها.

وقوله عز وجل:﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإخْوَانِهِم هَلُمَّ. [إلَيْنَا]﴾.

أي الذين يُعَوِّقون عن النبي ﷺ نُصَّارَهُ، وذلك أنهم قالوا لِنُصَّار النبي ﷺ: ما محمد وأصحابه إلاَّ أكلة رَأْسٍ[١]. ولو كانوا لحماً لالْتَهَمَهُمْ أَبُو سفيانَ وأَصْحابُه فخلوهم وَتَعَالَوْا إلَيْنَا.

وقوله:﴿وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قليلاً﴾.

أي لا يأتون الحرب مع أصحاب النبي ﷺ الا تَعْذِيراً[٢] يُوهِمُونَهِمْ أَنَّهم مَعَهُمْ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.

«أشِحَّةً» منصوبٌ عَلَى الحَال، المعنى يَأْتُونَ الحربَ بُخَلاءَ عَلَيكُمْ

---

(١) شيء هين كرأس الذبيحة لا يشبع آكلاً.

(٢) أي ليكون لهم عذر في أنهم لم يتخلفوا.

بالظفر والغنيمة فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ فهم أَجْبَنُ قَوْمٍ ، فإذا جاءت الغنيمةُ فأشحُّ قَوْمٍ وَأَخْصَمُهُم .

﴿فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرونَ إِلَيْكَ تَدُورَ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾.

لأنهم يحضرون على غَيْر نية خَيْرٍ، إلاَّ نية شَرٍّ.

﴿فإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

معنى «سَلَقُوكم» خاطبوكم أَشَدَّ مُخَاطَبةٍ وَأَبْلَغَهَا في الغنيمة، يقال: خَطِيبٌ مِسْلَاقٌ وسَلَّاقٌ إذَا كانَ بَلِيغاً في خُطْبَتِهِ.

﴿أشحَّةً على الخَيْرِ﴾.

أي خاطبوكم وهم أَشِحَّةٌ عَلَى المالَ والغنيمة.

وقوله: ﴿أولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فأحبط اللَّه أَعْمَالَهُمْ﴾.

أي هم وإن أظهروا الإِيمانَ ونافقوا فليسوا بمؤمنين.

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾.

أي يحسبون الأحزاب بعدَ انْهِزامهم وذَهَابِهم لم يذهبوا لجُبْنِهِمْ وَخَوفِهِم منهم.

﴿وَإِنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرابِ﴾.

أي إذا جاءت الجنودُ والأحزابُ ودُّوا أنهم في البادية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه﴾.

فوصف اللَّهُ حَالَ المنـافِقين في حَرْبِ الكـافرين وحـال المؤمنين في حَـرْبِ الكَـافِـرينَ. فـوصف المنـافقين بـالفشـل والجُبْنِ والـرَّوَغـانِ والمسـارعة إلى الفتنـةِ والزيـادة في الكُفْرِ، ووصف المؤمنين بـالثُّبُوتِ عند الخوف في الايمان[1]، فقال، ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾الآية.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾.

والوعد أن اللّه قال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجنَّـةَ وَلَمَّا يَـأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُم البَأْسَاءُ والضَّـرَّاءُ وَزُلْزِلُـوا حَتَّى يَقُول الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2].

فكذلك لَمَّا ابْتُلِي أصحاب النبي ﷺ وزُلْزِلُوا زلزالاً شَدِيداً عَلِمُوا أنَّ الجنَّةَ والنَّصرَ قَدْ وَجَبَا لَهُمْ.

وقوله تعالى:﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

المعنى أَنَّهُم عَاهَدُوا في الاسلام فَأَقَامُوا عَلَى عَهْـدِهِمْ، وموضـع «مَا» نَصْبٌ بِصَدَقُوا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾.

أي أجله وَلَمْ يُبَدِّلْ. وهو قوله:﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

فالمعنى أنَّهُ مات على دينه غيرَ مُبَدِّلٍ.

﴿لِيَجْـزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ﴾.

---

(١) وصفهم بالثبات في إيمانهم عند الخوف.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٤.

أي ليجزي الذين صدقوا فِي عَهْدِهم، والمنافقون كذبوا في عهدهم لأنَّهم أظهروا الاسلام وأَبْطَنُوا الكُفْرَ.

وقوله تعالى:﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي أو يَنْقُلَهُمْ من النفاقِ إلى الإيمانِ.

وقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾.

يعنى به هَهُنَا أبا سُفْيَانَ وَأَصْحَابه الأَحْزَاب، لم يَنَالُوا خَيْراً.

أي لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيراً فخوطبوا عَلَى استعْمَالِهم.

وقوله:﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾.

يُعْنَى بِهِ بنو قريظة، ومعنى ظَاهَرُوهُمْ عَاوَنُوهم على النبي ﷺ فقذف اللَّه في قلوبهم الرعب وأَنْزَلَهُمْ على حُكْم سَعْدٍ؛ وكان[1] سعد حكم فِيهِمْ بأنْ يُقْتَلَ مُقَاتِلُهم، وتُسْبَى ذَرَارِيهِمْ.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

جعل النبي ﷺ أرْضَهم وديارَهُمْ وَأَمْوَالَهُم للمهاجرِينَ لأنهم لم يكونوا ذوي عَقَارٍ.

ومعنى الصَّيَاصِيّ كل ما يُمْتَنَعُ بِهِ، والصياصي ههنا الحُصُونُ، وقيل القُصُورُ، والقُصُورُ قد يُتَحَصَّنُ فيهَا. والصَّيَاصِيُّ قرونِ البقر والظِّباءِ، وكل قَرْنٍ صَيْصَيةٌ، لأن ذوات القُرُونِ يَتَحَصَّنُ بِقُرونها وتَمْتَنِعُ بِها، وصيصة الديك شوكتهُ لأنه يَتَحَصَّنُ بها أيضاً.

(١) نسخة فكان. وسعد هو سعد بن معاذ سيد الأوس.

وقوله : ﴿يا أيُّها النبي قل لأزواجك إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

وَكُنَّ أَرَدْن شَيئاً من أَمْرِ الدُّنْيَا، فأمر اللّه رسوله ﷺ أَنْ يَخيِّرَ نساءَهُ بين الاقامة مَعَهُ على طلب ما عند اللّه، أو التَّسْريح إنْ أَرَدْنَ الحياةَ الدُّنْيَا وزينتها، فاخترن الآخرة على الدنيا والجنَّة على الزينة.

وقوله:﴿وإنْ كنتن تُرِدْنَ اللّه وَرَسُولَه والدار الآخِرَةَ، فإنَّ اللّهَ أَعَدَّ للمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾.

أي من آثر منكن الآخرة فَأَجْرُه أجرٌ عَظِيمٌ.

وقوله:﴿يَا نِسَاءَ النَّبِّي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

ولم يقل كواحدة من النساء، لأن أَحَداً نفي عام للمذكر والمؤنث والواحِدِ والجماعة.

وقوله:﴿إن اتَّقَيتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِه مَرَضٌ﴾.

أي لا تَقُلْن قولاً يجد به مُنَافِقٌ سَبيلاً إلى أن يطمع في مُوَافقتكن له.

﴿وَقُلْنَ قَولاً مَعْرُوفاً﴾.

أي قلن ما يوجبه الدين والاسلام بغير خضوعٍ فيه، بل بتصريحٍ وَبَيَانٍ، «فَيَطْمَعَ» بالنصب وهي القِراءَةُ، وَجَوَابُ فلا تَخْضَعْنَ «فيطمَعَ»، ويقرأ فيطمِعْ الذي في قلبه مرض، بتسكين العَيْن، نسق على فلا تَخْضَعْنَ فيطمعْ.

وقوله عز وجل:﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

ويقـرأ «وقِرْنَ» ـ بكسـر القـاف ـ فمن قـرأ بـالفتـح فهـو من قَـرِرْتُ بالمَكَانِ أَقَرُّ. فـالمعْنَى، واقرَرْن فإذا خُفِّفَتْ صـارت وَقَرْنَ حـذفت الألف لثقل التضعيف في الراء، وألقيت حركتها على القـاف. والأجْوَدُ وَقِـرْنَ فِي بُيُـوتِكُنَّ ـ بكسـر القـاف ـ وهـو من الـوَقَـارِ، تقـول: وَقَـرَ يَقِـرُ في المكان. ويصلح أن يكون من قَرَرْتُ في المكانِ أَقِرُّه فيحذف على أنـه من «واقْـرِرْنَ» بكسـر الـرَّاءِ الأولى، والكســر من جهتين، من أنـه من الوقار، ومن أنه من القرار جميعاً.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾.

التبـرُّجُ إظْهَارَ الـزِّينَةِ، ومـا تُسْتَـدْعَى بـه شهـوةُ الـرَّجُـلِ، وقيـل إنَّهُنَّ(١) كنَّ يتكسَّرْن في مِشْيَتِهِنَّ، وَيَتَبخترْنَ، وقيل إن الجاهلية الأولى من كان من لدن آدم إلى زمن نوح، وقيل من زمن نوح إلى زمن إدريس، وقيل منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ. والأشبه أن تكون منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ لأنهم هم الجاهليةُ المعروفُونَ لأنه روى أنهم كانـوا يتخذون البغَايَا ـ وهن الفواجر يُغْلِلْنَ لَهُمْ(٢).

فإن قيل: لم قيل الأولى، قيل يقـال لكل متقـدِّمٍ ومتقدِّمَـةٍ أولى وأول، فتأويله أنهم تقدَّمُوا أمَّةَ محمـد ﷺ. فهم أولى وهم أول من أمة محمد ﷺ.

وقوله عز وجل:﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

---

(١) أي نساء الجاهلية.

(٢) ينتجن لهم غَلَّةً ومالاً، لأنهم كانوا يتخذونهن وسيلة للكسب وربمـا أكرهـوهن على هذا ـ كما أشارت الآية: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾.

وتقرأ مُبَيَّنةٍ.

﴿يُضَاعَفْ لَهَا العذابُ ضِعْفَين﴾.

القراءة يُضَاعَفْ بـألِفٍ، وقَرَأَ أَبُـو عَمْرٍو وَحْـدَهُ يُضَعَّفْ، وكلاهمـا جَيِّدٌ. وقال أَبُو عُبَيْدَة: يعذب ثلاثة أَعْذِبَةٍ، قال: كـان عليها أن يعَـذَّب مَرةً وَاحِدَةً، فإذا ضُوعِفَتْ المرَّة ضِعْفَينِ، صار العـذاب ثلاثـة أَعْذِبَـةٍ. وهـذا القول ليس بشيء لأنَّ معنى يضـاعف لها العـذاب ضعفين يجعل عذاب جرمها كعذابَيْ جُرْمَيْنِ. والدليل عليه «نُؤتها أجرهـا مَرَّتَيْنْ»، فـلا يكون أن تعطى على الطاعة أَجْرَين وعلى المَعْصِيَةِ ثلاثة أَعْـذِبَةٍ ومعنى ضعف الشيء مِثْله، لأن ضِعف الشيء الـذي يُضْعِفُـه بمنـزلـة مثقـال الشيء.

ومعنى يقنت يقيم على الطاعة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾: جاء في التفسير أَنَّهُ الجنَّةُ.

وقوله:﴿إنَّما يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البيْتِ﴾.

«أهـلَ» البيتِ، منصوب على المـدح، ولـو قـرئت أهـلِ البيْـتِ -بالخفض- أو قـرئت أهـلُ البيت بـالـرفـع لجـاز ذلـك ولكنَّ القـراءَةَ النصبُ. وهـو على وجْهَيْنِ. على مَعْنَـى أعنـي أهـلَ البَـيْتِ، وعـلى النـداء، على معنى يـا أهـل البَيْتِ، والـرِّجْسُ في اللُّغَـةِ كـل مستنكـر مُسْتَقْذرٍ من مأكول أو عَمَلٍ أَوْ فَاحِشَةٍ.

وقيـل ان أهل البيت ههنـا يعنى به[1] نسـاء النبي ﷺ وقيل نسـاء النبي والـرجال الـذين هم آله. واللغـة تدل على أنـه للنساء والـرجـال

---

(١) يعني بهذا التعبير أو بهذا القول.

جميعاً لقوله «عَنْكم» بالميم، ولِيُطَهِّرَكُمْ. ولو كان للنساء لم يجز إلا عَنكُنَّ وَيُطَهِّرُكُنَّ. والدليلُ على هذا قوله: ﴿واذكُرْنَ مَا يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيماً﴾.

لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل، قال النساء من المُسْلِمَاتِ: فما نزل فينا نحن شيءٌ، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن النساء والرِّجَالَ يجازَوْنَ بِأَعْمَالِهِم المغفرة والأجرَ العظيمَ.

وقوله عز وجل: ﴿والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ﴾.

المعنى والحافظين فروجهم والحافظاتها والذاكرين اللَّه كَثِيراً، والذَّاكِراتِهِ. استغنى عن ذكر الهاء بِمَا تَقَدَّمَ ودل على المحذوف، وَمِثْله ونخلعُ ونتركُ من يَفْجُرك، المعنى ونخلع من يفجُرُكَ ونترُكُهُ، ومثله من الشعر.

وكُمتاً مُدَمَّاة كأن متونها جَرَى فوقَها واستشعرت لونُ مُذْهَبِ[1]

على رفع لوْنِ. المعنى جرى فوقها لون مذهب واستشعرته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّه وَرَسُولِه﴾.

بالياء، ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء.

---

(١) البيت لطفيل الغنوي ـ اللسان ـ (كمت) وكُمتا جمع أكمت، مدمَّاة أي مشربة بلون الدم، وهو في كتاب سيبويه ١/٧٧، واللسان (دمي ـ كمت).

الأول محمـول على اللفظ، وتعمـل على المعنى. ومن قـرأهمـا جميعـاً بالتـاء حمل على المعنى. أراد والتي تقنت منكن للَّه ورسـولـه وتعمـل. ومن قرأ الأول بـالتـاء قبُـحَ أن يَقْـرأ وَيَعْمَـلْ، لأنـه قـد حمـل على المعنى، وأوضح الموصول بأنه مؤنث، فيقبح الحمل على اللفظ.

وقوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُـه أَمْراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

الخِيَرَةُ التَّخْيِيرُ. ونـزلت هذه الآيـة بسبب زينبَ بنتِ جحْشٍ[١]، وكانت بنت عمَّةِ رَسُول اللَّه، ﷺ وزيْدِ بن حَـارِثَةَ[٢]، وكـان زيد مـولى رسول اللَّه ﷺ وكانت منزلته منه في محبّتِهِ إيـاه كمنزلـة الولـد، فخطب رسول اللَّه ﷺ زَيْنَبَ ليزوجهـا من زَيْدٍ، فـظنت أنه خـطبها لنفسـه عليه السلام، فلما علمت أنه يريدها لـزيدٍ كـرهت ذلك. وأعلم اللَّه ـ جـل وَعَلَاـ أنه لا اختيار على ما قضاه اللَّه ورسوله، وزوَّجَها مِنْ زَيْدٍ.

وقـوله عـز وجل:﴿ وَإِذْ تَقُـولُ لِلَّذِي أَنْعَم اللَّهُ عَلَيْـه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللَّهَ﴾.

---

(١) هي أم المؤمنين ـ زينب بنت جحش أخت عبـد اللَّه ـ قيل أسمهـا حمنة وان كـل بنات جحش كن يسمين زينب، وأمهـا أميمة بنت عبـد المطلب عمـة رسول اللَّه ﷺ كـانت زوجاً لـزيـد بن حارثة وتزوجها بعده رسول اللَّه ﷺ وفيها نزلت آيات من سورة الأحزاب. ﴿وإذ تقول للذي أنعمت عليـه وأنعم اللَّه عليه أمسك عليك زوجك. . . ﴾ الخ ـ وكـانت سيدة كـريمـة ذات جـود وحب للصدقة ـ كانت تدبُغُ الجلود وتتصدق بما تنال من عملها ـ وجاء فيها الحديث «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يدا» ـ وماتت في خلافة عمر.

انظر الاصابة في (٤٧٠، ٤٧١) والاستيعاب ٣١٣، ٣١٤.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحبيل الكعبي ـ اختطفته بنوقين في الجاهلية فباعوه بسـوق عكاظ. اشتـراه حكيم بن حزام لعمتـه خديجة، فلما تزوجها رسول اللَّه ﷺ وهبته له، ثم طلبه أهله فآثـر البقاء مع النبي ﷺ فتبناه وظل يدعى زيد بن محمد حتى نزلت آية تحريم التبني ـ وزوجه رسول اللَّه زينب وقصتهما معروفة.

معنى أنعم اللَّه عليه هداه للاسلام، وأنعمت عليه أعتقته من الرق، وكان زيدٌ شَكا الى النبي عليه السلام أَمْرَ زَيْنَبَ، فأمره بالتمسك بها، وكان عليه السلام يحب التزوُّج بها[1] إلا أنه عليه السلام آثر ما يحب من الأمر بالمعروف فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ واتَّق اللَّه﴾.

﴿وَتُخْفِي في نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

أي تكره مقالة النَّاسِ.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

أي فلما طلقها زيدٌ. والوَطَرُ في اللغة والأَرَبُ بمعنًى واحد، قال الخليل: معنى الوطر كلُّ حاجَةٍ يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره وَأَرَبَه، أي بَلَغ مُرادَه مِنها.

وقوله ـ عزوجل: ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾.

أي زوجناك زينب وهي امرأةُ زيد الذي قد تبنّيت به، لئلا يُظَنَّ أَنَّهُ من تبنَّى بِرَجُلٍ لم تحِل امرأتُه للمُتَبَنِّي.

وقوله تعالى:﴿مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.

أي لم يكن [زيدٌ] ابنَ[2] محمد، لم يلده، وقد وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّه

---

(١) في الأصل التزويج وهو غير مناسب.

(٢) في الأصل أي لم يكن أبَا مُحمَّدٍ

ﷺ ذكورٌ إبراهيم والطيِّبُ والقاسم والمطهَّر[1]، وإنما تأويله: ما كان يحرم عليه مِمَّنْ تبنى به ما يحرم على الوالد، والنبي ﷺ أبو المؤمنين في التبجيل والتعظيم. وقرئت: وخاتِمَ النبيينَ وخاتَم النبيين[2]، فمَنْ كَسَرَ التاء فمعناه ختم النبيين، ومن قرأ وخاتَم النبيّينَ - بفتح التاء - فمعناه آخر النبيين، لاَ نَبِيَّ بعده ﷺ. ويجوز: ولكن رسول اللَّهِ وخاتمُ النبيينَ. فمن نصب فالمعنى ولكن كان رَسُولَ اللَّهِ وكان خاتَمَ النبيينَ، ومن رفع فالمعنى ولكن هُوَ خَاتَمُ النبيين.

وقوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِي مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَه، سُنَّةَ اللَّهِ [في الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ]﴾.

«سنة» منصوب على المصدر، لأن معناه «ما كان على النبي من حرج فيما فرض اللَّه سَنَّ اللَّه سُنَّةً حسنة وَاسِعَةً لاَ حَرج فيها». أي لا ضِيقَ فيها والسُّنَّة الطريقة، والسَنَنُ مِنْ ذَا كُلِّه.

وقوله عزوجل: ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

معناه في النبيّينَ الذين قبل محمد ﷺ وعليهم. أي سنَّةُ اللَّه في التَّوْسعة على محمد ﷺ فيما فرض اللَّه له كسُنَّتِهِ في الانبياء المَاضِين.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ﴾.

«الذين» في موضع خَفْضٍ نعت لقوله في الذين خَلَوا من قبل، ويجوز أن يكون رَفْعاً على المدح عَلَى هَمْ الذين يُبَلِّغُونَ رسالات اللَّه، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أعني الذين يُبَلِّغون.

---

(١) لم يكن له ﷺ غير ثلاث بنين، وكان عبد اللَّه يلقب بالطيب والطاهر.

(٢) قرأ عاصم وحده بفتح التاء.

وقوله: عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾.

صلاة اللَّه على خلقه رَحْمَتُه وهدايته إياهم.

وقوله:﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾.

تحية أهل الجنَّةِ سلام، قال اللَّه عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها النبي إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾.

[أي] شاهداً على أُمَّتِكَ بالإِبْلاَغِ، إبلاغ الرسالة، ومبشراً بالجنة ومُنذِراً من النَّارِ، وهذا كله منصوب على الحال، أي أَرْسَلْنَاكَ في حال الشهادة والبِشَارَةِ والانذار.

﴿وَدَاعِياً إلى اللَّه بِإِذْنِهِ﴾.

أي داعياً إلى توحيد اللَّه وما يُقَرِّبُ منه، وبإِذْنِهِ أي بِأَمْرِه.

﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾.

أي وكتاباً بَيِّناً، المعنى أرسلناك شاهداً وذَا سراج مُنِيرٍ وذا كتاب بَيِّنٍ، وَإِنْ شئت كان «وَسِرَاجاً» منصوباً على معنى دَاعِياً إلى اللَّهِ وتالِياً كتاباً بيّناً.

وقوله عز وجل: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾.

معناه دع أذى المنافقين، وتأويل دع أذاهم دَعْهُم لا تجازِهِمْ عَلَيْه إلى أن تُؤْمَرَ فيهم بِأَمْرٍ.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمسُّوهُنَّ﴾.

معنى ﴿تمسوهنَّ﴾ تقرَبُوهُنَّ[1].

﴿فَما لكم عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

قال بعضهم «متعوهن» نسخها قوله عز وجل:﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أن تمسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ﴾[2]، والنصف ينوب عن التمتيع، إلاَّ أن يكون لم يسم لها مَهْراً، فلها نصف مَهْرِ مِثْلِهَا. وأسقط اللَّه العدَّة عن الّتِي لم يَدْخُلْ بِها، لأن العدَّةَ في الأصل استبراء.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّلاتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

«أجورهن»: مهورهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُك مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾.

وأصل الاملاك في الإماء والعبيد ما يجوز سَبْيُهُ وفيئه، فأما سَبْيُ الخبيثة فلا يجوز وَطْئُه ولا مِلْكُه، يقال هذا سَبْيُ طِيِّبَةٍ، وسَبْيُ خِبْثَةٍ، فسبي الطيِّبَةِ سَبْيُ من يجوز حَرْبُه من أهل الكفر، فأما من كان له عهد فلا يجوز سبيه ولا مُلْكُ عَبْدٍ منه ولا أمَةٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنبي إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَها خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنينَ﴾.

وتقرأ إِنْ وَهَبَتْ بالفتح. أي: أَنْ وَهَبَتْ نفسها للنبي حَلَّتْ لَهْ ومن

---

(١) أي من قبل أن تدخلوا بهن.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

قرأ «أَنْ وَهَبَتْ» بالفتح فالمعنى أَحَلَلْنَاها لأنْ وَهَبَتْ نفسها. «وخالِصَةً» منصوب على الحال. المعنى إنا أَحْلَلنَا لك هؤلاء. وأحللنا لك من وَهَبَتْ نفسها لك. وإنما قيل للنبي ههنا لأنه لو قيل أن وهبت نفسها لك كان يجوز أن يتوهم أنَّ في الكلام دليلاً أنه يجوز ذلك لغير النبي عليه السلام، كما جاز في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾، لأن بَنَاتِ العَمّ وبنات الخال يحللن للناس.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِم فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

أي ان التزويج لا يَنْعَقِدُ إلاَّ بِوَلِيٍّ وَشَاهِدين، وملك اليمين لَا يَكُونَ إلاَّ مِمَّنْ يَجُوزُ سَبْيُه.

وَقَوْلُه: ﴿تُرْجي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

ترجي بالهمز وغير الهمز، والهمز أكثر وأَجْوَدُ، ومعنى تُرْجِي تُؤخِرَ بالهَمْزِ وَغيرِ الهمز، المعنى واحدٌ، وهذا مما خص اللّه به النبي عليه السلام فكان له أن يؤخر من أحب من نِسائه ويؤوي إليه من أحب من نسائه وليس ذلك لغيره مِنْ أُمَّتِهِ، وله أَنْ يَرُدَّ من أَخَّر إلى فراشه عليه السلام.

﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

أي ان أردت ممن عزلت أن تُؤْوِيَ إليكَ فلا جناح عليك.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

أي ويرضَيْنَ كلُّهُنَّ بما أَعْطَيْتَهُنَّ من تقريب وإرجاء ويجوز النصب في كلّهنَّ توكيداً للهاء والنُّونِ.

وقوله عز وجل:﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾.

وتقرأ: لا تحل لك النساء ـ بالتاء، فمن قرأ بالياء فلأن الياء في معنى جمع النساء، والنساء يدل على التأنيث فيستغنى عن تأنيث يحل. ويجوز لا تحل ـ بالتاء ـ على معنى لا تحل لك جماعة النساء.

وقوله:﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾.

موضع«ما»رفع المعنى لا يحل لك إلّا مَا ملكتْ يَمينُكَ. جعل ما بدلاً مِنَ النِّساءِ ويجوز أن يكون موضعُ ما نَصْباً على معنى لا يحل لك النساء أَسْتَثْنِي ما ملكت يمينك.

وقوله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾.

بضم البَاءِ وقد رُويت عَنْ عَاصِم «بِيُوت» بكسر الباء وعن جَمَاعَةَ من أهل الكوفة. وليس يروي البصريون بِيُوت بكسر الباء، بل يقولون إن الضم بعد الكسر ليس موجوداً في كلام العرب ولا في أشعارِها، والذين كسروا فكأنَّهم ذهبوا إلى اتباع الياء، والاختيار عند الكوفيين الضَّمُّ في بُيُوتٍ.

وقوله:﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم إلى طَعامٍ﴾.

في موضع نصب. المعنى إلَّا بأن يُؤذنَ لَكم، أو لِأَنْ يُؤْذَنَ لكم.

وقوله:﴿ إلى طَعَامٍ غَيرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾.

اناه نَضْجُه وبلوغُه، يقال أَنَى يأْنِي إِنَاءً إذا نَضِج وَبَلَغ، و«غيرَ» منصوبةٌ على الحال، المعنى إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين، ولا يجوز الخفض في «غير» لأنها إذا كانت نعتاً للطعام لم يكن بُدٌّ من إظهار

الفاعل لا يجوز إلا غير ناظرين إناه أنتم(١) .

وقوله عز وجل:﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكم كَـانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾.

ويجوز فيستحي منكم بياء واحدة، وكذلك قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ ويستحي بالتخفيف على استحيَيْتُ واسْتَحَيْتُ، والحذف لثقل الياءين.

وكـان النبي ﷺ يحتمل إطـالَتُهُمْ كرمـاً منه فيصبـر على الأذى في ذلك، فعلم اللَّه من يحضره الأدَبَ فصار أَدَباً لهـم ولمن بعدهم.

وقوله:﴿وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

أي إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي ﷺ في أمر فخاطِبُوهُنَّ من وراء حِجَابٍ، فنزل الأمر بالاستِتَارِ.

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.

أي ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَه مَنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾.

مَـوْضع «أَنْ» رَفعٌ، المعنى : وَمَا كـان لكم أن تنكحـوا أزواجـه من بعده، وذَلِكَ أنـه ذُكِرَ أن رَجُـلاً قال : إذَا تُـوفِّيَ مُحمدٌ تَزَوَّجْتُ امْـرَأَتَهُ فلانةً(٢)، فأعلم اللَّه أن ذَلِكَ محرم بقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾.

أي كانَ ذنباً عَظِيماً.

وقـوله:﴿لَا جُنَـاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ إلى قوله﴿ ولا مـا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.

---

(١) ناظرين يحتاج لفاعل إذا كانت نعتاً، أما إذا كانت استثناء فهي تابعة لفاعل الجملة السابقة.

(٢) كان الرجـل يسمى طلحة بن عبيـد الله، تيمي من آل أبي بكر، وهـو غير طلحـة الفياض أحـد العشرة المبشرين وأحد أهل الشورى، والزوجة هي السيدة عائشة ـ رضي الله عنها.

ولم يرد في هذه القِصَّةِ أَعْمَامَهُنَّ وَلاَ أَخْوَالَهُنَّ. فجاء في التفسير أنه لم يذكر العَمَّ والخَالَ، لأنَّ كُلَّ واحد منهما يحل لابنة المرأة، فتحِلُّ لابن عمها وابن خالها. فقيل كُرِهَ ذلك لأنهما يصفانها لأبنائِهِمَا. وهذه الآية نزلت في الحجاب فيمن يحل للمرأةِ البُرُوزُ لَهُ، فذكر الأب والابْنُ إلى آخر الآية.

المعنى لا جناح عليهن في رؤية آبَائِهِن لَهُنَّ، ولم يذكر العمَّ والخالَ لأنهما يجريان مجرى الوالدين في الرؤيَة. وقد جاء في القرآن تسمية العم أباً في قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلٰهاً وَاحِداً﴾، فَجَعَلَ العمَّ أباً.

وقوله عز وجل:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّك بِهِمْ﴾.

المعنى لنسلطنك عليهم.

﴿ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً ملْعُونِينَ﴾ منصوب على الحال، المعنى لا يجاورونك إلاَّ وهم ملعونون(١).

وقوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾.

لا يجوز أن يكون «ملعونين» منصوباً بما بعد أينما، لا يجوز أن تقولَ: مَلْعُوناً أَيْنَمَا ثقف أُخِذَ زَيْدٌ يُضْرَبُ، لأن ما بعدما حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها.

وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿سنةَ اللَّهِ﴾ مَنْصُوبٌ بمعنى قوله أخذوا وَقُتِّلُوا، فالمعنى سَنَّ اللَّه

---

(١) في الأصل: الا وهم معلونين.

في الذين ينافقون الانبياء ويرجفون بِهِمْ أن يُقتَّلوا حَيْثُما ثُقِفُوا[1].

وقوله:﴿إنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾.

الاختيار «السبيلا» بألف، وأن يوقف عليها، لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أَوَاخِرِ الأبياتِ من الشِّعْر، والفَوَاصِل، لأنه خوطب العربُ بما يعقلون في الكلام المؤلَّفِ فَيُدَلّ بالوقف في هذه الأشياء وزيادة الحروف فيها، ـ نحو: الظنونا، والسبيلا، والرسولا ـ أن الكلام قد تم وانقطع، وان ما بعده مستأنف.

وقوله: ﴿وَالْعَنْهُم لَعْناً كَبِيراً﴾.

ويقرأ كثيراً ومعناهما قريب.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾.

أي لا تؤذوا النبي ـ عليه السلام ـ كما آذى أَصحاب موسى مُوسَى، عليه السلام، فينزلَ بكم ما نزل بهم.

وكان أذاهم لموسى فيما جاء في التفسير أَنهم عابُوه بشيء في بدنه فاغتسَل يوماً ووضع ثوبه على حجر فذهب الحجر بثوبه فأتبعه موسى فرآه بنو إسرائيل ولم يروا ذلك العيب الذي آذوه بذكره.

﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّه وَجِيهاً﴾.

كلَّمَهُ اللَّه تكليماً وبرأه من العيب الذي رموه به بآية معجزة.

وقوله عز وجل:﴿إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَواتِ وَالأرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحمِلْنَها وأشفقن منها وَحَمَلَها الإنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

---

(١) يقال ثقفته ثقفاً أي صادفته ووجدته.

رُوي عن ابن عَبّاسٍ وسَعِيدِ بن جبير أنهما قالا: الأمانة ههنا الفرائض التي افترضها اللّٰه على عبادة، وقال ابن عُمَر: عرضت على آدمَ الطاعةُ والمعصيةُ وعرف ثوابَ الطاعة. وعقابَ المعصية. وحقيقة هذه الآية ـ واللّٰه أعلم، وهو موافق للتفسير ـ أن اللّٰه عز وجل ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السّمواتِ والأرضَ والجبالَ على طاعته والخضوع له، فأعلمنا اللّٰه أنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[١]، وأعلمنا أن من الحجارة ما يَهْبِطُ من خشية اللّٰه وأن الشمس والقمرَ والنجومَ والملائكةَ وكثيراً من الناس يسجدون للّٰه، فأعلمنا اللّٰه أن السموات والأرض والجبال لم تحتمل الأمانة، أي أدَّتْها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثِمَ فقد احتمل الاثم، قال اللّٰه عز جل: ﴿وليحملُنَّ اثقالهم وأثقالاً مَعَ أثقَالِهِم﴾[٢]. فأعلم اللّٰه أن من باء بالاثم يسمَّى حاملا للاثم، فالسموات والأرض والجبال أَبَيْنَ أن يحملن الأمانة وأدّينَها. وَأَدَاؤها طاعة اللّٰه فيمَا أَمَر به، والعَمَلُ به وترك المَعْصِيَةِ.

﴿وحَمَلَها الانْسانُ﴾، قال الحَسَنُ: الكافر والمنافق حَمَلا الأمانة ولم يطيعا. فهذا المعنى واللّٰه أعلم. ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال كان ظلوماً جَهُولاً، وتصديق ذلك ما يتلو هذه الآية من قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَات والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللّٰهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ وَكَان اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

---

(١) سورة فصلت الآية ١١.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٣.

سُورَةُ سَبأ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدلِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـواتِ وَمَا فِى الأرْضِ وَلَـهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾.

واللّهُ المحمُود فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وحمـدُه فِي الآخرة يـدل عليه قول أهل الجنة: ﴿الحَمْدُ لِلَّه الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[1] أي أورثنا أرض الجنَّةِ .

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾.

أي ما يدخل في الأرض وما يخرج منها. ما يدخل في الأرض من قَطْرٍ وغيره، وما يخرج منها من زرع وغيره.

﴿وَمَايَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

ما يَصْعَدُ فِيها، يقال عرج يَعْرُجُ إذا صَعـدَ، والمعارج ـ الـدَّرَجُ ـ من هذا، ويقال: عَرِج يَعْرَجُ، إذا صار ذَا عَرَجٍ ، وَعَرَجَ يَعْرُجُ إذَا غَمَـزَ من شيء أصابه[2] .

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٤.

(٢) عرج بالفتح ارتقى وَأَصَابَهُ شيء في رجله ليس بخلقة، فإذا كان خلقة فالفعل عرج مثل فرح.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

الساعة التي يبعث فيها الخَلْقُ، المعنى أنهم قالوا: لَا نُبْعَثُ، فقال اللَّه تعالى:

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ [لَا يَعْزُبُ عَنْه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ]﴾.

بالخَفْضِ [في عالم] صفة للَّه عز وجل، ويقرأ بالرفع من وجهين، أحدهما الابتداء، ويكون المعنى: عَالِمُ الغَيْبِ «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ». ويكون «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ» هو خَبَر عالم الغَيْبِ، ويرفع على جهة المدح للَّه عز وجل.

المعنى هو عالم الغيب ويجوز النَّصبُ ولم يُقْرأْ به على معنى اذْكُرْ عالمَ الغيب، ويقرأ علاَّمُ الغيوبُ وعلاَّمَ الغيبِ جَائِزٌ.

ويقرأ لا يعزِب عنه بِكَسْرِ الزاي، يقال: عَزَب عَنِّي يَعْزُبُ ويعْزِبُ إذَا غَابَ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

اللام دخَلت جواباً لقوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ للمجازاة أي من أجل المجازاة بالثواب والعقاب.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

بيّن اللَّه أَنَّ جزاءَهم المغفرةُ وهي التغطيةُ على الذُّنُوب.

وقوله: ـ جل وعلا ـ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَجِّزِينَ﴾.

ويقرأ ﴿مُعاجِزين﴾ وَمُعاجزين في مَعْنَى مُسَابقين، ومن قرأ مُعَجِّزِينَ فمعناه أنهم يُعَجِّزُونَ من آمن بها، ويَكُونُ في معنى مُثَبِّطِينَ وهو معنى تعجيزهم من آمن بها.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيم﴾.

بالخفض نعت للرِّجْزِ، «أليم» نعت للعذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ [الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ]﴾.

ههنا علماء اليهود الذين آمَنُوا بالنبي عليه السلام، منهم كعبُ الأحبار وعبدُ اللّه بنُ سلام، أي وَلِيَرى، وموضع «يرى» عطف على قوله: «ليجزي» و«الحق» منصوب. خبر ليرى[1] الذي[2] و«هُوَ» ههنا فصل يدل على أن الذي بعدها ليس بنعتٍ، ويسميه الكوفيون العماد، ولا تدخل «هو» عماداً إلاّ في المعرفة وما أشبهها، وقد بينا ذلك فيما مَضَى. والرفع جائز في قوله «هو الحقّ».

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ . . .﴾ الآية[3].

هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، يقول بعضهم لبعض: هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم مبعوثون بعد أنْ تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً. وفي هذه الآية نظر في العربية لطيف، ونحن نشرحه إن شاء اللّه.

«إذا» في موضع نَصْب بِمزّقْتُمْ، ولا يكون أَنْ يَعْمل فيها ﴿جَدِيدٍ﴾[4] لأن ما بعد «أنَّ» لا يعمل فيما قبلها. والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم انكم إذا مزقتم تبعثونَ، ويكون «إذا» بمنزلة «إن» الجزاء، يعمل فيها الذي يليها، قال قيس بن الخطيم:

---

(١) مفعول ليرى، وفي الأصل حبر ليعلم.

(٢) اصل الجملة قبل دخول الناسخ «الذي انزل اليك من ربك هو الحق».

(٣) تمام الآية: ﴿ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد﴾.

(٤) من ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾.

إذَا قصُرتْ أسْيافُنا كان وَصْلُها خطانا إلى اعدائنا فنضاربُ[1]

المعنى يكون وصلها، الدليل على ذلك جزم «فَنُضَارِبْ».

ويجوز أن يكون العامل في «إذا» مضمراً، يدل عليه ﴿إنكم لفي خلقٍ جديد﴾ ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يُنَبئُكُمْ يقول لكم إذا مزقتم بعثتم، إنكم لفي خلق جديد، كما قالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[2]. فإذا يجوز أنْ تكون منصوبة بفعل يدل عليه «إنَّا لَمَبْعُوثُونَ» ولا يجوز «إنَّكُمْ لَفِي خلق جديد» بالفتح، لأن اللام إذا جاءت لم يجز إلاَّ كسر إن.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرْضِ﴾.

أي ألم يَتَأَمَّلُوا ويعْلَمُوا أن الذي خلق السماء والأرض قادر على ان يبعثهم، وقَادِرٌ أن يخسف بِهِمُ الأرْضَ أو يسقط السماء عليهم كِسَفاً.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

أي إن في ذلك عَلاَمةً تَدُلُّ مَنْ أَنَابَ إلى اللَّه ورجع إليه وتأَمَّل ما خلق على أنه قادر على أن يحيي الموتى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ [وَالطَّيْرَ]﴾.

---

(١) البيت في ابن يعيش ٩٧/٤، ٧٤/٧، وأمالي ابن الشجري ٣٣٣/١، وكتاب سيبويه ٦١/٣ (ت هرون) - يصف قومه ونفسه بالأقدام والهجوم على الأعداء، فهم لا يضربون من بعيد.

(٢) هي عطف في كلا الاعرابين. إما عطف مفرد وإما عطف جملة.

المعنى فقُلْنـا يَا جِبَـالُ أَوِّبي مَعَـهُ، وَتُقْـرأ أُوَبِي معـه، على معنى عودي في التسبيح معه كلَّما عاد فيه، ومن قرأ أَوِّبِي مَعَه فمعنـاه رَجِّعِي مَعَهُ، يقال آب يؤوب إذَا رَجَـع، ومعنى رَجِّعِي مَعَه سَبِّحي معـه ورَجِّعي التسبيح معه.

وَالطَّيْرَ - والـطَّيْرُ، فـالرفـع من جهتين. إحداهمـا أن يكون نسقـاً على ما في أَوِّبي، المعنى يَا جِبَالُ رجِّعي التسبيح أنت والطَّيْرُ، ويجوز أن يكـون مرفـوعاً عـل البَدَل. المعنى: يـا جبال ويا أَيُّهَـا الـطيـرُ أوّبي مَعَه.

والنّصْبُ مِنْ ثَلاثِ جَهاتٍ. أن يكونَ عطفاً على قوله: «ولقد آتينـا داود مِنَّا فَضْلاً والطَّيرَ»، أي وسَخَّرْنَا له الطَّيْـرَ[1]. حَكى ذلك أبـو عبيدة عن أبي عمرِو بنِ العلاء، ويجوز أن يكون نصباً على النداء، المعنى: يـا جبال أَوِّبي مَعَـهُ والطَّيْـرَ، كأنـه قال دعـونا الجبـال والطيـر، فالـطير معطوف على مَوْضِعِ الجِبَالِ في الأصل، وكل منـادى - عند البصـريين كلهم - في موضع نصبٍ. وقد شرحنـا حال المضمـوم في النداء، وأن المعرفة مبني عَلَى الضَّمِّ. ويجوز أن يكون «والطَّيْرَ» نصب على معنى «مع» كما تقول: قمت وزيداً، أي قمت مع زيدٍ، فالمعنى أوّبي معه ومع الطير.

وقوله عز وجل:﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ [أَنِ آعمَلْ سَابِغَاتٍ]﴾.

[أي] جعلنـاه لَيِّناً. وَأَوَّل مَنْ عَمِـل الـدّرُوع دَاودُ، وكـان مـا يُسْتجنُّ[2] به مِنَ الحديد إنما كانَ قِطَعَ حَـدِيدٍ نحـو هذه الجَـواشِنَ[3]،

(١) منصوب بفعل مقدر مناسب كما في علفتها تبناً وماء.

(٢) يستجن به يستعمل للوقاية.

(٣) جمع جوشَنٍ - وهو الدرع.

و «أن» ههنا، في تأويل التفسير كأنه قيل: وألَنَّا له الحديد أن أعمل سابغاتٍ، بمعنى[1] قلنا له: اعمل سابِغَاتٍ، ويكون في معنى لأن يعمل سابغات. وتصل إن بلفظ الأمر، ومثل هذا من الكلام أَرْسَلَ إليه أَنْ قُمْ إليَّ، أي قال قم إلى فلانٍ، ويكون بمعنى ارسل إليه بأن يقوم إلى فلانٍ.

ومعنى «سَابِغَاتٍ» دروع سابغات فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف، ومعنى السابغ الذي يغطي كل شيء يكون عليه حتى يَفْضُل.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

السَّردُ في اللغة[2] تقدمة شيء إلى شيء تأتي به مُنَسَّقاً بَعْضُه في إثْرِ بَعْض مُتَتَابِعاً فمنه سَرَدَ فلانُ الحدِيثَ، وقيل في التفسير: السَّرْدُ السَّمْرُ[3] والسَّتْر والخلق وقيل هو أَنْ لَا يَجْعَل المِسْمَارَ غليظاً والثقبَ دَقيقاً، ولا يجعلَ المسمارَ دَقِيقاً، والثقبَ واسِعاً فيتقَلْقَلْ وَيَنْخَلِع وينقصفُ. قَدِّرْ في ذلك أي اجْعَلْهُ عَلَى القصد وقدر الحاجة.

والذي جاء في التفسير غَيْرُ خارج عن اللغة لأن السَّمْرَ تقدِيمُك طرف الحلقة إلى طرفها الآخر، وزعم سيبويه أن قول العرب: رجل سَرَنْدِيٌّ مشتق من السّردِ، وذلك أن معناه الجريء، قال: والجرِيء الذي يمضي قُدُماً.

---

(١) في الأصل: وبمعنى.

(٢) في القاموس: السرد الخَرْزُ في الأدِيم، ونسج الدِّرْع، واسم جامع للدروع وسائر الخلَق.

(٣) الشد بالمسامير. يقال سَمَرَ الشَّيْءَ يسمِرُهُ ـ كنصر وكضرب. وسمَّره، بمعنى شده بمسمار وثبته.

وتفسير : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ جعلناه ليناً كالخُيُوط يطاوعه حَتَّى عَمِلَ الدروعَ .

وقوله تعالى :﴿وَلِسُلَيمانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ .

النصب في الريح هو الوجه وقراءة أكثر القراء، على معنى وسَخَّرْنَا لسلَيمانَ الريح، ويجوز الرفع ولسليمان الريح غدوها شهرٌ، والرفع على مَعْنَى ثبتت له الريح، وهو يؤول في المعنى إلى معنى سخرنا الريح، كما أنك إذا قلت: للَّه الحمد فتأويله استقر للَّه الحمدُ، وهُوَ يرجعُ إلى معنى أحمدُ اللَّه الحمْدَ .

وقوله :﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ .

أي غدوها مَسيرةُ شَهْرٍ، وكذلك روَاحُها . وكان سليمان يجلس على سريره هو وأصحابه فتسير بهم الريح بالغداة مسيرة شهر، وتسيرُ بالعَشِي مَسِيرَة شَهْرٍ.

﴿وأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ﴾ .

القطر النُّحَاسُ، وهو الصُّفرُ، فأذيب مذ ذاك وكان قبلَ سليمانَ لاَ يذُوبُ .

﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

موضع «مَنْ» نصب، المعنى سخرنا له من الجن مَنْ يعمَلُ، ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً، ويكون المعنى فيما أعطيناه من الجن ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْه بإذْنِ رَبِّه﴾ أي بأَمْر رَبِّه .

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ .

أي من يعدل[١]. ثم بَيَّن ما كانوا يعملون بين يَدَيْه فقال:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾.

المحرابُ الذي يُصَلَّى فيه، وأشرف موضع في الدَّارِ وفي البيت يقال له المحراب.

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾.

اكثر القُرَّاء على الوقف بغير ياءٍ، وكان الأصل الوقفَ بالياء، إلاّ أن الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولام الوقف عليها بغير ياء[٢]، تقول: هذه جواب، فأُدْخِلَت الألف واللام وترك الكلام على ما كان عليه قَبْلَ دُخُولِهِمَا. والجوابي جمعُ جَابية، والجابية الحوض الكبير قال الأعشى[٣]:

كجابية السيح العراقي تَفْهَقُ

أن يعملون له جفانه كالحياض العظام التي يجمع فيها الماء.

﴿وقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: ثابتات.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾.

«شكراً» منتصب على وَجْهَيْن: أحدهما اعملوا للشكر، أي اشكروا

---

(١) من يميل ويتحول.

(٢) أي متى كانت منكرة حذفت الياء للتنوين.

(٣) صدر البيت: نفى الذّم عن رهط المحلق جفنة. ويروى: آل المحلق.

وتقرأ «السيح العراقي» أي الماء والفيضان لكثرة الماء هناك دون الجزيرة العربية، وتقرأ «الشيخ» أي الرجل ـ لأن العراقي لا يعرف مواقع الماء فيحتاط بملء جابيته حتى تفيض، انظر الكامل ١/٤ (تجارية).

اللّه على مـا آتاكم . ويكـون ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ على معنى اشكـروا شكراً .

وقوله تعالى :﴿مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه﴾ .

المنسـأة العصـا ، وإنمـا سُمِّيَتْ منسـأة لأنهـا يُنْسَـأُ بهـا ، ومعنى ينسأ بها يطرد بها ويؤخر بها ، فلما توفي سليمان توفي وهو متكئ عليها ـ على عصاه ـ فلم يعلم الجن بموته حتى أكلت الأرضَةُ العصـا . حَتَّى خَرَّ .

﴿فلمَّا خَرَّ تَبيَّنَتِ الجِنُّ﴾ مَوْتَهُ ، المعنى ﴿أن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لبثوا فِي الْعَذَابِ المُهِينِ﴾ .

المعنى لأنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عَنْهُم مَا عَمِلُوا مُسخَّرِين ، إنَّما عَمِلُوا وهم يظنون أنه حَيٌّ يقف عَلَى عَمَلِهِمْ ، وقـال بعضهم تبينت الأنسُ الجِنَّ(١) أن لـو كانـوا يعلمـون الغَيْبَ ، ويجـوز أن يكـون تبينت الجِنُّ أن لـو كانـوا يعلمون الغَيْبَ ، والجن تتبيَّنُ أَنَّهـا لا تعلمُ الغَيْبَ ، فكانَتْ تُوهِمُ أنها تعلم الغَيْبَ فَتَبَيَّنَتْ أنه قـد بان للنـاس أنَّها لَا تَعْلَمُ ، كما تَقُولُ للذي يدعي عندَكَ البـاطِلَ إذا تبينت لـه : قد بينتُ أن الـذي يقول بَاطِلٌ ، وهو لـم يزل يعلم ذلك ولكنك أردت أن توبخَـهُ وَأَنْ تُعْلِمَهُ أنك قد علمت بطلان قوله .

وقوله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِم [آيَةٌ]﴾ .

ويقرأ «مَسْكِنِهِمْ» بفتح الكاف وكسرها : ويقرأ مَسَاكِنِهم ويقرأ لِسَبَأَ

---

(١) أي عـرف النـاس حقيقتهم أنهم لا يعلمـون ، أو تبينت الجن بمعنى اتَّضَحَتْ حَـالُهم وقـد قـرأ يعقوب : تُبيِّنَتِ الجن ـ بالبناء للمجهول .

ـ بالفتح وترك الصرف ـ وَلِسَبأٍ. فمن فتح وترك الصَّرْفَ فلأنه جَعَلَ سَبأ اسم قبيلة، وَمَنْ صرف وكسر ونوَّنَ جعل سبأ اسْماً للرَّجُل واسماً للحي وكلٌّ جائز حَسَنٌ.

﴿آيةٌ جَنَّتَانِ﴾.

«آية» رفع اسم كان، وَجَنَّتَان رفع على نوعين، على أنه بدَلٌ من آيةٍ وعلى إضمارٍ[1] كأنه لما قيل آية، قيل الآية جَنَّتَانِ، والجَنَّتَانِ البُسْتَانَانِ. فكان لهم بستانان، بستان يَمْنَةً، وبُسْتَانٌ يَسْرَةً.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ [وَاشْكُرُوا لَهُ]﴾.

المعنى قيل لهم: كلوا مِنْ رِزقِ ربِّكُمْ ـ واشْكُروا لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾. على معنى هذه بلدة طيبة.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ على معنى واللَّه رَبٌّ غَفُورٌ.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ المعنى [أعرضوا] عن أمر اللَّه.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾.

والعَرِمُ فيه أقوالٌ قال أبو عبيدة جمع عَرِمَةٍ، وهي السَّكْرُ والمُسنَّاةُ[2] وقيل العَرِمُ اسمُ الوَادِي، وقيل العَرِمُ ههنا اسم الجُرَذ الذي ثقب السَّكْرَ عَلَيْهِم، وهو الذي يقال له الخُلْدُ. وقيل: العَرِمُ المطر الشديد، وكانوا في نِعْمةٍ وكانت لهم جِنَانٌ يمنَةً وَيَسْرةً، وكانت المرأة تخرج على رَأسها الزِّبيلُ فتعمل بيديها وتسير بين ذلك الشجر

---

(١) أي على اضمار مبتدأ، أي هي جنتان. فهو إذن كلام مستأنف.

(٢) السَكْرُ سَدُّ النَّهر، وبالكسر اسم منه وما سُدَّ به النَّهْرُ ويكون المعنى السَّيْلُ الذي حطم السَّد ـ فهو لذلك يسمى سيل السد. والمسناة السيل الجارف.

فيسقط في زبيلهـا ما تحتـاج إليه من ثمـار ذَلِكَ الشَّجَـرِ، فلم يَشْكُرُوا. فبعث اللَّه عليهم جُـرَذاً، وكـان لهُم سَكْـرٌ فيـه أبـوابٌ، يفتحـون مـا يحتـاجون إليـه من المـاء، فثقب ذلـك الجـرذ حتى نقب عَلَيْهـم فَغـرَّق تينك الجنتين.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾.

أَيْ بِهَاتَيْنِ الجنتَينِ المَوْصُوفتين.

﴿جَنَّتَيْن ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

وأُكْلٍ خَمْطٍ - الضَّمُّ والإسكان في الكـافِ جَائِـزَانِ، ويقرأ ذَوَاتَيْ أكُلٍ خمطٍ وذواتي أُكْلٍ خمْطٍ. ومعنى خمط: يقـال لكل نبت قـد أَخَذ طَعْمـاً من مرارة حتى لا يمكن أكله خَمْطٌ. وفي كتـاب الخليـل الخمطُ شَجَـرُ الأرَاكِ وقد جـاء في التفسير أَنَّ الخَمْطَ الأراك وأكله ثمَـرهُ، قـال اللَّه عز وجل: ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حِينٍ﴾(١).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾.

«ذلك» في موضع نَصْبٍ، المعنى جزيناهم ذلك بكفرهم.

﴿وَهَلْ نُجَازِي إلاَّ الكَفُورَ﴾.

وتقرأ وهل يُجَازَى، ويجوز وهـل يُجَازَى إلاَّ الكَفُـورُ، وَهَذَا مِمَّـا يُسأَلُ عَنْهُ.

يقال: اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - يُجازي الكَفُورَ وغيرَ الكَفُورِ. والمعنى في هذه الآية أن المؤمن تُكَفَّرُ عنه السَّيِّئَاتُ، والْكَافِـرَ يحبطُ عمله فيجازى بكـل سـوء يعمله قـال اللَّه عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿الَّـذِينَ كَفَـرُوا وَصَـدُّوا عَنْ سَبِيـل

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٥.

اللّهِ أَضَلَّ أعمالهم﴾[1] وقال: ﴿ذَلك بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2] فأعلم - جل وعزَّ - أنه يحبط عمل الكافِرِ، وأعْلَمَنا أن الحَسَنَاتِ يذهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وان المؤمنَ تُكفِّرُ عنه سَيِّئَاتِه حَسَنَاتُهُ.

وقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾.

هذا عطف على قوله:﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾ ﴿وجعلنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾. فَكانوا لا يَحْتَاجُونَ من وادي سبأ إلى الشام إلى زَادٍ، وقيل القُرَى التي باركنا فيها بَيْتُ المقْدِسِ، وقيل أيضاً الشَّامُ، فكانت القرى إلى كل هذه المواضِعِ من وادي سبأ متصلة.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾.

جعلنا مَسِيرَهُمْ بمقدار حيث أرادُوا أن يقيموا حَلُّوا بقرية آمِنينَ.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

ويقرأ ﴿ربنا باعِدْ بين أسْفَارِنَا﴾، ويقرأ «رَبُّنا بَعَّدَ بين أَسْفَارِنا»، ويقرأ رَبَّنَا - بالنَّصْبِ - بَعُدَ بَيْن أسفارنا - برفع بَيْن -، ويقرأ بَيْن أسفارنا، ويقرأ رَبُّنا بَاعَدَ بين أَسْفَارِنَا.

﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

فمن قرأ بَعُدَ بَيْنُ أَسْفارنا برفع بيْن، فالمعنى بَعُدَ ما يتَّصِلُ

(١) أول سورة القتال.

(٢) سورة القتال الآية ٢٨.

بِسَفَرِنَا، ومن قرأ بَعُدَ بين أَسْفارنا فالمعنى بَعُدَ ما بين أسفارنا، وَبَعُد سَيْرُنا بين أَسْفَارِنا، ومن قرأ باعِدْ فعلى وجه المسألَةِ، ويكون المعنى أنهم سئموا الرَّاحَةَ وبطِرُوا النِّعْمَةَ، كما قال قوم موسى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾(١) - إلى قوله: ﴿الَّذي هُوَ أدنى بالَّذِي هُوَ خَيرٌ﴾.

﴿وَمَزَّقناهُمْ كُلَّ مُمَزَّق﴾.

أي فرقناهم في البلاد لأنهم لما أذهب اللَّه بِجَنَّتَيْهِمْ وغرق مَكَانَهُم تبدَّدُوا في البلاد فصارت العَرَبُ تتمثَّل بِهُم في الفرقَةِ فتقول: تفرقوا أَيْدِيَ سبأ، وأيادي سَبَأ قال الشاعِرِ:

مِنْ صَادِرٍ أو وَارِدٍ أَيْدي سَبَا.

وقال كثير(٢):

أيادي سبا ياعزّ ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدك منظر

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

ويقرأ ﴿صَدَّقَ عليهم إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ - برفع إبْلِيسَ ونصب الظَّنّ، وصدقُه في ظَنِّه أَنَّهُ ظَنَّ بهم إذا أغْوَاهم اتَّبَعُوهُ فوجدهم كذلك فقال: «وَعِزَّتِكَ لأُغْوِينَّهُمْ أَجْمَعين إلاَّ عبادَك منهم المخلصين». فمن قال صَدَّق نَصَبَ الظن لأنه مفعولٌ بِهِ، ومن خَفَّفَ فقال «صَدَق» نصب الظن مصدراً

(١) سورة البقرة الآية ٦١.

(٢) انظر اللسان (سبأ) وكتاب سيبويه ٣/٣٠٤ (ت هرون)

يريد أنه عاش مشرداً مشتت الشمل - قدرت «أيادي سبا» بمنزلة قالي قلا، وبادي بدا، واعتبرت تركيباً مزجياً مثل خمسة عشر.

على معنى صدق عليهم ابليس ظَنًّا ظَنَّه، وصدق في ظنه. وفيها وجهانِ آخرانِ، أحدهما ولقد صـدق عليهم إبليسُ ظنُّهُ، ظَنُّـه بدل من إبْلِيسَ، كما قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾(1). ويجوز وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسَ ظَنُّهُ، على معنى صدق ظنُّ إبليسَ باتبـاعِهم إيَّاهُ وقد قُرِئ بهما.

وقوله جل وعز:﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

أي مـا كان لـه عليهم من حجـة كمـا قـال:﴿إنَّ عِبَـادِي لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(2).

﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ﴾.

أي إلاَّ لنعلم ذلك علمَ وقوعـه مِنْهُمْ، وهو الـذي يُجَازَوْنَ عَلَيْـه، واللَّه يعلم الغيبَ وَيَعْلَمُ مَنْ يؤمن مِمَّن يَكْفُـر قبـلَ أَنْ يؤمِنَ الـمؤمـنُ ويكفُـرَ الكافِـرُ ولكن ذلـك لا يُـوجِبُ ثـواباً وَلاَ عِقَـاباً، إنمـا يثـابـون ويعاقبون بما كانوا عَامِلِينَ.

وقوله:﴿وَمَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

يعني أن الذين يزعمون أنهم شركاء اللَّه مِنَ المَلاَئكـة وَغَيْرِهِمْ لاَ شِرْكَ لهم ولا مُعينَ للَّه عز وجل فيما خَلَق.

وقوله عز وجل:﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

بضم الهمزة وفتحها(3)، ويكـون المعنى لمن أذَن لَه. [أي] لمن أذن اللَّه لـه أن يشفع، ويجـوز إلا لمن أذن أن يُشْفَـعَ لـه فيكـون «من»

---

(1) سورة البقرة. آية ٢١٧.

(2) سورة الحجر آية ٤٢.

(3) همزة أَذِنَ.

للشافعين، ويجوز أَنْ يكونَ للمَشْفُوعَ لَهُمْ. والأجود أن يكون للشافعين، لقوله:﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.

لأن الذين فزع عن قلوبهم ههنا الملائكةُ، وتقرأ «حتى إذَا فَزَّعَ عن قُلُوبِهِمْ» ـ بفتح الفاء ـ وقرأ الحسن: حَتَّى إِذَا فَرَغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ـ بالراء غيرَ المعجمة وبالغين المعجمة ـ ومعنى فُزِّعَ كُشِفَ الفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَفَزَّعَ عن قلوبِهِمْ كشفَ اللَّه الفَزَع عن قُلُوبِهِمْ، وقراءة الحسن، فُرِّغَ تَرْجع إلى هذا المعنى لأنَّهما فَرغتْ من الفَزَع.

وتفسير هذا أن جبريل عليه السلام كان لِما نزل إلى محمد ﷺ بالْوَحْي ظنت الملائكة أَنّه نزل لِشيءٍ من أمر السَّاعَةِ فَتَفَزَّعَتْ لِذَلِكَ، فلما انكشف عنها الفَزَعُ:﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

فسألت لأيِّ شيءٍ ينزل جبريل.

﴿قَالُوا الحقَّ﴾.

أي قالوا قال الحق، ولو قرئت قالوا الحقُّ لكان وَجْهاً. يكون المعنى قالوا هو الحق.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

روي في التفسير أن المعنى وإنا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين، وهذا في اللغة غير جائز ولكنه في التفسير يَؤُول إلى هذا المعنى. إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين أو إنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، أو إنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. فهذا كما يقول القائل: إذا كانت الحال تدل على أنه صَادقٌ ـ أَحَدُنا صادق، وأَحَدُنا كاذبٌ، والمعنى أَحَدُنَا صادق أو كاذب. ويؤول معنى الآية إلى: إنَّا لِمَا أقمنا من البرهان لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

وقوله:﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالحَقِّ﴾.

معنى يفتح: يحكم، وكذلك الفتّاح: الحاكم.

وقوله ـ جل وعز ـ: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾.

المعنى الحقتموهم به، ولكنه حذف لأنه في صلة الذين(١).

وقوله:﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

معنى كـلَّا رَدْعٌ وتنبيه، المعنى ارْتَـدِعُوا عَنْ هـذَا القول وَتَنَبَّهُـوا عَن ضَلاَلِتكُمْ، بل هو اللّه الواحد الذي ليس كمثله شيء.

وقوله ـ عزّوجل ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾.

معنى كافَّة الإحـاطَةُ في اللغـة، والمعنى أرسلناك جـامعاً للنـاس في الانـذار والابـلاغ، فـأَرْسَـلَ اللّه النبي ﷺ إلى العـرب والعجم، وقال: أنا سَابِقُ العَرَبِ إلى الاسلام، وَصُهَيْبٌ سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمانُ سابق الفرس، أي الرسالة عامة، والسابقـون من العجَم هؤلاء.

وقوله:﴿وَقَـالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُـرْآنِ وَلَا بِالَّـذِي بَيْن يَدَيْهِ﴾: يعنون لا نؤمن بما أتى به محمد ﷺ ولا بالكتب المتقدِّمَةِ.

وقوله:﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

معناه بل مكركم في الليل والنهار.

﴿وَنَجْعَلَ له أَنْدَاداً﴾: أَشْبَاهاً.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾.

(١) حذف العائد بعد فعل متعَدٍّ.

أَسَرُّوها بينهم. أقبل بعضهم يَلُوم بَعْضاً، ويُعرِّف بعضهم بَعْضاً النَّدامَةَ.

﴿إلاَّ قالَ مُتْرَفُوهَا﴾.

مُتْرَفُوها أُولو التُّرْفَةِ وهم رؤساؤها وقادة الشَّر وَيَتبعُهُمْ السِّفْلَةُ.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾.

ولم يقل باللَّتَين ولا باللَّذَيْنِ ولا باللاَّتِي، وكل ذلك جائز، ولكن الَّذِي في المصحف الَّتِي، والمعنى وما أَمْوَالكم بالتي تقربكم ولا أَوْلاَدُكم بالذين يُقَرِّبُونكم ولكنه حُذِفَ اخْتِصاراً وإيجَازاً، وقد شرحنا مثل هذا.

وقوله:﴿إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾.

موضع «مَنْ» نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم، على معنى ما يُقَرِّبُ إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالحاً، أي ما تُقَرِّبُ الأموالُ الاّ مَنْ آمن وعمل بها في طاعة اللَّه.

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾.

الضعف ههنا يحتاج إلى تفسير ولا أَعْلَمُ أَحداً فَسَّرَهُ تفسيراً بيِّناً. وجزاء الضعف ههنا عشر حسنات، تأويله فأولئِكَ لهم جَزاءُ الضِّعْفِ الذي أَعْلَمْناكم مقدارهُ، وهو قوله:﴿مَنْ جَاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾ وفيه أوجُهُ في العَرَبيَّةِ، فالذي قرئ به خفض الضعف بإضَافَةِ الجزاء إليه، ويجوز فأولئك لهم جزاءً الضِّعْفُ، على معنى فأولئك لهم الضعفُ

جزاءً، المعنى في حال المجازاة[1]، ويجوز فأولئك لهم جزاءً الضِّعْفَ على نصب الضِّعْفِ. المعنى، فأولئك لهم أَنْ نُجَازِيَهم الضعْفَ.

ويجوز رفع الضعف من جهتين، على معنى فأولئك لهم الضِّعْفُ عَلَى أن الضَعْفَ بدل من الجزاء، فيكون مرفوعاً على إضمار هو، فأولئك لهم جزاء، كأنه قال ما هو فقال: الضِّعْفُ. ويجوز النَّصْبَ فِي الضِّعْفِ على مفعول ما لم يسم فاعله على معنى فأولئك لهم أن يجازَوْا الضِّعْفَ.

والقراءة من هذه الأوجه كلها خفض الضعف ورفع جزاء.

وقوله جل وعز:﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾.

يُعْنَى به مشركو العَربِ بمكَّةَ لَمْ يَكُونُوا أَصْحابَ كُتُبٍ ولا بعث إليهم بنبيٍّ قبل محمَّد ﷺ.

﴿وكذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي عُشْر الذي آتينا من قبلهم من القوة والقُدْرَةِ.

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلي فكيف كَانَ نَكِيرِ﴾.

حذفت الياء، المعنى فكيف كان نكيري، لأنه آخر آيةٍ.

وقوله عز وجل:﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾.

أي أَعِظُكُمْ بأن توحدوا اللّه وأَنْ تَقُولُوا لا إله إلاَّ اللَّهُ مخلصاً وقد قيل واحدة في الطاعة، والطاعة تَتَضَمَّن التوحيدَ والإِخلاصَ. المعنى

---

(١) لا يستقيم هذا لأنَّ «جزاء» تمييز وليست حالاً. وإنما يكون «لهم الضعف جزاء».

فأنا أعظكم بهذه الخصلة الواحدة أن تقُومُوا، أي لأنْ تَقُومُوا.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾.

أي أعظكم بطاعة اللَّه لأن تقومُوا للَّه منفردين ومُجْتَمِعين.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.

المعنى ثم تتفكرَوا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما تقولون، والجنة الجُنُونُ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

أي يُنْذِرُكم أنكم إنْ عَصَيْتُمْ لقيتم عذاباً شديداً.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

معناه ما سألتكم من أجر على الرِّسالة أُؤَدِّيها إليكم، والقرآن الذي أتيتكم به من عند اللَّه، - فهو لكم - وتأويله أني إنما أنذركم وأُبَلِّغُكُمْ الرسالة ولستُ أَجُرُّ إلى نفسي عَرَضاً من أعراض الدنيا.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

أي إنما أَطْلُب ثوابَ اللَّه بتأدية الرِّسَالةِ، والياء في «أجري» مُسَكَّنَةٌ وَمَفْتُوحةٌ والأجود الفتح لأنها اسم فيبنى على الفتح.

وقوله - عزوجل -: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾ - بكسر الغين - ويجوز علامَ الغيوب بالنَّصْبِ، فمن نَصَب فعَلَّام الغيوب صِفةٌ لِرَبِّي المعنى قل إن ربي علامَ الغيوب يقذف بالحق ومن رفع «علام الغيوب» فعلى وجهين أحدهما أن يكون صِفةً على موضع ان ربي، لأن تأويله قل ربي عِلام الغيوب يقذف بالحق، وإنَّ مؤكدة. ويجوز

الرفع على البَدَلِ مِمّا في تَقْذِف، المعنى قل إن ربي يقذف هو بالحق علامُ الغيوبِ، ومعنى يقذف بالحق أي يأتي بالحقِّ ويرمي بالحق، كما قال ـ جل وعز ـ : ﴿بل نَقذفُ بالحقِّ عَلَى الباطل فَيَدْمَغُهُ﴾[1].

وقوله: ﴿قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

أي قل جاء أمر اللَّه الذي هو الحق، وما يُبْدِئُ البَاطِلُ، «ما» في موضع نصب على مَعْنى وأَيَّ شيء يبدئ الباطِلُ وأيَّ شيء يُعِيدُ. والأجود أن يكون «ما» نفياً على معنى ما يبدئ الباطل وما يعيد، والباطل ههنا إبليس. المعنى وما يعيد ابليس وما يفيد، أي لا يخلق ولا يبعث، واللَّه ـ عز وجل ـ الخالقُ والباعث. ويجوز أَنْ يكونَ البَاطِلُ صَاحِبُ البَاطِلِ وهو إبليس.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا [فَلَا فَوْتَ]﴾.

هذا في وقت بَعْثِهِم.

وقوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يَفُوتُوا.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مكانٍ قَرِيبٍ﴾.

في التفسير: من تحت أقدامهم. ويجوز فَلَا فَوْتٌ، ولا أعلم أحداً قَرَأَ بِهَا فإن لم تثبت بها رِوَايَةٌ فَلَا تقرأن بها، فإن القراءة سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿قالوا: آمنا﴾، في الوقت الذي قال اللَّه ـ جل وعلا فيه[2]: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ والتَّنَاوُشُ التناوُلُ، أي فكيف

---

(١) سورة الأنبياء / ١٨.

(٢) قال في شأنه، والآية في سورة الأنعام رقم ١٥٨.

لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم وكان قريباً منهم، فكيف يتناولونه حين بَعُدَ عَنْهُمْ. وَمَنْ هَمَزَ فقال: التَّنَاؤُش، فلأن واو التناوُش مَضْمُومَةٌ، وكل واو مضمومةٌ ضمَّتُها لازمة، إن شئت ابْدَلْتَ منها همزة وإن شِئْتَ لم تبدل نحو قولك أَدْوُر وتقاوُم[١]، وان شئت قلت: أدؤر وتَقَاؤم فهَمَزْتَ، ويجوز أن يكون التَّنَاؤُش من النَّئِيش[٢]، وهي الحركة في إبطاء فالمعنى من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

أي كانوا يرجمون ويرمون بالغيب، وترجيمهم أنهم كانوا يظنون أنهم لا يبعثون.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

المعنى من الرجوع إلى الدنيا، والإيمان.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي بمن كان مذهبُه مَذْهَبَهُم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

فقد أعلمنا اللّه جل وعز أنه يُعذّبُ عَلَى الشَّكِ، وقد قال قوم من الضُّلَّالِ ان الشاكين لا شيء عليهم، وهذا كفر ونقض للقرآن لأن اللّه - جل وعز - قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٣].

---

(١) جمع دار.

(٢) النأش بوزن المنع والتناؤش هو التناول والأخذ، والبطش والتأخير والنهوض، ويقال فعله نَيْشا أي أخيراً.

(٣) سورة ص الآية ٢٧.

سُورَةُ المَلاَئِكَةِ
مَكِّيَّة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَواتِ والأرْضِ﴾.

قال ابن عباس رحمه اللَّه: ما كنت أدْري ما فاطرُ السمواتِ والأرْض حتى اختصم إلى أعرابيَّان في بِئْرٍ فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي ابتدأْتُهَا. وقيل فاطر السموات والأرض خالق السموات والأرض.
ويجوز فَاطِرُ وفَاطِرَ بالرفع والنصب، والقراءة على خفض فاطر، وكذلك ﴿جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾.

معنى أولي أصحاب أجنحة، وثُلاَثَ ورُبَاعَ في موضع خفضٍ. وكذلك مثنى إلّا أنه فتح ثُلاثَ ورُبَاعَ لأنه لا يتصرف لِعِلتَيْن إحداهما أنه معدول عن ثلاثة ثلاثةٍ وَأَرْبَعةٍ أَرْبَعةٍ واثنين اثنين، فهذه علة، والعلة الثانيةُ، أَنَّ عُدُولَهُ وَقع فِي حَالِ النَّكِرَةِ قال الشاعر:(1)

ولكنما أهلي بوادٍ أنيسه ذئابٌ تبغَّى الناسَ مَثْنَى وَمَوْحَداً

وقوله عز وجل: ﴿يَزِيدُ في الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

يعنى في خلق الملائكة، والرُّسُلُ مِنَ الملائِكَةِ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَلَكُ الموت.

---

(1) ساعدة بن جؤبة تقدمت ترجمته ص ٩ وتقدم البيت. برفع موحد، والقصيدة على الرفع وهي في ديوان الهذليين ١/٢٧٧، ومنها:

ألا بات من حولي نياما ورقد وعاودني حزني الذي يتجدد
وعاودني بثي فبت كأنما خلال ضلوع الصدر شرع ممدد

﴿مَا يَفتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَها﴾.

«يفتح» في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء، وجواب الجزاء «فلامُمْسِكَ لها»، ولو كان فلا ممسك له لجاز لأن «ما» في لفظ تذكير[1]، ولكنه لَمَّا جَرَى ذكرُ الرحمة كان فلا ممسك لها أحسن، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

ومعنى ما يفتح اللَّه أي ما يَأْتيهِمْ بِهِ من مَطَرٍ ورزقٍ فلا يقدر أَحَدٌ أن يُمْسِكَه، وما يُمْسِكْ اللَّهُ من ذلك فلا يقدر قادرٌ أن يرسله، ويجوز -ولا أعلم أحَداً قرأ به - ما يفتحُ اللَّه للناس من رحمة وَما يُمْسِكُ برفعهما على معنى الذي يفتحه اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها، والذي يمسك فلا مرسل له، ويجوز فلا مُمْسِكٌ لها بالتنوين، وما يمسك فَلَا مُرْسِلٌ له من بعده، وَلَا أعْلَمُ أَحَداً قرأ بها فلا تقرأن بما لم تثبت فيه رواية وان جاء في العربية لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾.

هذا ذكر بعد قوله: ﴿ما يفتح اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ فأكد ذلك بأن جعل السؤال لهم ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾.

وقرئت هل من خالق غير اللَّه بالرفع، على رفع غير، المعنى هَلْ خَالِقٌ غير اللَّه لأن «من» مؤكدة، وقد قرئ بهما جميعاً، غَيْرُ وَغَيْرِ، وفيها وجه آخر يجوز في العربية نصب غير «هل مِنْ خالقٍ غَيرَ اللَّهِ يرزقكم»، ويكون النصب على الاستثناء، كأنه هل من خالق إلاَّ اللَّهُ يرزقكم.

---

(١) أي فلا ممسك لما يفتحه.

﴿فَأَنَّى تُؤْفكُونَ﴾.

أي من أين يقـع لكم الإفْـكُ والتكـذيب بتـوحيـد اللَّه وإنكـار البعث.

﴿وَإنْ يُكَذِّبُوكَ فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هـذا تَأَسٍّ للنبي ﷺ أعلمـه اللَّه أَنـه قـد كُـذِّبَت رُسُـلٌ من قبله، وَأَعْلَمَهُ أنه نَصَرَهُمْ فقال جل وعز، ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُـذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[1].

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

وتَـرْجِـعُ الأمُــورُ، المعنى الأمْـرُ رَاجـعٌ إلى اللَّه في مجـازاة من كذَّبَ، ونُصْرةِ من كُذِّب مِن رُسُلِهِ.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي ما وعدكم اللَّه من مجازاة فحق.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

أي وإن كان لكم حظ في الدنيا يَغُضُّ مِنْ دِينِكُمْ فلا تؤثـروا ذلك الحظَّ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

والغَـرُورُ الشيـطانُ، ويَقْـرَأُ الغُـرورُ بضمّ الغَيْنِ، وَهِيَ الأبَـاطِيـلُ ويجوز أن يكون الغُرور جمع غَارٍّ وغرور، مثل قاعد وقُعُود، ويجوز ان يكون جمع غَرٍّ مَصدَرُ غَرَرْتُه غـرًّا. فَأمـا أَن يكون مصـدر غررتـه غُروراً

(١) سورة الأنعام الآية ٢٤.

نَبعيـدٌ. لأن المتعدّيـة لا تكاد تقـع مصادِرَهَـا عَلَى فُعُولٍ[1]، وقـد جاء بعضها على فُعُول نحو لزمته لزوماً، وَنَهِكَه المرض نُهُوكاً فيجوز غررته غروراً على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً فَإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الجواب هَهُنَا عَلَى ضَرْبَيْن أحدهما يدل عليه ﴿فَلاَ تَـذْهَب نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَـراتٍ﴾. ويكون المعنى أفمن زين لـه سوء عمله فـأضله اللَّه ذهبت نفسـك عَلَيْه حَسْـرةً، ويكون «فلا تذهب نفسك» يدل عليـه، وقد قرئت فلا تُـذْهِبْ نَفْسُكَ بضم التـاء وجزم البـاء ونصب النفس. ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ويكون المعنى أفمن زُيِّن له سـوء عمله كمن تعداه اللَّه، ويكون دليله ﴿فإن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾.

وقوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ﴾ وَمَيّتٍ.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كذلك النُّشُورُ﴾.

أيْ نُنْشِئُ[2]. المعنى مثل ذلك، أي مثل إحْيَاءِ الأرْض، وكـذلك بعثكم.

﴿مَنْ كَانَ يُريدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّة جَمِيعاً﴾.

أي من كان يريـد بعبادتـه غير اللَّه العـزَّةَ فلله العزة جميعـاً، أي في حال اجْتِمَاعِها، أي يجتمع له في الدنيا والآخرة. ثم بين كيف يَعِزُّ باللَّه فقال:

---

(١) فعول هو مصدر فعل المفتوح العين اللازم ـ نحـو قعد وخـرج وقد يجيء من المتعدي نحو شهده شهوداً بمعنى رآه.

(٢) مثل إحياء الأرض بعد موتها ننشئ الحياة في الأجسام الموتى.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

أي إليه يصل الكلم الذي هو توحيد اللَّه، وَهُوَ قَوْلُ لاَ إلَه إلاَّ اللَّهُ والعمل الصَّالِحُ يَرْفَعُه. المعنى إذَا وَحَّدَ اللَّهَ وعجل بِطَاعَتِه ارْتَفَع ذَلِكَ إلى اللَّه، واللَّه ـ عز وجل ـ يرتفع إليه كل شيء ويعلم كلَّ شيء، ولكن المعنى فيه ههنا العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر التوحيد حتى يكون مُثَبِّتاً للمُوَحِّدِ حقيقة التوحيد. والضمير في يرفعه يجوز أن يكون أَحَدَ ثلاثة أشياء، وذلك قول أهل اللغة جميعاً، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلمَ الطيبَ، ويجوز أن يكون والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، أي لا يقبل العمل الصالح إلاَّ من مُوَحِّدٍ، والقول الثالث ان يرفعه اللَّه عز وجل.

﴿والَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيئَاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

المعنى مكرُ الذين يمكرون بالنبي ﷺ.

﴿هُوَ يَبُورُ﴾.

أَيْ يَفْسُدُ، وقد بين ما مكرهم في سورة الأنفال، في قوله:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1].

ففسد جميع مكرهم فجعل اللَّه كلمة نبيه وأوليائه العُلْيَا، وَأَبْدِيَهم العَالِيَةَ بالنصر والحجة.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُره﴾.

وقرئت يَنْقُصُ. ويجوز «وما تُعَمِّر مِن مُعَمِرٍ ولا نَنْقُصُ بالنُّون جَمِيعاً ولَكِنَّهُ لم يقرأ بها فيما بلغني، فلا تقرأنّ بها. وتأويل الآية أن

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

اللَّه جل وعز قد كتب عُمَرَ كُلِّ مُعَمِّر وكتب يُعَمَّـر كذا وكـذا سنةً وكـذا وكـذا شهرا، وكـذا وكذا يَـوْماً، وكـذا وكذا سـاعةً، فكـلُّ ما نَقَصَ مِنْ عُمْره من سنة أو شهر أو يوم أو ساعةٍ كتب ذلك حتى يبلغ أَجَلَهُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ﴾.

الفُرَاتُ المبالِغُ في العُذُوبَةِ.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾.

الأجاج الشديد المرارة، والأجاج أيضاً الشديدُ الحَرارَةِ.

﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُون لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

وإنما تستخرج الحلية مِنَ المِلْح دُونَ العذْبِ، إلا أنهما لما كـانا مُخْتَلِطَيْنِ العَـذْبُ والمِلْحُ، جـاز أن يقـال تستخـرجـون الحليـة - وهي اللؤلؤ والمَرْجَانُ وما أشبه ذلك مِنْهُمَـا - كما قال: ﴿يخرج منهمـا اللُّؤْلُؤْ والمُرجَانُ﴾[1].

﴿وَتَرَى الفُلْكَ فيه مَـوَاخِرَ﴾.

المعنى في مـواخر تشق المـاء. وجاء في التفسيـر أنهـا تُصَـاعِـدُ وَتَنْحَدِرُ في البَحْرِ بريح وَاحِدَةٍ. والفُلْكُ جمع فُلْكٍ - لفظ الواحد كلفظ الجمـع لأن فُعْلًا جمـع فَعَلٍ نحـو أَسَدٍ وَأُسْـدٍ، وَوَثَنٍ وَوُثْنٍ، فكـذلـك جَمْـعُ فُعْـل لأنهمـا أخْتَـانِ في الجمـع، تقـول: جَبَـل وأَجْبَـالٌ، وَقُفْـل وأقفال، وكذلك أسد وآسَادٌ. وفُلْكٌ للواحد وفُلْكٌ للجَمْاعَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

وهي لُفَافَةُ النواة، والنقير النقـرةُ فِي ظَهْرِ النَّـواةِ، والفتيل الـذي في وَسَطِ النَّوَاةِ.

---

(١) سورة الرحمن /٢٢.

﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

المعنى يقولون: ما كنتم إيَّانَا تَعْبُدُونَ، فيكفرون بِعِبَادَتِكم إيَّاهُمْ

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

وهو اللَّه، لأن ما أنبأ اللَّه بِهِ مِمَّا يَكُون فهو وحدَه يخْبُرُهُ، لا يَشْرَكُه فِيه أَحَدٌ.

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾

المعنى إن تدع نَفْسٌ مُثقَلَةٌ بالذُّنُوبِ إلى حِمْلِها، إلى ذُنوبها، لا يُحْمَلْ مِنْ ذنوبها شيءٌ.

﴿وَلَوْ كَانَ ذا قُرْبَى﴾.

أي ولو كان الذي تدعوه ذا قربى مثل الأب والابن، ومن أشبه هؤلاء.

﴿إنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

فتأويل «تنذر الذين يخشون رَبَّهُمْ» - وهو النبي ﷺ تنذر الخلق أَجْمَعِين، والمعنى ههنا أَنَّ إِنْذَارَكَ ينفع الذين يخشون رَبَّهُمْ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورَ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ﴾.

هذا مثل ضَربه اللَّه للمؤمنين والكافرين، المعنى لا يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير بالحق وهو المؤمِنُ الذي يبصر رَشْدَهُ. وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ، الظلمات الضلالات، والنور الهدي ولا الظل ولا الحرور، المعنى لا يستوي أصحاب الحقِّ الذين هم في

ظِلٌّ من الحَقِّ، ولا أصحاب الباطل الذين هم في حَرُورٍ أي في حَرٍّ دَائِمٍ لَيْلاً ونهاراً والحَرُورُ استيقاد الحرّ ولفحه بالنهار وبالليل، والسَّمُومُ لا يكون إلاَّ بالنَّهارِ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ﴾.

الأحياء هم المؤمنون، والأموات الكافرونَ، ودليل ذلك قوله ﴿أَمْوَاتٌ غيرُ أحياءٍ﴾[١].

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى قوله: ﴿جَنات عَدْنٍ يَدْخُلُونها﴾[٢].

قال عمر بن الخطاب - رحمه اللَّه - يَرْفَعُه[٣]: سابقنا سابق، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وظالمنا مَغْفُورٌ لَهُ.

والآية تدل على أن المؤمنين مغفور لهم، لمقتصدهم الظَّالِم لِنَفْسِهِ منهم بعد صحة العقد. وقد جاء في التفسير أن قوله: منهم ظالم الكَافِرُ وهو قول ابن عباسٍ، وَقَد رُوِيَ عنِ الحَسَنِ أَنَّه الْمُنَافِقُ، واللفظ يدل على ما قاله عمر عن النبي ﷺ وَمَا عليه أَكْثَرُ المفسِّرينَ، لأن قوله: ﴿ثم أَوْرَثْنا الكِتَابِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه﴾ يدل على أن جملة المصطَفَيْنَ هؤلاء، وقال اللَّه - عز وجل - ﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّه وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذين اصْطَفَى﴾[٤].

﴿وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا.

---

(١) سورة النحل الآية ٢١.

(٢) بقية الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُو الفَضْلُ الكَبِيرُ - جَنَّاتُ عَدْنٍ . . .﴾.

(٣) اي سمعه من النبي ﷺ بلا واسطة بينهما.

(٤) سورة النمل الآية ٥٩.

جُـدَدٌ جمـع جُـدَّة، وهي الخطَّةُ والطريقَةُ، قال امرؤ القيس[1]

كَـأن سَـراتَـه وَجُـدَّةَ مَـتْـنِـهِ كِـنـائن يـجـري بيـنهـن دَلـيصُ

جُـدَّةُ مَتْنه الخُـطَّة السوداء التي تـراها في ظَهْـرِ حِمارِ الـوَحْشِ، وكل طريقةٍ جادَّة وجُدَّة.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

أي ومن الجبـال غَـرابِيبُ وهي الحِـرَارُ، الجبـال التي هي ذات صُخورٍ سُـودٍ. والغِـرْبِيبُ الشديد السَّوادِ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه [كذلك]﴾.

المعنى وفيمـا خلقنـا مختلف ألـوانـه، ومن النـاس والـدواب والأنْعَامِ كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال.

﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾.

أي من كان عالماً باللّه اشتدت خشيته له. وجاء في التفسير كفى بخشية اللّه عِلْماً، وبالاغْتِرَارِ باللّه جَهْلاً.

﴿يَـرْجُـونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾.

أي لَنْ تَفْسُدَ وَلَنْ تَكْسَدَ.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إنه غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

غفور لذنُوبِهم شكور لِحَسنَاتِهِمْ.

---

(١) الدليص ـ البريق ـ والجدد جمع جُدَّة ـ الخطة السـوداء في متن الحمار ـ والسـراة أعلى متنه، وهـو الخط فوق العمـود الفقـري منـه، والبيت في اللسـان (دلص ـ جـدد) وفي معـانى الفـراء ٢/٣٦٩ «كان سراتيه».

﴿يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾.

فيها وجهان، أحدُهُما يُحلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ومِنْ لُؤْلُؤٍ، ويجوز ولُؤْلُؤاً على مَعْنَى يحلون أساورَ، لأن معنى من أَسَاوِرَ كمعنى أَسَاورَ. والتفسير على الخفض أكثر، على معنى يحلون فيها من أَسَاوِرَ مِنْ ذَهبٍ ولُؤْلُؤٍ. وجاء في التفسير أَنَّ ذَلِكَ الذَّهَبَ في صَفاءِ اللُّؤْلُؤِ، كما قال عز وجل:﴿قواريرَ قواريرَ من فضة﴾(١)، أي هي قوارير ولكن بياضها(٢) كبياض الفضَّةِ، والفضة أَصْلُه. وَيَجُوزُ أَنْ يكون يُحَلَّوْنَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُحَلَّوْنَ من لُؤْلُؤٍ. ويجوز على مَعْنَى وَيُحَلَّوْنَ لُؤْلُؤاً. وأساور جمعُ إِسْوِرَة وَأَساوِر وَوَاحِدُهَا سِوَار. والأُسْوَارُ من أَساوِرَةِ الفُرْس، وَهُوَ الجيِّدُ الرَّمْي بالسهام(٣).

قال الشاعر(٤):

وَوَتَّرَ الأَسَاوِرُ القِيَاسَا سَغْدِيَّة تنتزعُ الأَنْفَاسَا

﴿وَقَالُوا الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾.

ويجوز الحُزْن مثل الرُّشْد والرَّشَد، والعُرْبُ والعَرَب، ومعنى أذهب عنا الحَزَنَ أذهب عنا كلَّ ما يُحْزِنُ، من حُزْنٍ في مَقَاسٍ أو حُزْنٍ لِعَذابٍ، أَوْ حُزْنٍ للمَوْتِ، وقد أذهب اللَّه عن أهل الجنَّةِ كُلَّ حُزْنٍ.

﴿الذي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

---

(١) سورة الانسان الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) في الاصل «بياضَه».

(٣) الأسوار ـ بضم الهمزة وكسرها ـ قائد الفرس، والجيِّد الرَّمْي.

(٤) قال أبو عبيدة للقلاخ بن حزن المنقري ـ وهو في اللسان (قوس) ـ وذكر معه شطرٌ ثالث هو ـ حتى يقول الأزد لا مساسا ـ في القرطبي ١١/٢٤٠، ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٧ ـ ويروى أيضاً صفديه، وصفد اسم جبل، وأيضاً اسم بلد.

مثل الاقامة، تقول: أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومُقَاماً أي أَحَلَّنا دار الخُلُودِ من فَضْله، أي ذلك بتفضله لا بأعْمَالِنا.

﴿لاَ يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ﴾: أي تَعَبٌ.

﴿وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

واللُّغُوب الإعياء من التَّعَب. وقد قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ لَغُوب - بفتح اللام - والضَّمُّ أكثر، ومعنى لَغُوب شيء يَلْغَبُ مِنه، أي لا نتكلف شيئاً نَعْيَا مِنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾.

«فيموتوا» نصبٌ. وعلامة النصب سقوط النون، وهو جواب النفي، والمعنى لا يقضى عليهم الموت فيموتوا.

﴿وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾.

أي من عذاب نار جهنم.

﴿كَذَلِكَ يُجْزَى كُلُّ كَفُور﴾.

و ﴿نَجْزِي كلَّ كَفُور﴾. وفيها وجه ثالث: كَذَلِكَ يَجْزِي كلَّ كَفُورٍ، أي كذلك يجزي اللَّهُ، المعنى مثلَ ذلك الجزاء الذي ذكرنا. ولا أَعْلَم أَحَداً قرأ بها، أعني يجزي بالياء وفتحها.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها﴾: يستغيثون رَبَّنَا أَخرِجْنَا.

المعنى يقولون: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَل﴾.

المعنى إن تخرجنا نعمَلْ صَالِحاً، فوبَّخَهُمُ اللَّه فقال:

﴿أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾.

معناه أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكم العُمْرَ الذي يتذكر فيه من تذكر. وجاء في التفسير: لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّه إلى عَبْدٍ عَمّرهُ ستين سنةً، ويقال من الستين إلى السبعين. وقد جاء في التفسير أنه يدخل فيها ابنُ سبعَ عَشْرَةَ سَنة وقد قيل أربعين.

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.

يعنى النبي ﷺ وقيل الشَّيْبُ. والقولُ الأوّل أن النبي ﷺ النذيرُ أكثرُ التفسير عليه، وقد قيل الأربعين.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

القراءة الكثيرة بالخفض[1] ويجوز عالم غيبَ السموات على معنى يعلم، وعالم غيب على معنى قد علم ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾.

«خلائف» جمع خليفة، المعنى جَعَلَكُمْ أُمَّةً خلفت مَنْ قبلها، ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به.

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾.

المعنى فعليه جزاء كفره.

﴿[وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ] عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً﴾.

المقت أشد الإبغاض.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾.

معناه قل أَخْبِروني عن شركائكم.

---

(١) بإضافة عالم إلى الغيب.

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾.

المعنى بأي شيء أوجبتم لهم شركة اللّه، أبخلق خلقوه من الأرض.﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَواتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً﴾.

أي أم أعطيناهم كتاباً بما يدعونه من الشركة.

﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾.

ويقرأ بَيِّناتٍ.

﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ ([أي] ما يَعِدُ)، الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً﴾.

والغرور الأباطِيلُ التي تغُرُّ، ومعنى إن يعد: ما يعد، وبَعْضُهُمْ بَدَلٌ مِنَ الظالمين.

﴿إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ [أَنْ تَزُولاَ]﴾.

معنى يمسك يمنع السماوات والأرض من أن تزولا.

ولما قالت النصارى المسيحُ ابن اللّه وقالت اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللّهِ كادت السموات يَتَفَطَّرْنَ منه، وكادَت الجبال تَزُول، وكادت الأرض تنشق، قال اللّه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُم شَيْئاً إِدًّا﴾. الثلاث الآيات(١) فأمسكها اللّه.

وقال السَّمواتِ والأرْضَ لأن الأرْضَ تَدُلُّ عَلَى الأرَضِينَ

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

يحتمل هذا ـ واللّه أعلم ـ وجهين من الجواب. أحدهما زوالهما

(١) سورة مريم الايات ٨٨، ٨٩، ٩٠ ـ وبقيتها: ﴿تكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا. أَنْ دَعْوا للرحمنِ وَلَداً. وَمَا يَنْبَغِي للرَّحْمنِ أن يَتَّخذَ وَلَداً﴾.

في القيامة قال الله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[1] ويحتمل أن يقال إن زالتا وهما لا يزولان[2].

وقوله في هذا الموضع: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

فإن قوماً سألوا فقالوا: لِمَ كان في هذا الموضع ذكرُ الحلم والمَغْفِرَةِ وهذا موضع يدل على القدرة. فالجواب في هذا أنه لما أمسك السموات والأرض عند قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾. حَلُمَ فلم يعجل لهم بالعقوبة وأمسك السموات والأرضَ أن تزولا من عظم فِرْيَتِهِمْ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

يعني المشركين، وكانوا حَلَفُوا واجتهدوا لَئن جَاءَهُم نَذِيرٌ ليكونُنَّ أَهْدَى مِن إحدَى الأُمَم، أي من اليهود والنصارى وغيرِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾.

وهو محمد ﷺ.

﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾.

إلا أن نفروا عن الحقِّ.

﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ﴾.

«استكباراً» نصب، مفعول له. المعنى ما زادهم إلا أَنْ نَفَرُوا للاستكبارِ.

---

(١) سورة التكوير الآية ١١.

(٢) أي زوالهما في هذه الدنيا.

﴿وَمَكْرَ السيّىء﴾ .

أي وَمَكْرَ الشّرك .

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ : يُحِيطُ .

وقرأ حمزَةُ : ولا يَحيقُ المكْرُ السيِّئْ على الوقف ، وهذا عند النحويين الحذّاقِ لَحْنٌ ، ولا يجوز ، وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطرار قال الشاعر :

إذَا اعْوَجَجْنَ قُلتُ صَاحِبْ قَوِّمِ (١) .

والأصل يا صَاحِبُ قَوِّمِ ، ولكنه حذف مُضْطَراً . وكأنَّ الضَّمُّ بعدَ الكَسْرِ والكسر بعدَ الكسر يستثقل . وأنشدوا أيضاً .

فاليوم أَشْرَبْ غير مستحقب إثماً من اللَّه وَلَا وَاغِلِ (٢)

وهذان البيتان قد أنشدهما جميع النحويين المذكورين وزعموا كلُّهم أن هذا من الاضطرار في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب اللّه . وأنشدناهما أبو العباس محمد بن يزيد رحمه اللّه :

إذا اعوججن قلت صاحِ قوّم

وهذا جيّدٌ بالغ ، وأنشدنا :

فاليوم فَاشْرَبْ غيرَ مستحقب

وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته إلى بَارِئْكُم . فإنما هو أن يختلس الكسر اختلاساً ، ولا يَجْزِم بَارِئِكم ، وهذا أعني

---

(١) تقدم .

(٢) تقدم . وما هنا ليس من هذا إنما هو من إدغام المثلين . إذ هما همزتان .

جزم بارئكم إنما رواه عن أبي عمرو من لا يضبط النحو كضبط سيبويه والخليل، ورواه سيبويه باختلاس الكسر، كأنه تقلَّلَ صَوْتَه عند الكسرة.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾.

معناه فهل ينتظرون إلَّا مثلَ أيّام الَّذينَ خَلَوْا من قَبْلِهِمْ، والمعنى فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم من العذاب مثلُ الذي نزل بمن قبلهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيءٍ﴾.

المعنى لَيفُوتَه من شيءٍ من أَمْر السَّموات ولا مِنْ أَمْرِ الأَرْضِ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

قالوا: قال على ظهرها[1]، لأن المعنى يُعْلَم أنَّهُ على ظهر الأرض، وهذا حقيقتُه أَنَّهُ قد جرى ذكر الأرض بقوله فيما قَبْلَ هذه الآية يليها قوله:﴿وما كان اللَّه ليُعْجِزَهُ من شيءٍ في السموات ولا في الأرض﴾ فلذلك جاء على ظهرها.

وقوله:﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

فيه قولان، فقيل مِن دَابَّةٍ من الانس والجن وكل ما يعقل. وجاء عنِ ابن مَسْعُودٍ كادَ الجُعَل يهلكُ في جُحْرِه لِذَنْبِ ابن آدم. فهذا يدل على العموم. والَّذِي جاء أنه يُعْنَى به الانسُ والجِنُّ كأنه أشبه، واللَّه أعلم.

آخر سورة الملائكة.

---

(١) أي ولم يقل على ظهر الأرض.

سُورَة يس
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء في التفسير ﴿يسۤ﴾ معناه يا إنسانُ، وجاء يا رجل وجاء يا محمَّدُ والذي عند أهل العربية أنه بمنزلة «المۤ» افتتاح السُّورَةِ، وجاء أن معناه القسم، وبعضهم أعنى بعضَ العَرَب تقول: يَاسِنَ وَالقُرْآنَ بفتح النون، وهذا جائز في العربية، والتسكين أجودُ لأنها حروف هجاء. وقد شرحنا أشباه ذلك. فأما من فتح فعلى ضربين، على أن «يس» اسم للسورة حكاية كأنه قال: اتْلُ يس، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف، ويجوز أن يكون فتحَ لالتقاء الساكنين.

وقوله جل وعز: ﴿وَالْقُرآنِ الحَكِيمِ﴾.

معناه أن آياتِه أحكمتْ وَبُيِّنَ فِيهَا الأمْرُ والنَّهيُ والأمثال وأقاصيص الأمم السالفة.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

هذا خطاب لمحمد ﷺ وهو جَوابُ القَسَمِ جواب «والقُرْآن إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

[أي] على طريق الانبياء الذين تقدموك. وأحسن ما في العربية أن يكون «لَمِنَ المرسلين» خَبرُ «إن» ويكون «على صراط مستقيم»

خبـراً ثانيـاً، فالمعنى انـك لمن المرسلين الـذين أرسلوا على طـريقـة مستقيمة.

وقوله ـ عز وجل ـ : ﴿تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

تقـرأ تنزيـلٌ ـ بالـرفـع والنصب ـ فمن نصب فعلى المصـدر على معنى نَـزَّلَ اللَّه ذلك تنـزيلا. ومن رفـع فعلى معنى الـذي أنـزل اليـك تنزيل العزيز الرحيم.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

جـاء في التفسير لتنـذر قومـاً مِثْلَ مَـا أُنْذِرَ آبَـاؤُهُمْ، وجاء لتنـذر قوماً لم يُنْذَرْ آبَاؤُهم، فيكونُ مَا جُحْداً ـ وهذا ـ واللَّه أعلم ـ الاختيار، لأن قـوله «فَهُمْ غَـافِلُونَ» دليل على معنى لم ينـذر آباؤهم وإذا كـان قد أنذر آباؤهم فهم غافلون ففيه بُعْدٌ، ولكنه قـد جاء في التفسيـر. ودليل النفي قوله :﴿وما آتيناهم مِنْ كُتُبٍ يدرُسُونها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِـمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[1]. ولوكان آباؤهم منذرين لكـانوا مُنْـذَرِينَ دَارِسِين لكتب ـ واللَّه أعلم.

﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾.

القول ههنا ـ واللَّه أعلم ـ مثل قولـه:﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَـذَاب عَلَى الكَـافِرِينَ﴾[2]. المعنى لقـد حق القـول على اكثـرهم بكفـرهم وعِنَادِهم. أَضَلَّهم اللَّه وَمَنَعَهُمْ مِنَ الهُدَى.

---

(١) سورة سبأ آية ٤٤.

(٢) سورة الزُّمَر الآية ٧١.

وقوله جل وعز﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود رحمهما اللّه: إنا جعلنا فِي أَيْمَانِهِمْ. وقرأ بعضهم في أَيْدِيهم أَغلالًا، وهاتان القراءتان لا يجب أن يقرأ بواحدة منهما[1] لأنهما بخلاف المصحف.

فالمعنى في قوله في أعناقهم ومن قرأ في أيمانهم ومن قرأ في أيديهم فمعنى واحدٌ. وذلك أنه لا يكونُ الغُلُّ في العنقُ دُونَ اليَدِ ولا في اليد دون العُنُق، فالمعنى إنا جعلنا في اعْنَاقِهِمْ وفي أيمانهم أَغْلَالًا.

﴿فَهِيَ إِلَى الأذْقَانِ﴾.

كناية عن الأيدي لَا عن الأعناق، لأنَّ الغُلَّ يجعل اليد تلي الذَّقْنَ، والعُنُق هو مُقَارِبٌ للذَّقَن، لَا يجعَلُ الغُلُّ العُنَقَ إلى الذَّقَنِ.

وقوله: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾.

«المُقْمَحُ» الرافع رأسِه النَّاصُّ بَصرِه، وقيل للكانونين شَهْرَا قُمَاح[2] لأن الإبل إذَا وَرَدَتْ الماءَ ترفع رُءوسَها لِشدَّةِ بَرْدِه، ولذا قيل شهرا قِمَاحٍ، وإنما ذكرت الأعناق ولم تذكر الأيدي إيجازاً واختصاراً لأن الغل يتضمَّنُ العُنُقَ واليَدَ. ومن قرأ في أيمانهم فهو أيضاً يدل على العُنُق، ومثل هذا قول المثقّب[3]:

وما أدري إذا أممت أرضاً أُرِيدُ الخير أيُّهما يليني
أَأَلخير الذي أَنَا أَبْتَغِيه أَمِ الشرُّ الذي هُوَ يَبْتَغِينِي

(١) في الأصل بواحدة منها.

(٢) الشهران الشديدا البرد ـ كانون الأول وكانون الثاني ـ أي ديسمبر ويناير. وقِماح كَكِتاب وغُرَابٍ، ويقال: قمح البعير إذا رفع رأسه ممتنعاً من الشرب.

(٣) من نونية المثقب العبدي ـ تقدم بيت منها. وانظر حـ ١ /٤٨.

وإنما ذكر الخير وحده، ثم قال أَيُّهما يليني، لأن قد علم أَنَّ الانسان الخيرُ والشر مُعرَّضَانِ له، لا يدري إذا أَمَّ أَرْضاً أَيَلْقاه هذا أم هذا، ومثله من كتاب اللّه:﴿سَرَابِيلُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[1]، ولم يذكر البرد، لأن ما وَقَى هذا وَقَى هذا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

وسُدًّا ـ بالفتح والضَّمِّ ـ ومعناهما واحدٌ. وقد قيل: السَّدُّ فعل الانْسَانِ والسُّد خلقة المسدود. وفيه وجهان: أحدهما قد جاء في التفسير، وهو أَنَّ قوماً أرادوا بالنبي ﷺ سوءاً فحال اللّه بينهم وبين ذلك فجعلوا بمنزلة من هذه حاله، فجعلوا بمنزلة من غُلَّتْ يمينه وسُدَّ طريقه من بين يديه ومن خَلْفِهِ وَجُعِلَ على بَصَرِهِ غِشَاوةٌ، وهو معنى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾.

. ويقرأ فَأَعْشَيْنَاهُمْ بالعَيْن غير معجمة، فحال اللّه بينهم وبين رسوله وكان في هؤلاء أبو جهل فيما يُرْوَى، ويجوز أن يكون وَصَفَ إضْلاَلَهُم فقال: إنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ، أي أضللناهم فأمسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل اللّه والسَّعيِ فيما يقرب إلى اللّهِ ﴿وَجَعلنا من بين أيديهم سدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، كما قال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ الآية[2].

والدليل على هذا قوله:﴿وَسَواء عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، لأن من أضله اللّه هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾.

---

(١) سورة النحل الآية ٨١.

(٢) سورة البقرة الآية ٧ وبقيتها: ﴿وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي من استمع القران واتبعه.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ﴾.

أي خاف اللّٰه من حيث لا يراه أحدٌ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

المعنى من اتبع الذكر وخشي الرحمن فبشره بمغفرةٍ وَأَجْرٍ كريمٍ.

المغفرة هي العفو عن ذنوبه، وأجر كريم بالجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثارَهُمْ﴾.

ما أسلفوا من أعْمَالِهم، ونكتب آثارهم أي من سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كُتِبَ له ثوابها، ومن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كتبَ عَليه عقابها، وقد قيل: وتكتب آثارهم أي خُطَاهُمْ، والأول أكثر وأبْيَنُ.

﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾.

«مثلاً» مفعول منصوب به، معنى قول الناس: اضرب له مثلاً أي اذكر له مثلاً، ويقال: عندي من هذا الضرب شيء كثير، أي مِنْ هـذَا المِثَال وتقول: هـذه الأشياء على ضرب واحد أي عَلَى مِثَالٍ واحدٍ، فيعني اضرب لهم مثلاً: مثل لهم مَثَلاً.

وقوله: ﴿أَصْحَابَ القَرْيَةِ﴾.

أي خبر أصحاب القرية.

﴿إِذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ﴾.

جـاء فـي التفسير أنهم أهـل إنـطاكيَّـة، وجـه إليهم عيسى اثنين فَكَذَّبُوهُمَا قال: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِث﴾.

ويقرأ فَعَزَزْنـا - بالتـشديـد والتخفـيف - ومعنـى فعززنـا فقوَّيْنـا وشدَّدْنَا الرسالة بثالث أي برسول ثالث

﴿فقَالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾: إلى قوله ﴿البَلَاغُ المُبِينُ﴾[1].

فأعلمهم الرُّسُلُ إنما عليهم البلاغُ.

﴿قَالُوا إنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: أي تَشَاءَمْنَا.

﴿لَئِن لم تنهتوا لنرجُمَنَّكُمْ﴾.

أي لنقتلنكم رَجْماً.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ [مَعَكُمْ]﴾ ويجوز طَيْرُكُم معكم.

لأنـه يقال طَـائرٌ وَطَيـرٌ في معنى واحد، ولا أعلم أحَـداً قرأ ههنـا طيركم بغير ألف، والمعنى قالوا شُؤْمُكُم مَعَكُمْ.

﴿أإنْ ذُكِّرْتُمْ﴾.

أي أإن ذكرتم تَطَيَّرتم، ويقرأ أأَنْ ذُكِّرتم، أي لأن ذكِّرْتُمْ.

وقوله:﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾.

هذا رجل كان يعبد اللَّه في غارٍ في جَبَلٍ، فلما سمع بالمرسلين جـاء يسعى، أي يَعْدُو إليهم، فقـال: أتريـدون أَجْراً على مـا جئتم بـه فقال المرسلون: لا، وكان يقال لهـذا الرجـل فيما رُوي حبيبُ النجـار

---

(١) بقية الآية: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْـزَلَ الرَّحْمَن مِنْ شَيءٍ إنْ أَنْتُمْ إلَّا تَكْـذِبُونَ، قـالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إلَّا البَلَاغُ المُبِين﴾.

فأقبل على قومه فقال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا من لاَ يَسْأَلكم اجرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فاسمعون﴾[1].

فأشهد الرسلَ على إيقانِه ـ قال قتادة: هذا رجل دَعَا قومه إلى اللَّه ومحَّضَهُمُ النَّصِيحَةَ فقتلوه على ذلك وأقبلوا يرجمونه وهو يقول: اللهم اهد قومي اللهم اهد قومي، فأدخله اللَّه الجنة فهو حي فيها يرزق، والمعنى فلما عَذَّبَهُ قومه، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾.

فلما شاهدها قال:﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

أي بمغفرة ربي لي، ﴿من المكرمين﴾ أي من المُدْخَلِينَ الجنَّةَ، وقيل أيْضاً بما غفر لي ربي أي ليتهم يعلمون بالعمل والايمان الذي غفر لي به رَبِّي، ويجوز «بِمَ غَفَرَ لِي رَبِّي»، على معنى بأي شيء غفر لي ربي، ويجوز أن يكون «بما» في هذا المعنى بإثبات الألف، تقُول: قد علمت بما صَنَعْتَ هذا، وقد علمت بم صنعت هذا، أي قد علمت بأي شيء صنعت هذا، وحذفُ الألف في هذا المعنى أجود.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

المعنى لم نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ جُنْداً، لم نَنْتَصِرْ للرّسول الذي كَذَّبُوهُ بِجُنْدٍ.

ومعنى ﴿إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

ما كانت الا صيحة واحدةً، إلاَّ أَنْ صِيحَ بهم صيحة واحدة فماتوا

---

(١) بقية الآية: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أأتخذ من دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنْقِذون. إني إذَنْ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، إني آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

معذبين بها، ويقرأ إلّا صيحةٌ وَاحِدةٌ ـ قَرَأ بها أَبُو جَعْفَرٍ المدني وحدَهُ، وهي جيدة في العربية، فمن نصب فالمعنى ما وقعت عليهم عقوبة الاَّ صيحةً واحدةً[1].

﴿فإذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾.

أي ساكنون قَدْ ماتُوا وصاروا بمنزلة الرماد الخَامِدِ الهَامِدِ.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾.

وقرئت يا حسرةَ الْعِبادِ بغير على، ولكني لا أحب القراءة بشيء خالف المصحف ألبتَّةَ. وهذه من أصعب مسألة في القرآن، إذا قالَ القَائِلُ: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة مما لا يجيب فالفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل، لأن النداء باب تنبيه، إذَا قلت يا زيدُ فإن لم تكن دعوته لتخاطبه لِغير النداء[2] فلا معنى للكلام، إنما تقول يا زيد فتنبهه بالنداء ثم تقول له: فعلت كذا وافعل كذا، وما أحببت مما له فيه فائدة، ألا ترى أنك تقولُ لِمَنْ هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ: يا زيد ما أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ، ولو قلت له: ما أَحْسَن مَا صَنَعْتَ كنت قد بلغت في الفائدة ما أفهمت به، غير أن قولك يا زيد أوكد في الكلام، وأبلغ في الافهام. وكذا إذا قلت للمخاطب أنا أعجب مما فعلتَ، فقد أَفَدْتَه أنك متعجب، ولو قلت: وأعجباه مما فعلت، ويا عجباه أتفعل كذا وكذا، كان دعاؤك العجب أبلغَ في الفائدة. والمعنى يَا عَجَبُ أقبل، فإنه من أوقاتك، وإنما نَداءُ العَجَبِ تنبيه لتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله، وكذلك إذَا قُلتَ: ويلٌ لزيدٍ أَوْ وَيلَ زَيْدٍ: لم فعل

---

(١) يقتضي هذا التحليل أن يكون هذا استثناء تاماً موجباً، وليس كذلك، إنما هو استثناء مفرغ، وصيحة خبر كان. ومن رفع اعتبر كان تامة، أي ما حدث الا صيحة وَاحِدَةٌ.

(٢) أي لتذكر شيئاً بعد النداء تريده من المنادي.

كـذا وكذا كـان أبلغ. وكذلـك في كتاب اللّه ـ عـز وجل ـ: ﴿يَـا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وأَنَا عَجُـوزٌ﴾(١) وكذلـك ﴿يَا حَسْـرَتَا عَلَى مَـا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهُ﴾(٢)، وكذلك ﴿يا حَسْرةً على العِبَادِ﴾.

والمعنى في التفسير أن استهـزاءهم بـالـرُّسُـل حَسْـرةٌ عليهـم، والحَسْـرَةُ أَن يَرْكَبَ الإنسـانَ مِنْ شِدَّة النَّـدَمِ ما لا نهـاية لـه بعده حتى يبقى قلبُه حَسِيراً.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُـمْ من القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[أي] فيخافون أن يعجَّل لَهُـم في الدنيا مثلُ الـذي عُجِّل لغيـرهم مِمَّن أُهْلِكَ، وأنهـم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيـا أبداً، ومـوضع «كم» نصبُ بـأهلكنـا، لأن «كَـمْ» لا يعمـل فيهـا مـا قبلهـا، خبـراً كـانت أو استفهاماً. تقول في الخبر: كم سِرْتُ، تـريد سرت فراسخ كثيـرةً، ولا يجوز سرت كم فرسخاً، وذلك أن كم في بابها بمنزلة رُبَّ، وأن أصلها الاستفهام والابهام، فكمـا أنك إذا استفهمت فقلت للمخـــاطب: كم فرسخاً سرت لم يجز سرتَ كم فرسخاً، لأن الاستفهام لا يعمـل فيه مـا قبله، فكذلك إذا جُعِلَتْ كم خَبَراً فالابهامُ قائم فيها، و «أَنَّهُمْ» بدل من معنى ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾. والمعنى ألم يـروا أن القرون التي أهلكنـا أنهم لا يرجعون.

ويجوز﴿إِنَّهم لا يَرْجِعُـونَ﴾ بكسر «إنَّ» ومعنى ذلـك الاستئنـاف، المعنى هم إليهم لا يَرْجِعُون.

---

(١) سورة هود الآية ٧٢.

(٢) سورة الزمر الآية ٥٦.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرونَ﴾.

من قرأ بالتخفيف [لَمَا] فما زائدة موكدة، والمعنى إنْ كل لجميع لدينا مُحْضَرُونَ، ومعناه وَمَا كُلٌّ إلاَّ جميعٌ لدينا [مُحْضَرونَ]. ويقرأ لمَّا بالتَّشْدِيد ومعنى «لما» ههنا «ألَّا»، تقول سألتك لَمَّا فعلت.

وتفسير الآية أنَّهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا.

وقوله: ﴿وآيةٌ لَهُمُ الأرضُ المَيْتَةُ أَحَيْيْنَاهَا﴾: ويقرأ بالتشديد[1] وأصل الميْتة الميِّتة، والأصل التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز. وآية مفروعة بالابتداء، وخبرها «لَهُمْ»[2] أي وعلامة تدلهم على التوحيد وأَن اللَّه يبعث الموتى إحياءَ الأرض الميتَةِ. ويجوز أن يكون آية مرفوعة بالابتداء، وخبرها الأرض الميتة.

وقوله:﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾.

ويجوز ثُمْره ـ بإسكان الميم وضَمّ الثاء.

﴿وَمَا عَمِلَتْه أَيْدِيهِمْ﴾.

ويقرأ عملت بغير هاء، وموضع «ما» خفض. المعنى ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون «ما» نفياً، على معنى ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيْدِيهِمْ. هذا على إثبات الهاء، وإذا حذفت الهاء فالاختيار أن يكون «ما» في موضع خفض، ويكون «ما» في معنى الذي، فيحسن حذف الهاء[3]، ويكون هذا على قوله:

---

(١) في الميتة.
(٢) الخبر هو الأرض الميتة.
(٣) عائد الصلة بعد الفعل المتعدي.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

﴿سبحان﴾ تَبْرِئَةُ اللّه من السُّوءِ وتنزيهه. ومعنى الأزواج، الاجناس كلها من النَّبات والحيوان وغيرها.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

مما خلق اللّه من جميع الأنواع والأشباه.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾.

ومعنى نسلخ نُخْرِجُ منه النهار اخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار، وذلك من العلامات الدالة على توحيد اللّه وقدرته.

﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

المعنى وَآيَةٌ لَهُمُ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا.

أي لأجَلٍ قَدْ أُجِّلَ لَهَا وقدِّرَ لها. ومن قرأ «لا مُسْتَقَرَّ لها» فمعناه أنها جارية أبداً لا تثبت في مكانٍ.

﴿والْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾.

يقرأ بالرَّفْع والنصب، فمن نصب فعلى «وَقَدَّرْنَا القَمَرَ مَنَازِلَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ» والرفع على معنى وآية لهم القَمَرُ قَدَّرْنَاهُ، ويجوز أن يكون على الابتداء وقدرناه الخبر.

﴿حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾.

العُرجونُ عودُ العِذقِ الذي يسمى الكباسة وحقيقة العرجون

(١) سورة الواقعة الآيتان ٦٣، ٦٤، أي أرأيتم الذي تحرثونه.

أنه العود الذي عليه العذق، والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ من العذق، فإذا جَفَّ وَقَدُمَ دَقَّ وَصَغُرَ فحينئذ يشبه الهِلاَلَ في آخر الشهر، وفي أول مطلعه[١].

وتقدير «عُرْجُون» فُعْلُول. منَ الانعراج.

﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ﴾ الآية[٢].

المعنى لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر.

﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

لكل وَاحِدٍ منهما فَلَكٌ، ومعنى يسبحون يَسيرُونَ فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فَقَدْ سَبحَ فيه، ومن ذلك السباحة في الماء.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾.

خوطب بهذا أَهْلُ مَكَّةَ، وقيل حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ لأن من حمل مع نوح عليه السلام في الفلك فهم آباؤهم، وذُرِّياتُهُمْ، والمشحون في اللغة المملوء، شحنت السفينة إذا ملأتها، وشحنت المدينة وأشحنتها إذا مَلأتها.

وقوله:﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

الأكثر في التفسير أن مِنْ مِثْلِه من مثل سفينة نوح، وقيل من مثله يُعْنَى به الابل، وأن الابل في البريَّةِ بمنزلة السُّفُنِ في البحر.

﴿وإنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ﴾.

أي فلا مُغِيثَ لهم.

---

(١) قولان إذن في العَرجون، وفي القاموس أنَّهُ العذق إذا يبس واعْوَجَّ أو أصله أو عود الكباسة.

(٢) بقيتها: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿إلاَّ رَحْمَةً مِنَّا﴾.

منصوبة مفعول لها، المعنى: ولا يُنْقَذُونَ إلَّا لرحمة منا ولِمَتَاعٍ إلى حِينٍ. إلى انقضاء الأجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾.

ما أسلفتم من ذُنُوبكم، وما تعملونه فيما تستقبلون، وقيل ما بين أيديكم وَمَا خلفكم، على معنى اتَّقُوا أن ينزل بكم من العذاب مثلُ الذي نزل بالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، وَمَا خَلْفَكُمْ، أي اتقوا عذاب الآخرة. وَمِثْلُه.

﴿فَإِن أعرضوا فَقَدْ أَنْذَرْتُكُم صَاعِقَةً مثلَ صاعِقَةِ عادٍ وثمود﴾[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي أطعموا وتصَدَّقُوا.

﴿قَالَ الَّذِين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾.

كأنهم يقولون هذا على حد الاستهزاء. وجاء في التفسير أنَّها نَزَلَتْ في الزنادقة، وقيل في قوم من اليهود.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

متى إنجاز هذا الوَعْد، أردنا ذلك.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

في يَخِصّمُون أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ. سكونُ الخاء والصاد مع تشديد الصَّادِ على جمع بين ساكنين، وهو أشد الأربعة وَأَرْدَؤُهَا، وكان بعض من

(١) سورة فصّلَتْ الآية ١٣.

يروي قراءة أهل المدينة يذهب إلى أن هذا لم يُضْبَطْ عن أهل المدينة كما لم يضبط عن أبي عَمْرٍو إلى بارِئكم. وإنما زعم أن هذا تُخْتَلَسُ فيه الحركة اختلاساً وهي فتحة الخاء، والقول كما قال. والقراءة الجيّدَة «يَخَصِّمُونَ» بفتح الخاء، والأصل يَخْتَصِمُونَ، فطرحت فتحة التاء على الخاء، وأدغمت في الصاد، وكسرُ الخاء جَيِّدٌ أيضاً ـ تكسر الخاء لِسُكُونِها وسُكُونِ الصَّاد، وَقُرِئَتْ يختصمون، وهي جيدة أيضاً ومعناها يأخذهم وبعضهم يَخْصِمُ بَعْضاً، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عِنْدَ أَنْفُسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾.

لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أَمْرِهِ.

﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

الصور كما جاء في التفسير القرن الذي ينفُخ فيه اسْرافيلُ، وقد قال أَبُو عُبَيدة: إنَّ الصُّورَ جمعُ صُورَة، وصورة جمعها صور، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1] وما قرأ أحد أحْسنَ صُورَكُمْ وَلَا قرأ أحد: وَنُفِخَ في الصُّوَرِ من وجه يثبُتُ.

والأجداث القبور، واحدها جَدَثٌ، وَيَنْسِلُونَ: يخرجون بسرعة.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾.

هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين.

---

(١) سورة التغابُن الآية ٣.

وقوله:﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

«هذا» رفع بالابتداء، والخبر «ما وعد الرحمن»، وهذا قول المشركين، أعني هذا ما وعد الرحمن، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت مرقدنا على معنى من بَعَثَنا من مَرْقَدِنَا هَذَا الذي كنا راقدين فيه، ويكون ما وعد الرحمن وصدق المرسلون على ضربين، أحدهما على إضمار هذا، والثاني على اضمار حق، فيكون المعنى حق ما وعد الرحمن. والقول الأول أعني ابتداء هذا عليه التفسير، وهو قول أهل اللغة.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

وإلا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وقد مضى إِعْرَابُهما.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

فالمعنى إن إهلاكَهُمْ كان بصيحة وبعثهم وَإِحْيَاءَهم بصيحة.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المعنى من جوزي فإنما يجازى بعمله.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغلٍ فَكِهُونَ﴾.

و﴿فاكهون﴾ تفسيره فرحون. وجاء في التفسير أَنَّ شُغْلَهُمْ افتضاض الأبكار، وقيل في شغل عما فيه أهل النار، ويقرأ في شُغُلٍ وَشُغْلٍ وَشُغْل وشُغُل. يجوز في العربية.

وقوله عز وجل:﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾.

وظُلَلٍ، ويجوز ظُلُلٍ.

﴿عَلَى الأَرَائِك مُتَّكِئُونَ﴾.

وهي الفرش في الحجال[1]، وَقِيلَ إنَّهَا الفرش، وقيلَ الأسِرَّةُ، وهي على الحقيقة الفرش كانت في حجال أو غير حجال.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾.

أي ما يَتَمَنَّوْنَ، يقال: فلان في خَيْرِ مَا ادَّعَى، أي ما تمنَّى، وهو مأخوذ من الدعاء. المعنى كل مايدعو أهلُ الجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ.

﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾.

«سلام» بدل من «ما» المعنى لهم ما يتمنون به سلام، أي وهذا مُنَى أهل الجنة أن يسلِّمَ اللَّه -عز وجل- عَلَيْهم، وقولاً منصوب على معنى لهم سلام يقوله اللَّه -عز وجل- قَوْلاً.

﴿وَامْتَازُوا اليَوْمَ [أيُّهَا المُجْرِمُونَ]﴾.

أي انفردوا عن المؤمنين.

﴿أَلَمْ أَعْهدْ إِلَيْكُمْ﴾.

وتقرأ أعْهِدْ - بالكسر، والفتحُ أكثر، على قولك عَهِدَ يَعْهَدُ. والكسر يجوز على ضربين على عَهدَ يَعْهِدُ، وعلى عهِدَ يَعْهِد مثل حَسِبَ يَحْسِبُ، ومعناه ألم أتقدم إليكم بِعَهْدِ الإيمان وترك عبادة الشيطان.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبْلاً﴾.

ويقرأ ﴿جِبِلاً﴾ -بكسر الجيم والباء، ويُقْرأ جُبُلاً - بضم الجيم والباء

---

(١) واحدتها حجلة، وهي كالقبة، وشيء يزين بالثياب والستور للعرائس.

ـ وتُقْرَأُ جُبْلًا على إسكان الباء وضم الجيم، ويجوز جَبْلًا بفتح الجيم وَجِبْلًا بكسر الجيم، ويجوز أَيْضاً جِبَلًا ـ بكسر الجيم وفتح الباء بغير تشديد اللام، على جمع جِبْلَةٍ. وجِبَل، والجِبْلَةُ في جميع ذلك معناه خليقة كثيرة وخلقٌ كثير.

وقوله :﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾.

المطموس الأعمى الذي لا يُتَبَيَّن له جَفْنٌ. لَا يُرَى شَفْرُ عينه، أي لو نشاء لأَعْمَيْنَاهُمْ فعدلوا عن الطريق فمن أَيْنَ يُبْصرونَ لو فعَلْنا ذلك بِهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾.

ومكاناتهم، والمكانة والمكانُ في معنىً وَاحدٍ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

أي لم يقدروا على ذَهاب وَلَا مَجِيءٍ.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾.

وَ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وَنَنْكِسْهُ، يقال نكسْتُه أَنْكُسُه وأَنْكِسُهُ جميعاً، ومعناه من أطَلْنا عُمْرَهُ نَكَّسْنَا خلقه، فَصَارَ بدلُ القوة ضَعْفاً وَبَدَلُ الشَّبَابِ هَرَماً.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

أي ما علمنا محمداً ﷺ قولَ الشِّعْرِ، وما ينبغي له أي ما يتسهل له ذلك.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ﴾.

أي الذي أتى به النبي ﷺ وزعم الكفار أنه شعر ما هو بشعر.

وَلَيْسَ يوجب هذا أن يكون النبي لم يتمثل ببيت شعر قط. إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر، وأن يكون القرآن الذي أتى به من عند اللّه، لأنه مُبَاينٌ لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب، والقرآن آية مُعجزةٌ تدل على أن نبوة النبي ﷺ وآياته ثابتة أبداً.

وقوله:﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

يجوز أن يكون المضمر في قوله «لِيُنْذِرَ» النبي عليه السلام. وجائز أن يكون القرآن

ومعنى :﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

أي من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافِرَ كالميِّت في أنه لم يتدبَّرْ فَيَعْلَمَ أن النبي ﷺ وما جاء به حق.

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ويجوزُ وَيَحُقَّ القَوْلَ، أي يوجب الحجة عليهم. ويجوزُ لِتُنْذِر من كان حيًّا - بالتاء - خطاب للنبي ﷺ. ويجوز لِيَنْذَرَ أَيْ لِيَعْلَمَ، يقال نَذِرْتُ بكذا وكذا، أَنْذَرُ مثل عَلِمْتُ أَعْلَمُ.

وقوله:﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

معنى «مالكون»، ضابطون، لأن القَصْدَ ههنا إلى أنها ذليلةٌ لَهُمْ ألا ترى إلى قوله ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ ومثله مِنَ الشّعر[1]:

---

(١) من شعر الربيع بن ضبع الفزاري - من المعمرين يقال إنه نيف على المائتين، يصف ضعفه عن الحرب وعجزه عن احتمال الرياح والبرد، وبعده:

والذائب اخشاه ان مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

والبيت في الخزانة ٣/٣٠٨، وكتاب سيبويه ١/٤٦ (١/٨٩) ت هرون.

أصبحت لا أحمــل الســلاح ولا   أَمْـلِكُ رأسَ الـبَـعِـيــر إن نَـفَــرا

أي لا أضبط رأس البعير.

وقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾.

معناه مَا يَرْكَبُونَ، والدليل قراءة من قرأ «فَمِنْهَـا رَكُوبَتُهـمْ» ويجـوز رُكُوبُهم ـ بضم الراء ولا أعلم أحداً قرأ بها، على معنى فمنها رُكُـوبُهم وأكلُهُم وَشُرْبُهُمْ.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾.

أي هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم.

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية[1].

جاء في التفسير أن أُبَيَّ بن خَلَفٍ جـاء إلى النبي ﷺ بعظمٍ بَـالٍ ففركه ثم ذَرَّاهُ، وقال مَنْ يحيي هذا، فكان جوابه:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فابتداء القُدْرَةِ فيه أَبَينُ منها في الاعادة، ويقـال إن عبد اللّه بن أُبيّ كـان صاحب القصَّـةِ؛ ويقال العـاص بن وائـل. وأعْلَمهم أن خلق السموات والأرض أبلغ في القدرة، وعلى احياء الموتى فقال:

﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ﴾ الآية.

وقـال في مـوضـع آخـر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَـرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[2].

---

(١) بقيتها: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

(٢) سورة غافر الآية ٥٧.

وقال:﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

معنـاه تنزيـه اللّٰه من السوء ومن أن يـوصف بغير القـدرة، الـذي بيده ملكوت كل شىء أى القدرة على كل شيء.

﴿وإليه تُرْجَعُونَ﴾.

وَتَرْجِعُونَ أي هو يبعثكم بعد موتكم.

سُورَةُ وَالصَّافَّاتِ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والصَّافَّاتِ صَفًّا﴾.

أكثر القراءة تبيين التاء، وقد قـرئت على إدغام التـاء في الصَّادِ، وكذلك ﴿فَالزَّجِرَاتِ زَجْراً﴾.

فـإن شئت أدْغِمت التـاء في الـزَّاي، وإن شئت بَيَّنْتَ، وكـذلـك ﴿فالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.

﴿إنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

أقسم بهذه الأشياء ـ عز وجل ـ أنه وَاحِدٌ. وقيل معناه ورَبِّ هـذه الأشياء إنه وَاحد.

وتفسيـر الصافـات أنها المـلائكة، أي هم مـطيعـون في السمـاء يسبحـون اللَّه ـ عـز وجل ـ فَـالـزَّاجِـراتُ، رُوِيَ أن المـلائكـةَ تـزجـر السَّحاب، وقيل: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾: كل مَا زَجَرَ عَنْ مَعْصِية اللَّه.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.

قيل الملائكةُ، وجائز أن يكون الملائكة وغيرهم أيضاً مِمَّنْ يَتْلُونَ ذِكْرَ اللَّه.

﴿وربُّ المَشَارِقَ﴾ [والمغَارِبِ]

قيلِ المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، ومثلها مِنَ المَغَارِبِ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾.

على إضافة الزينة إلى الكواكب، وعلى هذا أكثرُ القِراءَةِ، وقد قرئت بالتنوين وَخَفْضِ الكواكب، والمعنى أن الكَواكِبَ بدل من الزينة.

المعنى إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، ويجوز بِزِينةٍ الكَواكِبَ، وهي أقل ما في القراءة، على معنى بأن زينا الكَوَاكِبَ. ويجوز أن يكون الكواكب في النَّصْبِ بَدَلاً من قوله بزينةٍ، لأنَّ «بِزينةٍ» في موضع نصب، ويجوز بزينةٍ الكواكبُ، ولا أَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلّا أن ثبتت بها رواية، لأن القراءة سنَّةٌ. ورفع الكواكب على معنى أنا زيَّنَّا السماء الدنيا بأن زَيَّنتها الكواكبُ، وبأن زُيِّنَتِ الكَوَاكِبُ.

وقوله: ﴿وَحِفظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.

على معنى وحفظناها من كل شيطانٍ مَارِدٍ، على معنى وَحَفِظْناها حِفظاً من كل شيطان ماردٍ. يُقْذَفونَ بها إذا استرقوا السّمعَ.

﴿لا يَسْمَعُون إلَى المَلإِ الأعْلَى﴾.

ويقرأ بالتشديد على معنى يتسمَّعُونَ.

﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾.

أي يُدْحَرُونَ أي يُبَاعَدُونَ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

قيل دائم وقيل موجع.

﴿إلَّا مَنْ خَطِفَ﴾ ـ بفتحِ الطاء وكسرها، يقال خَطِفْتُ أَخْطَفُ، وخطَفْتُ أَخْطِفُ، إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز الا من خَطَّفَ بتشديد الطاء وفتح الخاء. ويجوز خِطَّفَ. بكسر الخاء وفتح الطاء، والمعنى اختطف، فأدغمت التاء في الطاء وسقطت الألف لحركة الخاء، فمن فتح الخاء ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في اختطف، ومن كسر فلسكونها وسكون الطاء. فأمَّا مَنْ روى خِطِفَ الخطفة ـ بكسر الخاء والطاء ـ فلا وجه له إلا وجهاً ضعيفاً جداً يكون على اتباع الطاء كسر الخاء.

﴿فأَتْبَعَهُ شِهَابٌ [ثاقب]﴾.

يقال تَبِعْتهُ وَأَتْبَعْتهُ، واتَّبَعْتُه، إذا مَضَيْتُ في أثره، «وشهاب ثاقب» كوكب مُضيءٌ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

أي سَلْهم سؤال تَقْرِيرٍ.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من السموات والأرضين.

﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.

ولازم ومعناهما واحد، أي لازق.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

وتقرأ عَجِبْتُ ـ بضم التاء ـ ومعناه في الفتح بل عجبتَ يَا مُحمَّد مِن نُزُول الوحي عليك وَيَسْخَرون، ويجوز أن يكون معناه بل عجبت

من انكارِهم البعث. ومن قرأ عَجِبتُ فهو إخبار عن اللّه. وقد أنكر قومٌ هَذهِ القراءةَ، وقالوا: اللّه ـ عز وجل ـ لا يعجب. وإنكارهم هذا غلط، لأن القراءة والرواية كثيرةٌ والعجب من اللّه ـ عز وجل ـ خلافُهُ من الآدميين كما قال: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّه﴾[1]، و ﴿سَخِرَ اللَّهُ منهم﴾[2]، ﴿وهو خادعهم﴾[3]. والمكر من اللّه والخداع خلافه من الآدميين، وأصل العجب في اللغة أن الانسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره اللّه جاز أن يقولَ فيه عجبتُ واللّه قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الانكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

أي إذا رأوا آية معجزة استسخروا واستهزأوا.

﴿وَقَالُوا إن هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

فجعلوا ما يدل على التوحيد مِمَّا يَعجِزون عنه سحراً، نحو انشقاق القَمَر وما أشبهه.

وقوله :﴿أئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

ويجوز إنا، فمن قرأ إنا اجتزأ بألف الاستفهام، والمعنى في الوجهين أَنُبْعَثُ إذا كنا تراباً وعظاماً، وتفسيره لمبعوثون.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) سورة التوبة. . ٧٩.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٢.

المعنى قل نعم تُبْعَثُونَ وَأَنْتُم صَاغِرُونَ، ثم فسر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة بقوله:﴿فإنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

أي يحيون ويبعثون بُصَرَاءَ ينظرون.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

و«الويل» كلمة يقولها القائل وقت الهلكة.

ومعنى ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

يوم الجزاء، أي يَوْمٌ نُجازى فيه بأعمالنا، فلما قالوا هذا يوم الدين قيل لهم نعم:﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويجازى كلٌّ بعَمَلِه، وبما يتفضل اللّه به على المسلم.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

معناه ونظراءهم وضرباءهم، تقول عندي من هذا أزواج، أي أمثال، وكذلك زوجان من الخفاف، أي كل واحد نظير صاحبه، وكذلك الزوج المرأة والزوج الرجل، وقد تناسبا بعقد النكاح، وكذلك قوله:﴿وَآخرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ﴾[1].

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِراطِ الجَحِيمِ﴾.

يقال: هديت الرجل إذا دللته، وهديت العروس الى زوجها. وأهديت الهديَّة، وكذلك تقول في العروس: أهديتها إذا جعلتها كالهدية.

(١) سورة ص الآية ٥٨.

وقوله:﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾:أي احبسوهم .

﴿وما لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾

قوله :﴿لا تناصرون﴾ في موضع نصب على الحال، المعنى ما لكم غير مُتَنَاصِرين .

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

أي يُسَائِلُ بعضُهم بعضاً.

﴿قَالُوا إنكم كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ﴾ .

هذا قول الكفار للذين أضلوهم[١] . كنتم تخدعوننا بأقوى الأسباب، أي كنتم تأتوننا من قبل الدين فَتُرُوننا[٢] أن الدينَ والحقَّ ما يضلوننا به[٣] .

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ .

أي إنَّما الكفْرُ مِنْ قِبَلِكُمْ .

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ .

حِقت علينا كلمة العذاب .

﴿إنا لَذَائِقُونَ﴾ .

أي ان الجماعة، المضِلَّ والضَّالَّ في النَّارِ.

﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ .

---

(١) في الاصل: قول الكفار الذين أضلوهم . وهوخطأ.

(٢) تظهرون لنا.

(٣) تبدون أن الدين والحق الذي يدعونا إليه الأنبياء إنما هو شيء يضلوننا به .

أي أَضْلَلْنَاكُمْ إنَّا كنا غَاوِينَ ضَالِّين.

﴿إنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾: المجرمون المشركون خاصة.

﴿إنَّهُمْ كَانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

يعني عن توحيد اللَّه عز وجل، وألاَّ يَجْعَلُوا الأَصْنَامَ آلِهة.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾:

الكأس الاناء إذا كانت فيه خمرٌ فهو كأس، ويقَعُ الكاسُ لكلِّ إناء مع شَرَابِهِ.

﴿مِنْ مَعِينٍ﴾.

أي من خمر تجري كما يجري الماء عَلَى وجه الأرض مِنَ العُيُونِ.

﴿بَيضاء لَذَّةٍ﴾.

أي ذَاتَ لَذَّةٍ.

﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾.

لا تَغْتَالُ عُقُولَهم، لا تَذْهَبُ بِها، ولا يُصِيبهُم منها وجع.

﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ﴾.

﴿يُنْزِفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها. فمن قرأ «يُنْزَفُونَ» فالمعنى لاَ تَذْهَبُ عقولهم بشربها، يقال للسكران نزيف ومنزوف، ومن قرأ يُنْزِفُونَ، فمعناه لا يُنْفِدُونَ شَرابَهم، أي هو دائم أبداً لهم. ويجوز أن يكون يُنْزِفُونَ يَسْكَرُونَ، قال الشاعر(١):

---

(١) البيت للابيرد وهو في اللسان (نزف) وقبله:

شربتم ومدَّرتم وكان أبوكم ... كذاك إذا ما يشرب الكاس مدَّرا

لعمــري لَئن أَنْــزَفْتُمْ أو صَحَــوْتـم لبئسَ النــدامى كنتـم آلَ أَبْـجَـرَا

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾.

أي عندهم حُورٌ قد قصرن طرفَهنَّ أي عُيُونَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. «عِينٌ» كِبَارُ الأَعْيُنِ حِسَانُها. الواحدة عيناء.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾.

أي كأن ألوانهن ألوانُ بيض النَّعَامِ، «مَكْنون»، الذي يكِنُّه رَأْسُ النَّعَامِ، ويجوز أن يكون مكنـون مَصُونٌ، يقـال كننت الشيء إذا سترتـه، وصُنْتَهُ، فهـو مَكْنونٌ، وأكْنَنْتَهُ إذَا أَضْمَرْتَه في نفسك.

﴿أئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ﴾.

مخففـة من صَدَّقَ فهـو مُصَـدِّقٌ، ولا يجـوز ههنـا تشـديـد الصـاد، لأن المصَّدقين الذين يعطون الصدقة، والمُصَدِّقين الذين لا يُكذِّبون، فالمعنى كان لي قرين يقول أئنَّك مِمَّن يُصَدِّق بـالبعْث بَعدَ أن تَصِيـرَ تُرابـاً وعظامـاً، فأحب قرينُه المسلم أن يراه بعد أن قيل له: ﴿هَلْ أَنتم مُطَّلِعُونَ﴾.

أي هل تحبون أن تطَّلِعُوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار.

﴿فاطَّلَعَ [فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ]﴾.

فاطلع المسلم فرأى قرينه الذي كان يكذب بالبعث في سَـواء الجحيم، أي في وسط الجحيم، وسـواء كل شيء وسَـطُه، ويقرأ: هَـلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُـونَ ـ بفتـح النـون وكسـرهـا وتخفيف الـطاء ـ فمن فتـح النُّـونَ مـع التخفيف فقـال «مُطْلِعُونَ» فهو بمعنَى طَالِعُون ومُطَّلِعُونَ. يقال طلعت عليهم واطْلَعْتُ واطَّلَعْتُ بمعنًى ومن قـرأ مُطْلِعُـون ـ بكسـر النـون قـرأ «فَـأُطْلِعَ» ومن قـرأ بفَتْـح النُّـونِ «مُطْلِعُونَ» وجب أن يقرأ فأَطْلَعَ. ويجوزُ «فَأُطْلِعَ» على معنى هـل أنتم مُطْلِعُـونَ

أَحَداً، فأما الكسر للنون فهو شاذٌ[١] عند البصريين والكوفيين جميعاً وله عند الجماعة وجه ضعيف وقد جاء مثله في الشعر:

هم القائلون الخير والآمرونه　　إذا ما خَشَوْا مِن مُحَدث الأمْرْ معظما[٢]

وأنشدوا:

وما أدري وظني كل ظَنِّي　　أَمُسْلِمُني إلى قومي شَرَاحِ[٣]

والذي أَنْشَدَنيه محمد بن يزيد: أَيُسْلِمُنِي إلى قومي، وإنما الكلام أمُسْلِمِي وَأَيُسْلِمُنِي، وكذلك هم القائلون الخير والآمروه، وكل اسماء الفاعلين إذا ذكرت بعدها المضمر لم تذكر النون ولا التنوين، تقول: زَيْدٌ ضَارِبِي وهما ضارباك ولا يجوز وهو ضارِبُني، ولا هم ضاربونك. ولا يجوز هم ضاربونك عندهم الا في الشّعر الا أنّه قد قُرِئ بالكسر: هلْ أَنْتُم مُطَّلِعُون على معنى مطلعوني، فحذفت الياء كما تحذف في رؤوس الآي، وبقيت الكسرة دليلاً عليها. وهو في النحو - أعني كسر النون - على مَا أَخْبَرْتُكَ، والقراءة قليلة بها، وأجودُ القراة وأكثرها مُطَّلِعُونَ - بتشديد الطاء وفتح النون - ثم الذي يليه مُطْلِعُونِ بتخفيف الطاء وفتح النون.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾.

(١) شذوذه بسبب الاتيان بنون الوقاية في آخر الاسم، والقياس مطلعي.

(٢) يقال إنه من الأبيات التي صنعها النحويون، ورآه سيبويه محمولاً على الضرورة - وهو في شواهد الكشاف ١٢٣، والكامل ١/٢١٤ (تجارية) والخزانة ٤/٢٠١ سلفية وابن يعيش ٢/١٢٥، واللسان (حين) ومعاً في الفراء ٢/٣٨٦. والشاهد فيه «والآمرونه» وقياسه والآمروه.

(٣) البيت في العيني ١/٣٨٥ بدون نسبة وفي معاني الفراء ٢/٣٨٦ وفي شواهد المغني ٢٦١ أنه ليزيد بن مخرم الحارثي وذكر كما في العيني أن هذه رواية الفراء وهي خطأ - والصواب

فما ادري وظني كل ظن　　أيسلمني بنو البدو اللقاح

واللقاح يفتح اللام - الذين لا يدينون للملوك ولم يصبهم سبي في الجاهلية، وبنو خمر بطن من كندة، أما شراحِ فهو ترخيم شراحيل.

تاللَّه معناه واللَّه، والتاء بدل من الواو، لَتُرْدِينِ أي لتهلكني، يقال رَدِيَ الرَّجُلُ يَرْدَى رَدًى إذَا هَلَكَ، وَأَرْدَيْتُه أَهْلَكتُه.

﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

أي أُحْضَرَ العذاب كما أُحضِرتَ.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾.

المعنى أنعيم الجنة وطعامها خير نزلاً أم شجرة الزَّقُّوم خيرٌ نزلاً، والنُّزُلُ ههنا الرَّيْعُ والفَضْلُ، تقول: هذا طعام له نُزُل ونُزْلٌ بتسكين الزَّاي وَضمِّها وَنَزَل، ويكون ذلك خير نُزُلاً، أي أذلك خير في باب الإِنْزَال التي تُتَقوت ويمكن معها الاقامةُ أَمْ نُزُلِ أهل النَّارِ. وإنما قيلَ لَهمْ فيما يقام للناس من الأنزال أقمت لهم نُزُلَهُمْ أي غذاءهم، وما يصلح معه أن ينزلوا عليه.

ومعنى: ﴿إنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾.

عبرةً للظالمين، أي خبرةً افتتنوا بها، وكذبوا بها فصارت فتنة لهم، وذلك أنهم لما سمعوا أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم قالُوا: الشجرَ يحترق بالنَّارِ، فكيف ينبت الشجر في النار فافتتنوا وكذبوا بذلك.

﴿طَلْعُها كَأَنَّه رُءوسُ الشَّيَاطِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال: قيل الشياطين حيات لها رءوس فشُبِّه طَلْعُهَا برءوس تلك الحيات، وقيل رءوس الشياطين نبت معروف، وقيل وهو القَوْل المعروفُ ان الشيء إذا استقبح شُبِّهَ بالشيطان، فقيل: كأنه وجه شيطانٍ، وكأنه رأسُ شيطان، والشيطان لا يُرى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، لو رُئِيَ لرُئي في أقبح صورة، قال امرُؤ القيس(١):

(١) من لاميته ـ ألَا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي. وهو من شواهد البلاغة ـ جاء في دلائل الاعجاز =

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولم تُرَ الغولُ قط ولا أنيابُها ولكن التمثيل بما يستقبح أبلغ في باب المذكر، يمثَّل بالشيطان وفي باب ما يستقبح من المؤنث يشبه بالغول.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً [مِنْ حَمِيمٍ]﴾.

أي لخلطاً ومزاجاً، ويُقْرأ لَشُوباً مِنْ حَمِيم، الشَّوْبُ المصدر، والشُّوبُ الاسمُ، والخَلْطُ: المخلوط.

﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾.

أي هم يَتْبعُونَ آثارَهم اتباعاً في سُرْعةٍ، ويقال ﴿يُهْرَعُون﴾ كأنهم يزعجونَ من الاسراع إلى اتباع آبائهم، يقال هُرِعَ وأهرع في معنًى واحدٍ إذا اسْتُحِثَّ وَأَسْرَعَ.

وَقَولَه: ﴿إِلَّا عَبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ﴾.

المخلصين الذين أخلَصَهُم اللَّه واصطفاهم لعبادَتِه، ويقرأ المُخْلِصِينَ أي الموَحِّدِينَ.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المجُيبُونَ﴾.

أي دعانا بأن ننقذه من الغرق، والمعنى فلنعم المجِيبون نَحْنُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾.

يعني كرب الغَرَقِ الذي هو عذاب.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ﴾.

= وذكر السيوطي في شواهد المغني جزءاً كبيراً من هذه القصيدة. انظر شواهد المغني ١١٧.

لما جاء الطوفان لم يبق إلاّ نُوحٌ وَذُرِيَّتُهُ، والخلق الباقون من ذُرِيَّةِ نوح.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾.

أي تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة، وذلك الذكر قوله: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى تَرَكنَا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

أي من شيعة نوح، من أهل مِلَّتِهِ يعني نوحاً.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

جاء في التفسير سليم من الشرك، وهو سليم من الشرك ومن كل دَنَسٍ.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال إبراهيم لقومه ـ وهم يعْبُدُون الأصْنَامَ: أي شيءٍ ظنكم بِرَبِّ العَالمين وأنتم تعبدون غيره. وموضع «ما» رفع بالابتداء، والخبرُ ظَنُّكُمْ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

قال لقومه وقد رأى نجماً إني سَقِيمٌ، فأوهمهم أن الطَّاعُونَ بِهِ، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

فِراراً من أن يُعْدَى إليهم الطاعونُ، وإنما (قال إني سَقِيمٌ) لأن كل واحد وان كانَ مُعَافىً فلا بد مِن أَنْ يَسْقَم ويموت، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(١). أي انك ستموت فيما يستقبل، وكذلك قوله: إِنِّي

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.

سَقِيمٌ، أي سَأَسْقَمُ لا محالة. وقد روي في الحديث: لم يكذب إبراهيم إلَّا في ثَلاَثةٍ، وَقَدْ فَسَّرنا ذَلِك، وان هذه الثلاث وقعت فيها معارضة في قوله:﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. على معنى: إنْ كَانُوا يَنْطِقون فَقَدْ فَعَله كَبِيرُهُمْ وقوله:﴿سَارَةُ أُخْتِي﴾، أي أختي في الاسلام، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على ما فسّرنا.

﴿فَرَاغَ عليهم ضَرْباً [بِاليَمِينِ]﴾.

معنى راغ عليهم مال عليهم، وضرباً مصدر، المعنى فمال عَلَى الأصنام يضربُهُمْ ضرباً بِالْيَمِينِ، يحتمل وجهين بيمينه، وبالقوة والمكانة، وقال: عَلَيْهم وهي الأصنام لأنهم جعلوها معبودةً بمنزلة ما يميز كما قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْه﴾: يعني قوم إبْرَاهِيم.

﴿يَزِفُّون﴾: يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ. ويقرأ على ثَلاثةِ أَوْجُهٍ. يَزِفُّونَ ـ بفتح الياء ويُزِفّونَ ـ بِضَمِّهَا، ويَزِفُونَ ـ بتخفيف الفاء. وأَعْرَبُها(٢) كُلُّها يَزِفُّون بفتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زفيف النعام، وهو ابتداء عَدْوِهَا، يقال زَفَّ النعام يَزِفُّ. ويُقْرَأ يُزِفُّون أي يصيرون إلى الزَّفِيفِ، ومثله قول الشاعر(٣):

تمنى حصين أن يسودَ جِذاعَه ... فأضحى حصين قد أُذِلَّ وَأُقْهِرَا

معنى أَقْهَرَ صار إلى القَهْرِ، وكذلك يُزِفُّونَ. فأَمَّا يَزِفُونَ ـ بالتخفيف فهو من وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ، ولم يَعْرِفُهُ الفَرَّاء، ولا الكِسَائِيُّ، وعَرفَه غيرُهُمَا.

وقوله: ﴿فِي الْجَحِيمِ﴾.

---

(١) سورة يس الاية ٤٠.

(٢) ادخلها في العروبة والاعراب.

(٣) للمخبل السعدي يهجو الزبرقان بن بدر ـ وهو حصين ـ وقومه يعرفون بالجذاع.

كل نار بعضُها فوق بَعضٍ ، وهي جَحْمٌ.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

يقول: هب لي ولداً صَالِحاً من الصَّالِحِينَ.

﴿فبشرناه بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.

وهذه البِشَارَة تدل على أنه غلام وأنه يبقى حتى يُوصفَ بالحلم.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾.

أي أدرك معه العَمَل، يقال إنه قد بلغ في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنةً.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

[تقرأ] غَيْرَ مماله، وَتَرى - مُمَالَة، - وتُرِي - بلا إمالة، - وتُرِي - بالإمالة - وماذا تُرَى، ففيها خمسة أوجه، ترى - بالفتح وبالكسر. وكذلك في تُرِي وتُرَى، . وفيها خمسة أوجه أخر لم يقرأ بشيء منها، فَلَا تقرأن بها، وهو ان تأتي الخمسة التي ذكرناها ممالة وغير ممالة بغير همز فتهمزها كلها، فما كان مُمَالاً هَمِزَ وأمال، وما لم يكن مما لا أمال ولم يهمز. ويجوز ماذا تَرْأَى ممال، وماذا تُرْئِي، وماذا تُرْأَى، وماذا تَرَى وَمَاذا تُرَى.

فمعنى ماذا تَرأَى وتُرْئي من الرأي، ومعنى ماذا تُرَى مَاذَا تُشِيرُ، وَزَعَم الفراء أن معناه مَاذَا تُرِيني من صَبْرِكَ، ولا أعلم أحداً قَالَ هَذَا. وفي كل التفسير ما تُرِي ما تشير.

﴿قال: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ورؤية الانبياء في المنام وحي بمنزلة الوحي اليهم في اليقظة، وقد فَسَّرْنَا يا أَبَهْ، وإعرابَهُ فيما سَلَفَ من الكتاب.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

يَقُول على أمر اللَّه.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾.

أَسْلَما اسْتَسْلَمَا لأمر اللَّه. رضي إبراهيم بأن يذبح ابنه، ورضي ابنه بأن يذبح تصديقاً للرؤيا وطاعة للَّه.

واختلف الناس في الذي أمر بذبحه مَنْ كانَ، فقال قوم إسحاق. وقال قوم اسماعيل. فأما من قال إنه إسحاق، فعليٌّ رحمة اللَّه عليه وابنُ مَسْعُودٍ وكعبُ الأحبار، وجماعة من التابعين. وأما من قال إنه إسماعيل فابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين.

وحجة من قال إنه إسماعيل قوله:﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وَحُجة من قال انه اسحاق، قال: كانت في إسحاق بشارتان الأولى فبشرناه بغُلامٍ حَلِيمٍ. فلما استسلم للذبح واستسلم ابراهيم لذبحه بُشِّرَ به نبياً من الصالحين.

والقول فيهما كثير واللَّه أعلم أيهما كان الذبيح.

فأما جواب﴿فلما أَسْلَمَا وتلَّهُ للجبين﴾أي صَرَعَهُ، فقد اختلف الناس فيه فقال قوم جوابه وناديناه، والواو زائدة، وقال قوم إن الجواب محذوف بان في الكلام دليلاً عليه. المعنى فلما فعل ذلك سعِدَ وأتاه اللَّه نبوة وَلَدِه وأجزلَ لَهُ الثواب في الآخرة.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

الذبح بكسر الذَّال الشيءُ الذي يُذْبَح، والذَّبْح المصدر، تقول: ذبحته أذْبَحُه ذَبْحاً. وقيل إنه الكَبْشُ الذي تُقَبِّلَ من ابن آدم حين قرَّبه، وقيل انه رَعَا

في الجنـة أربعين سنة، وقيـل إنَه كـان وَعِلاً من الأوْعَـالِ. والأوعال التيـوس الجبليَّةُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُما وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾.

قيل من الغرَقِ كما فُعِلَ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِه.

﴿وَإِنَّ إلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

جـاء في التفسيـر أنـه إدريس، ورويت عنِ ابن مَسْعُـودٍ أنـه قـرأ: وإن ادريس، ورويت سلام على إدْرَاسِين.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً [وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ]﴾.

قيل إن بعلاً كانوا يعبدونه، صنماً من ذهب، وقيل إن بعلاً [تعني] رَبّاً.

وقرئت ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: على صِفَـةِ أَحْسَنِ الخَـالِقِينَ اللَّـهَ. وقرئت: «اللَّهُ رَبُّكُمْ» عَلَى الابتداء والخبر.

﴿سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾.

وقرئت إلْيَاس. فمن قرأ بالوصل فموضع ﴿اليـاسين﴾ جمعٌ، هـو وأمتُـه المؤمنـون، وكذلـك يجمـع مَـا يُنْسَب إلى الشيء بلفظ الشيء، تقـول: رأيت المَسامِعَة والمَهَالِبَةَ، تريد بني المهَلَّب وبني مِسْمَع، وكذلـك: رأيت المهلبين والمِسْمَعِين. وفيها وجه آخر تكون فيـه لغتان اليـاس والياسين كمـا قال ميكـال وميكائيل.

وقوله: ﴿إلاَّ عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾: يعني في البَاقِينَ.

وقوله: ﴿إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾.

«أَبَق» هَرَبَ إلى الفلك المشحون، والمشحون المملوء.

فَسَاهَمَ قارع، والمُدْحَضِينَ المَغْلُوبِينَ.

لما صَارَ يونس في السّفينة فلم تَسِرْ فقارَعَـهُ أهل السفينـة، ووقعت عليه القرعة فخرج منها وألقى نَفْسَهُ فى البحر.

﴿فالْتَقَمَهُ الحُوتُ﴾.

وهو السمكة، ولما خرج من السفينة سَارَتْ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

قد أتى بما يلام عليه، يقال: قد ألاَمَ الرجلُ فهو مُليمٌ، إذا أتى ما يجب أن يلام عليه.

﴿فَلَوْلا أنَّه كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾: مِنَ المُصَلِّين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِه إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

جاء في التفسير أنـه لبث أربعين يومـاً، وقال الحسن لم يَلْبَثْ إلاَّ قَليـلاً وأخرج من بطنه بُعَيْدَ الوقت الذي التُقِمَ فيه.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ﴾.

يعني بـالمكـان الخـالي، والعـراء عَلَى وَجْهَيْن، مَقْصُـورٌ وَمَمْـدُودٌ، فالمقصور الناحِيَةُ، والعراء ممدود المكان الخالي، قال أَبُو عُبَيدَةَ وغَيْرُهُ: إنمـا قيل له العراء لأنه لا شجر فيه، ولا شيءَ يُغَطيه، وقيل ان العراء وجه الأرْض، ومعناه وجه الأرض الخالي، وأنشدوا:

رَفَعْتُ رِجْـلاً لاَ أَخَـافُ عِـثَـارَهَـا ... وَنَبَـذتُ بـالبَلَدِ العَـراءِ ثِـيَـابِي[1]

(١) في اللسان (عرا) ورفعت رجلاً ـ وهو في الكامل ١٦٢/١ (تجارية) والقرطبي ٨٩/١٩ ـ ومجاز أبي عبيدة جـ ٢ ص ١٧٥ ـ لبعض الهذليين.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْه شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ .

كل شجرة لا تنبت على ساقٍ، وإنما تمتد على وجه الأرض ـ نحو القَرْعِ والبطِّيخ و الحنظل ـ فهو يقطين. وأحسب اشتقاقها من قَطَنَ بالمكان إذا أقام به، فهذا الشجر كله على وجه الأرض، فلذلك قيل يقطين.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ .

قال غير واحد معناه بل يزيدون، قال ذلك الفراء وَأَبُو عبيدة وقال غيرهما معناهُ أَو يزَيدونَ فِي تَقْدِيركم أنتم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة وهذا على أصل «أو».

وقال قوم: معناها معنى الواو. و «أو» لا تكون بمعنى الواو، لأن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر، و «أَوْ» مَعناها إفراد أحد شيئين أو أشياء.

وقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ .

أي سلهم مسألة توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى اللَّه عَنْ ذَلِكَ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا المَلاَئِكَةَ إِنَاثاً﴾ .

معناه بل أَخَلَقْنَا الملائكة إناثاً ـ. ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ .

﴿أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ﴾ .

هذه الألف مفتوحة[1]، هذا الاختيار، لأن المعنى سَلْهُمْ هل أصطفى البَنَاتِ على البَنِين، فالألف ألف استفهام. ويجوز اصطفى على أن يكون

---

(١) الألف في أصطفى.

حكاية عن قولهم ليَقُولُونَ اصطفى. وفتح الألف وقطعها أجود على أأصطفى، ثم تحذف ألف الوصل.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً﴾.

الجِنَّةُ هَهُنَا المَلاَئِكَةُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

أي ولقد علمت الجنة وهم الملائكة أن الذين قالوا: ولد اللَّه... لَمُحْضَرونَ العَذَابَ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

تنزيه اللَّه من السوء عن وَصْفِهِم.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْه بِفَاتِنِينَ﴾.

أي ما أنتم بمضلين عليه إلاَّ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ.

﴿إلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾.

أي لستم تضلون إلاَّ أهلَ النَّارِ، وقرأ الحَسَنُ إلاَّ من هُوَ صَالُ الجَحِيم بضم اللام، والقراءة بكسر اللام، على معنى صَالي، والوقف عليها ينبغي أن يكون بالياء، ولكنها محذوفة في المصحف، ولقراءة الحَسنِ وجْهَان، أحدهما أن يكون أراد صالونَ الجحيم فحذفت النُّونُ للإضافة وحذفت الواو لسكونها وسكون اللام من الجحيم، ويَذْهَبُ بِمَنْ مَذْهَبَ الجِنْسِ، أي بالجنس الذين هم صالوا الجحيم، ويجوز أن يكون صَالُ في معنى صائل، مفعول من صَالَى، مثل جرف هارٍ أي هائرٍ، والقراءة التي هي الاجماع كسر اللام.

﴿وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾.

هـذا قول الملائكة، وههنا مضمر، المعنى مَا مِنَّا مَلَكٌ إلاَّ لـه مقام معلوم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾: أيْ نحن المصلونَ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

المُمَجِّدون للَّه، الذين ينزهُونَه عَنِ السُّوءِ.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين لأَخْلَصْنا العبادة للَّه عزَّ وَجَلَّ، فلما جاءهم كفروا به.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي سوف يعلمون مَغَبَّةَ كفرهم، وما ينزل بِهم من العذاب والانتقام منهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا [الْمُرْسَلِينَ]﴾.

أي تقدم الوعدُ لهم بأن اللَّه ينصرهم بالحجة وبالظفر بِعَدُوِّهِمْ في الدنيا، والانتقام من عدوهم في الآخرة.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

حزب اللَّه لَهُمُ الغَلَبَة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾.

حتى تنقضي المدَّةُ التي أُمْهِلُوا إليها.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾.

نزل بهم العَذَابُ، وكان عذاب هؤلاء في الدنيا القَتْل.

وقوله:﴿فساء صباح [الْمُنْذَرِينَ]﴾:أي فبئس صباح.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، فمن نصب فعلى مدح الله عز وَجَلَّ، ومن قرأ بالرفع فعلى المدح أيضاً على معنى هُوَ رَبُّ العزَّةِ، ومن خفض فعلى قوله رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ، وفي النصب أيضاً أعني رَبَّ العزَّةِ، واذكر ربَّ العِزَّةِ.

سُورَةُ ص
مكية

بسم الله الرَّحمن الرّحيم

﴿[صٓ]﴾.

قرئت بالفتح وبالكسر، وبتسكين الدال، وهي أكثر القراءة، فمن أسكن «صاد» من حروف الهجاء، وتقدير الدال الوقف عليها. وقد فسرنا هذا في قوله «ألم» أعني باب حروف الهجاء، ومعناه الصادق اللّٰه، وقيل إنها قسم.

وقوله: ﴿وَالْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

عطف عليها، المعنى أقسم بصاد وبالقرآنِ ذي الذكر، ومن فتحها فعلى ضَرْبيْن، يكون فتحاً لالتقاء الساكنيْن، ويكون على معنى اتل صادَ، ويكون صاد اسماً للسورة لا ينصرف. ومن كسر فعلى ضربين، لالتقاء الساكنين، ويكسرها على معنى صاد القرآن بعَمَلِك، من قولك صادَى يُصَادِي إذَا قَابَل وَعَادَل، يُقال صاديته إذا قابلته، وجواب قوله: صَادِ والقرآن ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[1] وقال قوم: الجوابُ: ﴿كم أهلكنا قبلَهم مِنْ قَرْنٍ﴾، ومعناه لكم أهلكنا قبلهم مِنْ قَرْنٍ فلما طال الكلام بَيْنَهُمَا حذفت اللام.

ومعنى ﴿والقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

أي ذي الذكر والشرف، وقيل ذي الذكر: قد ذكرت فيه أَقَاصِيصُ الأوَّلين والآخرين وما يُحتاج إليه في الحلال والحرام.

﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

(١) تأتي في أواخر السورة آية ٦٤.

جاء في التفسير ولات حين نداء، وقال أهلُ اللُّغَةِ وَلَاتَ حينَ مَنْجًى ولا فَوْتَ، يقال نَاصَه ينوصُه إذَا فاته. وفي التفسير لات حين نداء معناه لات حِينَ نِـداءٍ يُنْجي. ويجوز لات حِينُ مَنَـاصٍ. والرفـع جيّدٌ، والـوقف عليها «لَاتْ» بالتاء، والكسائيُّ يقف بالهـاء «لَاهْ» لأنه يجعلهـا هاء التـأنيث. وحقيقة الـوقف عليها بالتاء، وهـذه الـتـاء نـظيرةُ التـاء في الفعل في قـولِكَ ذَهَبَتْ وجَلَسَتْ، وفي قولك: رأيتُ زيداً ثمت عَمراً، فَتَاءُ الحروف بمنزلة تاء الأفعال، لأن التاء في الموضعين دخلت على ما لا يعـرب، ولا هو في طـريق الأسماء فإن قال قائِلٌ: نجعلها بمنزلـة قولهم: كـان من الأمر ذيـهْ وذيهْ، فهـذه هاء في الـوقف وهذه هاء دخلت على اسم لا يعرب، وقد أجازوا الخَفْضَ فقالوا: لَاتَ أَوَانٍ، وأنشدوا لأبي زُبَيْدٍ:

طـلـبـوا صـلـحـنـا ولات أوان فـأجـبـنـا ان لـيس حيـن بـقـاء[1]

والذي أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد ورواه:

طلبوا صلحنا ولات أَوَانٌ

وذكر أنه قد روي الكسرُ.

فـأما النصب فعلى أنهـا عَمِلَتْ عمـل ليس، المعنى وليس الـوقت حين مناصٍ ومن رفع بها جعل حين اسم ليس وأضمـر الخبر على معنى لَيْس حينُ مَنْجًى لَنَـا ومن خفض جعلها مبينـة مكسـورَةً لالتقـاء السَّـاكِنَين، كمـا قـالـوا: قَدلَكَ[2] فبنوه على الكسر.

---

(١) لابي زبيد الطائي من قصيدة طويلة، سببهـا ان رجلاً من شيبـان نزل على رجـل من طيء فقراه وسقاه، فلما سكر وثب الشيباني على صاحبه فقتله وفر، وافتخرت بها شيبان انظر الأغاني جـ ٥ والخزانة ٢/١٣٦ الشاهد ٢٨٢.

(٢) يقال قدك وقدلك بمعنى حسبك. وهو بإسكان الدال، والكسر قليل.

والمعنى ليس حين مناصنا وحين منجانا، فلما قال: ولا ت أَوَانٍ جعله على معنى ليس حينَ أَوَانِنَا، فلما حُذِفَ المضَافُ بُنِيَ على الوقف ثم كُسِرَ لالتقَاءِ السّاكِنين، والكسر شَاذٌّ شبيه بالخطأ عند البصريين، ولم يَرْوِ سيبويه والخليل الكسر، والذي عليه العمل النصب والرفع، وقال الأخفَشُ: إن ﴿لَاتَ حينَ مناصٍ﴾ نصبها بلا كما تَقُولُ لَا رَجُلَ في الدار، ودخلت التاء للتأنيث.

وقوله جل وعز:﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ـ إلى قوله ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [١].

في معنى عجيب، ويجوزُ عُجَّاب في معنى عجيب يقال: رجل كريمٌ وكُرَّامٌ[٢] وكُرَام.

وهذه حكاية عن ملأ من قُرَيْشٍ لما مَرِضَ أبو طالب المرضة التي مات فيها أتاه أبو جهل بن هشام وجماعةٌ من قريش يعودونه فشَكَوْا اليه النبي ﷺ وقالوا يشتم آلهتنا ويفعل، فعاتبه أبو طالب، فقال النبي ﷺ إني أدعُوكم إلى كلمة يدين لكم العرب بها، وتؤدي بها اليكم العجم الجزيَةَ، فقال أبو جهل: نَعَمْ وَعَشْراً على طريق الاستهزاء أي نقُولها وعشراً معها، فقال: لَا إِلٰهَ إلَّا اللَّهُ، فقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلٰهاً وَاحِداً. ثم نَهَضُوا وانطلقوا من مجلسهم يقول بعضهم لبعْضٍ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ.

وقوله :﴿وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾.

معناه أي امشوا، وتأويله يقولونَ امْشُوا. ويجوز: وانطلق الملأ منهم بأَنِ امشوا أي بهذا القول.

وقوله:﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخرةِ﴾.

---

(١) ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ الـهاً وَاحِـداً إِنَّ هَذَا لشيءٌ عُجَابٌ﴾.
(٢) مثل ﴿ومكروا مكراً كُبَّاراً﴾ أي كبيراً.

حكاية عنهم أيضاً، أي ما سمعنا بهذا في النَّصْرانِية وَلاَ اليهوديَّةِ ولا فيما أدركنا عليه آباءنا.

﴿إنْ هَذَا إلَّا اخْتِلاَقٌ﴾.

أي إلا تَقَوُّلٌ.

﴿أأنْزِلَ عَلَيْه الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

أي كيف أنزل الذكـر عليه من بينـنـا، أي كيف أُنْزِلَ على محمـد القرآن من بيننا.

﴿بَلْ هُمْ في شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾.

أي ليس يقولون ما يعتقدونه إلَّا شَاكِّين.

وقوله:﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾.

إن قال قائِل: ما وجه اتصال ﴿أَمْ عِندهم خزائن﴾ بقوله:﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ من ذكري﴾، أو بقوله ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾. فهذا دليل على حَسَدِهم النَّبيّ ﷺ بما آتاه اللَّه من فَضْل النُّبوّةِ. فأعلم اللَّه أن الملكَ لَهُ والرِّسالَـة إِلَيْهِ، يصطفي من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينزل الغيث والرحمة على من يشاء فقال:﴿أم عندهم خزائن رحمة رَبِّكَ﴾. أي ليس عندهم ذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَواتِ والأرْضِ﴾.

أي ليس من ذلك شيء.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبَابِ﴾.

أي إن ادَّعَـوا شيئاً من ذلـك فليصعدوا في الاسبـاب التي تـوصلهم إلى السماء، وجائز أن يكون فليـرتقوا في هـذه الاسباب التي ذكـرت وهي التي لا

يملكها الا اللّه. ثم وعد اللّه نبيه عليه السلام النَصْرَ عَلَيْهم فقال:

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأحْزَابِ﴾.

«ما» لغوٌ، المعنى جند هُنَالِكَ مهزوم من الأحزاب.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ﴾.

جاء في التفسير أن فرعون كانت له حبال وأوتادٌ يلْعَبُ له عَلَيْها.

﴿مَالَها مِنْ فَواقٍ﴾.

وفُواق بضم الفاء وفتحها، أي ما لها من رجُوع، والفُواق ما بين حَلْبَتَي الناقَةِ، وهو مشتق من الرجوع أيضاً لأنه يَعُودُ اللَّبَنُ إلى الضَّرْعِ بين الحلبتين، وأفاق من مرضه من هذا، أي رجع إلى الصحة. فالفواق هو من هذا أيضاً.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾.

«القِطُّ» النصيب، وأصله الصحيفة يكتب للانسان فيها شيء يصل إليه قال الأعشى.

ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمَّتِه يعطي القطوط ويأفِقُ[1]

يأفِق يُفْضِلُ، وهذا تفسير قولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ - وهو كقولهم ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ - الآية[2] وقيل إنهم لما سمعوا أن المؤمن يؤتى كتابه بيمينه والكافر يؤتى كتابه بشماله، فيسعد المؤمن ويهلك الكافر، قالوا ربنا عجل لنا قِطّنا. واشتقاق القِط من قططت أي قطعتُ، وكذلك النصيب انّما هو القطعة من الشيء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ﴾.

ذا القوة، وكانت قوته على العبادة أتم قوة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أَشَدُّ الصَّوْمِ، وكان يُصَلّي نصفَ الليل.

---

(١) البيت في اللسان (قطط).
(٢) سورة الأنفال / ٣٢.

﴿إنّهُ أَوَّابٌ﴾ .

رجاع إلى اللّه كثيراً، الآيب الراجع، والأوَّابُ الكثيرُ الرُّجوعِ .

﴿إنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعه يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإشْرَاقِ﴾ .

«الاشراق» طلوع الشمس وإضاءتُهَا، يُقَالُ شَرِقَت الشَمْسُ إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، وقد قيل شرقت وأشرقت إذا طلعت في معنى واحد، والأول أكثر.

﴿والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ .

كانت الجبال تُرَجِّع التسبيح، وكانت الطير كذلك، فيجُوز ان تكون الهَاءُ للّه ـ جل وعز ـ أي كل للّه مسبح، الطير والجبال وَدَاودُ يسبحون للّه عز وجل، ويرجعون التسبيح. ويجوز ـ واللّه أعلم ـ أن يكون ﴿كلٌ له أوّاب﴾ كل يُرَجِّعْنَ التسبيح مع داود، يجبنه، كلما سبح سبحت الجبال والطير معه.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ .

ويجوز وشدَّدنا، ولا أعلم أَحداً قَرَأَ بهَا. معناه قوينا ملكه فكان من تقوية ملكه أنه كان يَحْرُسُ محرابه في كل ليلة ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً مِنَ الرِّجَال، وقيل أيضاً إنَّ رَجُلاً استعدى إليه على رجل، فادعى عليه أنه أخذ منه بَقَراً، فأنكر المدعى عليه فسأل داود المدعَى البينة فلم يقمها، فرأى داود في منامه انّ اللّه يأمره أن يقتل المدعى عليه، فتثبت[1] داود، وقال هو منام، فأتاهُ الوحي بعد ذلك أَنْ يَقْتُلَه فأحضره ثم أعلمه أن اللّه أَمَرهُ بقَتْلِه، فقال المُدَّعَى عليه: إن اللّه ـ جل وعز ـ ما أخذني بهذا الذنب[2]، وإني قتلت أبا هذا غِيلةً فقتله داود، فذلك مما كان عظم اللّه هيبته وشدَّدَ ملكه [به].

---

(١) تثبت تريث وتمهل.

(٢) أي ذنب المماطلة ونكران الدَّيْنِ بل بذنب آخر.

﴿وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾.

قيـل في ذلك أن يحكم بـالبينة واليمين، وقيـل في فصل الخـطاب، أن يفصل بين الحق والباطل، وقيل «أَما بعد»، وهو أول من قال أَمَّا بَعْدُ.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾.

والمحـرابُ أرفـع بيت في الـدار، وكـذلـك هـو أرفـع مكـان في المسجد، والمحراب ههنا كالغرفة، قال الشاعر[١]:

رَبَّـةُ مـحْـرابٍ إذَا جئْـتُـهـا لـم أَلْـقَـهـا أَو أَرْتَـقـي سُـلَّمـا

و «تسوَّروا» يدُلُّ على عُلُوّ. وقال «الخَصْمُ» ولفظه لفظ الواحد، و «تَسَوَّروا» لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنين والجماعةِ والذكر والأُنثَى، يقال: هذا خَصمٌ وهي خصم وهما خصم وهم خُصْمٌ. وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول خصمته أَخْصِمُه خَصْماً، المعنى هما ذوا خصم وهم ذوو خصم، وان قلت خصوم جاز كما تقول هما عدل وهما ذوا عدل، وقال [اللّه تعالى] ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٢]. فمعنى هما عدل هما ذوا عدل. فما كان من المصادر قد وصفت به الاسماء فتوحيده جائز، وان وصفت به الجماعة، وتذكيره جائز وان وصفت به الأنثى، تقول هو رضًى وهما رِضًى، وكذلك هذه رضًى.

وقوله تعالى:﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾.

لأَنَّهم أَتَوْه مِن غَير مَأْتَى الخُصوم، وفي غير وقتهم[٣]، وفي وقت لم يكن

---

(١) تقدم.

(٢) سورة الطلاق الآية ٢.

(٣) في غير وقت الخصوم.

داود يأذن فيه أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْه أَحَدٌ، فأنكر ذلك وَفزِعَ. وإنما بُعِثَ إليه مَلَكَان فَتَصَوَّرا في صورة رَجُلَيْن متخاصِمَيْن.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾.

القراءة الرفع، والرافع لِخَصْمانِ نحن، والمعنى نحن خَصْمَانِ ولو كان في الكلام لَا تَخَفْ خَصْمَيْنِ بَغَى بَعْضُنَا على بَعْضٍ [لجاز][1]، على معنى أَتَيْنَاكَ خَصْمَيْنِ لأنه أنكر إتيانهم، وإتْيَانُ الخُصُومِ قَدْ كَان يعتاده كثيراً[2].

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ لَا تُشْطِطْ﴾.

أي لا تَجُرْ، يقال أَشَطَّ يُشِطُّ إذا جَار، ويقرأ لَا تَشْطُطْ بمعنى لا تَبْعُد عن الحق، وكذلك لَا تَشْطِطْ - بكَسْرِ الطاء وفتح التاء - معناه كمعنى الأول قال الشاعر[3]:

تَشُطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

﴿واهْدِنا إِلَى سَواءِ الصِّراطِ﴾.

الى قصد الطريق - اي طريق الحق.

﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾.

كَنَى بالنَّعجة عن المرأة، قال الأعشى:

فرميتُ غفلةَ عَيْنِه عن شَاتِه فأصبت حبة قلبها وطحالها[4]

عنى بالشاة ههنا المرأة.

---

(١) زيادة لا بد منها لأن الكلام خالٍ من جواب الشرط.

(٢) كان الخصوم يترددون عليه كثيراً.

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة - انظر الطبري ٢٣/٨١ - اللسان (شطط). ومجاز أبي عبيد ٢٥/١٨١.

(٤) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب في ديوانه ٢٤ والبيت في أمالي المرتضى. يريد رمي شاته وهو غافل غير مراقب لها. كأنه غازلها وتلطف إليها حتى فتنها.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾.

أي اجعلني أبا أَكْفُلُهَا، وانزل أنت عنها.

﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾.

غلبني في الخُصومَةِ، أي كان أقوى على الاحتجاج مِنِّي.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾.

المعنى بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ﴾.

من الشركاء، تقول فلان خليطي وشريكي في معنى وَاحِدٍ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾.

أي قليل هم.

وقوله:﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾:الآية[1].

ويقرأ بالتخفيف ـ فتناهُ ـ يعنى به الملكانِ.

ومعنى ظن أيقن، إلَّا أنَّـه ليس بيقينِ عيانٍ، أَمَّـا العِيَانُ فـلا يقـال فيه إلَّا عَلِمَ.

﴿فاسْتَغْفَر رَبَّه وَخَرَّ رَاكِعاً﴾.

مكث أَرْبَعِينَ يَوْماً سَاجِداً لَا يَرْفَعُ رَأسَهُ يستغفر اللَّه من ذَنْبِـهِ، إلَّا لصلاة مكتوبة ومَا لَا بُدَّ له منه، وَلَا ترقأ دَمْعَتُه[2].

---

(١) اختبرناه.

(٢) هذا مما لا يعقل ولا يصدق. ورقأ الدمع جف وانقطع سيلانه.

ويروى في التفسير أن قصةَ داودَ والملكين سَبَبُها أن إبليس ـ غَضِبَ اللَّهُ عَليه ـ تمثل له في صورة طَيْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فسقط بقربه، فأوى إلَيْه ليأخذه فتنحَّى وطلبه حتى إذَا قَارَبَ أنْ يتناوله تنحى فَبَصُرَ دَاودُ في اتّباعِ الطير بِامرأةٍ تغْتَسِلُ، وَبَصُرَتْ به فتجلَّلَتْ[1] بشعرها حتى سترها ويقال إنها امرأة أُورِيَّا بن حَنان، ويُرْوَى أنه كتب إلى صاحب جنده أن يُقْدِمَ أُورِيَّا في حَرْبٍ كانت، فقدَّمَهُ فَقُتِلَ فتزوَّجها دَاودُ[2]، ويُرْوَى أن عليًّا عليه السلام قال: من قال: ان داود عليه السلام قَارَفَ مِن هذه المرأة ريبةً جَلَدْتُه مائة وستين جلدة، لأن من قذف غير النبي جُلِدَ ثمانين جلدة، ومن قذف نبياً جلد مائةً وستّين جَلدة.

وكان في التفسير أن داود أحب أن يُتْلِفَ أُورِيَّا حتى يتزوج داود بامرأته، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ إنما كان من داود على جهة محبّة ان يتفق له ذلك من غير أن يتعمد أو يسعى فى دم الرجل، فجعله اللَّه له ذنباً لما أحبه، ويجوز أن يكون كتب في أن يُقَدَّمَ أمام التابوت هذا الرَّجُلُ لبأْسه ونَجْدَتِه في الحرب وَرَجَا كفايته فاتفق مع ذلك أن أصيب وبه حلت له امرأته فعوتب على محبة امرأة رجل ليس له غيرها، ولداود تسع وتسعون امرأة، فكان ذلك من ذنوب الانبياء، فلما بالغ في التوبة وجهد نفسه في الرغبة إلى اللَّه في العفو حتى كاد أن يتلف نفسه تائباً ومُتَنَصِّلاً إلى اللَّه من ذنبه، واللَّه عز وجل قد وصف ذلك فقال:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وَقَوْل عَلِيٍ عليه السلام ـ صلى اللَّه على داود ورحمه ـ يدل على صحة هذا التأويل، واللَّه أعلم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾.

(١) اتخذته جلالاً لها، استترت به.

(٢) انظر قصة اوريا الحثي في سفر الملوك في العهد القديم. وفيه أن داود استقدمه من الحرب برسالة وغرضه أن يبيت مع زوجه فيخفي عار حملها منه، ولكن أوريا بات على عتبة داود، وقال لا أترفه ورفاقي يحاربون ـ فطلب من القائد أن يضعه في الصّف الأمامي فقتل، وهذه المرأة هي أم سليمان.

بهذا جاز أن يقال للخلفاء خلفاء اللَّه في الأرض.

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ﴾.

أي بحكم اللَّه إذ كنت خليفته.

وقوله: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾.

أي بتركهم العَمَل لهذا اليوْمِ صاروا بمنزلة الناسين، وإن كانوا يُنْذَرُونَ ويُذَكَّرُونَ.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية[1].

أعلمهم اللَّه أنه يعذبهم على الظن. وكذلك: ﴿وظَنُّوا أَنَّهُم اِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾[2]- وإنما قيلَ لهم هذَا لأنَّهم جَحدوا البَعْث. ودليلُ هذا قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[3].

إذا لم يكن رجعة لم يكن فصل بين الفاجر والبَرِّ، وبعد هذا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسِدِين في الأرْضِ﴾.الآية[4] ثم قال: ﴿كتاب أَنْزَلْنَاهُ [إلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِه]﴾.

المعنى هذا كتاب ليدّبّروا آياته. ليُفكِّروا في آياته، وفي أَدْبَارِ أُمُورِهم، أي عواقبها.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾: أي ذَوُو العقول.

﴿نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

---

(١) ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

(٢) سورة القصص الآية ٣٩.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١١٥.

(٤) أم نجعل المتقين كالفجار.

المعنى نعم العبدُ سُلَيْمَانُ انه أواب كَثِير الرُّجوعِ .

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ﴾ .

الصافنات الخيل القائمة، وقال أهلُ اللُّغَة وأهل التفسير، الصَّافِنُ القائم الذي يثني إحدى يديه أو إحدى رجليه حتى يقف بها على سَنْبُكِهُ[1]، وهو طرف الحافِرِ، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمة منها تَتَّصِلُ بالأَرْضِ طرف حافِرهَا فقط قال الشاعر[2]

ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال بعضهم الصافِن القائِمُ ثَنَى إِحْدَى قَوائِمِه ولم يثنها، والخيل أكثر ما تقف ـ إذا وقفت ـ صافنةً، لأنها كأَنَّهَا تُراوح بين قوائمها .

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحَبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي [حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ]﴾ .

«الخير» ههنا الخيلُ، والنبي ﷺ سمَى زيد الخيل ـ زيد الخير[3]، وإنّما سميت الخيل الخير لأن الخير معقود بنواصي الخيل ـ كذا جاء في الحديث. وكانت هذه الخيل وردت على سليمان من غنيمة جيش كان له، فتشاغل

---

(١) طرف حافره.

(٢) البيت في شواهد المغني ٢٤٨، والقرطبي ٦٢/١٢، وفي اللسان (صفن) مما ذكره ابن الأعرابي في وصف فرس ـ و «ما» في «مما يقوم» اسم موصول أي من النوع الذي يقوم على ثلاث، وكسيراً حال ـ وأشير في هامش النسخة الى رواية أخرى ترفع «كسيرا» ـ ويكون المعنى حينئذ أنه من قيامه على الثلاثة كأنه كسير ـ وليس هذا بشيء ـ وقد رضي الشرح الأول ابن الأعرابي ونقله ابن الحاجب عنه، وجعل «ما» مصدرية، أي من قيامه جيد جداً.

(٣) هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي من الشعراء الفرسان المخضرمين، وكان جميلاً طوالاً من أتم الناس خلقة، قال له رسول اللّه ﷺ: ما وصف لي رجل قط فرأيته الا كان دون ما وصف به الا أنت، انك فوق ما قيل، إن فيك لخصلتين يحبهما اللّه ورسوله: الاناة والحلم، وقد أصابته الحمى فمات بعد ذلك بقليل. انظر ترجمته في الاغاني جـ ٤٦/١٦ وما بعدها.

باعتراضها إلى أن غابت الشمس وفاتته صلاة العصر. قال أهل اللغة:

﴿حَتَّى تَوارَتْ بِالحِجَابِ﴾.

يعنى الشمس، ولم يَجْرِ للشمس ذكر. وهذا لا أحسبهم اعْطَوُا الفكرَ حقَّه فيه، لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس، وهو قوله: إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ [والعِشيُّ] في معنى بَعدَ زَوال الشمس. حتى تَوارَتِ الشمسُ بالحجاب، وليس يجوز الاضمارُ إلا أن يجرِيَ ذِكْرٌ أو دَليلُ ذِكْرٍ بمنزلة الذِّكْرِ. وكان سليمان لِهَيْبَتِه لا يَجْسُر عليه أَحَدٌ حَتَّى يُنَبِّه لوقت صلاة، ولست أدري هل كانت صلاةُ العَصْرِ مَفْروضَةً في ذلك الوقت أم لا، إلا أن اعتراضه الخيل قد شغله حتى جاز وَقْتٌ يذكر اللّه - جل وعز - فيه.

ومعنى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ آثرت حب الخير على ذكر اللّه.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً [بِالسُّوقِ وَالأعْنَاقِ]﴾

المسح ههنا على ما جاء في التفسير القطع، وَروي أنه ضَرَبَ سُوقها وأعناقَها، وسُوقٌ جمعُ سَاقٍ، مثل دَارٍ ودُور. ولم يكن سليمان ليضرب أعناقها الا وقد أباح اللّه ذلك، لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذَنْبٍ عظيم. وقال قوم إنه مسح أعناقها وسوقها بالماء وبيده، وهذا ليس يوجب شغلها إياه، أعني أن يمسحها بالماء، وإنما قال ذلك قوم لأن قتلها كان عندهم منكراً. وليس ما يبيحه اللّه بمنكر، وجائز أن يباح ذلك لسليمان في وقته ويحظر في هذا الوقت، ومالك يذهب إلى أنه لا ينبغي أن يؤكل لحم الخيل والبغال والحمير، لقول اللّه عز وجل: ﴿وَالخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾(١) وقال في الابل: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنها ومنها تأكلون﴾(٢)

---

(١) سورة النحل الآية ٨.

(٢) سورة غافر الآية ٧٩ - وهي في الأنعام عامة وليست في الإبل وَحْدَهَا. والآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكم الأَنْعَامَ لِتَركَبُوا مِنْها ومِنْها تَأْكُلُون﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾.

«فتنا» امتحنا.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾.

جاء في التفسير أنه كان لسليمان ابن فخاف عليه الشياطينَ، لأن الشياطين كانت تَقْدِر[1] الراحة مما كانت فيه بموت سليمان، فقالت إن بقي له وَلَدٌ لَمْ نَنْفكّ[2] مما نحن فيه، فغذاه في السحاب اشفاقاً عليه فمات. فألقى على كرسيه جَسَدٌ، فجائز أن يكون هذا مُجازاتَهُ على ذَنْبِه، وجائز أن يكون، فأثكله اللّه وَلَدَهُ.

وأكثر ما جاء في التفسير أن «جسداً» ههنا شيطان، وأن سليمان أُمِرَ ألاَّ يتزوج امرأةً الا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم امرأةً كانت تعبد غير اللّه، فعاقبه اللّه بأن سَلَبَه مُلْكَهُ وكان ملكه في خاتمه فدفعه عند دخوله الحمام إلى شيطانٍ، وجاء في التفسير أنه يقال له صَخْر، فطرحه في البحر فمَكث أربعين يوماً يتيه في الأرض حتى وَجَدَ الخاتم في بطن سَمكةٍ. وكان شيطان تصور في صورته وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع مَا كَان يَنْفُذُ فيه أَمْرُ سُلَيمانَ، خَلاَ نساءِ سُليمانَ، إلى أن رَدَّ اللّه عليه ملكه.

قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾.

أي ذلك الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: حسن مَرْجع.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾.

---

(١) نتوقع الخلاص منه.

(٢) لم نخلص من الفِكَاك.

أي هب لي ملكاً يكون فيه آية تدل على نبوَّتي، لا ينبغي لأحد من بعدي من الآدميين الذين ليسوا بأنْبياء، يكون له آية تدل على أنك غفرت لي وَرَدَدْتَ إليَّ نُبُوَّتي. والدليل على هذا قوله:﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

﴿رُخَاءً﴾ لَيِّنةً، وقيل﴿تجري بأمره﴾ ليست بشديدة كما يجب.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: إجماع المفسرين وأهل اللُّغَةِ أنه حيث أراد، وحَقِيقَتُهُ قَصَدَ، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أَصَبْتَ، أي قَصَدْتَ، فلم تخطئْ الجوابَ(١).

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

﴿الشياطين﴾ نسق على الريح، وقوله ﴿كل بناء وغواص﴾ يدل على أنه من الشياطين. المعنى وسخرنا له كل بناء من الشياطين وكل غوَّاص، وكان من يبني(٢): ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾(٣).

وكان من يغوص يخرجون له الحلية من البحر.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾.

مَرَدَةُ الجن الشياطين، سُخِّروا له حتى قَرَنَهم في الأَصْفَادِ، والأصفاد السلاسل من الحديد، وكل ما شددته شدًّا وثيقاً بالحديد وغيره، فَقَد صَفَدْتَه وكل من أعطيته عطاء جزيلاً فقد اصفدتَه كأنك أعطيته ما ترتبط به، كما تقول لِلمُتَخِذِ مَالاً أَصْلاً يبقى عليه: قد اتخذت عقدةً جَيِّدَةً.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أي أطلق من شئت مِنهم.

---

(١) وهذا غير جيد لأنه يقتضي أن الريح تجري بأمره حيث كان قاصداً حسن الرأي أما إذا لم يكن قاصداً فإنها لا تجري بأمره.

(٢) أي وكان البناءون من الجن يبنون له ما يشاء. (٣) سورة سبأ/ ١٣.

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أو احبس مَن شئت ولا حِسَابَ عليك في حَبْسِه، وجائز أن يكون عطاؤنا ما أعطيناكَ من المال والكثرة والملك، فامنن، أي فأعْطِ منه.

﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

بغير مِنَّةٍ عَلَيْكَ، وإن شئت بغير حساب بغير جَزاء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

«عبدنا» منصوب بوقوع الفعل عليه، و«أيوب» بدل من «عبدنا»، لأن أيوب هو الاسم الخاص، والاسم الخاص لا يكون نعتاً إنما يكون بدلاً مُبَيناً بِنُصْبٍ، وَنَصَبٍ - بفتح النون والصاد، ونُصْبٍ بضم النون بمعنًى وَاحدٍ - وقَدْ قُرئتْ بِنُصْبٍ بضم النون وإسكان الصاد، وقرئت بفتح النون وإسكان الصاد. وَنَصَبٍ بفتح النون والصَّادِ بِمَنْزِلَةِ نُصْبٍ بضم النُّونِ، والنُّصْب والنَّصَب بمنزلة الرُّشْد والرَّشَدِ، والبخل والبخل والعُرْب والعَرَب. والنَّصْبُ - بفتح النون وإسْكانِ الصَّادِ على أصل المصدر، والنُّصْب والنَّصَبُ على معنى نَصَبْتُ نَصْباً وَنُصْباً. وَنَصْباً على أصل المصدر.

ومعنى ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ بضُرٍّ في بَدِنِي، وَعَذَابٍ في مَالِي وَأَهْلِي ويجوز أن يكون بضُرٍّ في بَدَني وعذاب فيه.

وروي أنه مكث أيوب عليه السلام سَبْعَ سِنِينَ مُبتَلًى يسعى الدُّودُ من بَدَنِه، فنادى رَبَّه: ﴿أَنِي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين﴾[1].

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾.

المعنى قلنا له: أركض برجلك: معناه دُس الأرض برجلك فداس الأرْضَ دَوْسَةً خفيفةً، فنبعت له عَيْنٌ فاغتسل منها فَذَهَبَ الداء من ظاهر بدنه، ثم داس دَوْسة ثانية فنبع ماء فشرب منه فغَسِلَت الداء من باطن بَدَنِه.

---

(١) الأنبياء /٨٣.

﴿وَوَهَبْنَا لَه أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

قيل: وَوَهَبْنَا له أهله أعطيناه في الآخِرة ثوابَ فقدهم، ووهبنا له في الدنيا مثلهم، وقيل أُحْيِيَ له أَهْلُه، وَوُهِبَ لَهُ مِثْلُهم.

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾.

«رحمة» منصوبة مفعول لها.

﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

لذوي العقول، ومعنى ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ إذا ابتُلِيَ اللَّبِيبُ ذَكر بَلاءَ أَيُّوبَ فصَبَرَ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾.

المعنى وقلنا خذ بيدك. والضغث الحِزْمَةُ مِنَ الحَشِيش او الريحان او ما أشبه ذلك.

وجاء في التفسير أن امرأة أَيُّوبَ قالت له: لو تقربت إلى الشيطان فذبحت له عَنَاقاً[١]: قال ولا كفًّا من تُرَابٍ، وَحَلَفَ أن يَجْلِدَها إذا عُوفِيَ مائةَ جَلْدةٍ، وشكر اللّه لها خِدْمَتَها إيَّاهُ فجعل تحلة يَمِينِهِ أن يأخذ حزْمَةً فيها مائة قضيبٍ فيضربها ضربة واحدة. فاختلف الناسُ فَقَالَ قومٌ هذا لِأَيُّوبَ ـ عليه السلام ـ خاصَّةً، وقال قوم: هذا لسائر الناس.

﴿أَوَّابٌ﴾: كثير الرجوع إلى اللّه.

﴿وَاذْكر عَبْدَنَا ـ (وعبادنا) ـ إِبْرَاهِيمَ واسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

من قال ﴿عبادَنا﴾ جعل إبراهيمَ وإسحاق ويعقوبَ بدَلاً مِنْ عِبادِنَا، ومن قرأ

---

(١) بعيراً.

عبَدنَا جعل إبراهيم وحدَهُ البَدَلَ، وجعل إسحاق ويعقوب عَطْفاً على قوله عَبْدنا.

وقوله:﴿أُولِي الأَيْدِي﴾.

وقرئت الأَيْد بغير ياء ومعنى أولي الأيدي أولي القوة في العبادة.

﴿والأَبْصَارِ﴾ أي هم ذوو بَصِيرةٍ فيما يقرب إلى اللَّه، وقد يقول للقوم: لهم أَيَدي بهؤلاء أي هم قادرون عليهم قال الشاعر:

فَاعْمَدْ لِمَا تَعْلُو فما لَكَ بِالَّذِي لا تستطيع من الأُمُورِ يدان[1]

أي اعمد لما تَقْهرُ ولا تعمد لما تُقْهَرُ فِيه، أي فما لك قُوَّةٌ. من قرأ أُولِي الأَيْدِ بِغير يَاءٍ، فمعناه من التأييد والتقوية على الشيء.

وقوله:﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

ويقرأ بخالصةِ ذكرى الدار على إضافة خالصة إلى ذكرى ومن قرأ بالتنوين جعل ذكرى الدار بدلاً مِنْ خَالِصَةٍ، ويكون المعنى إنا أَخْلَصناهم بذكرى الدَّارِ. ومعنى الدار ههنا الدار الآخرة، وتأويله يحتمل وجهين أحدهما: إنا أَخْلَصْنَاهم جعلناهم لنا خالصين، بأن جعلناهم يُذَكِّرُون بالدار الآخرة، ويُزَهِّدُونَ في الدنيا، وكذلك شأن الأنبياء صلوات اللَّه عَلَيْهِم. وَيَجُوزُ أَنْ يكون بأنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى اللَّه جل وعَزَّ.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾.

أي الذين اتَّخذهم اللَّه صَفْوةً، صَفَّاهم من الأدناس كُلِّهَا وَأَخْلَصَهُم منها.

---

(١) في اللسان (علا) انه لكعب بن سعيد الغنوي يخاطب ابنه علي بن كعب وقيل هو لعلي نفسه وقبله:

وإذا رأيت المرء يشعب امره شَعبَ العصا وَيَلجُ في العصيان

وقوله :﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ واليَسَعَ وذَا الْكِفْلِ ﴾ .

ويقرأ واللَّيْسَعَ وَذَا الكِفْلِ . وكان تكفَّلَ بعمل رَجُلٍ صالح . يقال إنه كان يصلي ذلك الرجل في كل يوم مائة صلاة فتُوُفِّيَ الرجل الصالح فتكفل ذو[1] الكفل بعمله، فكان يعمل عمله، ويقال ان ذا الكفل تكفل بأَمْرِ أَنْبِيَاءَ فخلَّصهم من القتل فسُمِّيَ ذا الكِفْلِ .

﴿وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ﴾ .

المعنى وكل هؤلاء المذكورين من الأخيار، والأخيار جمع خيِّر وأَخْيارٌ مثل ميت وأمواتٌ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ .

معناه ـ واللَّه أعلم ـ هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أَبداً، وإن لهم مع ذلك لَحُسْنَ مآبٍ أي لحسن مَرْجعٍ . يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة اللَّه . ثم بين كيف حسن ذلك المرجع فقال :

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ﴾ .

﴿جنات﴾ بدل من ﴿لَحُسْنَ مآب﴾ ومعنى مفتحة لهم الأبواب أي منها، وقال بعضهم : مُفَتَّحَةً لهم أَبْوَابُها والمعنى وَاحِدٌ، إلَّا أن على تقدير العَرَبيَّةِ «الأَبْوابُ مِنْهَا» أجودُ من أَنْ تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف . لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف في شيء . لأن الهاء والألف اسم،[2] والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه . هذا محال .

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ .

---

(١) في الأصل «ذا» . (٢) من «منها» .

يعني حُوراً قد قَصَرْن طَرْفَهُنَّ على أزواجهن فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم.

﴿أَتْرَابٌ﴾.

أقران، ﴿وَكَواعِبَ أَتْرَاباً﴾[1] أي أسنانهن وَاحِدةٌ، وهن في غاية الشباب والحُسْنِ.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسَابِ﴾.

أي ليوم تجزى كل نفس بِمَا عَمِلَتْ، ثم أعلم اللّه ـ عز وجل ـ أن نعيم أهل الجنة غير منقطع فقال:

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.

أي ماله من انقطاع.

﴿هذا وَإِنَّ للطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾.

المعنى الأمر هذا. فهذا رفع خبرَ الابتداء المحذوف، وإن شئت كان هذا رفعاً بالابتداء والخبر محذوف، وجهنم بدل مِنْ «شَرِّ مَآب»، أي شر مَرْجِعٍ.

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

بتشديد السِّين وتخفيفها، وحميم رفع من جهتين احداهما على معنى هذا حميم وغسّاق فليذوقوه، ويجوز أن يكون «هذا» على معنى تفسير هذا فليذوقوه ثم قال بعد حميم وغسَّاقٌ.

ويجوز أن يكون «هذا» في موضع نصب على هذا التفسير، ويجوز أن يكون في موضع رفع. فإذا كان في موضع نصب فعلى «فَلْيَذُقُوا هَذا» فليذقوه، كما قال: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾[2]. ومثْلُ ذَلِكَ زَيداً فاضربه.

---

(١) سورة عم الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٤١.

ومن رفع فبالابتداء ويجعل الأمر في موضع خبر الابتداء، مثل ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾(١).

وقيل إن معنى ﴿غسّاق﴾ الشديدُ البرْدِ الذي يُحْرِقُ من بَرْدِه، وقيل إن الغساقَ ما يغسق من جلود أهل النار. ولو قطرت منه قطرةٌ في المشرقِ لأَنْتَنَتْ أهل المغرب، وكذلك لو سقطت في المغرب.

﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ﴾.

وَيُقْرأ «وأُخَرُ». ﴿وآخر﴾ عطف على قوله ﴿حميمٌ وغَسَّاق﴾، أي وعَذَابٌ آخَرُ مِنْ شَكْلِه - يقول مثل ذلك الأول، ومن قرأ وأُخَرُ، فالمعنى وأنواع أُخر من شكله، لأن قوله: ﴿أزواج﴾، معناه أنواع.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾.

الفوج هم تُبَّاعُ الرُّؤَسَاءِ وَأَصْحابهم في الضلالة وقيل لهم: ﴿لَا مَرْحَباً﴾ مَنْصُوبٌ كقولك رَحُبَتْ بِلَادُكَ مرحبا، وصَادَفْتَ مَرْحَباً، فأدْخَلْتَ «لا» على ذَلِكَ المعنى.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾.

هذا قول الأتْباعِ للرؤساء.

﴿قَالُوا رَبَّنَا من قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ الآية(٢).

أي زِدْه على عذابه عذاباً آخر. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ﴾(٣) ومعنى ضِعْفين مَعْنَى فِزده عذاباً ضِعْفاً.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٢) ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾.

(٣) سورة الأحزاب. آية ٦٨.

وقوله تعالى : ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا﴾ .

يقرأ بقطع الألفِ وفتحها على مَعْنَى الاستفهام، ومن وصلها كان على معنى. إنا اتَّخَذْنَاهُمْ سِخريًّا، ويقرأ ﴿سِخْرِياً﴾ وسُخْرِيًّا - بالكَسْرِ والضَمِ، والمعنى واحد، وقَدْ قَال قَوْمٌ: إن ما كان من التسخير فهو مضموم الأول، وما كان من الهزؤ فهو مكسور الأول[1].

وقوله عز وجل:﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

أي إن وَصْفَنَا الذي وصفناه عَنْهُم لَحَقٌّ، ثم بيَّن ما هو فقال: هو تخاصم أهل النار، وهذا كله على معنى إذا كان يومُ القيامة قال أهل النار كذا وكذلك كلُّ شيء في القرآن مما يحكي عن أهل الجنة والنار.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

أي قل إنك تنذر، وإنك تدعو إلى توحيد اللَّه، وَلَوْ قُرِئَتْ: «إلَّا اللَّهَ الواحدَ القَهَّارَ» - بالنصب - لجَازَتْ ولكنَّهُ لَم يقْرأ بها، فَلَا تقرأنّ بها، ومن نصب فعلى الاستثناء، ومن رفع فعلى معنى ما إله إلاَّ اللَّهُ.

وقوله جل وعز:﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

أي قل النبأ الَّذِي انبأتكم به عن اللَّه - عز وجل - نبأٌ عَظِيمٌ، والذي أنبأتكمْ به دليل على نُبُوَّتي. يعني ما أنبأكم به النبي ﷺ من قصة آدم وإبليس، فإن ذلك لا يعلم الا بقراءة الكُتُبِ أو بِوَحْيٍ من اللَّه، وقد علم الذين خاطبهم النبي ﷺ أنه لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينهِ ولا كان رَيْبٌ فيما يخبر به أنه وحيٌ ثمَّ بيَّن ذلك فقال:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأ الأعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

---

(١) الأول من سخره أي كلفه عملاً شاقاً وأخضعه للقيام به، والثاني من سخر منه أي هزئ به.

هم الملأ من الملائكة، وملأ كل قرية وجوههم وأفَاضِلهَم.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾.

أي ما عملت هذه الأقاصيصَ إلا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ[1].

﴿قَالَ يا إبليسُ ما مَنَعكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، أَسْتَكْبَرْتَ﴾.

تقرأ على ثلاثة أوجه، بيـدَيَّ على التَّثْنِية، وبيَـدِيَ اسْتَكْبَرْتَ بفتـح الياء وتخفيفها وتوحيد اليد، وبتسكين اليد والتوحيد، بيديْ استكبرت.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

أي فإنَّكَ لَعينٌ، معناه فإنك مرجوم باللعنة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

يوم تدان كل نفس بما كسبت، ومعنى يوم الدين يوم الجزاء.

﴿إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾.

الَّذِي لَا يَعْلَمُه إلَّا اللَّهُ، وَيَوْم الوَقْتِ يَومُ القيامة.

وقوله:﴿إلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾.

بفتح اللام، أَخْلَصَهُم اللَّه لِعِبَادَتِه، ومن كسر اللام، فـإنَّمَا أراد الَّـذِيـن أَخْلَصُوا دينَهُمْ اللَّه.

﴿قَالَ فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ﴾.

---

(١) ترتيب الآيات: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون. إن يوحى إليّ إلاّ أنما أنا نـذير مبين. إذ قال ربك للملائكة﴾ ـ والمؤلف ربط الآيتين الأخيـرتين كلًا بـالاخرى ـ وجملة «أي مـا عملت هذه الاقاصيص» إنما هي تفسير للآية المحذوفة.

وقـرئت: «قال فـالحقَّ والحقَّ أَقُولُ» بنصبهمـا جميعـاً، فَمن رَفَـع فعلى ضربين، على معنى فَأَنا الحقُّ، والحقَّ أقُولُ. ويجوز رفْعُه على معْنَى فَـالحَقُّ مِنّي. ومن نصب فعلى معنى فالحقَّ أَقُولُ والحق لأملأن جهنم حَقًّا.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نبأه بَعْدَ حِينٍ﴾: أي بعد الموت.

سُورَة الزُّمَر

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، قوله ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنْفُسِهم﴾ إلى تمام ثلاث آيَاتٍ. يقال سورة الغُرَف ويقال سورة الزُّمَر. روي عن وهب بن منبه أنه قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أن يعرف قضاء اللَّه في خلقه فليقرأ سورةَ الغُرَف.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله جل وعز:﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ، إنا أَنْزَلْنَا إلَيْكَ الكتابَ بالحقِّ﴾.

الكتاب ههنا القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين، احداهما الابتداء ويكون الخبر من اللَّه، أي نـزل من عند اللَّه، ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب.

وقوله:﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾.

﴿الدين﴾ منصوب بوقوع الفعل عيه، و﴿مُخْلصاً﴾ منصوب على الحال، أي فاعبد اللَّه موحداً لا تشرك به شيئاً. وزعم بعض النحويين أنه يجوز مخلصاً له الدّينُ، وقال يرفع الدين على قولك مخلِصاً، له الدينُ، ويكون مخلصاً تمام الكلام، ويكون له الدين ابتداء، وهذا لا يجوز من جهتين. إحداهما أنه لم

يقرأ به، والأخرى أنه يفسده «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ» فيكون «له الدين» مكرراً في الكلام، لا يحتاج إليه، وإنما الفائدة في «أَلَا لِلَّه[1] الدِّينُ الخَالِصُ» تحسن بقوله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ.

ومعنى إخلاص الدّين ههنا عبادة اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وهذا جرى تثبيتاً للتوحيد، ونفياً للشرك، الا ترى قوله:﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾[2] ـ إلى قوله ﴿ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي فَأَخْلِصْ أَنْتَ الدِّينَ، ولا تتخذ من دونه أولياء، فهذا كله يُؤَكِّدَ مخلصاً له الدِّينَ.

وموضع ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ . .﴾ «الذين» رفع بالابتداء، وخبرهم محذوف، في الكلام دليل عليه المعنى والذين اتخذوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يقولون ما نَعْبُدُهم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. والدليل على هذا أيضاً قراءة أُبَيٍّ : «مَا نَعْبُدكُمْ إلَّا لتُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ». هذا تصحيح الحكاية، المعنى يَقُولُون لأولِيَائِهِمْ: ما نعبدكم إلَّا لتقربونا إلى اللَّه زلفى، وعلى هذا المعنى، يقولون مانعبدهم، أي يقولون لمن يقول لهم لم عبدتموهم: ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبُونَا الى اللَّه زلفى. أَيْ قُرْبَى.

ثم أعلم عز وجل ـ أنه لا يهدي هؤلاء فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

ثُمَّ أَعْلَمَ جل وعز: أنه تعالى عن هذه الصفة فقال:

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾.

(١) في الأصل ألا له الدين الخالص.

(٢) الآية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي تنزيهاً له عن ذلك.

﴿هُو اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾.

وفي هذا دليل أن الـذين اتخذوا من دونـه أولياء قـد دخل فيهم من قـال عيسى ابن اللَّه ـ جل اللَّه وعز عن ذلك ـ. ومن قال: العُزيْرُ ابن اللَّه. ثم بَيّنَ ـجل وعزـ مَا يَدُل على توحيده بما خلق ويعجز عنه المخلوقونَ فقال:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

«ثُمَّ» لا تكـون إلاَّ لشيءٍ بعد شيءٍ. والنفس الـواحدة يعني بهـا آدم ﷺ وزوجها حَوَّاءُ. وإنما قولـه «ثم» لمعنى خلقكم من نَفْسٍ واحدةٍ، أي خلقهـا وَاحِدة ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم جَعَل مِنها زَوْجَها قَبْلَكُمْ.

وقوله: ﴿وأَنْـزَلَ لَكُمْ مِن الأنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

يعنى من الابـل ذَكَراً وأُنْثَى، ومن البقـر ذكراً وأنثى ومن الضـأن كذلـك ومِن المَعْـزِ ذكراً وأُنثى. يقـال للذكر والأنثى زوجـان كل وَاحِـدٍ منهما يقـال له زوج.

﴿يَخْلُقُكُمْ في بطونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقـاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ [فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ]﴾.

نُـطَفاً ثم عَلَقـاً ثم مُضَغاً ثم عِـظَاما ثم تُكْسَى العـظَامُ لحْماً، ثم تُصَـوَّرُ وتنفخُ فيها الرُّوحُ، فذلك معنى قوله: خَلْقاً من بعْدِ خَلْقٍ في ظلمات ثلاث في البطن، والرَّحِم، والمشيمة. وقد قيل في الاصلاب والرَّحِم والبَطْن.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ [رَبُّكُمْ له المُلْكُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ]﴾.

المعنى الَّذِي دَبَّر الخَلْقَ هَذا التَّدْبِيرَ لَيْس كَمثِله شيء.

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

المعنى فمن أين تصرفون عن طري الحق، مثل: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، أي فكيف تعدلون عن الحقِّ بعد هذا البيانِ الذي يدل على صحة التوحيد.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

معناه يرضى الشكر، لأن قوله «ان تشكروا» يَدُلُّ عَلَى الشكر.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

لا يؤخذ أَحَدٌ بِذنب أَحَدٍ.

وقوله جل وعز: ﴿مُنِيباً إِلَيْهِ﴾: أي تائباً إليه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾.

أي أذهب الضُّرَّ عَنْهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

يقول: نسي الدُّعَاء الذي كان يتضرع به الى اللّه ـ جل وعز ـ، وجائز أن يكون معناه نسي اللّه الذي كان يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ من قبل، ومثله: ﴿وَلَا أَنا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدَ﴾[1]. فكانت «ما» تدل على اللّه، و «من» عبارة عن كل مُمَيِّزٍ. و «ما» يكون لكل نوع، تقول: ما عندك، فيكونُ الجوابُ رجل أو فرس أو ما شئت من الأجناس، فَيَدْخُل المميز في «ما» من جهةِ دُخولِها على الأجناس.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِك قَلِيلاً﴾.

لفظ هذا لفظ أمر، ومعناه التهديد والوعيد، ومثله ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ ومثله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2]، ومثله قوله لمن

---

(١) سورة «الكافرون».

(٢) سورة الكهف ٢٩.

يتهـدده: عُدْ لِمـا أكره وَحَسْبُـكَ، فأنت لست تـأمره في المعنى وإنمـا تـوعـده وتتهدده.

وقوله عز وجل:﴿أَمْ مَنْ هُوَ قانتٌ آناءَ اللَّيْلِ﴾.

ساعات الليـل، واكثر القـراءة بتشديـد الميم عَلى معنى بل أم من هـو قانت ـ والقانت المقيم على الطاعة، ودعاء القُنُوتِ الدعاء في القيام، فالقانت القـائم بمـا يجب عليـه من أمـر اللّه، ويُقـرأ أَمَنْ هـو قـانِتٌ بتخفيف الميم، وتأويله: أمن هو قانت كهذا الـذي ذكرنـا ممن جعل للّه أنـداداً، وكذلـك أَمَّنْ معناه بَلْ أَمَنْ هو قانت كغيره، أي أمن هو مُطيعٌ كَمن هُوَ عَاصٍ.

﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه﴾.

معناه يحذر عذاب الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: الآية[1].

أي لا يستوي العالم والجـاهل، وكـذلك لا يَسْتَـوي المُطيـعُ والعَاصِـي و﴿أُولُوا الأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول، وواحد الألباب لب وهي العقول.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِه الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَأَرْضَ اللّه وَاسِعَةٌ﴾.

ذكر سعةِ الأرض ههنـا لِمَن كان يعبـد الأصنام. وَأُمـرنا بـالمهاجـرة عن البَلَدِ الـذي يُكَـرَهُ فيـه على عبـادتهـا، كمـا قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَـةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[2] وقد جرى ذكر الأوثـان في قولـه: ﴿وَجعلَ لِلَّهِ أَنْـدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيله﴾.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

---

(١) تمامها: ﴿وَالذِّينَ لاَ يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أولُو الألْبَابِ﴾.

(٢) سورة النساء /٩٧.

أي من صبر على البلاء في طاعة اللّه أعْطِيَ أَجْرَهُ بغَير حساب، جاء في التفسير بغير مكيال وَغير مِيزَانٍ. يُغْرَفُ لَهُ غَرْفاً، وهذا وإن كـان الثوابُ لا يقـع على بعضه كيلٌ ولا وَزْنٌ مِمَّا يَتنَعَّمُ به الانسان من اللَّذَةَ والسُّرُور والرَّاحة، فإنَّهُ يمثل ما يعلم بحاسَّةِ القلب بما يدرك بالنَّظَرِ، فيعرف مقدار القلَّة من الكثرة.

وقوله:﴿قُلْ إنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾.

يقول: إنِّي أمرت بتوحيد اللَّه، وأُمِرَ الخلقُ كلُّهُمْ بذلك، وَأَلَّا يُتَّخذَ من دُونِهِ وَلِيًّا ولا يجعلَ له أَنْدَاداً.

وقوله:﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِه﴾.

هذا على ما قلنا من الوعيد مثل قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾، وهذا يدل ـ واللَّه أعلم ـ على أنـه قَبْلَ أن يؤمَـرَ المسلمون بـالحرب، وهـو مثل ﴿فمن شاء فليؤمن ومَنْ شَـاءَ فَلْيَكْفُر﴾، وقـد بين حظ المؤمنين من جـزيـل الثـواب، وحظ الكافرين من عظيم العقاب.

وقـولـه تعـالى:﴿قُـلْ إنَّ الْخَـاسِـرِينَ الَّـذِينَ خَسِـرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

هذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أَنْفُسَهُم بالتخليد في النَّارِ، وَخَسِـرُوا أَهْلِيهم لأنهم لم يـدْخُلوا مَدْخَـل المؤمنين الذين لهم أهـل في الجنة، ثم بين حَالهم فقال:﴿أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ المُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ . . ﴾: الآية(١).

وهذا مثل قوله﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُـمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِـمْ﴾(٢)

---

(١) ﴿مِنَ النَّار وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٥.

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾.

أي ذلك الذي وُصِفَ مِن العَذَابِ وما أَعَدَّهُ لأهل الضَّلَالِ الَّذِي يخوف اللَّه به عباده.

﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

القراءة بحذف الياء، وهو الاختيار عند أهل العربية، ويجوز: يَا عِبَادِي وَيَا عِبَادِيَ، والحذف أجود وعليه القراءة.

وقوله: ﴿والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدوهَا﴾.

أي الذين اجْتَنَبُوا الشياطين أن يتبعوهم.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ البُشْرَى، فَبَشِّرْ عِبادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: الآية.

وهذا فيه واللَّه أعلم وَجْهَانِ. أَحَدهما أن يكون يستمعون القرآن وغيره فيتَبَعُونَ القرآن، وجائز أن يكونوا يستمعون جميع ما أمر اللَّه به فيتَّبعون أحسن ذلك نحو القصاص والعفو، فإن من عفا وترك ما يجب له أعظم ثواباً ممن اقتص، ومثله: ﴿وَلَمَنْ صَبَر وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1]. ﴿وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبيلٍ﴾[2].

وقوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْه كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ في النَّارِ﴾.

هذا من لطيف العربية، ومعناه معنى الشرط والجزاء، ! وأَلِفُ الاستفهام ههنا مَعْنَاهَا معنى التوقيف، والألف الثانية في ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ من في النارِ﴾ جاءت مُؤَكِّدةً مُعَادَةً لمَّا طال الكلام[3]، لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاسْمِ وألفٍ أُخْرَى في الخبر. والمعنى أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه، وَمِثْلُه ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ

(١) سورة الشورى /٤٣. (٢) الشورى /٤١.

(٣) جاءت همزة الاستفهام من «أفمن حق» وأُعيدت في «أَفَأَنْتَ» ـ للتوكيد.

مُخْرَجُونَ﴾[1] أَعَادَ «أنكم» ثانية، والمعنى أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذا مِتُّم وَكُنْتُم تراباً وعِظَاماً مُخْرَجونَ، ويكون - والله أعلم - على وجه آخر، على أنه حُـذِفَ وفي الكلام دليل على المحذوف، على معنى أفمن حق عليه كلمة العـذاب يَتَخَلَّصُ منه، أو يَنْجُو مِنه، أفأنت تنقذه، أي لا يقدر أحد أن ينقـذَ مَنْ أَضَلَّه اللَّهُ، وسبق في علمه أنَّه من أَهْلِ النَّارِ.

وقوله - جل وعز - : ﴿أَلَمْ تر أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَـهُ يَنَابِيـعَ فِي الأَرْضِ﴾.

جـاء في التفسير أَنَ كُـلَّ مَـا فِي الأَرْضِ فـابتَـداؤه مِنَ السَّمَـاءِ، ومعنى «ينابيعُ» الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع يَنْبُوع، وتقدره يَفْعُول من نَبَعَ يَنْبُعُ.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾.

منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أَرْفَعُ مِنْهَا.

﴿وَعْــدَ اللَّه﴾.

القـراءة النصب ويجوز وَعْـدُ اللَّهِ فَمَنْ نَصَبَ وَهِي القِراءةُ، فبِمَعْنى لَهُم غُرَفٌ. لأن المراد وعدهم اللَّه غرفاً وَعْداً، فوعدُ اللَّه مَنْصُـوبٌ عَلَى المَصْدَرِ، ومن رفع فالمعنى: ذلـك وَعْــدُ اللَّهِ.

وقوله - جل وعز-: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِه زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾.

ألوانه خُضْرة وصُفْرَةٌ وَحُمْرةٌ وبياض وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَجِفُّ، قال الأَصْمَعيُّ يقال للنبْتِ إِذَا تَمَّ جفافـه: قد هَـاجَ يَهِيجُ هيجاً.

---

(۱) سورة المؤمنون الآية ٣٥.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُه حُطَاماً﴾.

الحطام ما تَفَتَّتَ وَتَكَسَّر من النَّبْتِ وغَيْره، ومثل الحطام الرفاتُ والدَّرين.

﴿إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

أي تَفَكُّرٌ لذوي العُقُولِ، فيذكرون ما لهم في هذا من الدلالة على توحِيد اللَّه جل وعز.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ على نُورٍ [مِنْ رَبِّهِ]﴾.

فهذه الفاء فاء المجازاة، والمعنى أفمن شرح اللَّه صَدْرَهُ فاهْتَدَى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ لِقَسْوَتِه، والجواب متروكٌ لأن الكلام دَالٌّ عليه، ويُؤكد ذَلك قوله - جل وعز -: ﴿فويل للقاسية قلوبُهُم من ذكر اللَّه﴾، يقال: قسا قلبه عن ذكر اللَّه ومن ذكر اللَّه، ؛ فَمَن قال من ذكر اللَّه، فالمعنى كُلَّما تُلِيَ عليه ذكر اللَّه قَسَا قلبه، كما قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَاً إلى رِجْسِهِمْ﴾[1]. ومن قال: عن ذكر اللَّه فالمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر اللَّه.

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

يعني القاسية قلوبهم. الآية.

وقوله:﴿اللَّه نَزَّل أَحْسَنَ الحَدِيثِ كتاباً مُتَشَابِهاً﴾، يعني القرآن، ومعنى متشابهاً، يشابه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة، لا تناقض فيه، و«كتاباً» منصوب على البدل من «أحسن الحديث».

وقوله : ﴿مَثَانِيَ﴾ من نعت قوله ﴿كِتَاباً﴾ منصوب على النعت، ولم ينصرف ﴿مثاني﴾ لما فسرناه من أنَّه جمع ليسَ عَلَى مِثالِ الوَاحِدِ.

---

(١) سورة التوبة.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جلودَ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

يقول: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين للّه.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

يقول: الذي وهبه اللّه لهم من خشيته وخوف عَذَابِهِ ورجاء رحمته هدي اللّه.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

هذا مما جوابه محذوف، المعنى كمن يَدخل الجنة، وجاء في التفسير أن الكافِرَ يُلْقَى في النار مَغْلُولاً، لا يتهيأ له أن يتَّقيَ النار إلاَّ بِوَجْهِهِ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ - إلى قوله ﴿عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[١].

﴿عـربيـاً﴾ منصـوب على الحـال، المعنى ضَـرَبْنـا للنّـاس في هـذا القرآن ما[٢]، حال عَرَبِيَّتِهِ وبيانه، وذكر ﴿قرآناً﴾ توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رَجُلاً صالِحاً، وجاءني عمرو إنْسَاناً عَاقِلاً. فَتَذْكُرُ رَجُلاً.. و «إنساناً» توكيداً.

وقـولـه جَـلَّ وَعَـزَّ: ﴿ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَـلاً رَجُـلاً﴾ - إلى قـولـه ﴿وَرَجُـلاً سَالِمـاً لِرَجُلٍ﴾[٣].

ويقرأ ﴿سَلَماً﴾ وَسِلْماً، فسالماً على معنى اسم الفاعـل. سَلِمَ فَهُوَ سَـالِمٌ، وَسَلْمٌ وَسَلْمٌ مصدران وصف بهما على معنى وَرَجُـلاً ذا سَلَمٍ. ومثله مما جـاء

(١) تمام الآية: ﴿فِي هَذا القُرْآنِ مِنْ كلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، قرآناً عَرَبيًّا غَيرَ ذِي عِوَجٍ﴾.
(٢) هكذا جاءت، ويظهر أنه سقط شيء من الناسخ أي ضربنا ما فيه من الأمثال.
(٣) ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشَاكِسُونَ، وَرَجُلاً...﴾.

من المصادر فِعْلاً وَفَعَلاً قولهم: رَبِحْتُ رِبْحاً وَرَبْحاً، قال الشاعِرُ:[١]

إذا الحسنـاء لم تـرحَضْ يَـدَيْهَـا ... ولـم يُقْصَـرْ لـهـا بَصَـرٌ بِسِـتْـرِ
قَـرَوا أَضْيَـافَهُـمْ رَبَحـا بِبُـحٍّ ... يـجـيء بِفَضْلِهِنَّ الـمَشُّ سُـمْـرِ

أَيْ قَرَوْا أضيافهم بذبح القِداح الَّتِي يَضْرِبُونَ بها فِي المَيْسِرِ.

وَتَفسيرُ هذا المثل أنه ضُرِبَ لمن وحَّدَ اللَّه، ولِمَن جَعَلَ له شريكاً، فالذي وحد اللَّه مثله مثل السَّالِم لرجل لا يشركه فيه غيرُه، ومثل الذي عَبَدَ غير اللَّه مثل صاحب الشُّرَكاءِ المَتَشاكِسين. و «الشركاء المتشاكسون»، المختلفون العَسِيرُونَ الذين لا يتَّفِقُونَ.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾.

أي هل يَسْتَوِي مَثَلُ الموَحِّدِ وَمَثَلُ المشرك.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

يَخْتَصِم المؤمِنُ والكافِرُ، ويخاصِمُ المظلومَ الظَّالِمَ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾.

المعنى أي أحد أظلمُ مِمَّن كذب على اللَّه وكذب نبيَّه ﷺ.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾: الآية.

---

(١) من شعر خفاف بن نُدبة السُّلمي ـ وجاء معها بيت ثالث في اللسان (نحح) هو:

هـم الأيسـار إن قـحـطت جمـادي ... بـكـل صَـبـيـر غـاديـة وقَـطْرِ

وجاء البيت الثاني فقط في (ربح) ـ والرُّبَح الفصيل والشحم ـ ويجمع رَبَحٌ على رباح مثل جمل وجمال، والبح قداح الميسر ـ أي يتقامرون على الفصال حيث اعوزتهم الكبار، والصبير من السحاب ما يكون متراكباً، والمش هو المسح ـ ويروى الحيّ ـ وسمر نعت للبح ـ أي بقداح سمرٍ ـ يريد أنه إذا أجدب الناس ولم يطعموا ما يغسلون منه أيديهم قرى قومه الأضياف فصالاً بالتقامر بالأزلام السمر فيطعمون ويمشون أيديهم وندبة أم خفاف.

روي عن علي رحمه اللّٰه أنه قال: الذي جاء بالصِّدْقِ محمد ﷺ والذي صدَّق به أبـو بَكْرٍ. رحمـه اللّٰه. وروي ان الذي جـاء بالصـدق جبريـل والذي صـدق به محمـد صلى اللّٰه عليهما، وروي أنَّ الَّـذِي جـاء بـالـصـدق محمد وصـدَّق بـه المؤمنون. وجميع هذه الوجوه صحيح.

والذي جاء في حرف[1] ابن مسعودٍ: والَّذِينَ جَاءُوا بالصِّدْق وصدَّقُوا بِـهِ و «الذين» ههنا و «الذي» في معنى واحد، توحيده ـ لأنه غير مُـوَقَّت ـ جائـز[2] وهو بمنزلة قولك من جاء بالصِّدق وصدَّقَ بـه.

﴿أولَئِـكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾.

و «الـذي» ههنا للجنس، المعنى والقبيـل الذي جـاء بالصـدق، وقـولـه ﴿أولئك هم المتقون﴾ يدل على معنى الجماعة، ومثله من الشِّعر[3]:

إن الـذي حـانـت بفـلج دمـاؤهم ... هم القـوم كـل القـوم يـا أمَّ خَـالِـدِ

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

ويقرأ «عباده»، ولو قرئت «كـافِي عَبْدِه» و «كـافي عِبادِه» لجـازَتْ، ولكن القراءة سنة لا تخـالف، ومعنى ﴿بكاف عبـده﴾ يدل عـلى النصـر، وعلى أنه كقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾[4]، وهو مثل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[5].

---

(١) في قراءته.

(٢) غير مُؤقت أي غير معين لشخص بعينه، بل هو جنس عام فيستوي فيه الجمع والمفرد ـ كقولك الرجل قَوَّامٌ عَلَى زوجه والرِّجَالُ قوَّامُونَ على أزواجهم.

(٣) للاسود بن رميلة النهشلي ـ يقال زميله ـ بالراء والزاي ـ وهي أمه. وأبوه ثـور بن أبي حارثـة ـ من الشعراء الاسلاميين. عده الجمحي في الطبقة الرابعة ـ والبيت من شواهد النحو الشـائعة ـ انـظر شواهد المغني ١٧٥ ـ حيث ذكر السيوطي على طريقته أبياتاً في رثاء أقارب له منها هذا البيت، والخزانة ٢/٥٠٧ والعيني ١/٤٨٢ وشواهد الكشاف للمرزوقي ٢٥. وقيل «الذي» هي الذين، حذفت منها النون.

(٤) سورة التوبة آية ٣٣.

(٥) سورة الحجر ٩٥.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِه﴾.

أي يخوفون بآلهتهم وأوْثَانِهِم. ويروى أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى ليكسرها، فلما جاء خالد قال له سَادِنُها[1]: أُحَذِّرُكَهَا يا خَالِدُ إنَّ لها شدةً لا يقوم لها شيء فعمد خالِدٌ إلى العزى فهشم أنفها، فهذا معنى ويخوفونك بالذين من دونه، لأن تخويفهم خالِداً هو تخويفهم النبي ﷺ لأنه وجهه.

ثم أعلم - مَعَ عِبَادَتِهم العُزَّى وَالْأَوْثَان - أنهم مُقِرّونَ بأن اللَّهِ خَالِقُهُمْ فقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَواتِ والْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - إلى قوله ﴿هل هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِه﴾[2].

ويقرأ كاشفاتُ ضُرِّه - بترك التنوين والخفض في ضره ورحمته - فمن قرأ بالتنوين فلأنه غير واقع في معنى هَلْ يكشِفْنَ ضُرَّه أو يُمْسِكنَ رحمَتَه ومن أضاف وخفض فعلى الاستخفاف وحذف التنوين. وكلا الوجهين حسن قرئ بهما.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

و﴿على مكاناتكم﴾. هذا اللفظ أمر على معنى الوعيد والتهدُّدِ[3] بعد أن أعلموا ما يجب أن يعملوا به، ثم قيل لهم: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، وهذا كلام يستعمله الناس في التهدد والوعيد. تقول: متى أسأت إلى فلانٍ انتقمت مِنْكَ، ومتى أحْسَنتَ إليه أحسنتُ إليك فاعمل ما شئت واختر

---

(١) حارسها وخادمها.

(٢) تكملة الآية: ﴿إنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ، هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِه﴾.

(٣) من تهدَّدَهُ بمعنى تَوعَّدَهُ.

لنفسك، فخوطب العباد على قدر مُخَاطَبَاتِهِم وَعِلْمِهِمْ، وقوله على «مَكَانَاتِكُمْ» و ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ معناه على ناحيتكم التي اخترتموها، وجهتكم التي تمَكَّنْتُمْ ـ عند أنْفُسِكم ـ في العلم بها.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾[1].

ولم يقل على جهتي، لأنَّ فِي الكلام دَلِيلاً على ذلك.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أي ما انت عليهم بحفيظ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير فقال:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾.

أي ويتوفى الأنفس الَّتي لم تَمُتْ في مَنَامِها، فالميتةُ المتَوَفَّاةُ[2] وَفَاةَ المَوْتِ الَّتي قد فارقتها النفس[3] التي يكون بها الحياة والحركة، والنفسُ التي تميز بها. والتي تتوفى في النوم نفس التمييز لا نفس الحياة[4]، لأن نفس الحياة إذا زَالَتْ زال معها النَّفَسُ[5]، والنائم يتنفَّسُ. فهذا الفرق بين تَوفِّي نفس النائم في النوم وَنَفْس الحيّ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ... ﴾ الآية.

معنى ﴿اشمأزت﴾ نفرت، وكانوا ـ أعني المشركين ـ إذا ذكر اللَّه فقيل: «لا إله إلاَّ اللَّه» نَفَرُوا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: اللات والعزى، وهذه الأوثان آلهة.

---

(١) أي لم يقل: إني عامل على مكانتي.

(٢) في الأصل والمتوفاة وهو خطأ لعدم وجود خبر للمبتدأ.

(٣) في الأصل الذي فارقته.

(٤) عندما يكون الشخص نائماً إنما يفقد النفس المميزة لا نفس الحياة.

(٥) التنفُّس.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا . . ﴾ الآية .

﴿ثم إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ : أَعْطَيْنَاهُ ذلك تفضُّلاً، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خول .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلَى عِلْمٍ﴾ .

أي أعطيته على شَرفٍ وفَضْل يجب لـه به هـذا الَّـذِي أعـطيت، فقـد علمت أني سأُعْطَى هُدًى، فأعلم اللَّه أنه قد يعطى اختباراً وابتلاءً فقال:

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ .

أي تلكَ العَطِيَّةَ فِتْنَةً من اللَّه وبلوى يبتلى بها العَبْدُ ليشكر أو يكفر .

﴿قَدْ قَالَها الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . [فَمَا أَغنى عَنْهُمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ]﴾ .

يقول : فأحْبَطت أعمالهم .

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا، والَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاَءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ .

أي إلى اللَّه مرجعهم فيجَازِيهم بِأعْمالهم .

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ .

ومعنى ﴿لا تقنطوا﴾ لا تيأسوا، وجاء في التفسير أن قوماً من أهل مكة قالوا إنَّ محمداً يقول: إنَّ مَنْ عَبَدَ الأوثان واتخذ مع اللَّه إلٰها وقتل النفس، لا يغفر لـه، فأعلم اللَّه أن من تـاب وآمن غفر اللَّه لـه كل ذنب، فقال: ﴿لاَ تَقْنَطُوا من رحمة اللَّه إن اللَّهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً﴾، وقال:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ .

أي تـوبوا، وقيـل إنَّها نـزلت في قوم فتنـوا، في دينهم، وعُـذِّبُـوا بمكـةَ

فَرَجَعُوا عن الاسـلام، فقيل إنّ هؤلاء لا يُغْفَـرُ لَهم بعد رُجـوعهم عن الاسلام فأعلم اللّه أنهم إن تابوا وأسلموا غفر لهم.

﴿واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآن ودليله:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾.

وقوله:﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكُمُ العَذَابُ بغتةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

بِغتة: فجأة.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾.

أي يا نَدَما، وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبهـا، إذَا قال القائل: يا حسرتاه ويَا وَيْلاَهُ، فتأويله الحسرة والويل قَدْ حَـلاَّ بِهِ وانهمـا لازمان له غير مفارقين، ويجوز يا حسرتي، وزعم الفراء أنه يجوز يا حسرتاهُ على كذا وكـذا بفتح الهـاء، ويا حَسْـرَتَـاهُ ـ بـالكسـر والضم. والنحـويـون أجمعـون لا يجيزون أن تثبت هذه الها في الوصل وزعم أنه أنشده من بني فَقْعس رجلٌ من بني أسد:(١).

يـا رَبُّ يـا رَبَّـاهُ إيَّـاكَ أَسَـلْ عفـراء يـا ربـاه من قبـل الأجـل

وأنشده أيضاً(٢):

(١) لبعض بني أسد، انظر الخزانة ٢٦٢/٣ وبعده.

فإن عفراء من الدنيا الأمل

وأورده الفراء في معانيه في الآية نفسها. وأسل بمعنى أسأل.

(٢) انظر الشاهد ١٤٧ من الخزانة ص ٣٣٩ جـ٢ (سلفية)ـ وهـو شاهـد على أن هاء السكت بعـد الألف ـ تضم وتفتح ـ وبعده:

إذا أتى قربته للساقية

وضبط ناجية بالجيم والميم ـ وبنو ناجية قوم من العرب، وناجية ماء لبني أسد ومـوضع بـالبصرة ـ والسانية الدلو العظيمة، والناقة التي يسقى عليها من البئر ـ يقال ايضاً يسنى عليها. وجاء البيت:

يا مَرْحَبَاهِ بِحَمارِ ناجية

والذي أعرف ان الكوفيين ينشدون:

يا مرحَبَاهُ بجمار ناجية

قال أبو إسحاق: ولا أدري لم اسْتُشْهِدَ بهذا، ولم يُقرأْ بِهِ قطُّ، ولا ينفع في تفسير هذه الآية شيئاً، وهو خطأ.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾.

خوفَ أن تَقُولَ نفس وَكَراهة أن تَقُولَ نفسٌ. المعنى اتبعوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ خوفاً أن تصيروا إلى حَال يقال فيها هذا القول، وهي حال النَّدَامَةِ ومعنى ﴿على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللَّه﴾: في أمر اللَّه، أي فرطت في الطريق الذي هو طريق اللَّه الذي دعاني إليه وهو توحيده والاقرار بنبوة رسول اللَّه ﷺ.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

أي وما كنت إلَّا من المستهزئين.

أو تقولَ:﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ إلى قوله ﴿فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾(1).

أي وكراهة أن تقول هذا القول الذي يؤدي إلى مثل هذه الحال التي الانسان فيها في الدنيا، لأنّ اللَّه قد بين طُرُقَ الهدى، والحي في نيَّتِهِ بمنزلة من قد بعث، لأن اللَّه خلقه من نطفة وبلغه إلى أن مَيَّزَ، فالحجة عليه.

وقوله ﴿بَلَى﴾جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي، ومعنى ﴿لو أن اللَّهَ هَدَاني﴾، و ﴿لَو أَنَّ لِي كَرَّةٍ﴾. كأنه قيل: ما هُدِيتُ، فقيل:﴿بلى قَدْ

= في معاني الفراء ٢/٤٢٢ ـ «بحمار ناهية» ويظهر أنه تصحيف أو تحريف.

(١) ﴿لَو أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتَ مِنَ المُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ ترى الْعَذَابَ لَوْ أنّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾.

جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا واسْتَكْبَرْتَ﴾. وقال [اللَّه تعالى]: ﴿ولو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١) [أي] حيث قالوا: ﴿يا ليتَنَا نرد﴾ ـ الآية(٢).

وقد رويت عن النبي ﷺ بكسر الكاف: «بَلَى قَدْ جَاءَتْكِ آيَاتِي» جواب للفظ النفس ـ كما قال: ﴿أَنَّ تقول نفس﴾.

وإذا قال: ﴿بلى قد جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ [بالفتح] فلأن النفس تقع على الذكر والأنثى، فخوطب المذكرون. ومثل ﴿قد جاءتكِ آياتي﴾ ـ على خطابه المؤنث: ﴿يَا أيتُّها النفس المُطْمَئِنَّةُ إرْجِعي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾(٣).

وقوله ـ عز وجل ـ:

﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

القراءة على رفع ﴿وجوهُهم مسودَّةٌ﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز «وجُوهَهُم مسوَدَّةً» على البدل من الذين كفروا، المعنى ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على اللَّه مُسْوَدَّةً، والرفع(٤) أكثر وعليه القُرَّاءُ ومثل النصب قول عَدِيِّ بن زيدٍ:

دَعِيني إن أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعا وما أَلْفَيْتِني حلمي مضاعاً(٥)

﴿بِمفَازَتِهِمْ﴾.

و «بمفازاتهم» يقرأان جميعاً.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٨.

(٢) ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾. الأنعام الآية ٢٧.

(٣) سورة الفجر الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) أي وجوههم بدل من الذين كفروا.

(٥) البيت من شواهد النحو ـ انظر باب البدل في ابن عقيل وشواهد شذور الذهب ١٣١، وفي كتاب سيبويه ١/٧٧ منسوباً إلى رجل من نجيلة أو خثعم، وهو في الخزانة ٢/٣٦٨.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوات [وَالْأَرْضِ] ﴾.

أي مفاتيح السموات، المعنى ما كان من شيء من السموات والأرض فاللّه خالقه وفاتح بابه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾.

أي الذين يقولون إنّ شيئاً ليس مما خَلَقَ اللّهُ أو رزقه من السموات والأرض فليس اللّه خالِقَه، أولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ.

ثم أعلم اللّه ـ جَل وعز ـ أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده لا شريك له فقال قل لهم بعد هذا البيان: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّه تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ ﴾.

﴿أَفَغير﴾ منصوب «بِأَعْبُد» لا بقوله ﴿تَـأْمُرُونِّي﴾ المعنى أفغير اللّه أعْبدُ أيُّها الجَاهِلُونَ فيما تأمرونني.

﴿بَل اللّهَ فَاعْبُدْ﴾.

نصب لفظ ﴿اللّه﴾[1] ـ جل وعز ـ بقولك ﴿فاعبد﴾، وهو إجماع في قول البصريين والكوفيين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، كأنه قال: قد تَبيَّنْتَ فَاعْبُدِ اللَّهَ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾.

ويقرأ قَدَرِهُ ـ بفتح الدال. جاء في التفسير: ما عَظَّمُوه حقَّ عَظَمَتِهُ. والقدْرُ والقَدَر ههنا بمعنى وَاحِدٍ.

﴿والأرضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوبٌ عَلَى الحالِ، المعنى والأرض إذا كانت مجتمعةً قَبْضَتُه يومَ القيامة ﴿والسمواتُ مطوياتٌ بيمِينه﴾.

(١) في الأصل: نصب اللفظ باللّه عز وجل.

أَكْثَرُ القِرَاءَةِ رَفْعُ ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ على الابتداء والخبر، وقد قرئت: «والسمواتُ مَطْوِيَّاتٍ» ـ بكسر التاء على معنى: والأرض جميعاً والسموات قبضته يَوْمَ القِيَامَةِ وَ «مَطْوِيَّاتٍ» منصوب على الحال[1].

وقد أجاز بعض النحويين «قَبْضَتَهُ» بنصب التاء، وهذا لم يقرأ به ولا يجيزُه النحويُّونَ البصريون، لا يقولون: زَيْدٌ قَبْضَتَكَ، ولا «المال قَبْضَتَك» على معنى في قَبْضَتِكِ، ولو جاز هذا لجاز زيد دَارَكَ يريدون زَيْدٌ في دَارِكَ.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: وقد فسرناهُ.

﴿فَصَعِقَ﴾: أي مات.

﴿مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾.

وجاء في التفسير أنه القَرْنُ الذي ينفخ فيه اسرافيل، وقال بعض اهل اللغة: هو جمع صورة[2].

﴿إِلَّا مَنْ[3] شَاءَ اللَّهُ ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الاستثناء وقع على جبريل وميكائيل ومَلَكِ الموت، وجاء أن الاستثناء على حملة العرش.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾.

معناها لما أراد اللّه الحساب والمجازاة أَشْرقت الأرض، وفي حديث النبي ﷺ أنه قيل له: أترى رَبَّنَا يا رسول اللّه، فقال: أَتُضَارُّن في رُؤية الشَّمْسِ والقمر في غير سَحَابٍ، قالوا: لا، قال فإنكم لا تُضَارُونَ في رُؤيته.

---

(١) السموات معطوف على الأرض ـ وخبرها محذوف. أي هي أيضاً في قبضته.

(٢) سبق أنه رأى أبي عبيدة وأنه غير جيد.

(٣) في الأصل إلا ما شاء.

وجـاء في الحديث: لا تضـامون في رؤيتـه، والذي جـاء في الحديث مخفف تُضَارُّونَ، وتضامُونَ، وله وجه حسن في العربيَّةِ.

وهـذَا مَـوضِـعٌ يحتـاج إلى أن يُسْتَقْصَى تفسيـره لأنـه أصـل في السنـة والجماعة ومعناه لا يَنالُكُمْ ضَيرٌ وَلاَ ضَيمٌ في رُؤْيَتِهِ، أي ترونه حتى تستووا في الرؤية فلا يَضِيمُ بعضُكم بَعْضاً، ولا يِضِيرُ بعضكم بعضاً.

وقـال أهل اللغـة قولين آخـرين: قالـوا: لا تُضَارُّون بتشـديـد الـراء ولا تضامُّون بتشديد الميم. مع ضم التاء في تضامون وتضارّون.

وقال بعض أهل اللغـة بفتح التـاء وتشديـد الراء تَضـارّون في رُؤيته ولا تَضـامُّونَ على معنى تتضـارّون وتتضامـون. وتفسير هـذا أنه لا يُضَـامُّ بَعْضُكمْ بَعضاً وَلاَ يُخَالِفُ بَعْضُكم بَعْضاً في ذلك. يقال: ضارَرْتُ الرَّجُلَ أُضَارُّه مضارَّةً وضِراراً إذا خالفته قال نابغة بني جَعدَةَ:

وَخَـصْـمَـيْ ضِـرار ذَوَيْ تُـدْرَإٍ   متى يـأت سـلمهـا يشـغـب[1]

ومعنى لاَ تضامُّونَ في رؤيته لا ينضم بعضكم إلى بعض، ويقول واحد للآخر: أرنيه كما تفعلون عند النظر إلى الهلال، فهذا تفسير بيِّنٌ، وكلٌّ ما قيل في هذا.

﴿وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ﴾: أُلْبِسَتِ الإشْرَاقَ بِنُورِ اللَّهِ.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إذا جَاءُوها وفتحتْ أبوابها﴾ إلى قوله ﴿خالدين﴾[2].

اختلف النـاس في الجواب لقـولـه ﴿حتى إذا جاءوها﴾. فقال قـوم: الـواو مسقطة[3] المعنى حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها.

قال أبو إسحاق: سمعت محمد بن يزيد يذكر أن الجواب محذوف، وان

---

(١) في الديوان ـ ٧ الضرار المضارة، وتدرأ تدافع ومشادة. والشغب اهاجة الشر.

(٢) ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾. (٣) زائدة تسقط تقديراً.

المعنى، حتى إذا جاءوها إلى آخر الآية سعدوا. قال فالمعنى في الجواب حتى إذا كانت هذه الأشياء صاروا إلى السعادة.

وقال قوم حتّى إِذَا جَاءُوها جَاءُوها وفتحت أبوابها، فالمعنى عندهم أن «جاءوها» محذوفٌ. وعلى معنى قول هؤلاء أنه اجْتَمَع المجيءُ مع الدخول في حال، المعنى حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أَبْوَابِها.

قال أبو إسحاق: والذي قلته أنا - وهو القول إن شاء اللَّه - أن المعنى ﴿حَتَّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ دخلوها، فالجواب «دخلوها»، وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى ﴿طِبْتُم﴾ أي كنتم طيِّبين في الدُّنْيَا لم تكونوا خبيثين، أي لم تكونوا أصحابَ خبائثَ.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾.

يعني أرض الجنة نتخذ منها من المنازل ما شئنا، والعرب تقول لكل من اتخذ منزلاً: تبوأ فلان منزلاً.

﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ﴾.

معنى ﴿حَافِّين﴾ مُحْدِقِين، وكذا جاء في التفسير.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فابتدأ اللَّه - عز وجل - خَلْقَ الأشياء بالحمد وخَتَمْه بالحمد، فقال: ﴿الحمد لِلَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾[1] فلما أفنى الخلق وبعثهم وَحَكَم بَيْنَهُم، فاستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ختم بقوله: ﴿ الحمد للَّه رب العالمين﴾.

(١) أول سورة الأنعام.

سُورَةُ المُؤْمِن

بسم اللَّهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

﴿حٰم. تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ .

الحـواميم كلها مكيـة، نزلت بمكـة، قال النبي ﷺ: مثـل الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرات في الثياب. وقال ابن مسعود: الحـواميم ديباج القـرآنُ، وجاء في التفسير عن ابن عباس ـ رحمه اللَّه ـ ثلاثة أقـوال في حٰم، قال: حٰم اسم اللَّه الأعـظم، وقال: حٰم قَسَمٌ، وقـال: حٰم حـروف الـرحمن مقـطعـه، والمعنى: «ألَر» و «حٰم» بمنزلة الرحمن. وقد فسرنا إعراب حـروف الهجاء في أول البقرة.

والقراءة فيها[1] على ضربين، حم بفتح الحـاء، وحم بكسر الحـاء[2]، فـأما الميم فسـاكنة في قـراءة القراء كلهم الا عيسى بن عمـر فـإنه قـرأ: حَمَ والكتـاب، بفتح الميم،وهو على ضربين أحدهما أن يجعل حٰم اسما للسُّـورَةِ، فَنَصَبَه ولا ينونه لأنه على لفظ الأسمـاء الأعجمية نحـو هابيـل وقابيـل، ويكون المعنى اتـل حٰم . والأجود ان يكـون فتح لالتقـاء السـاكنين حيث جعله اسمـاً للسورة، ويكون حكاية حروف هجاء.

---

(١) في حم.
(٢) بالامالة.

وقوله عز وجل: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.

على صفات اللَّه، فأمّا خفضُ ﴿شديدِ العقاب﴾ فعلى البدل لأنه مما يوصف به النكرة.

وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾.

معناه ذي الغِنَى والفضل والقدرة. تقول: لفلان على فُلانٍ طَوْلٌ إذا كان له عليه فضلٌ.

وقوله جل وعز: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّه [إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا]﴾.

المعنى في دفع آيات اللَّه بالباطل ليُدْحِضَ به الحقَّ، إلَّا الذين كَفَرُوا.

﴿ ومعنى فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾.

أي فلا تغررك سَلامَتُهُمْ بَعد كُفْرهم حتى إنَّهُمْ، يَتَصرَّفُونَ كيف شاءُوا، فإن عاقبة كفرهم العَذَابُ والهلاكُ. ثم بين كيف ذلك وأعلم أن الأمم التي كـذّبتْ قبلَهُم أنَّهُمْ أهلكوا[1] بقوله:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

يعني عاداً وثمودَ وَقَومَ لوط والأمم التي أُهْلِكَتْ بيْنَ ذلك.

﴿وَهَمَّتْ كل أمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾.

أي ليتمكنوا منه فيَقْتُلوه.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

أي ليدفعوا به الحقَّ.

---

(١) أعلم أن الأمم التي كذبت قبلهم نالهم الهلاك.

﴿فَأَخَذْتُهمْ﴾.

أي جعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرُّسُلِ أَنْ أَخَذْتُهم فعَاقَبْتُهـمْ.

﴿فكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

أي إنهم يجتازون بالأمكنة التي أهلك فيهَا القَوْمُ فيرونَ آثار الهلاك.

﴿وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفرُوا﴾.

أي ومثل ذلك حقت كلمة ربك - يعني [بـه] قولـه ﴿لأمْلأنَّ جَهَنَّم﴾[1] ﴿أنَّهم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

ويجوز «إنَّهُمْ»، ثم أخبر - جَلَّ وعز - بِفَضْل المؤْمنين فقال:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾.

يعني الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِه وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذِينَ آمَنُوا﴾.

فالمؤمن تستغفر له الملائكة المقَرَّبُونَ.

ويعني: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَـةً وَعِلْماً فَـاغْفِرْ للَّذِينَ تَـابُوا واتَّبَعُـوا سَبِيلَكَ﴾.

المعنى يقـولون: ربنـا وسعت كل شيء، أي تقـول الملائكـة. وقولـه: ﴿رحمةً وَعِلْماً﴾ منصوب على التمييز.

﴿فَاغْفِرْ للَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

---

(١) في الأصـل. يعني بقوله: ﴿لأمْلأنَّ جهنم﴾ والآية رقم ١١٩ من سورة هـود هي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَـةُ رَبك لأمْلأن جَهَنَّم مِنَ الجِنّةِ والنَّاسِ أَجْمَعين﴾.

أي لزموا طريق الهدى التي دعوت إلَيْهَا.

وقوله تعالى:﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

«مَنْ» في موضع نَصْبٍ، عطف على الهاء والميم في قوله:﴿ رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾،[أي] وأدخل من صلح. ويصلح أن يكون عطفاً على الهاء والميم في قوله:﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ فيكون المعنى وَعَدْتَهُمْ ووعدت من صلح من آبَائِهِمْ.

وقوله تعالى:﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه أن الذين كفروا ينادون إذا كانوا في حال العذاب لمقت اللَّه إيّاكم في الدنيا﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الايمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ إذ عُذِّبْتُم في النَّارِ.

قَالُوا﴿رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾.

أي قد أَرَيْتَنَا من الآيات ما أَوْجَبَ علينا أنْ نَعْتَرِف.

﴿فَهَلْ إِلَى خُروجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

وقالوا في ﴿أَمَتَّنَا اثنتين وأَحْيَيتَنا اثنتين﴾ أي خلقتنا أَمْواتاً ثم أَحْييتنا ثم أَمَتَّنَا بعدُ، ثم بعَثْتَنا بعدَ المَوْت.

وقد جاء في بعض التفاسير أن احدى الحياتين، وإحدى الموتتين أن يحيا في القبر ثم يموت، فذلك أدل على أَحْيَيْتَنَا وأَمَتَّنَا، والأول أكثر في التفسير.

وقوله عز وجل:﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

جاء في التفسير أن الروح الوحي، وجاء أن الروح القرآنُ وجاء أن الروح

أمر النبوَّة. فيكـون المعنى تلقي الروح أو أمـر النبوَّة على من تشـاء، على من تختصه بالرسالة.

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

أي لينذر النبي ﷺ بالذي يوحى إليه يوم التلاق، ويجوز أن يكـون لينذر اللَّه يـوم التلاق، والأجـود ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون لينـذرَ النبي ﷺ. والـدليـل على ذلك أنه قـرئَ لِتُنْذِرَ يـوم التلاق ـ بـالتاء ـ. ويجـوز يوم التَّـلَاقِي بإثبـات الياء، والحذف جائز حسن لأنه آخر آية.

ومعنى التلاقي يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السماء. وتأويل الروح فيما فسّرنا أنه به حياة الناس، لأن كل مُهتَدٍ حَيٌّ، وكل ضَالٍّ كالميِّتِ، قال اللَّه عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[1]. وقال: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَـأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَـا لَهُ نـورا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[2]. وهـذا جـائـز في خـطاب الناس، يقول القائل لمن لا يفقه عَنه ما فيهِ صَلَاحُه: أنت مَيِّتٌ.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾.

معنى أنذرهم خوِّفهم، والآزفة يوم القيامَةِ، كذا جاء في التفسير، وإنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وان اسْتَبْعَدَ الناس مَدَاها. يقال قد أَزِفَ الأَمْرُ إذَا قَرُبَ.

وقوله:﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾.

نصب ﴿كاظمين﴾ على الحال، والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمة، وإنمـا الكاظمـون أصحابُ القُلوبِ والمعنى إذ قلوب النـاس لدى الحناجر في حَالِ كَظمِهِمْ. وجاء في التفسيـر أن القلب من الفزع يـرتفع

---

(١) سورة النحل آية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢.

فيلتصقُ بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه ولا يخرج فَيُسْتَراحُ من كَرْبِ غَمّهِ.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

﴿يُطاع﴾ من صفة شفيع، أي ولا من شَفيع مُطَاعٍ.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾.

إذا نظر الناظر نظرة خيانة عَلِمَها اللّه، فإذا نظر أول نظرة غير متعمد خيانةً فذلك غير إثم، فإن عاد ونيَّتُه الخيانة في النّظرِ علم اللّه ذلك، واللّه -عزوجل- عالم الغيب والشهادة، ولكنه ذكر العلم ههنا ليعلم أن المجازاة لا محالةَ واقعة.

وقوله - جل وعز -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدلُّ على صِحّته نبوته، من العصا وإخراج يده بيضاء من غير سوء، وأشباه ذلك.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي حجة ظاهرةٍ.

﴿إِلَى فِرْعَونَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾.

هذه الاسماء في موضع خفض إلّا أنها فتحت لأنها لا تَنصَرِفُ لأنها معرفة وهي أعجمية.

﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

المعنى فقالوا هو ساحر كذاب، جعلوا أمر الآيات التي يعجز عنها المخلوقون سِحْراً.

﴿فَلَمَّا جَاءهُم بالحقِ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحيُوا نِسَاءَهُمْ﴾.

وإنه كان قِيلَ لفرعون إن ملكه يزول بسبب غلام يُولَد، فقيل افعلوا هذا حتى لا ينجو المولود.

﴿وَمَا كيدُ الكَافِرِينَ إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾.

أي يذهب باطلاً، ويحيق اللَّه به ما يُرِيدُ[1].

وقوله:﴿أَوْ أَنْ يَظْهَرَ فِي الأَرْضِ الفَسادُ﴾.

على هذا مصاحف أهل العراق، وفي مصحف أهل الحجاز: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ بغير ألف، ويجوز وأن يَظْهر، ومعنى أو وقوع أحد الشيئين فالمعنى على «أو» أن فرعون قال إني أخاف أن يُبَدِّلَ دينكم أو يُفْسِدَ، فجعل طاعة اللَّه تعالى هي الفساد، فيكون المعنى إني أخاف ان يبطل دينكم البتة، فإن لم يبطله أَوْقَع فيه الفَسادَ، ومن قرأ «وأَنْ» فيكون المعنى أخاف إبطال دينكم والفساد مَعَهُ.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الرَّجُلَ أعني مؤمنَ آل فرعونَ، كان يسمى سِمَعَانَ، وقيل كان اسمه حَبِيباً، ويكون ﴿مِنْ آل فِرْعَوْنَ﴾ صفة للرَّجُلِ، ويكون ﴿يكتم إيمانه﴾ معه محذوف، ويكون المعنى يكتم إيمانه مِنْهُمْ، ويكون يكتم من صفة رجل، فيكون المعنى: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعونَ.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾.

المعنى لأن يقول ربي اللَّه.

﴿وَقَدْ جَاءَكم بالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي بما يدل على صدقه من آيات النُّبوَّةِ.

﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْه كَذِبُه﴾: أي فلا يَضُرُّكم.

---

(١) ينزل بمكر فرعون ويحيط به ما يريد مما يفسده.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

وهـذا من لطيف المسـائل، لأن النبي ﷺ إذا وعـد وعْـداً وقـع الـوعـدُ بـأسره، لم يقـع بعضه، فـالسؤال في هذا من أيْنَ جـاز أن يقول بعض الـذي يَعِدُكُمْ، وحق اللفظ كل الذي يَعدُكم فهذا باب من النَّـظَرِ يذهب فيـه المناظـرِ إلى الزام الحجة بأيْسَرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي اصابة الكل ومثل هذا قول الشاعر(١):

قـد يـدرك المتـأني بعض حـاجتـه ... وَقَـدْ يَكُـونَ مَـع المستعجـل الـزَّلَـلُ

إنما ذكر البعضَ ليوجب له الكُلَّ، لا أن البعضَ هوالكل ولكن للقائـل إذا قـال أَقَلُّ مـا يكون للمتَـأَنِّي إدراك بعض الحاجـة، وأقل مـا يكون للمستعجـل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، وكـأنَّ مُؤمِنَ آل فرعـونَ قال لهم: أقـلُّ مَا يكـون في صدقـه أن يُصِيبَكُمْ بعضُ الذي يعدكم، وفي بعض ذَلِك هَلاَكُكُمْ، فهذا تأويله والله أعلم.

﴿يا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

هذه حكاية قول مؤمن آل فرعون. أعلمهم الله أنَّ لهم الملك في حـال ظهورهم على جميع الناس. ثم أعلمهم أن بأس الله لا يدفعه دافـع ولا ينصر منه ناصر فقال:

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إنْ جَاءَنَا﴾.

﴿مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾.

أي مثـل يوم حَـزْبٍ حِزْبٍ، والأحـزاب ههنا قـوم نوح وعـادٍ وثمودَ وَمَن أُهلكَ بعدَهُمْ وَقَبلَهُمْ.

---

(١) هو القطامي وتقدمت أبيات من هذه القصيدة. انـظر شواهـد المغني ١٢٣ مع أبيـات أخرى من القصيـدة يمدح عبـد الواحـد بن سليمان بن عبـد الملك، وهو في شـواهـد الكشـاف، ونسبـه المرزوقي الى الأعشى وهو خطأ ـ والقصيدة مشهورة أولها ـ إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.

ومعنى :﴿ مِثْلَ دَأْبِ [قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ].

مثل عادة، وجاء في التفسير مثل حال قوم نوح، أي أخاف عليكم أن تقيموا على كُفْرِكُمُ فينزل بكم[١] ما نزل بالأمَم السَّالِفَةِ المكذِّبَةِ رُسُلَهم.

﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾.

بكسر الدال ـ وقرأ الحَسَنُ يوم التنادي ـ بإثبات الياء ـ، وأكثر القراءة التناد، وقرأ ابن عباس يوم التَّنَادِّ ـ بتشديد الدال، والأصل التنادي وإثبات الياء الوجه، وحذفها حسن جميل لأن الكسرة تدل عليها الياء وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال[٢].

ومعنى يوم التنادي يوم ينادي ﴿أصحابُ الجنة أصحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾[٣] وينادي ﴿أصحابُ النار أصحاب الجنة أَنْ أَفيضوا علينا من الماء﴾[٤]. ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون «يَوْمَ التَّنَادِ» يوم يدعى كل أناس بإمَامِهِمْ[٥].

ومن قرأ يوم التَّنادِّ بتشديد الدَّالِ، فهو من قولهم نَدَّ فلانٌ ونَدَّ البعيرُ إذَا هَرَبَ على وجهه، ومما يدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّون مُدْبِرِينَ﴾[٦]. وقوله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[٧].

---

(١) في الأصل بهم.

(٢) هكذا في الأصل، ويبدو أنه «على الكسر» فهذا ما يقتضيه السياق.

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٤.

(٤) في سورة الأعراف الآية ٥٠ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنا من الماء﴾.

(٥) سورة الاسراء الآية ٧١.

(٦) الآية التي بصدد التفسير: ﴿وَ يَا قَوْمِ إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّون مدبرين مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾.

(٧) سورة عبس آية ٢٤، ٢٥.

وجاء في التفسير أنهم يؤمر بهم إلى النار فيفـرون ولا يعصمهم من النار عاصِمٌ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

أي الآيات المعجزات.

﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾.

أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

أي مثـل ذلك الضـلال يضل اللّه من هـو مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ:﴿مُسْرِفٌ﴾ههنا كافر، و﴿مُرتابٌ﴾ شاكٌّ في أمر اللّه وأنبيائه.

﴿الَّذِين يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتَاهُمْ﴾.

«الذين» في موضع نَصْبٍ على الرد على«مَنْ»أي كذلك اللّه يُضل الذين يجادلون في آيات اللّه بغير حجة أَتَتْهُمْ، ويجوز أن يكون موضع «الذين» رفعاً على معنى مَنْ هُوَ مُسْرِف مرتابٌ هم الذين يُجَادِلُونَ.

وقوله عز وجل:﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي كبُر جِدَالُهُمْ مَقْتاً عند اللّه وعند الَّذِينَ آمنوا.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كَلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ [جَبَّارٍ]﴾.

ويقرأ عَلَى كلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ، والأول الوجـه، لأن المتكبر هـو الانسان، وقد يجوز أن تقول: قلب متكبّرٌ، أَيْ صَاحِبُه مُتَكَبِّرٌ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾.

والصرح القصر، وكل بناء عظيم فهو صرح.

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾.

جاء في التفسير أبْوابَ السماء، والأسباب في اللُّغَة ما اتصل بالشيء، وكذلك يقال للحبل سبب، لأنه يُوصَلُ بالأشياء. وجاء في التفسير أيضاً طُرُقَ السَّمواتِ. فالمعنى - واللَّه أعلم. لعلي أبلغ إلى الذي يؤديني إلى السموات. ويقرأ ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ - بالرفع والنصب.

﴿وإني لأظُنُّهُ كَاذِباً﴾.

هذا قول فرعونَ، يقول وإن كنت زعمت أني أطَّلِعُ إلى إلٰه موسى، فأنا قلت هذا على دعوى موسى لا على أني على يقينٍ من ذلك. فيروى أن هامان طَبخ الأجُرَّ لبناء الصَرْحِ وأن أوَّلَ من طَبَخَ الأجُرَ هَامَانُ.

﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِه﴾.

موضع الكاف نصب المعنى وزين لفرعون سوء عمله مثل ما وَصَفْنَا.

﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾[1].

أي صُدَّ عن السَبيل المستقيم. أي المستقيمة بكفره.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ فِي تَبَاتٍ﴾.

إلاَّ في خسرانٍ، يقال: تبت يداه أي خسِرتا.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

يعني سبيل القصد إلى اللَّه عز وجل، وأخرجكم عَنْ سَبِيل فرعونَ. فأهدكم جزم جواب للأمر. المعنى إن تتبعوني أُهدِكُمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ﴾.

---

(١) قرأ عاصم «صُدَّ» بالبناء للمجهول.

يعني أنه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾، فقال: لا جَرَمَ رَدٌّ لِكَلَامٍ. والمعنى وجب أَنَّ لَهُمُ النَّارَ، وحق أن لهم النَّار، وأَنْشَدَ[1]:

ولقد طعنت أبا عيينة طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارةَ بَعدهَا أن يغضبوا

المعنى كسبتهم الغَضَبَ، وأَحَقَّتْهُمُ بالغضب، فمعنى ﴿لَا جرم أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لقد وجب أن ما تدعونني إليه ليس له دَعْوَةٌ أي وجب بطلان دعوته.

﴿وأَنَّ مَرَدَّنَا إلى اللَّهِ﴾.

وَجَبَ مَرَدُّنا إلى اللَّهِ، وكذلك ﴿وَأَن المُسرِفِين هم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿سُوءُ العَذَابِ. النَّارَ يُعْرَضُونَ عَلَيها﴾.

﴿النار﴾ بدل من قوله ﴿سُوءالعَذَابِ﴾، وجائز أن تكونَ مرتفعة على إضمار تفسير سوء العَذَابِ، كأن قائلا قال: ما هو، فكان الجوابُ هو: ﴿النار يعرضون عليها﴾ فإن قال قائل: كيف يُعرضُونَ عليها وهم من أهل النار.؟ فجاء في التفسير أن أرواحهم في أجواف طير سُودٍ تعرض على النار بالغَدَاة والعشيّ إلى يوم القيامَةِ. ألا ترى أن بعده ﴿وَيَوْمَ تقُوم السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ ويقرأ ادخُلُوا على معنى الأمر لهم بالدخول، كأنه ويوم تقوم الساعة يقول ادخلوا يآل فرعون أشد العذاب.

وقرئت ﴿أدخِلُوا﴾ على جهة الأمْرِ للملائكة بإدخَالِهِمْ أَشَدَّ العَذَابِ.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

[أي] الملائكة، واحدهم شاهدٌ، مثل صاحب وأصحاب.

---

(١) تقدم.

﴿إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ في آيَاتِ اللَّهِ﴾.

أي يجادلون في دفع آيات اللَّه﴿بِغَيْرِ سلطانٍ أَتَاهُمْ﴾.

أي بغير حجة أَتَتْهُم.

﴿إن فِي صُدُورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾.

[أي ماهم] ببالغي إرادتهم فيه، وإرادتهم دفع آيات اللَّه عز وجل وَدَلَّ على هذا المعنى ﴿يُجَادِلُونَ في آيَاتِ اللَّهِ﴾. لأن الكبر هم قد أوقعوه فليس يلبس هذا ببالغي الكبرِ.

وجاء في التفسير أنه يُعْنى بِهِ اليهودُ، وان الكبر الذي ليس هم ببالغيه تَوَقُّعُ أمر الدَّجَّالِ، فتكبروا مُتَرَبِّصِينَ يتوقعون خروج الدَّجَّالِ. فأعلم اللَّه أن هذه الفرقة التي تجادِلُ لا تبلغ خروج الدَّجَالِ. ويدل على قول من قال هذا قول اللَّه - عز وجل - يعقب هذا:﴿فاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

وقوله جل وعز:﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

معناه صَاغِرِينَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

جاء في التفسير أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بعث ثمانية ألف نَبيٍّ، مِنْهُمْ أربَعَةُ آلاف من بني اسرائيل، ومنهم أربعة آلاف من سائر الناس، وجاء عن علي رضي اللَّه عنه أنه قال: في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ أنّ اللَّه بعث نبياً أسود. فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن.

وقوله تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلونَ﴾.

الأنعام هَهُنَا الابل.

وقوله:﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾.

يجوز على ثلاثة أوجُهٍ «والسَّلَاسِلَ» بالنصب، و«السَّلَاسِلِ» بالخفض.

فمن رفع فعطف على الأغلال ومن جر فالمعنى إذ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وفي السلاسِلِ، وَمَنْ نَصَب ففتح اللاّم قرأ ﴿والسَّلاسِلَ يَسْحَبُونَ﴾[1].

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُم تَفْرَحُونَ﴾ الآية[2].

يدل عليه قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾.

أي ذلك العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون بالباطل الذي كنتم فيه، و﴿تمرحون﴾ أي تأشرون وتبطرون وتستهزئون.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رأَوْا بَأْسَنَا﴾.

يقول حين عاينوا العذابَ.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾.

على معنى سَنَّ اللّه هذه السُّنَّةَ فِي الأُمَمِ كُلِّهَا، لَا يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ إذا رأوا العذاب.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾.

وكذلك: ﴿وخَسِرَ هُنَالِكَ المبْطِلُونَ﴾.

والمبطلون والكافرون خاسرون في ذلكِ الوقت وفي كل وقتٍ خاسرون، ولكنه تعالى بيّن لهم خُسْرانَهُمْ إذا رأوا العذاب.

---

(١) على أنه مفعول معه.

(٢) ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

سُورَة فُصِّلَتْ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿حم .تَنْزِيلٌ [مِنَ الرَّحمن الرَّحِيم] ﴾ .

[تنزيل] رفع بالابتداء، وخبره ﴿كَتاب فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾. هذا مذهب البصرِيِّينَ، وقال الفَرَّاءُ يجوز أن يكون ﴿تنزيل﴾ مرتفعاً بِحَم ِ ، ويجوز ان يرتفع بإضمار هذا. المعنى هذا تنزيل من العزيز الرحيم، أي هو تنزيل.

﴿قُرآناً عَرَبيّاً﴾ .

نصب ﴿قرآناً﴾ على الحال.المعنى بينت آياته قرآناً، أي بينت آياته في حال جمعه عربياً.

﴿لِقَوْم ٍ يَعْلَمُونَ﴾ : أي بينا لمن يعلم.

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ : من صفته.

وقوله عز وجل:﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ .

فِي غُلُفِ، أي ما تدعونا إليه لا يصل إلى قلوبنا لأنها في أغطية، وواحد الأكِنَّةِ كِنَان.

﴿وَفِي آذَانِنا وَقْرٌ﴾ .

أيْ صَمَمٌ. وقفل يمنع من الاستماعِ لقولك أي نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يستمع قولك.

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

أي حاجز في النِّحْلَةِ والدِّينِ. وهو مثل قُلوبِنا في أَكِنَّةٍ، إلّا أنّ معنى هذا أَنَّا لا نُجامِعُك فِي مَذْهبٍ.

﴿فَاعْمَلْ إِنَّنا عَامِلُونَ﴾.

أي على مذهبنا، وأنت عامل على مَذْهَبَكَ. ويَجُوزُ أَنْ يكونَ فاعمل في إبطال مذهبنا إنا عاملون في إبطال أَمْرِكَ.

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتونَ الزَّكَاةَ﴾.

أي لا يرونها واجبة عليهم، وَلاَ يُعْطُونها.

﴿قل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ في يَوْمَيْنِ﴾.

لو أراد -جل وعَلاَ- أَنْ يخلقها في لَحظَةٍ لَفَعَلَ ولكان ذلك سائغا في قُدْرَتِهِ، ولكنه أحب أن يُبْصِرَ الخَلْقُ وُجُوهَ الأناةِ والقُدْرَةِ على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة وفي لحظةٍ وَاحِدَةٍ لأن المخلوقين كلُّهُم والملائِكَةَ المقَرَّبِينَ لو اجتمعوا على أن يخلقوا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْهَا مَا خَلَقُوا.

وجاء في التفسير أن ابتداء خلق الأرْضِ كان في يوم الأحَدِ واستقام خلقها في يوم الاثنين.

﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها﴾.

في الثلاثاء والأربعاء فصارت الجملة أَربعة أَيَّام، فذلك قوله:﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.

أي في تتمة أرْبَعةِ أَيَّامٍ .

﴿سَوَاءً [لِلسَّائِلِينَ]﴾ .

وَسَواءٍ، ويجوز الرفعُ. فمن خفض جَعَلَهُ صفَةً للأَيَّامِ .

المعنى في أربعة أَيَّامٍ مُسْتَوِيَاتٍ، ومن نصب فعلى المصدر، على معنى استوت سَواءً، واسْتِوَاءً. ومَنْ رَفَع فعلى معنى هي سَوَاءٌ.

ومعنى﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ ،مُعَلَّقٌ بِقَوْلِه :﴿وَقَدَّرَ فيها أَقْوَاتَها﴾، لكل محتاج إلى القُوتِ. وَإِنَّما قِيلَ للسَّائِلِينَ، لأن كُلًّا يَطْلُبُ القُوتَ وَيَسْأَلُه. ويجوز أن يكون للسائلين لمن سأل في كم خُلِقَت السَّمواتُ والأَرَضُونَ؟ فقيل: خُلِقَتْ الأَرْضُ في أربعة أيام سَوَاءٍ، لَا زيادَةَ فِيهَا وَلَا نقصانَ جَوَاباً لِمَنْ سَأل.

﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وِلِلأَرْضِ ﴾الآية.

معنى استوى عَمَدَ إلى السَّماءِ وَقَصَدَ.

﴿[قَالَتَا أَتَيْنَا] طَائِعِينَ﴾ .

على الحال مَنْصُوبٌ، وإِنَّما قِيلَ طَائِعين دُونَ طَائِعَاتٍ، لِأَنَّهُنَّ جَرَيْن مَجْرَى ما يَعْقِلِ وَيُميّزُ، كما قيل في النجوم:﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يُسْبَحُونَ﴾ وقد قِيلَ قَالَتَا أَتَيْنَا [أَيْ] نَحْنُ وَمَنْ فينا طَائِعِينَ، وَمَعْنَى﴿طَوعاً أو كَرْهاً﴾على معنى أَطِيعَا لما أَمَرتُ طَوْعاً، بمنزلة أَطِيعَا الطَّاعَةَ أو تُكْرَها إكراهاً.

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾.

فَخَلَقَهُنَّ وَصَنَعَهُنَّ. قَالَ أَبو ذُؤَيْبٍ(١) .

---

(١) من عينيته التي رثى بها أولاده ـ وهي المفضلية ٨٧٨، وفي اللسان وتُبَّع قضي، وديوان الهذ ليين ١٩ . مسرودتان درعان منسوجتان ـ وقد سبق.

وَعَلَيْهِما مسرودتان قضاهما داودُ، أَوْ صَنَع السوابغ تُبَّعُ .

معناه عملهما وَصَنَعُهَما.

﴿وأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾.

قِيلَ ما يُصْلِحُهَا، وَقِيلَ مَلاَئِكَتُهَا.

﴿وزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾.

معناه وحفظناها مِنَ اسْتِمَاعِ الشَّياطِين بالكواكب حِفْظاً فقال:

قل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بمن هذه قدرته وتجعلون له أنداداً أي أصناماً تنحتونها بأَيْدِيكم.

﴿ذَلِكَ تَقديرُ العزيزِ العليم﴾.

اي الذي هذه صفته وله هذه القدرة رَبُّ العَالَمِينَ.

ثم قال: ﴿فإِنْ أَعْرَضُوا﴾.

أي فإن لم يقبلوا رسالتك بعد هذه الإِبَانَةَ ويوحدوا اللّه.

﴿فقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

أي أنذرتكم بأَنْ يَنْزِلَ بكم ما نزل بمن كفر من الأُمَمِ قَبلَكُمْ، ثم قصَّ قصة كُفْرِهِمْ والسَّبَب في عُتُوِّهِمْ وإقامتهم على ضلالتهم فقال:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وقالوا من أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةٍ﴾.

فأرسل اللّه عليهم ريحاً صَرْصَراً فقال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾.

ويروى نَحْسَاتٍ، قال أبو عبيدة: الصَّرْصَرُ الشديدة الصَّوْتِ. وجاء في

التفسير الشديدة البَرْدِ، وَنَحِسَاتٍ مشئومَاتٍ واحدها نحِسٌ، ومن قرأ نَحْسَات فَواحدها نَحْسٌ، قال اللَّه ـ عز وجل ـ:﴿في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾.

الجَيِّدُ اسقاط التنوين، ويقرأ ثَمودٌ ـ بالتنوين ـ ويجوز ثَموداً بِالنَّصْبِ، بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره، ومعنى «هَدَيْنَاهُمْ» قال قَتَادَةُ بَيَّنَّا لَهُمْ طريق الهُدَى وطَريق الضَّلاَلَةِ، ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الهُدَى﴾.

والاختيار رفع ثمود على الابتداء والخبر، وهذا مذهب جميع النحويين، اختيار الرفع، وكلهم يجيز النَّصْبَ.

وقوله ـ عز وجَلَّ ـ:﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ﴾.

فَالهونُ والخزيُ الذي يهينهم ويخزيهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَر أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

يقرأ الى النَّارِ ـ بفتح النون والتفخيم ـ وقراءة أبي عَمْرٍو ـ إلى النَّارِ ـ على الإمالة إلى الكسر ـ وإنما يختار ذلك مع الرَّاءِ ـ يعني الكسر ـ لأنها حرفٌ فيه تكريرٌ، فلذلك آثَرَ أَبُو عَمْرٍ الكسرَ.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

جاء في التفسير يُحْبَسُ أَوَّلُهم على آخِرِهِمْ، وأصله من وزعْتُهُ إذا كففته، وقال الحسن البَصْرِي حين وَلِيَ القضاءَ: لَا بُدَّ للناس من وَزَعةٍ[2]، أي لا بد لهم من أَعْوانٍ يَكُفُّونَ الناس عَنِ التَّعَدِّي.

---

(١) ﴿إنَّا أرسلنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً...﴾ سورة القمر / ١٩.

(٢) يقال وزعه يزعه ـ بفتح الزاي وكسرها وَزْعاً ـ كفه، والوازع في الحرب الموكل بالصفوف ـ وجمع الوازع وزعة.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾.

جاء في التفسير «جُلُودُهُمْ» كناية عن الفَرج، المعنى شَهِدَتْ فروجهم بمعاصيهم.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾.

أي جَعَلنا اللّه شهوداً.

﴿وذلكم ظَنُّكُمُ﴾.

مرفوع بخبر الابتداء، و ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبر ثانٍ، ويجوز أن يكون ﴿ظنكم﴾ بَدَلاً مِنْ ﴿ذَلِكُمْ﴾، ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بِرَبِّكُمْ أَرْداكم، ومعنى «أَرْدَاكُمْ» أَهْلَكَكُمْ.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾: وسببنا من حيث لا يَحْتَسِبُونَ﴾.

﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ . . ﴾ الآية[1].

يقول زينوا لهم أعْمَالَهُم الَّتِي يَعْمَلُونَها ويشاهدونها، وَمَا خَلْفَهُمْ، وما يَعْزِمُونَ أَنْ يَعْمَلُوه[2].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾.

أي عارضوه بكلام لَا يُفهَم يكون ذلك الكلام لَغْواً، يقال: لغا يَلْغُو لَغْواً، ويقال لَغِيَ يلْغَى لَغْواً إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لَا يُحَصَّل ولا تفهم حقيقته.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾.

هذا يدل على رفعه.

قوله : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِين كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً﴾.

المعنى ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء اللّه، ﴿النارُ﴾ رفع بدل من ﴿جزاء

(١) ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

(٢) ما يأتي بعد ذلك.

أعداء اللّه﴾، وإن شِئت رفعت النَّارَ على التفسير، كأنه قيل ما هو فقيل هي النَّارُ.

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ﴾.

أي لهم في النَّارِ دار الخلد، والنار هي الدَّار، كما تقول: لك في هذه الدَّارِ دَارُ السُّرور، وأنت تعني الدار بِعَيْنِها كما قال الشاعر[1]:

أخور غائب يعطيها ويُسْألها يأبى الظُّلاَمَةَ مِنه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذين كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا﴾.

بكسر الراء وبإسكانها ـ لثقل الكسرة كما قالوا في فَخِذٍ فَخْذٌ، ومن كسر فعلى الأصل، والكسر أَجْوَدُ لأنه في الأَصْلِ أَرْئِنَا فحذفت الهمزة وبقيت الكسرةُ دليلاً عليها والكسر أجود.

ومعنى الآية فيما جاء من التفسير أنه يعني بهما ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وإبليس، فقابيل مِنَ الإنس وإبليس مِنَ الجِنِّ.

ومعنى: ﴿نجعلْهُمَا تحت أَقْدَامِنَا﴾.

أي يكونان في الدرك الأسفل.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

[أي] وحدوا اللّه، واستقامو: عملوا بِطَاعَتِهِ ولزموا سنَّة نبيِّه.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ﴾.

بُشَراءَ يبشرونهم عند الموت وفي وقت البعث فلا تَهُولُهُم أَهوالُ القيامة.

وقوله: ﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

(١) تقدم في الجزء الأول/ ٤٥٢.

معناه وأَبْشِروا بالجنة تنزِلُونَها نُزُلاً. قال أبو الحسن الأخفش: ﴿نُزُلاً﴾ منصوبٌ من وجهين أحدهما أن يكون مَنْصُوباً على المصدَرِ، على معنى لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أَنْزَلْنَاهُ نُزُلاً، ويجوز أنْ يكون منصوباً على الحال على معنى لكم فيها ما تشتهي أَنْفُسُكُمْ منزلا نُزُلاً، كما تقول جاء زيد مَشياً في معنى جاء زيد ماشياً.

﴿وَمَنْ أحسَنُ قَوْلاً﴾.

منصوب على التفسير كما تقول زيد أحسن منك وجهاً، وجاء في التفسير أنه يعنى به محمد ﷺ لأنه دعا إلى توحيد اللّه، وجاء أيضاً في التفسير عن عائشة وغيرها أنها نزلت في المؤذنين.

﴿ولاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ﴾.

و «لا» زائدة مؤكدة، المعنى لا تستوي والسيئة.

﴿ادفَعْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

معناه ادفع السيئة بالتي هي أحسن.

﴿كَأَنَّه وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: الحميم القريب.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

أي ما يلقى مجازاة هذا أي وما يلَقَّى هذه الفعلة إلاَّ الَّذِين صبروا، أي إلاَّ الذين يكظمون الغيظ.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

الحظ ههنا الجنة، أي وما يلقاها إلاَّ من وجبت له الجنة، ومعنى ﴿ذُو حَظٍّ عظيم﴾، أي حَظٍّ عظيمٍ في الخير.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ﴾.

يقول إن نزغك مِنَ الشيطان ما يصرفك به عن الاحتمال فاستعذ باللَّه من شره وامض على حلمك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ﴾.

أي مِنْ عَلاَمَاتِهِ التي تَدُلُّ على أنه واحد.

وقوله:﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

وقد قال: الليلُ والنهار والقمر وهي مُذَكَّرَةٌ، وقال:﴿خلقهن﴾ والهاء والنون يدلان على التأنيث، ففيها وجهان أحدهما أَنَّ ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كِبَاشُك فسُقْها، وَإِنْ شئت فسُقْهُنَّ، وإنما يكون «خَلَقَهُمْ» لما يعقل لا غير، ويجوز أن يكون خلقهن راجعاً على معنى الآيات لأنه قال: ومن آياته هذه الأشياء.

﴿وَاسْجُدُوا لِلَّه الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فالّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

هذه خطاب لمحمد ﷺ و﴿الَّذِينَ﴾ ههنا يعنى به الملائكة، فالمعنى فإن استكبروا وَلَمْ يُوحِّدُوا اللَّهَ وَيَعْبُدوه ويؤمنوا برسوله، فالملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾.

﴿وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾.

لاَ يَملُّون ـ ثم زَادَهُمْ في الدلالة فقال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾.

أي مُتَهَشِّمَةً متغيرة، وهو مثل هامدة.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

ويقرأ وَرَبَأَتْ بالهمز، ومعنى ربت عظمت، ومعنى ربأت ارْتَفَعَتْ لأنَّ النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض.

وقوله ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ [فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا]﴾.

[يَلْحَدُونَ] بفتح الياء والحاء، وتفسير يَلْحدُونَ يجعلون الكلام على غير جِهَتِه، ومن هذا اللَّحْدُ لأنه الحفرُ في جانب القَبْر، يُقال لَحَد وَأَلْحَدَ، في معنى وَاحِدٍ.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُم﴾.

لفظ هذا الكلام لفظ أَمْرٍ، ومعناه الوعيد والتهدد، وقد بيَّنَ لهم المجازاة على الخير والشر.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾.

فيه وجهاد أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلاَ يأتي بعده كتابٌ يُبْطِلُه، والوجه الثاني أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأْتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل على هذا قوله:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ ما قَدْ قِيلَ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

أي تكذيبك كما كُذِّبَ الرُّسُلِ مِنْ قَبلِكَ، وقيل لهم كما يقول الكفارُ لك، ثم قال:

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: المعنى لمن آمن بك.

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لِمَنْ كَذَّبَك.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرآناً أَعْجَمِياً لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُه﴾.

أي بُيِّنَت.

﴿[ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ]﴾.

وتقـرأ ءأعجمي بهمزتين وَأَعجميٌّ بهمـزةٍ واحدةٍ وبهمـزة بعدهـا مخففـة تشبه الألف، ولا يجوز أن يكـون ألفاً خَـالِصَةً لأن بعـدها العين وهي سـاكنة، وتقرأ أَعجَمِيٌّ وعَرَبيٌّ - بهمزة واحدة وفتح العين، وقرأ الحسن أَعْجَميّ بهمـزة وَسَكُونِ العَيْن.

والَّذِي جَاءَ في التَّفْسِير أَنَّ المعنى ولو جَعَلْنَاهُ قرآنا أَعْجَميًّا لقـالوا: هـلا بينت آيـاتِهِ، أقـرآن أعجمي ونبي عربي. فمن قـرأ آاعجمي فهمزة وألفٍ فـإِنَّهُ مَنْسوبُ إلى اللِّسَانِ الأعجم، تقول: هذا رَجُـل أعجمي إذا كان لا يُفْصِـحُ إن كَـانَ مِنَ العَجَمِ أو من العَـرَبِ، وتقـول: هـذا رجـل عَجَمِيٌّ إذا كـان من الأعاجم، فصيحاً كان أَمْ غَيرَ فصيح، ومثل ذَلِـكَ: هذا رَجُـلٌ أعرابي إذا كـان من أهل البادية، وكان جنسه من العَرَبِ أو من غير العَرَبِ، والأجودُ في القرآن أَعْجَمِيٌّ بهمزة وأَلِفٍ على جهة النسبة إلى الأَعْجَمِ، ألا ترى قوله:﴿ولو جعلناه قرآنا أعجمياً﴾، ولم يقرأ أَحَدٌ عَجَميًّا، فأما قراءة الحسن أعني أَعْجَميٌّ بإسكـان العَيْنِ لا على معنى الاستفهام ولكن على معنى هَلاَّ بُيِّنَتْ آياتُه، فجعـل بعضه بياناً للعجم وبعضه بياناً للعرب، وكل هذه الأوجه الأربعة[1] سائغ في العـربية وعلى ذلك تفسيره.

---

(١) الضمير بالتذكير لكل - أي كل وجه منها أو جميع هذه الأسئلة.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾.

يعني القرآن.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾.

أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾:

ويقرأ «وهو عَلَيْهِمْ عَمٍ» بكسر الميم والتنوين، ويجوز وهو عَلَيْهِمْ عَمِيَ بإثبات الياء وَفَتْحِهَا، ولا يجوز إسكان الياء وترك التّنوين.

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

يعني من قسوة قلوبهم يُبعَدُ عنهم مَا يُتْلَى عليهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

الكلمة وَعْدَهُمُ السَّاعة، قال عز وجل: ـ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾[1] ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[2].

[أي] على نفسه. ويدل على أن الكلمة ههنا الساعة قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾.

نحو خروج الطلع من قشره.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾.

---

(١) سورة القمر الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

(٢) الآية ٤٦ من هذه السورة.

المعنى أين قولكم إن لي شركاء، واللّه ـ جل وعلا ـ واحدٌ لا شريك له، وقد بين ذلك في قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي قالوا آذَنَّاك مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾.

﴿آذَنَّاكَ﴾ أَعْلَمْنَاكَ مَا مِنَّا من شهِيدٍ لَهُمْ.

﴿وَظَنوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾.

أَي أيقنوا.

﴿لَا يَسْأَمُ الانْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْرِ﴾: لا يَمَلُّ الخير الذي يُصيبه، وإذا اختبربشيء من الشر يئس وقنط.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾.

أي هذا واجب لي، بعملي استحققته، وهذا يعنى به الكَافِرُونَ، ودليل ذلك قوله:﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبّي إن لي عنده لَلْحُسْنَى﴾، يقول: إني لست أُوقِنُ بالبعث وقيام الساعة، فإن كان الأمر على ذلك إن لي عنده للحسنى.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِه﴾.

ويقرأ ناء والمعنى مُتَقَارِبٌ، يقول: إذا كان في نعمةٍ تباعَدَ عن ذكر اللّه وَدُعَائِه ﴿وإِذَا مَسَّه الشر فذو دعاء عَرِيضٍ﴾، وعريضٌ ههنا كبير، وكذلك لو كان ذو دعاء طويل كانَ معناه كبيرٌ.

وقوله:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي سنريهم الأعلام التي تدل على التوحيد في الآفاق، وواحدها أُفُقٌ، يقول: سنريهم آثار مَن مَضَى قبلهم مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ من الأمم وآثرَ خلقِ اللّه في كل البلاد وفي أنفسهم من أنهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عِظاماً

كُسِيَتْ لحماً ، ثم نقلوا إل التمييز والعقل ، وذلك كلُّه دَليلٌ على أن الذي فعله واحدٌ ليس كمثلِه شيء .

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾ .

ويجوز «إِنَّهُ» ، والقراءة «أَنَّه» بالفتح . وموضع ﴿بربك﴾ في المعنى رفع ، المعنى أولم يكف رَبُّكَ ، وموضع ﴿أنه﴾ نصب ، وإن شئتَ كانَ رفعاً ، المعنى في النصب أو لم يكف ربك بأنه على كل شيء شَهِيدٌ ، ومن رفع فعلى البدل ، المعنى أَوَ لم يكف أَنَّ رَبَّكَ عَلَى كُلِّ شيء شَهِيدٌ ، أي أَوَ لم يكفهم شهادة ربك ، ومعنى الكفاية ههنا أنه قَد بَيّن لهم ما فيه كفاية في الدِّلاَلَةِ على تَوْحِيدِهِ وبينت رُسُلُه .

﴿أَلاَ إِنَّهُم فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ .

في شك ، «ألا» كلمة يبتدأ بها ينبَّهُ بِهَا المخاطب توكيداً يَدُلُّ عَلَى صحة مابعدها .

﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ .

أي عالم بكل شيء علماً يحيطُ بما ظَهَر وَخَفِيَ .

سورة الشُّورَى

حم عسق، مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿حٰم. عسق﴾.

قد بيّنا حروف الهجاء، وجاء في التفسير أن هذه الحروفَ اسم من أسماء اللَّه، ورويت حم سق - بغير عين - والمصاحفُ فيها العين بائنة.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

وقرئت يُوحَى، وقرئت نُوحِي إليك وإلى الذين من قبلك بِالنُّونِ. وجاء في التفسير أن «حٰم عسق» قد أُوحِيَتْ إلى كُلِّ نَبِيٍّ قبلَ محمد ﷺ وعليهم أجمعين. وموضع الكاف من «كذلك» نصبٌ، المعنى مثل ذلك يوحى إليك، فمن قرأ يوحِي بالياء، فاسم اللَّه عز جل رفع بفعله وهو يُوحِي، وَمَنْ قَرأَ يُوحَى إليك فاسم اللَّه مبين عما لم يسم فاعله، ومثل هذا من الشّعْرِ.

ليبك يزيد ضارع لخُصُومَةٍ   ومختبط مما تطيح الطوائح[1]

فبين من ينبغي أن يبكيه.

ومن قرأ نُوحي اليك بالنون جعل نوحي إخباراً عن اللَّه - عز وجل -. ورفع ﴿اللَّه﴾ بالابتداء وجعل ﴿العزيز الحكيم﴾ خبراً عن اللَّه، وإن شاء كان

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد، وفي كتاب سيبويه ١/٢٨٨ للحرث بن نهيك، وانظر الخزانة ١/١٤٧ وابن يعيش ١/٩٠ والعيني ٢/٤٥٤.

﴿العزيز الحكيم﴾ صفة لله ـ عز وجل ـ يرتفع كما يرتفع اسم الله، ويكون الخبر ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

قوله:﴿تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

وقرئت مِمَّنْ فَوْقَهِن، وقرئت ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾، ومعنى يَنْفَطِرنَ ويتفطَّرن يَنْشَقِقْن، ويَتَشَقَّقْنَ، فالمعنى ـ والله أعلم ـ أي تكاد السمواتُ ينفطرن من فوقهن لعظمة الله، لأنه لما قال: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾، قال: تكاد السموات ينفطِرْنَ لعَظمِته، وكذلك ينفطرن ممن فوقِهِنَّ، أي من عظمة من فوقَهُنَّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

مَعنَى ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يعظمون الله وينزهونه عن السوء، ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين. ولا يجوز أن يكون يَسْتَغْفِرُونَ لكل من في الأرض، لأن الله تعالى قال في الكفار:﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ففي هذا دليل على أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين، ويدل على ذلك قوله في سورة المُؤْمِن: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا [وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمةً وعِلْماً]﴾(١).

وقوله عزوجل:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

﴿أم القرى﴾ مكة،وموضع﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ نصب، المعنى لتنذر أهل أم القرى ومن حولها، لأن البلد لا يعقل، ومثل هذا﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها﴾(٢)

وقوله: ﴿وتنذرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾.

أي يوم يبعث الناس جَميعاً، ثم أَعلم مَا حَالُهم في ذَلِكَ اليوم فقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

---

(١) سورة غافر /٧. (٢) سورة يوسف /٨٢.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، والظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

ارتفع ﴿الظالمون﴾ بالابتداء.

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظالمين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(١)، الفصل بين هذا والأول أنّ أَعدَّ لهم فِعلٌ فنصب ﴿الظالمين﴾ بفعل مضمر يفسره ما ظهر، المعنى وَأوعد الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾.

أي خلق الذَّكَرَ والأُنْثَى مِنَ الحَيَوانِ كُلِّهِ.

وقوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾.

أي يُكَثِّركم بِجَعْلِهِ منكم وَمِنَ الأَنْعَامِ أزواجاً.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

هذه الكاف مؤكِّدةٌ، والمعنى ليس مثله شيء، ولا يجوز ان يقال: المعنى مثلَ مثلِهِ شيء، لأن من قال هذا فقد أثبت المثل للّه تعالى عن ذلك عُلُوًّا كَبيراً.

قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾.

روي في التفسير أن أول من أتى بتحريم البنات والأخَوَات والأمهات نوح.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾.

أي وشرع لكم ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله عزَّ وَجلَّ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

---

(١) سورة الانسان آية ٣١.

تفسيرقوله: ﴿ما وَصَّى بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ - وموضع «أن» يجوز أن يكونَ نَصْباً وَرَفْعاً وَجَرًّا، فالنصْبُ على معنى شرع لكم أن أقيموا الدِّين، والرفع على معنى هو أن أقيموا الدين، والجر على البدل من الباء[1]، والجر أَبْعَدُ هذه الوُجُوه، وجائز أن يكونَ أن أقيموا الدين تفسيراً لما وصى به نوحاً ولقوله ﴿والذي أوحينا إليك﴾ ولقوله: ﴿وما وَصَّيْنَا بِهِ إِبـرَاهِيم﴾، فيكون المعنى: شرع لكم وَلِمَنْ قبلكم إقامة الدِّينِ وَتَرْكَ الفرقة،وشرع الاجتماع على اتباع الرُّسُلِ

وقوله عز وجل:﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾.

أي وما تفرق أهل الكتاب الا عَنْ عِلْمٍ بأن الفرقة ضَلاَلَةٌ ولكنهم فعلوا ذلك بغياً أي للبغي.

وقوله:﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

أي لَجُوزُوا بأعمالهم، والكلمة هي تأجيله الساعة، يدل على ذلك قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

وقوله :﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ واسْتَقِمْ [كَمَا أُمِرْتَ] ﴾.

معناه فإلى ذلك فادع واستقم أي إلى إقامَةِ الدِّين ﴿فَادْعُ واسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾.

أي آمَنْتُ بكتبُ اللَّه كُلِّهَا، لأن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض.

وقوله:﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَان ﴾.

﴿الميزان﴾: العدل.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.

إنما جاز ﴿قريب﴾ لأن تأنيث الساعة غير تأنيث حقيقي، وهو بمعنى لعل

---

(١) بدل من الضمير المجرور بالباء.

البعث قريب، ويجوز أن يكونَ على معنى لعَلَّ مجيء السَّاعَةِ قريبٌ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾.

أي يستعجل بها من يظن أنه غير مبعوث.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾.

لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون مُحَاسَبُون.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ﴾.

أي الذين تدخلهم المرية والشك في الساعة، فيمارون فيها ويجحدون كونها، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، لأنهم لو فكروا لعلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من عَلَقةٍ إلى أن بَلَغُوا مَبَالِغَهُمْ، قادر على إنشائهم وبعْثِهِمْ.

وقوله جل وعز: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَه فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه مَنْ كان يُرِيدُ عمل الآخرة، فالمعْنَى - والله أعلم - أنه من كان يريد جَزاءَ عمل الآخرة نزِدْ له في حرثه، أي نوفقه، ونضاعف له الحسنات، ومن كان يُريدُ حرث الدنيا، أي مَنْ كَانَ إنَّما يقْصِدُ إلى الحظِّ من الدنيا وهو غير مؤمن بالآخرة نُؤْتِهِ من الدنيا أي نرزُقه من الدنيا لا أنه يُعطَى كل ما يريدُهُ وإذا لم يؤمن بالآخرة فلا نصيب له في الخير الذي يصل إليه من عمل الآخرة.

وقوله: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾.

أي تراهم مشفقين من ثواب ما كسبوا، وثواب ما كسبوا النار، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي وثواب كسْبِهِمْ وَاقِعٌ بِهِم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

[أي] والظالِمُونَ لهم النار، والمؤمنون لهم الجنة.

وقوله:﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَه الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

يقرأ: يُبشِّرُ وَيَبْشرُ، ويُبْشِرُ.

وقوله:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾.

أي إلا أن تودوني في قرابتي. وجاء في التفسير عن ابن عباس رحمه اللّه أنه قال: ليس حيٌّ من قريش إلاّ وللنبي ﷺ فيه قرابة، وروي أن النبي ﷺ قال لقريش: أنتم قرابتي وأول من أُجابني وأَطَاعَنِي، وروي أن الأنصار أتت النبي ﷺ فقالت: قد هدانا اللّه بك وأنْتَ ابن اختنا، وأتوه بنفقة يستعين بها على ما ينوبه، فأنزل اللّه عز وجل:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾.

قال أبو إسحاق: وَنَصْبُ ﴿المودة﴾ أن يكون بمعنى استثناء ليس من الأول، لا على معنى أسألكم عليه أجراً المودة في القُرْبَى، لأن الانبياء صلوات اللّه عليهم لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة، والمعنى ـ واللّه أعلم ـ ولكنني اذكركم المودة في القربى.

قوله:﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾.

أي من يعمل حسنة نضاعِفْها له.

﴿إنَّ اللّه غفورٌ شكور﴾.

غفور للذنوب قبول للتوبة مثيب عليها.

وقوله ـ عز وجل ـ :﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحو اللَّهُ البَاطِلَ﴾.

معنـاه فإن يشـأ اللَّه يُنْسِكَ مـا أتاك، كـذلك قـال قتـادة، ويجـوز ﴿فـإن يشـأ اللَّه يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يـربط على قلبك بـالصبـر على أذاهم وعلى قـولهم ﴿افترى على اللَّه كَذِباً﴾، ﴿ويمحو اللَّه الباطل﴾، الوقوف عليها «ويمحوا» بواو وألف[1] لأن المعنى واللَّه يمحو الباطل على كل حال، وكتبت في المصحف بغير وأو لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكتبت على الـوصـل، ولفظ الواو ثابت، والدليل عليه ﴿ويحق الحق بكلماته﴾، أي ويمحو اللَّه الشرك ويحق الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيِّهِ عليه السلام.

وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

المعنى ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.

ويقرأ قَنِطُوا بكسر النون، يقال قَنط يقنِطُ، وَقَنِطَ يَقْنَطُ إذا يئس.

ويـروى أن عمر قيـل له قـد أَجْدَبَتِ الأرض وَقَنِطَ النَّـاسُ فقال: مُـطِرُوا إذَنْ، لهذه الآية.

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

﴿[وَيَعْلَمَ الذين يجادلون في آياتنا...]﴾.

وهي في مصحف أهل المدينة بِمَا كَسَبَتْ أَيْـدِيكُمْ - بغَيرِ فَاء -، وكذلك يقرأونها خلا أَبَا جَعفر فإنه يثبت الفاء وهي في مصـاحـف أهل العـراق بالفـاء، وكـذلك قـراءتهم، وهو في العـربية أجـود لأن الفاء مجـازاة جـواب الشـرط، المعنى مـا تُصِبْكُمْ من مُصِيبَـةٍ فبمـا كسبت أيـديكم، وقـرئت ﴿ويعْلَمُ الَّـذِينَ يجادلونَ﴾، والنصب على إضمار أن، لأن قبلها جزاء، تقـول: ما تصنـع أصنع مثله وأُكْرِمَكَ، وإن شئت قلت وَأُكْرِمُكَ على وَأَنا أكرمك، وإن شئت: وَأُكْرِمْكَ جزماً.

(١) هكذا ضبطه: ولا داعي للألف لأن الواو ليست للجماعة، وإنما هي حرف علة.

وروي عن علي رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن اللّه أكرم من أن يَثْنِيَ على عبده العُقوبَةَ، أي إذا أصابته في الدنيا مصيبة بما كسبت يداه لم يثن عليه العقوبة في الآخرة.

وأما من قرأ:﴿وما أصابكم مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكم ويعفو عن كثير﴾ أي لا يجازى على كثير مما كسبت أيديكم في الدنيا، وجائز أن يكون ﴿يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يجازى عليه في الدنيا ولا في الآخرة.

ومعنى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾.

ما لهم من مَعْدِلٍ، ولا مِنْ مَنجى، يقال حاص عنه إذا تنحى، ويقال حاض عنه في معنى حاص، ولا يجوز أن يقرأ ما لهم من محيض، وان كان المعنى واحداً، فأما موضع ﴿الذين﴾ في قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيجوز أن يكون نصباً، ويجوز أن يكون رفعاً، فمن نصب فعلى معنى ويجيب اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن رفع فعلى معنى يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات للّه ـ عزّ وجل ـ أي لما يدعوهم اللّه إليه.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ﴾.

موضع ﴿الذين﴾ خفض صفة لقوله ﴿للذين آمنوا وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَلونَ﴾.

و ﴿كبائر الإثم﴾، قال بعضهم كل ما وعد اللّه عليه النار فهو كبيرة، وقيل الكبائر من أول سورة النساء من قوله:﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيّب﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تجتنبوا كَبَائِرَ مَا تُنْهوْنَ عَنْه نُكَفِّرْ عنكُمْ سَيئَاتِكمُ﴾. وقد قيل: الكبائر الشرك باللّه، وقتل النفس التي حرم اللّه، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، واستحلال الحرام.

وقوله عز وجل:﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاَةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضع خفض أيضاً، على معنى وما عند اللَّهِ خَيْرٌ وأبقى للذين آمنوا وللذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة.

وقوله:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وقيل إنَّه ما تشاور قوم قطُّ إلاَّ هُدُوا لأحسنِ ما يحضرهم.

﴿والَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم كانوا يكرهون أَنْ يَـذلُّوا أَنْفُسَهُم. فيجترئ عليهم الفساق. وروي أنها نزلت في أبي بكر الصديق. فإن قال قائل: أهم محمودون على انتصارهم أم لا، قيل هم محمودون، لأن من انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر اللَّه به فلم يُسْرِفْ في القتل إن كان ولي دم ولا في قصاص فهو مطيع للَّه عز وجل، وكل مطيع محمود، وكذلك من اجتنب المعاصي فهو محمود، ودليل ذلك قوله:﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾.

وقوله:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

فالأولى ﴿سيئة﴾ في اللفظ والمعنى، والثانية ﴿سيئة﴾ في اللفظ، عاملها ليس بمسيء، ولكنها سميت سيئة لأنها مجازاة لسوء، فإنما يجازي السوء بمثله، والمجازاة به غيرُ سيِّئة توجب ذَنْباً، وَإِنَّمَا قيل لها سيئة ليعلم أَنَّ الجَارِحَ والجاني يُقْتَصُّ مِنْهُ بمقدار جنايته، وهذا مثل قوله [تعالى]: ﴿فَمِن اعتدى عليكم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تأويله كافئوه بمثله، وعلى هذا كلام العرب.

وقوله:﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَر إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾.

أي الصابر يؤتى بصبره ثواباً فكل من زادت رغبته في الثواب فهو أَتَمّ عَزْمٍ[١]، وقد قال بعض أهل اللغة إن معنى قوله [تعالى: ﴿واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٢] إن منه القصاصَ والعفوَ. فالعفو أحسنه[٣].

وقوله تعالى:﴿يَنْظُرونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

يعني ينظرون إلى النار من طرف خَفِيٍّ، قال بعضهم إنَّهم يُحْشرونَ عُمْياً فيرونَ النارَ بِقُلوبِهِمْ إذا عُرِضُوا عَلَيْها، وقيل ينظرونَ إليها مُسَارَقَةً.

وقوله عز وجل:﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

أي ليس لكم مَخلَصٌ من العَذَابِ، ولا تَقْدِرُونَ أن تنكروا ما تقفون عليه مِنْ ذُنُوبكُمْ ولا ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ العَذَابِ.

وقوله:﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُم ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾.

أي ويجعل ما يهبه من الولد ذُكرانا وإناثاً، فمعنى ﴿يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً﴾، أي يُقْرِنُهُمْ، وكل اثنين[٤] يقترن أحدُهما بالآخر فهما زوجان، كل واحد منهما يقال له زوجٌ. تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني أن عندك من العدد اثنين أي خُفَّيْن، وكذلك المرأة وزوجها زوجان.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً﴾.

أي يجعل المرأة عقيماً، وهي التي لا تَلِدُ، وكذلك رَجُلٌ عقيمٌ أيْضاً لا يولد له، وكذلك الريح العقيم التي لا يكون عنها مطر وَلَا خيرٌ.

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

---

(١) هكذا في الأصل.
(٢) سورة الزمر: ٥٥.
(٣) أحسن ما أنزل.
(٤) في الأصل وكل شيء

يقرأ «أَوْ يُرْسِلُ» برفع يرسل و «فيوحِي» بإسكان الياء. والتفسير أن كلام الله للبشرإما أن يكون برسالة مَلَكٍ إليْهِمْ كما أرسل إلى أنبيائه، أو من وراء حجابٍ كما كلم موسى عليه السلام، أو بإلهام يُلْهِمُهُمْ.

قال سيبويه: سَألت الخليلَ عن قوله [تعالى] ﴿أو يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ بِالنَّصْبِ، فقال: «يرسل» محمول على «أن يوحي» هذه التي في قوله أن يكلّمَهُ اللَّه. قال لأن ذلك غير وجه الكلام لأنه يصرف المعنى: ما كان لبشر أن يرسل اللَّه رسولا، وذلك غير جائز، وإنما نرسل محمول على وحي، المعنى ماكان لبشر ان يكلمه اللَّه إلاَّ بأن يوحى أو أن يرسل.

ويجوز الرفع في «يرسل» على معنى الحال، ويكون المعنى: ما كان لبشر أن يكلمه اللَّه إلاَّ موحياً أو مرسلاً رسولاً كذلك كلامُهُ إيَّاهُمْ. قال الشاعر:

وخيل قد دَلفت لها بخيل   تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ[1]

ومثل قوله: ﴿أَوْيُرسِلَ﴾ بالنصب قوله الشاعر[2]:

ولولا رجال من رِزَامٍ أعزةٍ   وآل سبيع أو أسوءك علقما

والمعنى أو أن أسوءك.

وقال: ويجوز أن يرفع «أو يرسل» على معنى أو هو يرسل، وهذا قول الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه.

وقوله جل وعز: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾.

---

(١) تقدم.

(٢) من قصيدة المتلمس - يعيرني أمي رجال - وهي في الأصمعيات ١/٦٤، وانظر الخزانة ٢١٤/٤ والديوان ١٦٦، والاغاني ٢٣ ط بيروت - وتقدم شيء منها وسيأتي بيت في سورة والعصر.

أي فعلنا في الوحي اليك كما فعلنا بالرسل من قبلك، وموضع ﴿كذلك﴾ نصبٌ بقوله ﴿أَوْحَيْنا﴾، ومعنى ﴿رُوحاً مِن أَمْرِنَا﴾ ما نحيي به الخلق من أمرنا، أي ما يُهْتَدَى به فيكون حيًّا.

وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ ولَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾.

ولم يقل جَعَلْنَاهُمَا لأن المعنى ولكن جعلنا الكتابَ نُوراً، وهو دليل على الايمان.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ويقرأ: وإنك لتهدي، فمن قرأ لَتَهْدِي، فالمعنى تهدي بما أوحينا إليك إلى صراط مستقيم، ويجوز أن يَكونَ «لَتُهْدَى» مخاطبة للنبي ﷺ وأمَّتِه، فيكون المعنى وإنك وأمتك لتُهدَوْنَ إلى صراط مستقيم، كما قال: ﴿يَا أَيُّها النَّبيّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فهو بمنزلة يا أيها الناس المؤمنون إذَا طلقتم النساء.

وقوله: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾.

خفض بدل من صراط مستقيم، المعنى وإنك لتهدي إلى صراط اللَّه. ويجوز صراط اللَّه بالرفع، وصراط اللَّه بالنصب، ولا أعلم أحدا قرأ بهما ولا بواحدة منهما، فلا تقرأن بواحدة منهما لأن القراءة سنة لا تخالف، وان كان ما يقرأ به جائزاً في النحو.

سَورة الزُّخرُف
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿حم. وَالكِتَابِ المُبِينِ﴾.

قد فسرنا معنى «حم»، ومعنى «الكتاب المبين»، الذي أبان طرقَ الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمَّةِ.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾.

معناه إنا بيّناه قرآنا عربياً.

وقوله: ﴿وَإنّه فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿أم الكتاب﴾ أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمُّه، والقرآن مثبت عند اللَّهِ في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ قرآنٌ مَجِيدٌ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[1].

وقوله: ﴿أفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُم قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾.

ويقرأ «إن كنتم قوماً مسرفين»، فمن فتحها فالمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحاً لأن كنتم، ومن كسرها فعلى معنى الاستقبال، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر، ويقال: ضربت عنه الذكر وأضربت عنه الذكر، والمعنى أفنضرب عنكم ذِكْر العذاب والعذابَ بان أسرفتم. والدليل على أن

---

(١) آخر سورة البروج.

المعنى هـذا وأنه ذِكْـرُ العذابِ قـوله:﴿فَـأَهْلَكْنَا أَشَـدَّ مِنْهُم بَطْشـاً وَمَضَى مَثَـلَ الأَوَّلِينَ﴾.

أي مضت سنتهم، ويكون ﴿أفنضـرب عنكم الـذِّكر﴾أي نهملكم فـلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم، ومثله:﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[1].

وقوله:﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾: طرقاً.

وقوله:﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

معناه خلق الأصناف كلها، تقول عندي من كل زوج أي من كل صنف.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ مِن الفُلْكِ والأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾.

أي خلق لكم وسخرها لكم: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾.

وقوله عز وجل:﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وتَقُولوا سُبْحان الَّذِي سَخَّر لَنَا هَذَا﴾.

أي تحمدون اللّه وتعظمونه، فيقـول القائـل إذا ركب السفينة: بسم اللّه مجراها ومرساها، ويقول إذا ركب الدابة: الحمـد للّه سبحان الـذي سخر لنـا هذا وما كنا له مقرنين، أي مطيقين، واشتقاقه من قولـك: أنا لفـلان مقرن أي مطيق، أي قد صرت قرناً له.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

أي نحن مقرون بالبعث.

وقوله عز وجل:﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾.

يعنى بـه الذين جعلوا المـلائكة بنـات اللّـه، وقد أنشـدني بعـض أهـل

---

(١) سورة القيامة /٣٦.

اللغـة بيتـاً يـدل على أن معنى جـزء مـعنى الإنـاثِ ولا أدري البَيْتَ، قديم أم مَصْنُوعٌ، أنشـدني[1]:

إنْ أُجْـزَأَتْ حُـرَّةٌ يَـوْمـاً فَـلاَ عَجَبٌ — قـد تجزئُ الحـرة المـذكـار أحيـانـاً

أي إن أنثت، ولدت أنثى.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ [فِي الحِلْيَةِ]﴾.

ويقرأ يُنَشَّأُ، وموضع «من» نَصْبٌ. المعنى أَجَعَلُوا من يُنَشَّـأُ في الحلية - يعني البنـات - للّه.

﴿وَهو فِي الخصام غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

يعني البنات، أي الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين. وقـد قيل في التفسيـر ان المـرأة لا تكـاد تحتـج بحجـة إلاَّ عليهـا. وقـد قيـل إنـه يعني بـه الأصنام. والأجود أن يكون يعني به المؤنث.

وقوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾.

الجَعْـلُ ههنا في معنى القـول والحكم على الشيء. تقول: قَـدْ جَعَلْتُ زيداً أعلم الناس، أي قد وصفته بذلك وحكمت به.

وقوله - عز وجل -: ﴿سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ﴾.

وتقرأ سنكتب، ويجوز سيَكْتُب، المعنى سيكتب اللّه شَهادَتُهم ولا نَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها. والقراءة بالتاء والنُّونِ.

---

(١) نقل صاحب اللسان كلام الزجاج هذا، وزاد: والمعنى في قوله ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾، أي جعلوا نصيب اللّه من الولد الإناث، ثم قال: قال: ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، وأنشد أبو حنيفة:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة — للعوسج اللدن في أبياتها زجل

يعني امرأة غزالة بمغازل سويت من شجر العوسج. وهذا الكلام لم يذكره الزجاج في كتابنا هذا.

وقوله:﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَالُهمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.

المعنى ما لهم بقولهم إنَّ الملائكة بنات اللَّه من علم، ولا بجميع ما تخرصوا به.

وقوله:﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ﴾.

أي أم هل قالوا عن كتابٍ، المعنى أشهدوا خلقهم أم آتيناهم بكتاب بما قالوه من عبادتهم ما يعبدون من دون اللَّه، ثم أعلم اللَّه - عز وجل - أنَّ فِعلَهم اتباع ضلالة آبائهم فقال:﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ويقرأ «على إِمَّةٍ» بالكسر، فالمعنى على طريقة.

وقوله عز وجل:﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾.

أي قد قالوا لك هَؤلاء[1] كما قال أمثالهم للرسل مِنْ قَبْلِكَ.

وقوله:﴿وَإِنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.

معناه نقتدي بهم، ويصلح أن يكون خبراً لإِنا مهتدون، و«على» من صلة مهتدين، وكذلك مقتدون، فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم، ويصلح أن يكون خبراًبعد خبر، فيكون ﴿وإنا على آثارهم﴾ الخبر ويكون﴿مهتدون﴾خبراً ثانياً، وكذلك ﴿مقتدون﴾.

وقوله: - عز وجل - ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُم عَلَيْه آبَاءَكُمْ﴾ المعنى فيه قل أَتَتَّبِعُون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جِئْتُكُمْ بِأَهدى منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّني بَرَاءٌ مِمَّا تعبدونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

---

(١) هكذا بالأصل.

﴿براء﴾ بمعنى بريء مِمَّا تعبدون، والعرب تقول للواحد منها أنا البراء منك، وكذلك الأثنان والجماعة والذكر والأنثى يقولون نحن البراء منك والخلاء منك، ولا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراءونَ. وإنما المعنى إنا ذوو البراء منك ونحن ذوو البراء منك كما تقول رجل عدل وامرأة عَدْل وَقَوْمٌ عَدْلٌ، والمعنى ذوو عدل وذوات عدل.

وقوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾.

المعنى إنا نتبرأ مما تعبدون الا من اللّه عز وجل، ويجوز أن يكون «إلا» بمعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فإنه سيهدين.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾.

يعني بها كلمة التوحيد وهي لا إله إلا اللّه باقية في عقب ابراهيم، لا يزال من ولده من يوحد اللّه عز وجل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾.

المعنى على رجل من رَجُلَي القريتين عظيم، والرَّجُلَانِ أحدهما الوليد ابن المغيرة المخزومي من أهل مكة، والآخر حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف، والقريتان ههنا مكة والطائف.

ويجوزلولا نَزَّل أي لولا نَزَّل اللّه هذا القرآن، ويجوز لَوْلَا نَزَلَ هـذا القرآن.

ومعنى لولا هلّا ولم يُقْرَأْ بهاتين الأخريين، إنما القراءة نُزِّل، و «هذا» في موضع رفع، والقرآن ههنا مُبَيِّن عن هذا ويسميه سيبويه عطف البيان، لأن لفظه لفظ الصفة، ومما يبين أنه عطف البيان قولك مررت بهذا الرجل وبهذه الدار، و﴿هذا القرآن﴾ إنما يذكربعد هذا اسما يبيِّنُ بها[1] اسم الاشارة.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾.

(١) أي بهذه الجملة.

أي قولهم: لِمَ لَمْ يُنَزَّلْ هذا القرآنُ على غير محمد عليه السلام اعتراض منهم، وليس تفضل اللَّه عز وجل يقسمه غيره. ولما أتى النبي ﷺ بالرسالة قالت العرب - أو أكثرها -: كيف لم يرسل اللَّه مَلَكاً وكيف أرسل اللَّه بَشراً، فقال اللَّه عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلَّا رِجَالاً نُوحِي إلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾[1]، وقال: ﴿أكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾[2]. فلما سمعوا ان الرسالة كانت في رجال من أهل القرى قالوا: ﴿وَلَوْلاَ نُزِّل على أَحَدِ هذين الرجلين﴾، وقال - عز وجل -:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

فَكَما فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الرزق وفي المنزلة، كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء.

وقوله:﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سِخْرِيًّا﴾.

وسُخْرِيًّا، أي ليستعمل بعضهم بَعْضاً، ويستخدم بعضُهم بعضاً، ؛ وقيل سِخْرِيًّا [أي] يتخذ بعضهم بعضاً عبيداً. ثم أعلم - عز وجل - أن الآخرة أحَظُّ من الدنيا فقال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأعلَمَ قِلَّةَ الدنيا عنده عز وجل فقال:

﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾.

ويقرأ سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ، ويجوز سُقْفاً بسكون القاف وَضَمّ السين، فمن قال سُقُفاً وَسُقْفاً فهو جمع سَقْف كما قيل رَهْنٌ وَرُهُنٌ وَرُهْن، ومن قال سَقْفاً فهو واحد يَدُلُّ على الجمع المعنى جعلنا لبيت كلٍّ واحد منهم سقفاً من فضة.

---

(١) سورة يوسف ١٠٩.
(٢) سورة يونس /٢.

وقوله:﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

﴿معارج﴾: دَرَج واحدها مَعْرَج، المعنى وجعلنا معارج من فِضَّةٍ، وكذلك:

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً﴾.

أي أَبْواباً من فِضَّةٍ وسُرُراً من فِضَّةٍ.

﴿وَزُخْرُفاً﴾.

الزخرف - جاء في التفسير أنه ههنا الذَّهَبُ، إلا زيد بن أسلم[1] فإنه قال: هو متاع البيت، والزخرف في اللغة الزينة وكمال الشيء فيها، ودليل ذلك قوله:﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾[2] أي كمالها وتمامَها.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

معناه وما كل ذلك الا متاع الحياة الدُّنْيا، ويقرأ لَمَا متاع و «ما» ههنا لَغْوٌ، المعنى لَمَتاعُ.

وقوله:﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لَوْلاَ أن تميل بهم الدنيا فيصيرَ الخلق كفاراً لأعطى اللَّه الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لِقِلَّتِهَا عِنْدَهُ، ولكنه -عزّوجلّ- لم يفعل ذلك لعلمه بأن الغالب على الخلقِ حبُّ العَاجِلَة.

وقوله:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾.

ويقرأ وَمَن يَعْشَ بفتح الشين من عَشِيَ يَعْشَى، أي من يَعْمَ عن ذكر الرَّحْمنِ.

---

(١) زيد بن أسلم من مشهوري التابعين - مولى عمر بن الخطاب، فقيه محدّث مفسر، روى عن كثيرين منهم أبوه وابن عمر وعائشة، وروى عنه كثيرون منهم أولاده الثلاثة والسفيانان، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله. وما رؤي المستمعون أهيب لمعلم منهم له، وكان مجلسه يضم أربعين حبراً (فقيهاً) عدا الآخرين، وكان علي بن الحسين يتخطى مجلس قومه ليجلس إلى زيد، ويقول: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وكان يفسر القرآن برأيه ويكثر من ذلك، توفي سنة ١٣٦ هـ - وهو معدود في الثقات وبعضهم يغمزه - (تهذيب التهذيب جـ ٣/٣٦٥ - ٩٧).

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾.

نسبب له شيطاناً، يجعل اللَّه له ذَلِكَ جزاءه.

وقوله:﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

أي الشياطين تصدهم عن السبيل، ويحسب الكفار أَنَّهُم مُهْتَدُونَ.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِم﴾:

يصلح أن يكونَ بدلاً من قوله لمن يكفر بالرحمن، ويكون المعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن، ويصلح أن يكون لِبُيوتِهِمْ على معنى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بُيُوتِهم.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾.

ويقرأ جَاءَانَا، فمن قرأ جاءانا فالمعنى حتى إِذَا جَاءَ الكَافِرُ وشيطانه، ومن قرأ حتى إذا جاءنا فعلى الكافر وحده.

﴿قال يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِينُ﴾.

معنى ﴿المشرقين﴾ ههنا بعد المشرق والمغرب، فلما جعلا اثنين غلب لفظ المشرق كما قال:(١).

لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر، وكما قالوا سنَّةُ العُمَرَيْن يراد سنَّةُ أبي بكر وعمر، رحمةُ اللَّه عَلَيْهِمَا.

وقوله عز وجل:﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

المعنى لَنْ تَنْفَعَكُم الشَّرِكَةُ في العذاب، قال محمد بن يزيد في جواب

(١) للفرزدق من قصيدة له مشهورة يفتخر بآبائه ويهجو جريراً.

وقد جاء جزء منها في شواهد المغني ص ٣، وصدره: أخذنا بأطراف السماء عليكم.

هذه الآية إنَّهُمْ مُنِعُوا رَوْح التَّأَسِّي لأن التَّأسِّي يُسَهِّلُ المصيبة، فاعلموا أنْ لَنْ يَنْفَعَهم الاشْتراكُ في العَذاب وان اللّه -عزوجل-لا يجعل فيه أُسْوةً، قال وأنشدني في المعنى للخنساء(١):

ولولا كثرة الباكين حولي على إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتَّأَسِّي

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ، أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾.

دخل «ما» توكيداً للشرط والنون الثقيلة في قوله: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ دَخلتْ أيضاً توكيداً، وإذا دَخَلَتْ «ما» دخلت معها النون كما تَدْخُل مع لام القَسَم، والمعنى إنا نَنْتَقِمُ مِنْهُم إنْ توفِّيتَ أو نريك ما وعدناهم وَوَعَدْنَاكَ فِيهِمْ من النَّصْر، فقد أراه اللّه ـ عز وجل ـ ما وعَدَهُ فيهِمْ وَوَعَدَهُمْ مِنْ إهْلاَكِهِمْ إن كذَّبوا. وقد قيل إنه كانت بعد رسول اللّه ﷺ أشياء لم يُحْبِبِ اللّه أَنْ يُرِيَه إياها.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

يريدُ أن العذابَ شرفٌ لك ولقومك(٢).

وقوله:﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

معناه سوف تسألون عن شِكر ما جعله اللّه لكم من الشرف.

وقوله: ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

في هذه المسألة ثلاثَةُ أَوْجُهٍ جاء في التفسير أن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمهم وصلى بهم، وقيل له: سَلْهُمْ فلم

(١) من رثائها أخاها صخرا ـ انظر شواهد الكشاف ص ٦٤، والديوان ص ٣٧.
(٢) عذاب أعدائه وهزيمتهم دليل على صدق الاسلام، والأولى أن يكون الضمير عائداً على القرآن، لأن الآية السابقة هي: ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك...﴾.

يشكك عليه السلام ولم يَسَلْ، ووجه ثانٍ وهو الذي أختاره، وهو أنَّ المعْنَى سل أُمَمَ من أَرْسَلْنَا من قبلك من رُسْلِنَا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدونَ، ويكون معنى السؤال ههنا على جهة التقرير كما قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[١] فليس يَسْأَلُهمْ ههنا عَمَّنْ خَلَقَهُمْ إلا على جهةِ التقرير وكذلك إذا سأل جميع أمم الأنبياء لم يأتوا بأنَّ في كتُبِهِمْ أن اعبدوا غيري.

ووجه ثالث يكون المعنى في خطاب النبي ﷺ معناه مخاطبة الأمَّة، كأنه قال: واسألوا، والدليل على أنَّ مخاطبة النبي ﷺ قد يدخل فيها خطاب الأمة قوله: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٢].

وقوله: ﴿يا أَيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا [لمهتدون]﴾.

إن قال قائل: كيف يقولون لموسى عليه السلام يا أيُّها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون. فالجواب أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالسِّحر، ومعنى بما عَهِدَ عنْدَكَ أي بما عهد عندك فيمَنْ آمن به مِنْ كشف العذاب عنه[٣]، الدليل على ذلك قوله: ﴿فَلما كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.

أي إذا هم ينقُضُون عَهْدَهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾.

«مصر» ههنا يعنى بها مدينة مصر المعروفة، فمصر مذكر سُمِّيَ بِهِ مؤنث لأن المدينة الغالب عليها التأنيث، وَقَدْ يَجُوزُ مَلكُ مِصْرٍ، يذهب به إلى أن مصر اسم لبلد، وهذا فيه بُعْدٌ من قِبَلِ أن أكثر ما يستعمل البلد لما يضم مدناً

---

(١) سورة الزخرف الآية ٨٧.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) عهد اللّه إليه أن يكشف العذاب عمن آمن به. فهم يطلبون أن يشكف عنهم العذاب ثم يؤمنون بعد كشفه.

كبيرةٌ نحو بلاد الرُّوم وبلاد الشام وبلد خراسان. ويجوز أن تصرف مصراً إذا جعلته اسماً لبلد عند جميع النحويين من البصريين.

وقوله عز وجل:﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾.

قال سيبويه والخليل عطف «أَنَا» بـأم على قوله ﴿أفلا تبْصِرُونَ﴾ لأن معنى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ معناه أمْ تُبْصِرُونَ، كأنه قال: أَفَلَا تبصرون أمْ تُبصِرُونَ، قال لأنهم إذَا قالوا أنت خير منه فقد صاروا عنده بُصَرَاءَ، فكأنّه قال أفلا تبْصِرُونَ أم أنتم بُصَرَاءُ.

وَمَعْنَى ﴿مَهِين﴾: قليل.

يقال شَيءٌ مَهِينٌ أَي قَلِيلٌ، وهو فعيل من المهانة.

وقوله:﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

قال ذلك لأنه كانت في لسان موسى عليه السلام لثغة، والأنبياء - صلوات اللّه عليهم - أجمعون مُبَيِّنُونَ بُلَغَاءُ.

وقوله عز وجل:﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الملائكة مقترنين﴾.

كأنه لما وَصَفَ نفسه بالمُلْكِ والرِيَاسَةِ قال: هَلَّا جاء مُوسَى بشيء يُلْقَى عليه فيكون ذلك أَسْوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ تدل على أنها من عند إلٰهه الذي يدعوكم إلى توحيده، أو هلَّا جاء معه الملائكةُ مقترنين أي يمشون معه فيَدُلُّونَ على صحة نُبوَّتِهِ، وقد أتى موسى عليه السلام من الآيات بما فيه دلالةٌ على تثبيت النُّبُوَّة، وليس للذين يرسل إليهم الأنْبياءُ أَنْ يَقْتَرِحُوا من الآيات ما يريدون هم.

وتقرأ أساوِرَةٌ مِنْ ذَهبٍ، ويصلح أن يكون جمعَ الجمعِ تقول أَسْوِرَة وَأَسَاوِرَة، كما تقول: أقوال وأقاويل ويجوز أن يكون جَمعَ إسْوار وأساورة،

وإنما صَرَفْتَ أساورة لأنك ضَمَمْتَ الهاء إلى أسَاور فصار اسْماً وَاحِداً وصار الاسم له مِثال في الواحد مثل عَلاَنية وعباقية.

وقوله عز وجل:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

معنى ﴿آسفونا﴾ أغضبونا.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾.

جعلناهم سلَفاً مُتَقَدِّمِينَ ليتَعِظَ بهم الآخرون، ويُقْرأُ سُلُفاً ـ بضم السين واللام، ويُقرأُ سُلَفاً ـ بضم السين وفتح اللام ـ. فمن قال سُلُفاً ـ بضمتين ـ فهو جمع سَلِيف، أي جميع قد مضى، ومن قرأ سُلَفاً فهو جمع سُلْفَة أي فرقة قد مَضَتْ.

وقوله عز وجل :﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

ويقرأ يَصُدُّون ـ بضم الصاد ـ والكسر أكثر ومعناهما جميعاً يضجُّونَ ويجوز أن يكون معنى المضمومة يُعْرِضُونَ.

وجاء في التفسير أن كُفَّارَ قريش خاصمت النبي ﷺ فلما قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا[1] قد رضينا أن تكون آلهتُنا بمنزله عيسى بن مريم والملائكةِ الذين عُبِدوا من دون اللَّه[2]. فهذا معنى ضَرْبِ عيسى المثل.

وقوله:﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً﴾.

أي طلباً للمجادلة لأنهم قد علموا أن المعنى في حصب جهنم ههنا أنه يعني به الأصنام وهم.

---

(١) في الأصل فقالوا، والآية في سورة الأنبياء رقم ٩٨.

(٢) أي حيث عبد هؤلاء.

وقوله تعالى:﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

يعني بـه عيسى بن مريم، ومعنى ﴿جعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ أنـه يدلهم على نبوته.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

معنى ﴿يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً، والمعنى لجعلنا منهم بَدَلاً منكم.

﴿وإنه لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾.

ويقرأ لَعَلَمٌ للسَّاعةِ، المعنى أنّ ظهورَ عيسى بن مريم عليه السلام لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ، أي إذا ظهر دَلَّ على مجيء الساعة، وقد قيل إنه يعني بـه أن القرآن العلم للساعة يدل على قرب مجيئها، والدليل على ذلك قوله :﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾. والأول أكثر في التفسير.

وقوله:﴿فَلاَ تَمتَرُنَّ بِهَا﴾: أي لا تَشُكُّنَّ فيها.

وقوله عز وجل:﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قوله جاء بالحكمة أي بالانجيل وبالبينات أي الآيات التي يعجز عنها المخلوقون، وقالوا في معنى ﴿بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفونَ فِيهِ﴾ أي كل الذي يختلفون فيه[1] واستشهدوا بقول لبيد:

---

(١) لم يقل هذا غير أبي عبيدة في مجازه. وقد سبق هذا في تفسير الآية ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾. وصدر البيت:

تراك أمكنة إذا لم أرضها

وهو من معلقة لبيد. وانظر المجاز ص ٩٤ جـ ١ وص ٢٠٥ جـ ٢. ولم يوافق أحد أبا عبيدة فيما قال. وتقدم هذا في جـ ١.

او تخترم بعض النفوس حمامُها.

يـريد كـل النفوس، واستشهـدوا أيضاً بقـول القطامي:

قـد يـدرك المتأني بعض حاجته[1].

قالوا معناه كلُّ حاجته. وهـذا مذهب أبي عبيـدة، والصحيح أن البعض لا يكـون في معنى الكل، وهـذا ليس في الكلام، والـذي جـاء بـه عيسى في الانجيـل إنمـا هـو بعض الـذي اختلفـوا فيه، وبين اللّٰه سبحـانـه لهم من غيـر الانجيل ما احتاجوا إليه، وكذلك قوله: أو يخترم بعض النفوس حمامهـا، إنما يعني نفسه، ونفسه بعض النفوس.

وقوله عز وجل:﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾.

﴿الأحزاب﴾ قيل إنهم الأربعة الذين كانـوا بعد عيسى، يعني بـه اليهـود والنصارى.

وقوله:﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أنه قال: الأَخِـلَّاءُ أَرْبَعَةٌ مؤمنـان وكافـران فمات أَحَدُ المؤمِنَيْنِ فَسُئِلَ عن خليله فقال ما علمته إلَّا أمَّـاراً بالمعـروف نهَّاءً عن المنكر، اللهم اهده كما هَدَيْتَنِي، وأَمِتْه على مَا أَمَتَّني عليه، وسئل الكـافر عن خليله فقال: ما علمته إلَّا أمَّاراً بـالمنكر نهـاء عن المعروف، اللهم أضلله كما أضللتني، وأَمِتْـهُ على ما أَمتّني عليه، فإذا كان يوم القيامـة أُثنى كل واحـد على صاحبه شَرًّاً.

---

(١) عجزه: وقد يكون مع المستعجل الزلل.
من قصيدته التي أولها: إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.
انظر شواهد المغني ٢٢٣. وشواهد الكشاف ٩١.

قوله:﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

وتقرأ يا عبادي ـ بإثبات الياء، وقد فسرنا حذف الياء وإثباتها في مثل هذا فيما سلف من الكتاب.

وقوله:﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب على النعت لِعِبَادِي، لأن عبادي منادى مضاف، وإنما قيل ﴿لَا خَوْفٌ عليكم اليوم﴾ للمؤمنين لا لغيرهم، وكذلك ﴿ادْخُلوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى يا عبادي المؤمنين ادخلوا الجنة.

وقوله: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾.

﴿تحبرون﴾ تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والحَبْرَةُ المبالغة فيما وصف بجميل.

وقوله: ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأكوابٍ﴾.

«الصحاف» واحدها صَحْفَة وهي القصعة، والأكواب واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له.

وقوله:﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ﴾.

وقرئت ﴿تشتهيه الأنفسُ﴾ بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغيرها، وفي بعضها الهاء.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

المبلس: الساكتُ المُمْسِكُ إمساك يائِسٍ من فَرَجٍ.

وقوله:﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمَ الظَّالِمِينَ﴾.

«هِمْ» ههنا فصل كذا يسميها البصريون، وهي تأتي دليلاً على أن ما

بعدها ليس بصفة لما قبلها، وأن المتكلم يأتي بخبر الأول. ويسميها الكوفيون العِمَاد. وهي عِندَ البصريينِ لا موضع لها في رفع ولا نصب ولاَ جَرٍّ، ويزعَمُون أنها بمنزلة «ما» في قوله سبحانه:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لهم﴾[1] وقد فسرتُ ما في هذا فيما تقدم من الكتاب ويجوز «ولكن كانوا هم الظَّالِمُونَ» في غير القرآن، ولكن لا تقرأن بها لأنها تُخَالِفُ المُصْحَفَ.

وقوله عز وجل:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

وقد رُوِيَتْ يَا مَالِ - بغير كاف، وبكسْرِ اللام - وهذا يسميه النَّحوِيُّونَ التَرْخيم، وهو كثير في الشِّعْر في مالك وعامر ولكنني أَكْرَهُهُمَا لمخالفتهما المصحف.

وقوله عز وجل:﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمراً فإنا مُبْرِمُونَ﴾.

أي أم أحكموا عند أنْفُسِهِمْ أمراً من كيد أو شَرٍّ فإنا مُبْرِمُونَ.

مُحْكِمُونَ مُجَازَاتَهم كيداً بكيدِهِمْ، وشَرًّا بِشَرِّهِمْ.

وقوله:﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾.

معناه إن كنتم تزعمون أن للرحمن وَلَداً فأنا أول المُوَحِّدِينَ لأن من عبد اللَّه - عز وجل - واعترف بأنه إلٰهه فقد دفع أن يكون له وَلَدٌ. والمعنى إن كان للرحمن ولد في قولكم، كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كنتم تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾[2] أي في قولكم. واللَّه واحد لا شريك له. وقد قيل إنَّ «إنْ» في هذا الموضع في موضع «ما» المعنى ما كان للرحمن وَلَد، ﴿فأنا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾، وقد قيل إن العابدين في معنى الآنفين، فأنا أول من يأنف من هذا القول.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة النحل ٢٧.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وفي الأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

المعنى هو الموحَّدُ في السماء وفي الأَرْضِ ، وقرئت «في السَّماءِ اللَّهُ وَفِي الأَرْضِ اللَّهُ». ويدل ما خلق بَيْنَهُما وفيهما أَنه وَاحِدٌ حكيم عليم، لأن خلقُهما يدل على الحِكْمَةِ والعِلْمِ.

وقوله: ﴿وَقِيلَهُ: يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ويُقْرَأُ ﴿وقِيلِهِ﴾، وقيلُه يا ربُّ، فيها ثلاثة أوجه، والخفض على مَعْنَى ﴿وعنده علم الساعة﴾ وعلمُ قِيلِه يَا رَبُّ والنصب من ثلاثة أوجه، قال أبو الحسن الأخفش إنه منصوب من جهتين إحداهما على العطف على قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُون أنا لا نسمع سِرَّهُم وَنَجْواهم﴾ وقيلَهُ، أي ونسمع قيله. ويكون على وقال قيله.

قال أبو إسحاق: والَّذي أختاره أنا أن يكون «قيلَه» نصْباً على مَعْنَى وعنده علم الساعة ويعلمُ قيلَهُ، فيكون المعنى انه يعلم الغيب ويعلم قيله، لأنَّ معنى عنده علم الساعة يعلم الساعة ويعلم قيله. ومعنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامَةُ.

والرفع على معنى وقيلُه هذا القول، أي وقيله قوله ﴿يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾.

سُورَةُ الدُّخَان
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

جاء في التفسير: من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة تصديقـاً وإيمانـاً غفر اللّه له.

وقد فسرنا معنى ﴿حٰم﴾ فيما سَلَفَ.

وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ المُبِينِ﴾ قسمٌ.

وقوله:﴿إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها ليلة القدر، قال اللّه ـ عز وجل ـ:﴿إنَّا أنزلنا في ليلة القدر﴾، وقال المفسِّرُون: في ليلة مباركة هي ليلة القدر.

نزل جملة إلى السَّماءِ الدُّنْيَا في ليلة القَدْرِ، ثم نزل عَلَى رَسُول اللّه ﷺ شيئاً بعد شيء.

وقوله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

يَفْرُق اللّه عز وجـل في ليلة القدر كـل أمر فيـه حكمة من أرزاقِ العِبـادِ وآجالِهِمْ وجميع أَمْرِهم الذي يكون مُؤَجَّلاً إلى ليلة القدر التي تكون في السنـة المقبلة.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾، وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

منصوبان ـ قال الأخفش ـ على الحال، المعنى إنا أنزلناه آمرين أَمْراً وراحمين رَحْمةً. ويجوز أن يكون منصوباً بِيُفْرَقُ بمنزلة يفرُقُ فرقاً لأن أَمْرَاً بمعنى فَرْقاً، لأن المعْنَى يؤتمر فيها أمراً.

ويجوز أن يكون﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾مَفْعُولاً له، [أي] إنا أنزلناه رحمةً أي للرَّحْمَةِ.

وقوله:﴿ربِّ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

بالخفض والرَّفع. فالرفعُ عَلَى الصِّفَةِ، والخفض على قوله: مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَواتِ، ومن رفع فعلى قوله: انه هو السميع العليم ربُّ السَّمواتِ، وإن شئت على الاستئناف على معنى هو رب السموات.

وقوله:﴿لاَ إِلٰه إلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمْ﴾.

ويقرأ ﴿رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبائِكم الأَوَّلِينَ﴾: ـ فالخفض على معنى رحمة من ربك رَبِّكم وربِّ آبائكم الأولين.

وقوله:﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ﴾.

﴿فارتقب﴾ فانتظر، وفي أكثر التفسير أن الدخان قَدْ مَضَى وذلك حين دعا رسول اللَّه ﷺ عَلَى مُضَرٍ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَرٍ واجْعَلْها عَلَيْهِم سِنِينَ كسني يُوسُفَ، أي اجْعَلْهُم سِنُوهم[١] في الجدب كسني يوسف، والعَرَبُ أيضاً تسمي الجدبِ السَّنَةَ، فيكونُ المْعَنى اجعلها عليهم جَدُوباً. فارتفع القَطْرُ، وأجْدَبَتِ الأرضُ وصار بين السماء والأرض كالدُّخانِ.

وقوله: ﴿هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،

---

(١) في الأصل سنيهم. على أنها بدل.

المعنى يقول الناسُ الذين يحل بهم الجَدْبُ: ﴿هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ﴾.

وقوله - عز وجل -: ﴿إِنَّا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

ويجوز أَنَّكُمْ عَائِدُونَ. فمن قرأ أَنَّكُمْ عـائدونَ فهـو الوجـه، والمعنى انه يعلمهم أنهم لا يتّعِظُونَ، وأنهم إذَا زال عنهم المكروه عادوا في طُغْيانِهِم.

وقوله - عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ [البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ] ﴾.

يوم نَبْطِش، وَنَبْطُش إنَّا منتقمُونَ.

هذا مثل عَكَفَ يَعكُف وَيَعْكِفُ، وعَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْـرُشُ وهذا في اللغـة كثير. وقيل إنَّ البـطشة الكبـرى يوم بَـدْر. و «يومَ» لا يجـوز أن يكون منصُـوباً بقوله مُنْتَقِمُونَ، لأن ما بَعْـدَ إنَّا لا يجـوز أن يعمل فيمـا قبلَها، ولكنـه مَنْصُوبٌ بقوله: واذكر يوم نبطش البطشة الكبرى.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَـوْمَ فِرْعَوْنَ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عَبَادَ اللَّه﴾.

أن أسلموا إليَّ عباد اللَّه، يعني بني إسرائيل كما قال: ﴿فأرسل معنا بني إسْرائيل وَلَا تعذِّبْهُمْ﴾[1]، أي أطلقهم من عَذَابِكَ[2]. وجائز أن يكون عباد اللَّه مَنصُوباً على النداء، فيكون المعنى أن أدوا إليَّ ما أمركم اللَّه به يا عباد اللَّه.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

أي بِحجَّةٍ وَاضحةٍ بَيِّنَةٍ تَدل على أني نبي.

وقوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمونِ﴾.

أي أن تقتلون.

---

(١) سورة طه: آية ٤٧.

(٢) عباد الله على هذا مفعول به.

وقوله:﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعتزلونِ﴾.

أي إن لم تؤمنوا لي فلا تكونوا عليَّ ولا مَعِي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾.

من كسر إنَّ فالمعنى قال إن هؤلاء، وَ «إنَّ» بعد القول مكسورة. ويجوز الفتح على معنى فدعا ربّه بأن هؤلاء.

وقوله:﴿واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾.

جاء في التفسير «يَبَساً» كما قال: ﴿فاضربْ لهم طريقاً في البحر يبساً﴾(١) وقال أهل اللغة: رَهواً سَاكِناً.

وقوله:﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾.

جاء في التفسير أن المقام الكريم يعنى به المنابر ههنا، وجاء في مَقامٍ كريمٍ أي في منازل حسنة.

قوله:﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾.

المعنى الأمر كذلك. موضع كذلك رفع على خبر الابتداء المضمَر.

وقوله عز وجل:﴿فَمَا بَكَتِ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾.

لأنهم ماتوا كفاراً، والمؤمنون إذَا مَاتُوا تبكي عليهم السماء والأرض، فتبكي على المؤمن الأرض مُصَلّاه أي مكان مُصَلاهُ ومن السماء مكان مصعد عمله ومنزل رزقه، وجاء في التفسير أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صَبَاحاً.

وقوله:﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

---

(١) سورة طه الآية ٧٧.

أي ما كانوا مؤخرين بالعذاب.

﴿وَلَقَد اخْتَرنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

أي على عالمي دهرِهم.

وقوله:﴿إنَّ هَؤُلاءِ لِيَقُولُونَ: إنْ هِيَ إلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِين﴾.

هـذا قالـه الكفار من قـريش، معنى «إن هي» مـا هي، ومعنى بِمُنْشَرِينَ بمبعوثين، يقال أنشر اللّه الموتى ونشروا هم.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

جاء في التفسير أن تُبَّعاً كان مؤمناً، وأن قومـه كانـوا كافـرين، وجاء أنـه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير، على قبر أحدهمـا: هذا قبـر رَضْوَى، وعلى الآخر هذا قبر حُبىً ابْنتي تُبَّعٍ لا يشركان باللّه شيئاً.

وقوله عز وجل:﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ﴾.

يعنى به السموات والأرض أي إلاّ لإِقامة الحق.

وقوله عز وجل:﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ويجوز ميقاتهم بنصب التـاء، ولا أعلم أنه قـرئ بها، فـلا تقرأن بهـا. فمن قرأ ميقاتهم بالرفع جعل يوم الفصل اسم إنَّ، وجعل ميقاتهم الخبر، ومن نصب ميقاتهم جعله اسم إنَّ ونصب يوم الفصل على الظرف، ويكـون المعنى ميقاتهم في يوم الفصل.

وقوله عز وجل:﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلَىً عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾.

لا يغني ولي عن وَلِيِّهِ شيئاً، ولا والد عن ولده، ولا مَوْلُودٌ عن وَالِدِه.

وقوله:﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثِيمِ﴾.

يعنى به[١] ههنا أبو جهل بن هشام. والمهل نُرديّ الزَّيْتِ ويقال: المهمل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿خذوه فَاعْتِلُوهُ﴾.

ويقرأ فاعْتُلوه ـ بضم التاء وكسرها. المعنى يا أيها الملائكة خذوه فاعتلوه. والعَتْلُ أن يؤخذ فيمْضَى به بِعَسْفٍ وَشِدَّةٍ.

﴿إلى سَوَاءِ الجَحِيم﴾: إلى وَسَطِ الجَحِيم.

وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّك أنت العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾.

الناس كلهم على كسر «إِنَّكَ» إلا الكسائي وحده فإنه قرأ: ذق أَنَّكَ أنت، أي لأَنَّكَ قُلْتَ إِنَّك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه كان يقول: أنا أعز أهل هذا الوادي وَأَمْنَعُهمُ فقال اللّه عز وجل ذق هذا العذابَ إِنَّك أنت القائل: أنا العزيز الكريم.

وقوله: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

أي قد أمنوا فيه الغِيَرَ.

وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتبْرَقٍ مُتَقَابِلِين﴾.

قيل الاستبرق الديباج الصَّفيقُ، والسندس الحرير، وإنما قيل له استبرق ـ واللّه أعلم ـ لشدة بريقه.

وقوله عز وجل: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى﴾.

المعنى لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وهما كما قال: ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ من النِّساءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٢].

---

(١) بالأثيم.

(٢) سورة النساء الآية ٢٢.

وقوله عز وجل: ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ﴾.

ويجوز «فَضْلٌ مِنْ رَبِّكَ»، ولا يقرأن بها لخلاف المصحف، والنَّصْبُ على معنى قوله ﴿يدعونَ فيها بكل فاكهة آمنين﴾، وعلى معنى ﴿إنّ المتقين في مقام أمين﴾ وذلك بفضل من اللَّه، فالمعنى فعَل اللَّه بهم ذلك فضلاً منه، وتفضلاً منه.

وقوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾.

معناه فانتظر إنهم منتظرون.

سورة الجاثية
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إنَّ فِي السَّمواتِ والأرْضِ لآيَاتٍ للمُؤْمِنِينَ﴾.

المعنى - والله أعلم - إن في خلق السموات والأرض لآياتٍ ويدل عليه قوله:﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾.

يقرأ آياتٍ وآياتٌ بخفض التاء ورفعها وهي في موضع نصب على النَّسَق على قوله: ﴿إنَّ فـي السّموات والأرْضِ لآياتٍ﴾.

المعنى أن في خَلْقِكم لآيــات، ومن قـرأ لآيـاتٌ فعلى ضـربين، على الاستئناف على معنى وفي خلقكم آياتٌ، وعلى موضع أن مـع ما عملت فيـه، تقول: إنَّ زيداً قائمٌ وَعَمْراً وعَمْـرٌ. فتعطف بعَمْـرٍو على زيد إذا نَصَبْتَ، وإذَا رفعت فعلى موضع إنَّ مع زيدٍ، فإنَّ مَعْنَى إنَّ زَيداً قائم زيدٌ قائم.

وقـوله:﴿وَاخْتِـلافِ اللَّيْلِ والنَّهَـارِ وَمَا أَنْـزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ إلى قوله:﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

يقرأ بالرفع وبكسر التاء والتنوين، والموضع موضعُ نَصْبٍ ويكون قـوله: ﴿واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَـارِ﴾ عطف على قـوله: ﴿وفي خلقكم﴾، وعلى قـوله:

﴿إن في السموات والأرض﴾، وإن في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ آياتٍ، وهذا عطف عَلَى عَامِلَيْن ومثله من الشعر:[1]

أكل امرئ تحسبين امرًأ ونار توقد بالليل ناراً

عطف على ما عملت فيه كل، وما عملت فيه أتحسبين. وقد أباهُ بعض النحويين، وقالوا: لا يجوز إلا الرفع في قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آياتٌ﴾ وجعله عطفاً على عامل واحد على معنى واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح آياتٌ، وهذا أيضاً عطف على عاملين لأنه يَرْفَعُ آياتٍ على العطف على ما قبلها كما خفض «واختلافَ» على العطف على ما قبلها. ويكون معطوفاً إن شئت على موضع أنَّ وَمَا عَمِلتْ فيه، وإن شئت على قراءة من قرأ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

وتؤمنون جميعاً، والمعنى - واللَّه أعلم - فبأي حديث بعد كتاب اللَّه وآياته يؤمنون. قال اللَّه عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كِتاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[2] فجعل القرآن أحسن الحديث.

وقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿أفاك﴾ كذاب.

وقوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ للنَّاسِ وهُدًى وَرَحمةٌ﴾.

---

(١) ينسب لابي داود جويرية بن الحجاج، والى جارية بن حم ، الحذافي، والى عدي بن زيد وأول القصيدة:

ودار يقول لها الرائدون ويلم ار الحذافي دارا

انظر شواهد المغني ٢٣٩، والخزانة ٤/٣٩٤، والكامل ١ ١٦٩ (التجارية) وشواهد الكشاف - وهو من شواهد النحو الشائعة في معظم كتبه.

(٢) سورة الزمر /٢٣.

﴿هذا﴾ إشارة إلى القرآن، المعنى هذا القرآن بصائر للناس.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

ويقرأ ﴿سواءً مَحْياهُمْ ومَمَاتُهُمْ﴾، وقد قرئت سواءً مَحْياهم وَمماتَهُمْ بنصب الممات. وحكى بعض النحويين أن ذلك جائز في العربية. ومعنى اجترحوا اكتسبوا، ويقال: فلانٌ جَارِحةُ أهله أي كاسبهم، والاختيار عند سيبويه والخليل وجميع البصريين سواء برفع سواء، وعليه اكثر القراء، ويجيزون النصب، وتقول: ظننت زيداً سواءٌ أبوه وأمُّه، وسواءً أبوه وأُمُّه. والرفع أجود، لأن سواء في مذهب المصدر كما تقول: ظننت زيداً ذو استواء أبوه وأُمُّه، ومن قرأ سواءً بالنصب جعله في موضع مستوياً محياهم وَمَمَاتُهُمْ ومن نصب محياهم ومماتهم، فهو عند قوم من النحويين سواء في محياهم وفي مماتهم، ويذهب به مذهب الأوقات، وهو يجوز على غير ذلك على أن يجعله بدلاً من الهاء والميم، ويكون المعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعل محياهم ومماتهم سواءً كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي كمحيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومَمَاتهم.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

وقد رويت آلِهَةً هَوَاهُ، ولها وجه في التفسير وروي أن قريشاً كانت تعبد العُزَّى وهي حجر أبيض فإذا رأت حجراً أشد بياضاً منه وأحسن اتخذت ذلك الأحسن واطّرحت الأوّلَ، فهذا يدل على آلهته، وكذلك أيضاً إلٰهه.

وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّه عِلى عِلْمٍ﴾.

أي على ما سبق في علمه قبل أن يخلقه أنه ضال.

﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾.

ويقرأ عَشْوة بفتح العَيْن بغير ألف، ويقرأ غُشَاوَةَ ـ بضم العين والألف.

وقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

فإن قال قائل: كيف قالوا نموت ونحيا وهم لا يقرون بالبعث، فالدليل على أنهم لا يقرون بالبعث قولهم ما هِيَ إلَّا حياتنا، وفي نموت ونحيا ثلاثة أقوال.

يكون المعنى نموت ونحيا، يحيا أولادُنا، فيموت قوم ويحيا قوم، ويكون معنى ﴿نموت ونحيا﴾ نحيا ونموت، لأن الواو للاجتماع، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر. ويكون ﴿نموت ونحا وما يهلكنا إلَّا الدَّهر﴾ أي ابتداؤنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا ثم يهلكنا الدَّهْرُ.

فَأَعْلَمَ اللَّه ـ عز وجل ـ أَنَّهم يَقولُونَ ذلك ضُلَّالًا، شَاكِّين فقال:

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

المعنى ما هم إلَّا يظنون.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ما كان حُجَّتَهم إلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

يجوز في حُجَّتِهِمْ الرفْعُ، فمن رفع جعل حجتهم اسم كان و﴿أَنْ قَالُوا﴾ خبر كان. ومن نصب حجتهم جعل اسم كان أَنْ مَعَ صِلَتِها، ويكون المعنى ما كان حجتهم إلَّا مَقَالَتَهم ائتوا بآبائنا.

وقوله عز وجل: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً. كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾.

اي كل أحد يُجزى بما تضمنه كتابه، كما قال عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ

أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. اقْرأْ كِتَابَكَ﴾[1].

فهذا مثل قوله: ﴿كلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتَابِها﴾.

رفع «كل» بالابتداء، والخبر «تُدْعى إلى كتابها»، ومن نصب جعله بدلاً من «كُلَّ» الأول، والمعنى وترى كل أمة تدعى إلى كتابها، ومعنى «جاثية» جالسة على الركب، يقال قد جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته، ومثله جَذا يجذو[2]، والجُذُوّ أَشدُّ استيفازاً[3] من الجثو لأن الجذو أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه.

وقوله: ﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الاسْتِنْسَاخُ لا يكون إلَّا من أَصْلٍ، وهو أن يستنسخ كتاباً من كتابٍ، فنستنسخَ ما يكتب الحفظة ويثبت عند اللّه - عز وجل -.

وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

جواب أما محذوف، لأن في الكلام دليلاً عليه، المعنى وأما الذين كفروا فيقال لهم: ألم تكن آياتي تتلى عليكم، ودلت الفاء في قوله «أفلم» على الفاء المحذوفة في قولك فيقال لهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ والسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

والسَّاعَةَ، فمن نصب فَعَطفٌ على الوعد، المعنى: وإذا قيل ان وَعْدَ اللّه حق وَأن الساعة، ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة لا ريب فيها.

---

(١) سورة الاسراء / ١٣ و١٤.

(٢) جذا يجذو جَذْوا، وجُذُوًّا، وأَجْذى، ثبت قائماً، وجثا، وقام على أطراف أصابعه.

(٣) من الوفز وهو العجلة، واستوفز في قعدته انتصب غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع إليتيه، أو استقل على رجليه ولما يستو قائماً، وقد تهيأ للوثوب.

وقوله عز وجل:﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُم، كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾.

أي اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم الايمان والعمل ليومكم.

والدليل على ذلك قوله:

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْها﴾ ويَجوز لا يَخْرُجُون منها.

﴿ولا هم يُسْتَعْتَبُون﴾:

لا يردون ولا يلتمس منهم عملٌ وَلَا طَاعةٌ.

وقوله:﴿وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ في السَّمواتِ والأَرْضِ﴾.

أي له العظمة في السموات والأرض.

وقوله:﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾[1].

ويقرأ مِنَّةً.﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، والمعنى كل ذلك منه تفضُّل وإحسان. ومِنَّة على معنى المفعول له، والمعنى فعل ذلك مِنَّةً، أي مَنَّ مِنَّةً، لأن تسخيره بمعنى مَنَّ عليكم[2].

---

(١) كما هو واضح. موضع هذه الآية قبل ذلك، وسبق أن الزجاج يؤخر أحياناً بعض الآيات عن موضعها.

(٢) على هذا التقدير تكون منه مفعولاً مطلقاً ـ لا مفعولاً لأجله ولكن هذه طريقة الزجاج في شرح المفعول له. كما سبق مراراً.

سورة الأحقاف

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قـوله عـز وجل:﴿مَـا خَلَقْنَا السَّمَـواتِ والأرْضَ، وَمَـا بَيْنَهُمَـا إلاَّ بـالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾:

جاء في التفسير: ما خلقناهما إلاَّ للحق، أي لإقامة الحق، وتكون على معنى ما قامت السموات والأرض إلا بالحق، وقوله بعقب هذا:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عما أُنْذِروا مُعْرِضُونَ﴾.

أي أعرضوا بعد أن قام لهم الـدليل بخلق اللّٰه السمـوات والأرض، وما بينهمـا ثم دعاهم إلى الـدليل لهم على بـطلان عبـادة مـا يعبـدونَ من الأوثـان فقال:

﴿قُلْ أَرْأَيْتُمْ مَا تَدعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

ويقرأ أَرَيْتُمْ بغير ألف.

﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ﴾:

ما تدعونه إلٰهاً من دون اللّٰه.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِركٌ في السَّمَوَاتِ﴾.

أي في خلق السموات، أي فلذلك أشركتموهم في عبادة اللّٰه عز وجل.

﴿إِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

أي ايتوني بِكتابٍ أنزل فيه برهانُ ما تَدَّعُونَ.

﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾:

ويقرأ أو أثارة من علم، وقرئت أو أَثْرةٍ من علم - بإسكان الثاء - ومعناها إذا قال: أَثارة على معنى عَلَامةٍ مِنْ عِلْمٍ، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم، ويجوز أن يكون على معنى ما يُؤْثِر من العلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾:

أي من أضل مِمَّنْ عَبَدَ غيرَ اللَّه. وجَمِيعُ مَا خلق اللَّه دليل على وَحْدَانِيَّتِهِ فمن أضل ممن عبد حجراً لا يستجيب له. وقال و«مَنْ» وقال و «هم»[1] وهو لغير ما يعْقِل، لأن الذين عبدوها أجْرَوْهَا مجرى ما يميز فخوطبوا على مُخَاطَبَاتِهِمْ كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2]،

ولو كانت «ما» لكان جَيِّداً كما قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِر﴾[3].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾:

أي كانت الأصْنامُ كَافِرةً بعبادتهم إياها، تقول ما دعوناهم إلى عبادتنا.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُه فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾:

---

(١) يريد أنه أوقع على الأصنام ضمير العاقل.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٢.

أي فَلَسْتُمْ تملكون من اللَّه شيئاً، أيَ اللَّه أملك بعباده.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾:

أي كفَى هو شهيداً. وَ «بِهِ» في موضع رفع، وقوله في هذا الموضع:

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

معناه أنه مَنْ أَتَى من الكبائر العِظَام ما أتيتُمْ به من الافتراء على اللَّه جَلَّ وعز وَعَلا - ثم تاب فإن اللَّه غفورٌ رَحيمٌ له.

وقوله:﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾.

أي ما كنت أول من أُرْسِلَ. قد أرسل قبلي رُسُلٌ كثيرونَ.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾:

كان رسول اللَّه ﷺ رأى في منامه أنه سيصير إلى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ وَشَجرٍ، وقد شكا أصحابه الشدةِ التي نالتهم فلما أَعْلَمَهُم أنه سيصير إلى أرض ذات نَخْلٍ وَشَجرٍ، وتأخّر ذَلِكَ استبطأوا ما قال عليه السلام، فأعلمهم أن الذي يتَّبِعُهُ ما يُوحَى إليه، إن أمر بِقِتَالٍ أو انتقالٍ، وكان ذلك الأَمْرُ وحياً فَهُوَ مُتَّبِعُهُ، ورؤيا الانبياء عليهم السلام وَحْيٌ.

وقوله:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ واسْتَكْبَرْتُم﴾.

جاء في التفسير أن عبد اللَّه بن سلام صار إلى النبي ﷺ فآمن به، وقال له: سَلْ اليهودَ عني فَإِنَّهُمْ سَيُزَكُّونَنِي عندك ويخبرونك بمكانِي من العِلْم، فَسَأَلَهُم النبي ﷺ عنه[1] من قبل أن يَعْلَمُوا أَنّه قَدْ آمن. فأخبروا عنه بأنه أعلمُهُم بالتوراة وبِمَذْهَبِهِم، وأنه عالم ابن عالم ابن عَالِم. فآمن بحضرتِهِم وشهِدَ أن محمداً رسول اللَّه فقالوا بَعْدَ إيمانه أنتَ شرُّنَا وابن شَرُّنَا. قال: ألم

---

(١) في الأصل عليه.

يأتكم في التوراة عن موسى عليه السلام: إذا رأيتم محمداً فاقرئوه السلام مني وآمنوا به، وأَقْبَلَ يَقِفُهُمْ من التوراة على أَمْكنةٍ فيها ذكر النبي ﷺ وصفتُه، وهم يستكبرون ويجحَدون ويتعمدون ستر ذلك بِأَيْدِيهم(١).

وجواب: ﴿إِنْ كان من عنـد اللَّه وكفرتم بـه وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ أَتُؤمِنُونَ.

ثم أعلم أن هؤلاء المغاينين خاصـة لَا يُؤْمِنُونَ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي قد جعل جزاءَهم على كفرهم بعدما تَبَيَّنَ لهم الهُدَى مَدَّهم في الضَّلَالَةِ.

وَقِيلَ في تفسير قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِـدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيـلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ عَلَى مثـل شهادَةِ عبْـد اللَّه بن سَلَامٍ. والأجـود ـ واللَّه أعلم ـ ان يكون ﴿عَلَى مِثْلِه﴾ على مثل شهادة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أسلمت جُهَينـةُ ومُزَينَـةُ وأسلمُ وغِفَارٌ، قـالت بَنُو عَامِرٍ وغطفـان وأسد وأشجع: لـو كان مـا دخل فيـه هؤلاء مِنَ الدِّين خَيـراً ما سبقونا إليه، ونحن أعزُّ مِنْهُمْ، وَإِنَّما هؤلاء رُعَاةُ الْبَهْمِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾.

﴿إمَاماً﴾ منصوب على الحال وقوله: ﴿ورحمةً﴾ عطفٌ عَلَيْهِ.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا﴾.

---

(١) عبدالله بن سلام بن الحرث ـ أبو يوسف ـ إسرائيلي من ذرية يوسف الصـديق ـ من بني قينقاع، كـان حليفاً لبعض بني الخـزرج، وكان اسمـه الحصين وسمـاه النبي عبـدالله، روى عنـه ابنـاه يوسف ومحمد وعـدد كبير من الصحـابة، اسلم أول مـا قدم النبي المـدينة، وقيـل بعد ذلـك. وأوصى معاذ بن جبل أن يلتمس العلم عنـد أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وابن سـلام. ومن أعماله أنه نهى علي بن أبي طالب عن الخروج للعراق، وقال: الزم منبر النبي فإنـك إن فارقته

المعنى واللّه أعلم، وهو مصدقٌ لما بين يَدَيْهِ لساناً عَربيًا، لما جاء بعد هذا الموضع.

﴿قالوا يَاقَوْمَنَا إنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْهِ يَهْدِي إلَى الحَقِّ﴾.

وحذف له[1] ههنا أعني من قوله: ﴿وهذا كتابٌ مصدقٌ﴾ لأن قبله ومن قبله كتاب موسى، فالمعنى وهذا كتاب مُصَدِّقٌ له، أي مُصَدِّقُ التَّوْرَاةَ و﴿لساناً عربياً﴾ منصوبان على الحال. المعنى مصدق لما بين يديه عربياً، وذكر لساناً توكيداً، كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيدٌ صالحاً.

وتذكر رجلاً توكيداً، وفيه وجه آخر، على معنى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً. المعنى مصدق النبي عليه السلام، فيكون المعنى مصدق ذا لسانٍ عربيٍّ.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

ويقرأ لتنذر الذين ظلموا.

﴿وبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾:

الأجود أن يكون ﴿بشرى﴾ في موضع رفع، المعنى وهو بشرى للمحسنين، ويجوز أن يكون بشرى في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا ويُبَشِّرَ المحسنين بُشرى.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

= لا تراه بعد. وناصر عثمان في شدته، ونزل فيه من القرآن: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ و﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ مات سنة ٤٣ هـ. الاصابة ت ٤٧٢٥.

(١) في الأصل: وحذف من ههنا.

معنى ﴿ثم استقاموا﴾ أي أقاموا على توحيد اللّه وشريعة نبيه عليه السلام.

وقوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾:

وتُقْرأُ ﴿إحْساناً﴾، وكلتاهما جيّد، ونصب إحساناً على المصدر، لأن معنى وصيناه بوالديه أمرناه بأن يحسن اليهما احساناً.

وقوله عز وجل: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه كُرْهاً﴾:

وَكَرْهاً، وقد قرئ بهما جميعاً. المعنى حملته أمه على مشقة ووضعته على مشَقَّة.

وقوله: ﴿وَحَمْلُهْ وَفِصَالُه ثَلاَثُونَ شَهْراً﴾:

وقد قرئت وفصله ثلاثون شَهراً. ومعنى فِصَاله فطامُه. وَأَقَلُّ ما يكون الحمل لستة أَشْهُر. والاختيار وفصاله، لأن الذي جاء في الحديث: «لا رِضَاعَ بعد الفِصَالِ» يعني بعد الفطام.

وقوله: ﴿حتى إذا بلغ أَشُدَّه وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾:

جاء في التفسير أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة، وقيل الأشد ثَماني عشرة سنة، وقيل الأشد بلوغ الحلم، والأكثر أن يكون ثلاثاً وثلاثين، لأن الوقت الذي يكمل فيه الانسانُ في بدنه وقوته واستحكام شبابه أن يبلغ بِضْعاً وثلاثين سنة، وكذلك في تمييزه.

وقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي في ذُرِّيَتِي﴾.

معناه اجعل ذريَّتِي صالحين.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾.

ويجوز ﴿أولئك الذين نَتَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ ما عَمِلُوا﴾، فالقِرَاءَةُ يُتَقَبَّل وَنَتَقَبَّل، وكذلك يُتجاوزُ ونَتجاوزُ، ويَتقبَّلُ جائز، ولاَ أَعْلَمُ أَحداً قرأ بها.

وقوله:﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

هذا منصوبٌ لأنه مَصْدَرٌ مؤكد لما قبله، لأن قـوله: أولئـك الذين نَتَقبَّـلُ عَنْهُم أحسنَ مَا عَمِلُوا. بمعنى الوعد، لأنه قد وعدهم اللّه القَبُولَ. فوعدُ الصِّدْقِ توكيد لذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾:

وقـد قـرئت﴿أُفٍّ لكما﴾ وَأُفَّ لِكما. وقـد فسـرنا ذلـك في سُـورَةِ بني إسرائيل.

وقولِه: ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾.

ويقرأ أَنْ أَخرُجَ، ويجوز أَتَعِدَانِّي بالإِدْغام، وإن شئت أَظْهَـرتَ النُّونَيْنِ. وإنْ شئت أسكنت الياء، وإن شئت فتحتها. وقد رُوِيَتْ عن بعضهم أَتَعِدانَني ـ بالفتح. وذلك لحنٌ لا وجه له، فَلَا تَقْرَأَنَّ به، لأن فتح نُونِ الاثْنَيْنِ خـطأ، وإن حُكِيَ ذلكَ في شُذُوذٍ، فلا تحمل القراءة على الشذوذِ.

ويروى أن قوله في الآيةِ التي قبل هذه إلى قولك له: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم﴾ نزلت في أبي بكر رَحْمَةُ اللّه عَلَيْه.

فأما قوله:﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾.

فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن[1] قبل إسـلامه، وهـذا يبطله قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّـذِينَ حَق عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُممٍ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ إِنَّهُم كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر ـ وقد روى عن السيدة عائشة أنها نَفَتْ هـذا وقالت مـا أنزل اللّه فينـا قرآناً ـ وكان الذي اتهمه بهذا هو مروان بن الحكم حين طلب من أهل المدينـة البيعة ليـزيد بن معاوية فعارضه عبد اللّه.

فأعلم اللَّه أن هؤلاء قد حقَّتْ عَلَيْهِم كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن، ومن أفاضل المُؤْمِنِينَ، وسَرَوَاتِهِم.

والتّفسير الصّحيح أنها نزلت في الكافر العاق[1].

وقوله عزوجل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾:

ولنوفيهم جميعاً، بالنون والياء.

وقوله:﴿وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾.

أكثر القراءة الفتح في النون والتفخيم في النَّارِ[2]، وأكثر كلام العرب على إمالة الألف إلى الكسر، وبها يَقْرأ أَبُو عَمْرٍو «عَلَى النَّارِ» يختار الكسر في الرَّاءِ، لأن الراء عندهم حرف مُكرَّرٌ، فكأن كسرتَه كسرتانِ.

وقوله عز وجل: ﴿أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُمْ﴾:

بغير ألف الاستفهام، ويقرأ أَأَذْهَبْتُم - بهمزتين محققتين، وبهمزتين الثانية منهما مخففة، وهذه الألف للتوبيخ، التوبيخ إن شئت أثبت فيه الألف، وإن شئت حذفتها، كما تقول: «يا فلان أحدثت مَا لَا يَحِلُّ لك جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِك» إذا وَبَّخْتَهُ، وإن شئت: أأخذت مَا لَا يَحِلُّ لَكَ، أجنيت على نفسك.

وقوله عزوجل: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: معناه الهَوَانَ.

وقوله:﴿واذْكُرْ أَخَا عَادٍ إذْ أَنْذَرَ قَوْمَه بالأَحْقَافِ﴾.

«الأحقاف» رمال مستطيلة مُرْتفعة كالدَّكَّاوات[3]، وكانت هذه الأحقافُ منازلَ عَادٍ.

---

(١) ايّ كافرٍ عاقٍ.

(٢) يريد بدون إمالة الألف.

(٣) جمع دكاء.

وقوله: ﴿وقد خلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْه ومن خلفِهِ ألاَّ تعبدوا إلاَّ اللَّهِ﴾:

أي قد أنذروا بـالعذاب إنْ عَبَـدُوا غير اللّه فيمـا تَقَدَّمَ قَبْـلَ إنْذَارِ هُـودٍ، وعلى لسان هود عليه السلام.

﴿إنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم، قالوا أَجِئْتَنا لتأفِكَنا عَنْ آلِهَتِنَا﴾:

أي لِتَصْرِفنا عنها بالإِفْكِ والكَذِب.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: أي ائتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا، ﴿إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقينَ﴾:

﴿قَـال إنَّمـا العِلْمُ عِنْـدَ اللَّهِ﴾: أي هـو يعلم متى يـأتيكم العَـذَابُ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [إلَيْكُمْ].

ويقرأ بالتخفيف وأُبْلِغُكُم.

﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمـاً تَجْهَلُونَ﴾: أي أَدُلُّكُمْ على الـرَّشَـادِ وأنتم تَصُـدُّونَ وَتَعْبُدونَ آلِهَةً لا تَنفع ولا تَضُرُّ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾.

أي فلمـا رَأَوُا السحاب الـذي نشأت منـه الـريح التي عُـذِّبُوا بِهَـا قـد عَرَضت في السماء، قالوا الذي وَعَدْتَنا به سحـابٌ فيه الغيث والحيـا والمطر، فقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقرأ بعضهم: قُل بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُم، وكانت الـريح من شـدتها تـرفع الراعي مَعَ غَنَمِهِ، فأهلك اللّه قوم عَادٍ بتلك الرِّيح.

وقوله: ﴿مُمْطِرُنَا﴾ لَفظه لفظ معرفـة، وهو صفـة للنكرة، المعنى عَـارِضٌ مُمْطِرٌ إيَّانَا، إلا أَنَّ أَيَّانَا لا يفصل ههنا.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾.

في هذا خمسة أوجه، أجودها في العربية والقراءة، ﴿لا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ ،وتأويله لا يرى شيء إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ لأنَّهُمْ قد أُهْلِكُوا، ويجوز فأصبحوا لَا تُرى الاَّ مساكِنُهُمْ فيكون المعنى لا تُرى أشخاصٌ إلاّ مَسَاكِنُهُم، ويقرأ فأصبحوا تَرَى مَسَاكِنَهُمْ، أي لا ترى شيئاً إلاّ مساكِنَهُمْ، وفيها وجهان بحذف الألف، فأصبحوا لا يُرى إلا مَسْكِنُهُمْ، وَمَسْكَنُهُمْ، ويجوز فأصبحوا لا ترى إلا مَسْكَنَهُمْ.

يقال: سَكَن يَسْكُن مَسْكَناً وَمَسْكِناً.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾:

المعنى مثل ذلك نجزي القوم المجرمين أي بالعَذَابِ.

وقوله:﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إنْ مَكَّنَّاكم فِيهِ﴾.

إن ههنا في معنى «ما» و«إن» في النفي مع «ما» التي في مَعْنَى الَّذِي أحسن في اللفظ مِنْ «مَا»(١)، ألا ترى أنك لو قلت رغبت فيما ما رَغِبَت فيه لكان الأحسن أن تقول: قَدْ رَغِبْتَ فيما إن رَغِبْتَ فيه، تريد في الذي ما رغبت فيه، لاختلاف اللفظين.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إفْكُهُمْ﴾:

أي دعاؤهم آلهتهم هُوَ إفكُهُمْ، ويقرأ أَفَكَهُمْ، بمعنى وذلك كذبُهُمْ وَكُفْرُهُمْ، والأفك والأفَكَ مثل النَّجْس والنَّجَسُ ويقرأ أَفَكَهُمْ، أي ذلك جعَلَهُم ضلالاً كافرين، أي صَرَفَهُمْ عنِ الحقِّ، ويقرأ آفَكَهُمْ أيْ جَعَلَهُمْ يأفكونَ، كما تقول: ذلك أكفرهم وأضَلَّهُمْ.

وقوله عزوجل: ﴿وَإذْ صَرَفْنَا إليك نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوه قَالُوا أنْصِتُوا﴾.

(١) المعنى اذن مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

أي قال بعضهم لبعض صَهْ، ومعنى صه اسْكُتْ، ويقال إنَّهُمْ كانوا تسعة نَفرٍ أو سبعة نَفَرٍ، وكان فيهم زوبَعَة.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوا إلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

أي فلما تلى عليهم القرآن حتى فرَغَ منه، ولَّوا إلى قومهم مُنْذِرِين ويُقْرأُ فَلما قضَاهُ.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنا إنا سَمِعْنا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْه﴾.

أي يُصَدِّقُ جَمِيعَ الكُتب التي تقدمَتْهُ والأنبياء الذين أَتَـوْا بها، وفي هـذ دليل أن النبي ﷺ بعث الى الإنس والجِنّ.

وقوله عـز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَق السَّمَـوَاتِ والأرْضَ ولم يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾.

دخلت الباء في خبر إن بـدخـول «أَوَ لَمْ» في أول الكـلام، ولـو قلت: ظَنَنْتُ أن زيداً بقائم لم يجز، وَلَوْ قُلْتَ: ما ظننتُ أَنَّ زيداً بقـائم جاز بـدخول ما، ودخول ان إنما هو توكيد للكلام فكأنـه في تقديـر أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى فيما ترون وفيما تعلمونه.

وقد قرئت يَقْـدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى، والأَوْلَى هي القـراءة التي عليها أكثر القراء. وهذه جائزةٌ أيضاً.

وقوله عز وجل:﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَر أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

جاء في التفسير أن أُولي العَزْمِ نوح وإبراهيم ومُوسَى وعيسى ومحمَّـدٌ، صَلواتُ اللَّه عليهم أجمعين[١].

---

(١) أشير في الهامش إلى أنه جاء في بعض النسخ بعد هذا جملة «من أولي العزم».

قوله:﴿لَمْ يَلْبَثُوا الاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ ﴾.

الـرفع على معنى ذلـك بَلَاغٌ، والنصبُ في العـربيَّةِ جيـدٌ بالـغٌ. إلاّ أنَّه يخـالف المصحف، وبَلَاغـاً على معنى يبلغون بَـلاَغاً، كمـا قال:﴿كِتَابَ اللَّه عَلَيْكُمْ﴾، مَنْصُوبٌ عَلَى معنى: ﴿حُرِّمَتْ عليكم أُمَّهَاتُكُمْ﴾، تأويله: كتب اللَّه ذلك كتاباً.

وقوله عز وجل:﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾.

تأويله أنه لا يهلك مع رحمة اللَّه وتَفَضُّله الا القومُ الفَاسِقُـونَ ولو قـرئت فهل يَهْلِكُ إلاّ القوم الفَاسِقُون كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وما في الرجاء لرحمة اللَّه شيء أقوى من هـذه الآية. وهي قـوله:﴿فهـل يُهْلَكُ إلا القومُ الفَاسِقُونَ﴾.

الفهارس

فهرس البحوث اللغوية
فهرس الأبيات الشعرية
فهرس أنصاف الأبيات
فهرس التراجم
فهرس المحتويات

البحوث اللغوية

الخشوع واللغو ٦
كلمة هيهات واللغات فيها ١٢
كلمة تترى ولغاتها ١٣
اللغات في ربوة ١٤
رأي أبي عبيدة في النفخ في الصور ٢٢
خسأ ـ اتخذتموهم سخريا ٢٤
مادة فعالة ومواضيعها ٢٨
استعمال كلمة أبدا ٣١
عورة وعورات ٤٢
دخول «من» على الأسماء ٦٠
عتـواً. حجراً محجوراً ٦٣
اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ٦٦
أزلفنا ومادة زلف ٩٣
أوزعني أنْ أشكر وتفسير المادة ١١٢
العفريت وما يقابله ١٢٠
بلوغ الرشد .... ١٣٥، ٤٤٢
معنى الجبار في الأرض ١٣٧
وَيْـكَ أنـه ١٥٦
فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وتفسير الاستثنـاء ١٦٣
معنى الدابة ١٧٣

إعرابات قبل وبعد ١٧٦
معنى «وهـو أهـون عليـه» في رأي أبي عبيدة ١٨٣
إعراب «إنها إن تك مثقال حبة ١٩٧
معنى تصعير الخد ١٩٨
نعمة ونعمات وأوجه جمعها ٢٠١
تصريف: هو جاز عن والده ٢٠٣
«أحسن كل شيء خلقه» وأوجه فيها ٢٠٤
معنى يتوفاكم ملك الموت ٢٠٥
معنى الأرض الجرز ٢١١
الصياصي ٢٢٣
وقرن في بيوتكن ٢٢٥
يا جبال أوبي معه والطير ٢٤٣
معنى فزع عن قلوبهم ٢٥٣
جزاء الضعف ٢٥٥
التناوش ٢٥٩
النقير ـ القطمير ـ الفتيل ٢٦٦
سَدّاً فأغشيناهم ٢٨٠
يا حسرة على العباد ٢٨٤
اللغات في يخصمون ٢٨٩
اللغات في خطف يخطف ٢٩٩
ولا هم عنها ينزفون ٣٠٣
وفديناه بذبح عظيم ٣١١
لات حين ولغاتها ٣٢١
رجل سلم لرجل ٣٥٢
معنى يوزعون ٣٨٣
كلمة براء واستعمالاتها ٤٠٩

بطش ومرادفاتها ٤٢٥
كالذين آمنوا . . . سواء محياهم . . الخ ٤٣٣
حثا، جذا، وفز ٤٣٥
الإفك واللغات فيه ٤٤٦

فهرس الأبيات الشعرية

أول البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
صلبوا	بقاء	أبو زبيد الطائي	٣٢٠
فلا تحرمني	غريب	علقمة	١٣٤
وكنا	مذهب	طفيل	٢٢٧
إذا	فنضارب	قيس بن الخطيم	٢٤٢
رفعت	ثيابي	بعض الهذليين	٣١٣
وخصمي	يشغب	الجعدي	٣٦٣
ولقد	يغضبوا		٣٧٦
بأيدي	سلت		٧٧
ترى	الحماة	الفرزدق	٨٣
من صَدَّ	براح		١٤٢
وما أدري	شراح	يزيد بن مخرم	٣٠٥
وما الدهر	اكدح		١٨٢
لبيك	الطوائح	ضرار بن نهشل	٣٩٣
ولكنها	موحدا	ساعدة بن حؤبة	٢٦١
نشط	أبعد	عمر بن أبي ربيعة	٢٢٦
إن الذي	خالد	الأسود بن رميلة	٣٥٤
ألا يا اسلمي	القطر	ذو الرمة	١١٥
ألا يا اسلمي	الدهر	الأخطل	١١٥
ألا غُلالة	الجرارة	الأعشى	١٧٧
أصبحت	نفرا	الربيع الفزاري	٢٩٥

أول البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
لعمري	أبجرا	الأبيرد	٣٠٤
ألف	كسيرا		٣٣٠
إذا	سِتـر	خفاف بن ندبة	٣٥٣
قروا	سمـر	خفاف بن ندبة	٣٥٣
أيادي	منظر	كثير	٢٥١
ووتر	الأنفاسا		٢٧٠
ولولا	نفسي	الخنساء	٤١٣
ومـا	التآسي	الخنساء	٤١٣
كان سراته	دليص	امرؤ القيس	٢٦٩
فإن	مقنعا		١١٧
وخيل	وجيع	عمرو بن معد يكرب	٤٠٣
دعيني	مضاعا	عدي بن زيد	٣٦٠
ولا الملك	يأفق	الأعشى	٣٢٣
رأيت	البقل	زهير	١٠
قوم	التنـزيـلا	الراعي	١٥
في فتية	ينتعل	الأعشى	٣٥
حصان	القوافل	حسان	٣٥
لعمرك	أول	معن بن أوس	١٨٣
أيقتلني	أغوال	امرؤ القيس	٣٠٧
فرميت	طحالها	الأعشى	٢٢٦
يا رب	الأجل		٣٥٨
قد يدرك	الـزّلـل	القطامي	٣٧٢
ما أنطيانـي	كرمي	كثير	٦٢
بها القين	مجثم	زهير	٧٤

أول البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ويوم	غراما	الطرماح	٧٥
من سبأ	العرما	أمية بن أبي الصلت	١١٤
يا دار	سمسم	العجاج	١١٦
مشين	النواسم	ذو الرمة حـ ١/٣٦٢	١٩٠
هم القائلون	معظما		٣٠٥
ربه محراب	سلما	وضاح	٢٢٥
ولولا	علقما	المتلمّس	٤٠٣
بورك	الزيتون	أبو طالب	٤٥
علام	عبدان		٨٧
وكل أخ	الفرقدان	عمرو بن معد يكرب	١٥٨
وما أدري	يليني		٢٧٩
أألخير	يبتغيني		٢٧٩
واعمد	يدان	كعب الغنوي	٢٣٦
ان	أحياناً		٤٠٧

أنصاف الأبيات

فـاليـوم اشـرب غـير مستحقب	امرؤ القيس	٢٧٥
مـن صـادر أو وارد أيـدي سـبـا		٢٥١
بـين ذراعـي وجـبـهـة الأسـد	الفرزدق	١٧٧
أقـلي الـلوم عـاذل والـعـتـابـا	جرير	٢١٨
فـإن يـكن أمسى البـلى تيـقـوري		١٤
جاءت بـه عَـنَـسٌ من الـشـام تـلق		٣٨
كـم بجـود مـقـرفـا نـال الـغـنى	أنس بن زنيم	٢١٠
لنـا قمـراهـا والنجـوم الـطوالـع	الفرزدق	٤١٣
كجـابيـة السيـج العـراقي تفهـق	الأعشى	٢٤٦
إذا اعـوججْن قـلن صـاحب قـوم		٢٧٥
إذا أعـوجـجـن قـلن صـاح قـوم		٢٧٥
أو يخـتـرم بعض النفـوس حمـامهـا		٤١٨
فـقـد رجعـوا كـحي واحـديـنـا		٩١

تراجم

كعب الأحبار ٥

حسان بن ثابت ٣٤

صفوان بن المعطل ٣٥

أبو طالب عم النبي ٤٥

ضرار بن نهشل، نهشل بن حري ٤٦

زينب بنت جحش ٢٢٨

زيد بن حارثة ٢٢٨

زيد الخيل ٣٣٠

زيد بن أسلم ٤١١

عبدالله بن سلام ٤٤٠

فهرس الكتاب

سورة المؤمنون ٥
سورة النور ٢٧
سورة الفرقان ٥٧
سورة الشعراء ٨١
سورة النمل ١٠٧
سورة القصص ١٣١
سورة العنكبوت ١٥٩
سورة الروم ١٧٥
سورة لقمان ١٩٣
سورة السجدة ٢٠٣
سورة الأحزاب ٢١٣
سورة سبأ ٢٣٩
سورة الملائكة ٢٦١
سورة يٰس ٢٧٧
سورة الصافات ٢٩٧
سورة صٓ ٣١٩
سورة الزمر ٣٤٣
سورة المؤمن ٣٦٥

سورة فصّلت ٣٧٩
سورة الشورى ٣٩٣
سورة الزخرف ٤٠٥
سورة الدخان ٤٢٣
سورة الجاثية ٤٣١
سورة الأحقاف ٤٣٧
الفهارس
فهرس البحوث اللغوية ٤٥١
فهرس الأبيات الشعرية ٤٥٥
فهرس أنصاف الأبيات ٤٥٩
فهرس التراجم ٤٦٠
فهرس المحتويات ٤٦١